



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مخبر الجنوب الجزائري للبحث

في التاريخ والحضارة الإسلامية

فقهاء تلمسان في العهد الزياني دراسة في البنية الفكرية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

بشيري نذير

تحت إشراف:

أ.د / يمينة بن صغير حضري

لجنة المناقشة

الرقم	الاسم اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الاصلية	الصفة
01	إبراهيم بحاز	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
02	يمينة بن صغير حضري	أستاذ	جامعة غرداية	مشرفا و مقررا
03	طاهر بن علي	أستاذ	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا
04	مبخوت بودواية	أستاذ	المركز الجامعي النعامة	عضوا ممتحنا
05	الطيب بوسعد	محاضر أ	جامعة البليدة	عضوا ممتحنا
06	عبد الجليل ملاخ	محاضر أ	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مخبر الجنوب الجزائري للبحث

في التاريخ والحضارة الإسلامية

فقهاء تلمسان في العهد الزياني دراسة في البنية الفكرية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

بشيري نذير

تحت إشراف:

أ.د / يمينة بن صغير حضري

لجنة المناقشة

الرقم	الاسم اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الاصلية	الصفة
01	إبراهيم بحاز	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
02	يمينة بن صغير حضري	أستاذ	جامعة غرداية	مشرفا و مقررا
03	طاهر بن علي	أستاذ	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا
04	مبخوت بودواية	أستاذ	المركز الجامعي النعامة	عضوا ممتحنا
05	الطيب بوسعد	محاضر أ	جامعة البليدة	عضوا ممتحنا
06	عبد الجليل ملاخ	محاضر أ	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م

الاهداء

أحمد الله عز وجل على منِّه وعونه لإتمام هذا البحث.

إلى سيدي وحبيبي وقرّة عيني مُحَّد رسول الله ﷺ

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقّق له آماله، إلى من كان يدفعني قُدُما نحو الإمام لنيل المبتغى، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم وأهله، أبي –رحمه الله–.

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، إلى التي رعتني حقّ الرّعاية و كانت سندي في الشّدائد، وكانت دعواها لي بالتوفيق، تَتَبعتني خطوة خطوة في عملي، إلى من إرتحت كلّما تذكرت إبتسامتها في وجهي، نبع الحنان أمي أعزّها الله، فجزاها الله عني خير الجزاء في الدارين.

إلى مشائخي كلُّهم وعلى رأسهم سيدي الشخ مُحَّد بن الكبير ومُحَّد بن يبا عليهما سحائب الرحمة والمغفرة، والشيخ لخضر بن قما أطال الله عمره.

إلى إخوتي و أخواتي الذين تقاسموا معي عبء الحياة، فكانوا سندا لي في هذه الحياة.

إلى التي سهرت معي ليال طوال زوجتي الفاضلة وأبنائي الأعزّاء: أسماء، وأروى، والسايح مُحَّد بن الكبير.

أهدي لهم ثمرة عملي وجهدي

كلمة الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتّم الصالحات، وبتوفيقه تتحقّق المقاصد والغايات، وبفضله تتنزّل الخيرات والبركات، والصّلاة والسّلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتقدّم بالشكر العام والجزيل إلى كلّ أساتذة قسم التاريخ بتخصّصاته وأخصّ بالذكر تخصّص التاريخ الوسيط الذين استفدت من علمهم وأدبهم، ولم يدّخروا جهدا في النُّصح والتسديد.

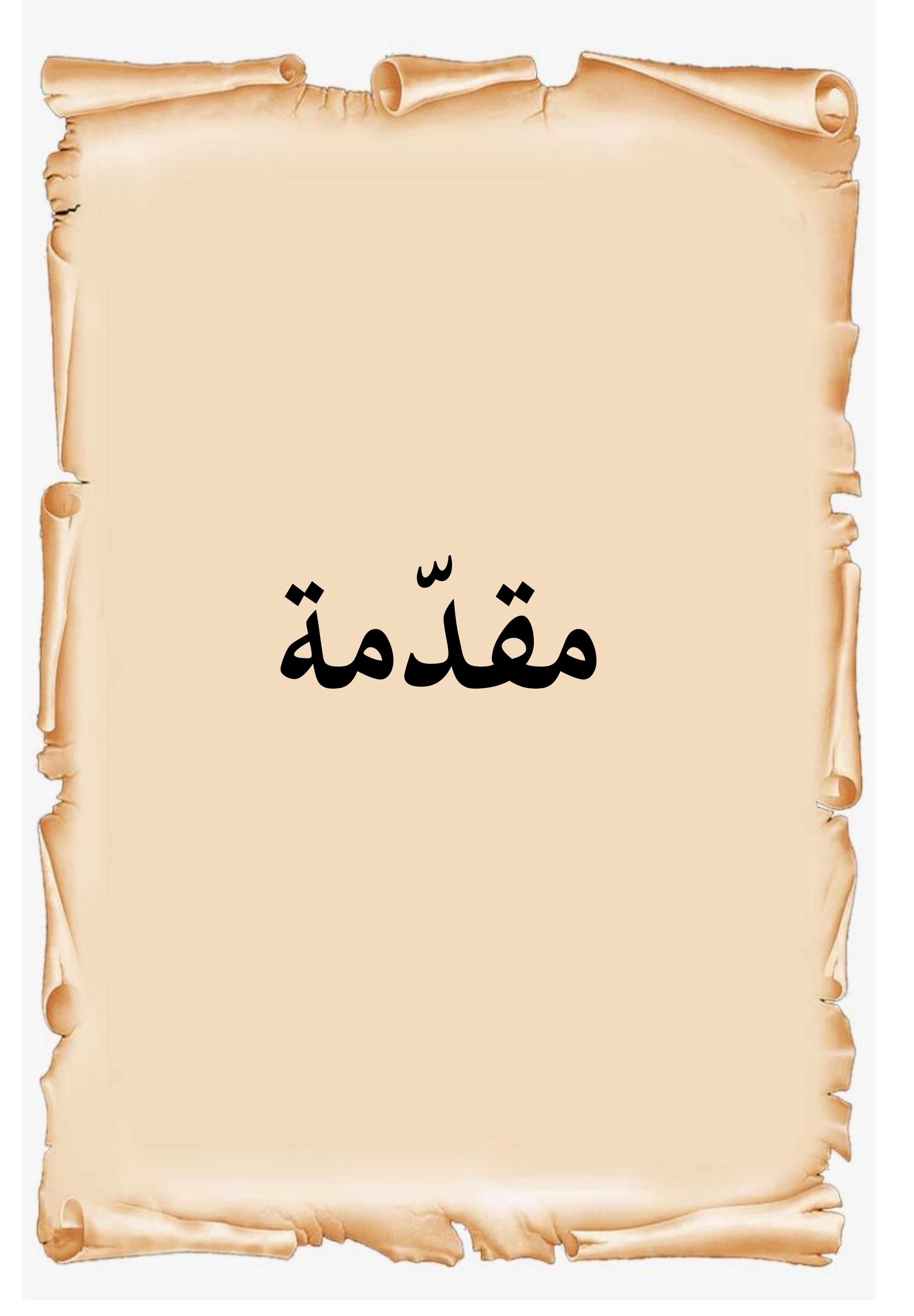
كما أتقدّم بخالص الشكر والتّقدير إلى الأستاذة الدكتورة: يمينة بن صغير حضري التي تكرّمت عليّ بقبول الإشراف على إعداد هذه الأطروحة، فأنارت لي الدرب بتوجيهاتها الدقيقة وملاحظاتها القيّمة، فبارك الله لها في عِلْمِها وعُمُرها.

وأتوجّه بالشكر والإمتنان إلى من وجّهاني في هذه الدراسة وأخصّ الأستاذين الدكتورين: طاهر بن علي، وعبد الجليل ملاّخ فجزاهما الله خير الجزاء.

كما أشكر اللجنة المناقشة الموقّرة على تكبّد عناء قراءة هذه المذكرة وما تُقدّمه من تصويبات وملاحظات تزيد في الجمال المعرفي للدراسة فجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

ولا يسعني إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى القائمين على شؤون المكتبات الجامعية (مكتبة جامعة أبي بكر بلقايد، وجامعة الجيلالي اليابس، وجامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة،...) لتسهيل عملية البحث العلمي للطلبة، فاللّهم جازهم خير الجزاء.

-والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل-



مقدّمة

شهدت تلمسان خلال العصر الوسيط حركة فكرية رائدة، ونشاطا تنويري واسع العلوم والمعارف، امتد تأثيره وإشعاعه إلى الحواضر العلميّة الأخرى في مغرب العالم الإسلاميّ ومشرقه وحتى إلى منطقة جنوب الصحراء، بفضل المكانة المرموقة التي حظيت بها المدينة، كما يعتبر العصر الزيّانيّ من أزهى عصور بلاد المغرب الأوسط (الجزائر الحالية)، فكوّن له حاضرة ضاهت حواضر المغرب الإسلامي، واستقطبت العلماء، وأكرمت نُزلهم، وأصبحوا يحضون بمكانة مرموقة عند أصحاب السّلطة، بل وعند العامّة، فأطّروا المجتمع، وشغلوا المناصب الحسّاسة في الدّولة؛ كالكتابة والقضاء، فضمِن لهم علمُهم الحظوة لدى السَّلاطين، والمكانة المرموقة في المجتمع.

كما اكتسب المجتمع التلمسانيّ ثقافة راقية كانت سببا في خروجه من البداوة إلى الحضارة، بفعل نشر المعرفة وترسيخها بالتعليم، وتغذيت الحركة الفكرية بتلمسان عن طريق الاحتكاك بالعلماء الوافدين، فتزايد التحصيل، وتعمق الاقتباس، وتوسعت البنية الفكرية بتوسع التيارات المختلفة في عقول فقهاء تلمسان، أدى إلى تطوّر العلوم النّقليّة والعقليّة، وبروز فيها فقهاء تميزوا بعمق التفكير والاستنباط، فكان لهم دور كبير في النهضة العلمية عبر جميع القطر الاسلاميّ.

كما كانت تلمسان عاصمة الزيّانيّين والمغرب الأوسط قبل مجيء العثمانيين أهمّ حاضرة في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط للحركة السياسة من جهة، وللحركة الثقافة من جهة أخرى، فهي ثالثة الحواضر العلمية الكبرى التي طبعت الثقافة الإسلامية المغاربية، إلى جانب القيروان وفاس.

ولئن كانت جزائر بني مزغنّة على عهد العثمانيين هي رمز السيادة الجزائرية على جغرافية الحوض الغربي للبحر المتوسّط، فإنّ تلمسان كانت رمز الاستقلالية العلمية والثقافية للعقل الجزائري، فجزائر بني مزغنّة خارطة الجزائر العسكرية برمزية رياس البحر، وتلمسان بني عبد الواد خارطة الجزائر العلمية برمزية المدارس والعلماء، وفي نظر المؤرخ تتساوى الرموز العسكرية المنافحة عن حدودنا السياسية السيادية بالرموز العلمية المشكّلة لحدودنا الفكرية والثقافية.

وفي ترجمة الشخصية الثقافية للمغرب الأوسط في العصر الإسلامي، تستوي تلمسان هوية حضارية لمدّة قرون، ويستوي فيها العقل العلمي هويّة ثقافية لها شخصيتها وخصوصيتها، ويتربّع العقل الفقهي على هامتها إشعاعا ينير ما بين العدوتين، ويمتدّ إلى المشرقين؛ مصر والحجاز.

ومن أجل تحرير نصّ يُعرِّف بالبنية الفكرية لفقهاء تلمسان بشكل خاص، وبميولهم الفقهية بشكل عام، ويبرز إلى الوجود معالم هذا العقل، الذي ملأ المدونات بإسهاماته، والأسماع حينها ببيانه، ويؤكد على النبوغ الجزائري.

من هنا تتجلّى أهمّية بحثي، فهو من البحوث الذي أصبح من مقاصد الكتابة التاريخية كما تبنّتها المدرسة التاريخية الجزائرية على يد أساتذتها، وانطلاقا من هذا التصور بقناعة غرستها بداياتي الفقهية، وسقتها دراساتي التاريخية.

من هذا السبيل جاء اختيار موضوع الدراسة الذي يُستكمل به متطلبات شهادة الدكتوراه في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط الموسوم ب:

فقهاء تلمسان خلال العهد الزيّاني "دراسة في البنية الفكرية"

أولا – حدود الدِّراسة:

1-**الإطار المكاني:** حَدّدت الدِّراسة المغرب الأوسط إطاراً مكانياً لها، وهي تخصُّ تلمسان من هذا الإطار بخصوصية حاضرة الزيّانيين، مع الامتداد شرقاً نحو بجاية، أو جنوباً نحو واحة توات.

2-**الإطار الزماني:** فقد حدَّدناه من سنة 633 إلى 962هـ الموافق لسنة 1235 إلى 1555م، أي من قيام الدولة الزيّانية إلى سقوطها، معتبِرين عهد الدَّولة مجالاً زمنياً يجمع نماذج محلّ الدِّراسة.

ثانيا – أسباب اختار الموضوع:

اخترنا موضوع البنية الفكرية للفقيه التلمسانيّ للاعتبارات الآتية:

- لَفَتَ انتباهنا أهمية الدراسات التاريخية حول الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط، خاصّة فيما يخص فقهاء تلمسان، مقارنة بالدراسات المتعلقة بفقهاء الحواضر الأخرى بداية من افريقية التي أخذت قسطا وافرا من اهتمام الباحثين، بالإضافة إلى المغرب الأقصى والأندلس.
- أغلب الدراسات التي اهتمت بدراسة المغرب الأوسط ركزت على الجانب الفكري بصفة عامّة، دون النظر إلى مناهجه وبنياته الفكرية، خاصَّة أنَّ حيثياتها سكتت عنها الكثير من المصادر التاريخية.
- تضيف هذه الدِّراسة لَبِنة جديدة في صرح تاريخ فقهاء المغرب الأوسط بصفة عامّة، وفقهاء تلمسان بصفة خاصّة،، والذي يجب أن نخصّص له الدِّراسات المتعمِّقة في جزئياتِه، من أجل معرفة شاملة عن تراثِه في كلّ الميادين.

- تِبيان الصراع الفكري الناتج عن اختلاف البنيّات الفكرية عند فقهاء تلمسان، وكيف تعامل الفقهاء فيما بينهم في ظل اختلاف هذه البنيات، ومن هنا تكمن قيمة البحث من حيث تفكيك معضلة ربط البنية الفكرية داخل شبكة العلاقات الثقافية.

ثالثا – أهمية الموضوع:

- تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يبني معرفة تاريخية تبحث في مكوّنات الفكر وبِنْيَات العقل، ليؤسس لتنقيب معرفي كما تصبو إليه الدراسات التاريخية المعاصرة، والتي بدورها تبحث في تاريخ الذهنيات في مختلف التخصصات الاجتماعية والإنسانية.
- إنّ البحث في الفكر الفقهي بالمغرب الأوسط في تلك الفترة هو اجتهاد وتأكيد التأكيد على المرجعية الفقهية الجزائرية، التي نحسبها من أمننا القومي الثقافي، الذي أكّد عليه أساتذتنا روّاد المدرسة التاريخية الجزائرية، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور موسى لقبال –رحمه الله–، وهو المؤرخ الفقيه، الذي كانت له دروس في هذا الاتّجاه، والأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله –رحمه الله–، الذي ما فتئ يُؤكّد على مفهوم الحدود الثقافية للجزائر.
- كما يكتسي الموضوع أهمية بالغة في دراسة ومعرفة الحياة الثقافية والدينية بتلمسان خلال العهد الزيّاني، ومن جهة أخرى تسليط الضوء على فكر الفقيه التلمسانيّ الذي كان يُؤرخ لمرحلة حاسمة من مراحل الثقافة الإسلاميّة، باعتماده لأساليب جديدة أثرت الحركة الفكرية في المغرب الأوسط في عهد بني زيّان خاصّة، وفي بلاد المغرب الإسلاميّ على وجه العموم.
- كما أنّ دراسة البنية الفكرية هي دراسة للبنية المعرفية التي امتاز بها فقهاء تلمسان، بفضل تشجيع السلاطين الزيّانيّين، وهي في نفس الوقت محاولة لمعرفة بعض النماذج الفقهية ومناهجهم وآرائهم، من أجل ايصال أفكارهم إلى خارج حدود بلاد المغرب الأوسط، باعتبار تلمسان جزء لا يتجزأ منه، بالرغم من الصراع السياسيّ المرير خاصّة مع بني مرين، وكذلك في التأسيس للاتجاه بأصول لم يكتف أصحابه بالتأليف والدراسة فحسب، ولكن أردفوا ذلك بالمناظرة والجدل اللذين كانا مظهرا معرفيّاً، وموقفا منهجيّاً، وهوية للفقيه التلمسانيّ.
- والأهمُّ من هذا كلِّه أنّ الأهميّة من هذه الدِّراسة كونها تميط اللثام عن ظاهرة البنية الفكرية التي ميّزت الفقيه التلمسانيّ.

إشكالية الموضوع:

لا يمضي البحث في الدراسات الأكاديمية إلاّ إذا اتّضحت في ذهن الباحث الإشكالية التي تُحدّد مجال البحث، وترسم معالم التنقيب فيه، لذلك رأينا أن تكون إشكالية بحثنا، التي يمضي عليها في استقراء المّادة وبناء المعرفة التاريخية عليه كالآتي:

أيُّ بنيةٍ فكريةٍ شَكّلَتِ العقلَ عند فقهاء تلمسان في العهد الزيّاني؟

إنّ رؤيتي لهذه الإشكالية العامة هي أنّها تستطيع معالجة الموضوع على الرغم من سعته واتساعه نطاقه، ويمكنها أن تتفرع منها تساؤلات أخرى أهمها:

1- ماهي الخلفيات التاريخية لفقهاء تلمسان في العهد الزيّاني؟
2- فيم تمثلت ظاهرة البنية الفكرية عند فقهاء تلمسان؟
3- كيف تعامل الفقهاء فيما بينهم في ظل اختلافات بنياتهم الفكرية؟
4- كيف كانت مناهج التعليم الفقهي داخل المؤسسات التعليمية في الدولة الزيّانية ؟
5- فيما تجلّت أهم معالم البنية الفكرية لفقيه تلمسان؟
6- ماهي إسهامات فقهاء تلمسان في الفكر الإسلاميّ؟
7- فيم تمثلت الانعكاسات التي خلفتها البنية الفكرية على مجال تنوُّع العلوم والتآليف؟

أهداف الموضوع:

- البحث التاريخي تراكمي بطبيعته، فالدراسات تصبّ في هذا الجانب من أجل معرفة شاملة بالتراث العلمي، لذلك تأتي دراستُنا ضمن هذا المجال بحثاً في موروثِنا الثقافي والفكري بكلِّ حيثياتِه.
- كما يهدف البحث إلى إبراز الحياة العلمية بكلِّ جزئياتِها، سواء على مستوى القيمة العلمية والمعرفية التي يحملها العلماء ويتفاعلون بها، أو جوانب الحياة كما عاشها هؤلاء العلماء، خصوصاً إذا تعلّقت بما يحملون من أفكار، من خلال التركيز على البنية الفكرية لفقهاء تلمسان في العهد الزيّاني.

المنهج المتبع:

في مثل هذا النوع من الدراسات يعتمد المنهج التاريخي (الوصفي التحليلي)، حيث أنّ الدراسة محاولة لمعرفة ما صَنَعَتْهُ طبقةُ فقهاء تلمسان على عهد الدولة الزيّانية، كما عَمَدَت الدراسة إلى اعتماد المنهج الاستقرائي الذي يستصحب دوما من أجل استقراء المّادة واستنتاج المعرفة منها، وقد تعلمت من

دروس المنهجيّة أنّه لا يمكن الاستغناء بمنهج واحد في الدراسات التاريخية، خاصّة إذا كانت في مجال الفكر والثقافة، لذلك تكون المناهج مترافقة على أن يكون أحدها سيِّدا نظرا لطبيعة الموضوع.

دواعي اختيار الموضوع:

هناك مجموعة من الأسباب والدّوافع الذاتية منها والموضوعية جعلتنا نقتنع بضرورة الخوض في هذا الموضوع:

– الذاتية:

- ميولُنا إلى كلِّ ما هو علمي، وكلُّ ماله علاقة بالحركة الثقافية الخاصة بالمغرب الأوسط، فالتاريخ الثقافي جانب مهم في الدراسات التاريخية الحديثة.
- بحكم وظيفتي إمام ميولي للنزعة الفقهية التي غرسها في وجداني شيخي سيدي مُحَّد بن الكبير–رحمه الله– ومن هذا السبيل كان التزاوج بين الفقه والتاريخ، فللفقه جلالته، وللتاريخ دلالته، وأهل الفن أدرى بذلك.
- اعتزاز النفس بكلّ ما هو جزائري، وللجزائر نبوغٌ دلّت عليه حواضرُ وفي عينها تلمسان، ودلّت عليها عقول وفي مقدمتها عقول فقهاء تلمسان.
- أنْ أَصِلَ الحاضر بالماضي، والخلف بالسلف، وأن أبحث عن ذاتي الفقهية عند أسلافي من مشايخ تلمسان وهم سادة الفقه لمن بعدهم.
- شحذ الهمم للتوغّل فيها، آملين أن نثري المكتبة بمثل هذه الدِّراسة.

– الموضوعية:

- العمومية التي اتّسمت بها هذه الدّراسات التي اطلعت عليها في تناولها للموضوع.
- موضوع البنية الفكرية هو حقيقة من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسات كثيرة ومعمَّقة، لأهميتها في إبراز التصوُّرات والرؤى عند الفقيه.

خطة البحث:

إنّ من المسلَّم به أنّ لكلّ بحث خطة تُؤطره، وتُبيّن مدى تحكّم الباحث في موضوعه بالمنهج الذي ارتآه في معالجته تفسيرا وتحليلا في فحص النصوص التاريخية المتعلقة بالدراسة، فجاءت مُهَيْكَلَةً في فصل تمهيدي وأربعة فصول، تتصدّرُهم مقدِّمة وتعقّبُهم خاتمة.

الفصل التمهيدي: وعنوانه: تلمسان الزيانية الجغرافية والتاريخ. قسّمته إلى ثلاثة مباحث؛ المبحث الأوَّل: مكانة تلمسان الحضارية بالمغرب الأوسط. أما المبحث الثَّاني فذكرت فيه الدولة الزيّانية وأطوارها السياسيّة ، وأمّا المبحث الثالث فَعَنْوَتُه بالعلاقات الثقافية بين تلمسان والحواضر العلميّة في العالم الاسلامي.

- الفصل الأول: خصّصته للحركة العلميّة بتلمسان، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث، الأول ذكرت فيه أثر الإرث الموحدي على الحركة العلمية في العهد الزياني، المبحث الثاني: عوامل تطور الحركة العلمية في العهد الزيّاني، المبحث الثالث: مظاهر الحركة العلميّة، وتناولت فيه بعض المؤسسات العلمية كالمسجد والمدرسة...، وذكر أهمية الرحلة العلميّة وما نتج عنها من تطور الحركة الثقافية كظهور رافد جديد في مناهج التعليم وهي المناظرات العلمية.
- الفصل الثاني: عنونته بفقهاء تلمسان في العهد الزياني، ووضعت فيه ثلاثة مباحث على حسب كلّ عهد من عهود الدولة الزيّانية، المبحث الأول: تطرقت فيه إلى الفقهاء المخضرمين الذين عاصروا الدولتين الموحدية والزيّانية، وكان المبحث الثاني: بعنوان جمهرة فقهاء تلمسان وضعته على اعتبار البيوتات الكبرى بتلمسان (المقّري، والمرازقة، والعقابنة)، والمبحث الثالث: باعتبار البيوتات الصغرى من أمثال (السنوسي، والتّنسي، والونشريسي...).
- وعالجت في الفصل الثالث الذي كان تحت عنوان التأسيسات المنهجيّة لتشكيل البنية الفكرية عند فقهاء تلمسان، وتعرضت فيه إلى ثلاثة مباحث أيضا: الأول: تطرقت إلى المناهج التعليمية، وطرق التعليم ومراحله بتلمسان، أمّا المبحث الثاني: تناولت فيه مناهج التّكوين الفقهي التي أوضحتُ فيها أنواع العلوم المتداولة بتلمسان، وكيفية تدريسها، وختمته بتحصيل الطلبة للإجازة العلميّة والمبحث الثالث كان إبرازا لبعض معالم البنية الفكرية التي امتاز بها فقهاء تلمسان.
- وخصّصت الفصل الرابع والأخير الذي عنونته ب: أثر البنية الفكرية عند فقهاء تلمسان وإسهاماتها في ميادين العلوم، تناولت في المبحث الأول: اسهامات فقهاء تلمسان في هذه العلوم، وذكرت أبرز الروّاد، أمّا المبحث الثاني فكان حول إسهامات الحركة التأليفية لفقهاء تلمسان خلال العهد الزيّاني بذكر مراحل هذه الحركة وإسهاماتهم في كلِّ مرحلة، أمّا المبحث الثالث: تناولت فيه انعكاس هذه الإسهامات على الفكر الإسلامي ومكانة فقهاء تلمسان في الحواضر الإسلامية بالإضافة إلى ذكر بعض المؤلفات التي أُلِّفت خارج حدود الدولة الزيّانية كمظهر من مظاهر الانعكاس الفكري.

وفي الأخيرة كانت حوصلة للنتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وذكر بعض الآفاق القابلة للبحث المستقبلي من أجل أن تتكامل الدراسات في جامعاتنا، واتبعتها بملاحق من رسائل وصوّر لها علاقة بالموضوع، وأردفتها بفهارس توضيحية (للأعلام والأماكن...)، وقائمة للمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

- مذكرة "**العلوم والمعارف الثقافيّة بالمغرب الأوسط مابين القرنين 7و9هـ/13 و15م**"، رزيوي زينب أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، جامعة بلعباس، واستفدت منها في معرفة بعض العلوم ومؤلفيها، مع ذكر تخصّصاتها ومجال البحث فيها.
- مذكرة "**الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني (633 ـ 962هـ/1236 ـ 1554م)**"، الأخضر عبدلي، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، استفدت منه في تاريخ دولة بني زيّان وسياستها، وبعض العلوم المدروسة بتلمسان.

المجلات:

- "**مجلة الأصالة**" خاصّة المقال الذي بعنوان "النشاط العقلي والتقدم الحضاري في عهد الزيانيين" لمفدي زكرياء الذي تحدث فيه عن التعليم ومراحله.
- "**مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية**" خاصة مقال نصيرة دهينة بخصوص مشاهير بيوتات العلم والعلماء في حاضرة تلمسان، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، استفدت منه في تراجم أشهر فقهاء البيوتات بتلمسان.

الدراسات الأجنبية:

A - Dhina, le royaume abdel oudide a l epoque d abou hammou moussa 1er et d abou tachfin 1er o.p.u, alger, sans date.

- LEVI-PROVENCAL E.- **UN NOUVEAU TEXTE D'HISTOIRE MERINIDE : LE « «MUSNAD » D'IBN MARZUK»,** HESPERIS ».1950.

الصّعوبات:

صادفتني في دراستي هذه عدِّة صعوبات تراوحت بين الشدَّة ودُونها، منها:

- في بداية الأمر كان من الصعوبة بمكان دراسة موضوع بهذا الحجم، وبهذه الخصوصية، فالبنية الفكرية غالباً ما ترتبط بقضايا علمية ومواقف سياسية أيضا، لذلك رأينا بعد مدّة أنّنا جازفنا في اختياره، ولكن تبقى المجازفة من خصائص البحث.
- إن تاريخ الحياة الثقافية عموما وتاريخ الذهنيات خصوصا في مجمله صعب الاستيعاب والإدراك، وقد بيّن ذلك شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله–رحمه الله– في مواضع عديدة من مدونته الموسومة بتاريخ الجزائر الثقافي، أنّ المادة التاريخية التي حملتها إلينا المصادر لا تمنحنا الإحاطة بكل الأحداث، كما لا تمنحنا رؤية كاملة المعالم للحدث الواحد في خصوصياته، أو عمومياته التاريخية، فضلا عن ما هو خفيّ لا يُدْرَكُ بالعين المجردة.
- ثمّ لابد من ذكر أهم عائق في هذه الدراسة، وهو سِعَة الموضوع وتَشَعُبِه، فيصعب بهذا ذكر جميع جوانبه، وإن ذكرتها اقتصرت على القليل منها لضيق صفحات الدراسة، وقد أشرت إلى ذلك في العديد من الأماكن من البحث، إلاّ أنّ مالا يُدرك كلُّه لا يُترك جلّه.
- كما أنّ إطار البحث المتمثل في دراسة البنية الفكرية اقتضى منا فحصا دقيقا للمرويات والنصوص واستنباط بعض الأشياء منها، وهو الأمر الذي أجهدني في تجاوز العموميات إلى دقّة التفاصيل من أجل تحليل المواقف، أو حتى بعض المؤلفات التي ألّفت من قِبَل هؤلاء الفقهاء.

عرض المصادر والمراجع والافادة منها :

إنّ المتتبّعَ للمصادر التي اعتمدتها في إنجاز هذه الدِّراسة يجدها متنوعة، منها ما يتعلق بكتب السيّر والتراجم، ومنها كتب المناقب والتصوف، وكتب الرحلات والجغرافيا، والكتب الموسوعيّة، وكتب النوازل...، فموضوع مثل هذا لا يمكن حصر مادّته العلّمية في مجال معيّن، لذا كان لزاما علينا أنّ نسّتخرج مادَّته من مصادر ومراجع مختلفة، وقد اقتصرنا على ذكر أهم المصادر، مراعين مجالات الاستفادة منها ومن جملة هذه المصادر نذكر:

1-كتب التاريخ:

- كتاب "**الإحاطة في أخبار غرناطة** " لمؤلِّفه أبي عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م)، ترجم فيه لمئات العلماء والفقهاء والأمراء والسّلاطين، من أهم المصادر التي

اعتمدت عليها في البحث، حيث استفدت منه في ترجمتي لابن مرزوق الخطيب، بالإضافة إلى ذكر بعض المناظرات التي حدثت بين الفقهاء.

- كتاب "**بغيّة الرّواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد**" لأبي زكرياء يحي بن خلدون (ت 780هـ/1378م)، بتحقيق عبد الحميد حاجيات فإن مادته الإخبارية الدقيقة، واحتكاكه المتواصل ببلاط السلطان، جعل منه وثيقة رسمية للدّولة الزيانية، بحيث ركّز على الجوانب السّياسية، كما اعتمدت كثيرا حول تراجم بعض الفقهاء أمثال سعيد العقباني في تدريسه للهندسة، ووصفه تلمسان، مع ذكر ميزات بيت ابني الإمام.
- كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406م)، أفادني هذا المصدر كثيراً بالتّعريف بالقبائل وبعض الأماكن، وبتحدثه عن تاريخ الدَّولة الزيّانية السياسي، أمّا كتابه "**المقدّمة**" الذي دوّن فيه ابن خلدون عصارة علمه، وذخيرة خبرته، فقد أفادني في معرفة مراحل التعليم، والعلوم المدروسة في العهد الزيّاني، وفي إبراز بعض ما يتعلق بالتعليم وما يُفسده، وفي عوائده التي انتشرت في المجتمع التلمسانيّ.
- كتاب "**نظم الدرّ والعقيان في شرف بني زيان**" لصاحبه مُحَّد بن عبد الله بن عبد الجليل التّنسي (ت 890 هـ/1493م)، يعتبر مؤرخ الدَّولة الزيَّانية وملوكها، استفدت منه في الأحداث والوقائع التاريخية للدَّولة الزيَّانية، بالإضافة إلى ترجمة معظم السلاطين الزّيّانيين، وذكر حياتهم الثقافية.

2-كتب الرحلة والجغرافيا:

كتب الرحلة وجغرافيا:

تكّمن أهمية هذا النّوع من المصادر في كونها تقوم على المشاهدة والمعاينة للأحداث والوقائع والوقوف عليها.

- كتاب "**الرّحلة المغربية**" لأبي عبد الله محمَّد العبّدري البلنّسي (ت 720هـ/1302م) الذي يعتبر من المصادر المهمة التي ساعدتني في نظرة شاملة عن مكانة تلمسان الحضارية.
- كتاب "**التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**" لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ/1406م)، يعتبر مصدر جدّ مهم لأنّه عرفنا بنفسه، وتحدث عن محنته وعائلته وشيخه الآبلي، وذكر ما كان من الشريف التلمسانيّ، وابن مرزوق في محنته، وترجمة لأخيه يحي بن خلدون.

- كتاب "**رحلة القلصادي**" لأبي الحسن علي بن محمّد البسطي (ت891 هـ/1486م) يعتبر مصدرا من أهم المصادر التي عنيت بالتأريخ للحركة العلمية، والفكرية، والثقافية في القرن التاسع الهجري(15م)، استفدت منه في توضيح نظام التعليم، وذكر بعض المواد المدرّسة شتاء وصيفا، مع ترجمة لبعض شيوخه.
- كتاب "**وصف إفريقيا**"، لصاحبه محمّد بن الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت 944هـ/1537م) والذي أخذنا منه وصف تلمسان وبعض الأماكن التي زارها، وذكر مدرسة العباد.

3- المعاجم اللغوية:

- **كتاب** "**لسان العرب**" لمحمَّد بن مكرم بن منظور(ت711هـ/1311م) استفدت منهما في التعريف ببعض المصطلحات كالسياسية، والفتوى.
- **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمَّد علي التهانوي، استفدت منه كثيرا في التعريف بالمصطلحات.

4- كتب السير والتراجم والطبقات:

- كتاب "**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**" لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد العجيسي التلمساني، الشهير بالخطيب (ت781هـ/1379م)، ألّفه لذكر محاسن السلطان أبي الحسن المريني، استفدت منه في إبراز العلاقة التي كانت بين الدولة المرينية والعلماء، وذِكر ما شيّده السلطان المذكور من مؤسسات تعليمية.
- كتاب "**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**" لشمس الدين محمَّد بن عبد الرحمان السّخاوي (ت 902هـ/1496م)، جمع فيه العديد من تراجم الفقهاء، والصلحاء، والقضاة، استفدت منه في تراجم بعض الفقهاء، وترجمته لأبي الفضل المشذّالي، بالإضافة إلى ذكر العلوم المدرّسة بتلمسان وتنوُّعها.
- كتاب "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**" لأبي عبد الله محمَّد بن محمَّد المديوني التلمساني، الشهير بابن مريم (ت1014هـ/1605م)، ترجم فيه ل **182** عالم ووليّ من تلمسان، أفادني في تراجم فقهاء تلمسان، مع نقله لكثير من النصوص، بالإضافة إلى ذكر بعض العلوم والمعارف التلمسانية.
- كتاب "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1626م)** وذيلٌ على كتاب "**الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب**" لابن فرحون

المدني، استفدت منه في الترجمة للفقهاء، وما أورده حول المؤسسات التعليمية، مع إبراز إسهامات فقهاء المغرب الأوسط على الحركة الفكرية.

5-كتب الوفيات:

- كتاب "**وفيات الونشريسي**" لأبي العباس أحمد يحي الونشريسي (ت 914هـ/1508م)، استفاد منه البحث في معرفة سنوات الوفاة لبعض الفقهاء حتى سنة 912هـ.
- كتاب "**فوات الوفيات**" مُحَّد بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ) تحقيق إحسان عباس، استفدت منه في ترجمة الفقهاء المخضرمين وذكر سنة وفاتهم أمثال العفيف التلمساني.

6-كتب النوازل:

- كتاب "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**" لأبي العباس أحمد يحي الونشريسي (ت914هـ/1508م)، استفدت منه في رأي العلماء بالنسبة للتآليف وقضية الاجتهاد والتقليد، وذكر بعض الفتاوى التي كانت تأتي من افريقية والأندلس، خاصة في أجزاءه الثاني، والسادس، والسابع، والثاني عشر.

7- الدراسات الحديثة:

- اعتمدنا على المؤرخين المتخصّصين في عهد دولة بني زيّان ككتاب: "**التعليم بتلمسان خلال العهد الزيّاني**" لعبد الجليل قريان، استفدت منه في إحالتي على المصادر والمراجع، وكذا في دراسة إحصائية قدّمها لبعض الفقهاء ومؤلفاتهم.
- كتابي "**التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**" و"**تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيّان**" للخضر عبدلي، استفدت منهما في الأدوار السياسية التي مرت بها دولة بني زيّان.
- كتاب "**تلمسان في العهد الزيّاني**" لعبد العزيز فيلالي بجزئيه، أفادني هذا الكتاب في جميع جوانب هذه الدراسة بسبب موسوعيته البحثية خلال هذه الفترة.
- كتاب "**أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**" للدكتور يحي بوعزيز، واستفدت منه في ترجمته لبعض فقهاء دولة بني زيّان، وذكر حياتهم مفصّلة.
- بالإضافة لكتاب "**تاريخ الجزائر العام**"، لعبد الرحمن الجيلالي، استفدت منه في التأريخ للفقهاء في عهد كل سلطان.

والله أسأل أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون لنا صدقة جارية في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من ذوي العلم وأهله، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.



الفصل التمهيدي

تلمسان الزيّانيّة الجغرافية والتاريخ

- المبحث الأول: مكانة تلمسان الحضارية بالمغرب الأوسط
- المبحث الثاني: قيام الدولة الزيّانيّة
- المبحث الثالث: العلاقات الثقافية بين تلمسان والحواضر العلميّة في العالم الإسلامي

كان لمدينة تلمسان أدوارا تاريخية في جميع المجالات، إن سياسيّا، أو جغرافيا، أو حضاريّا، ممّا جعلها واحدة من أهم العواصم العلميّة في ربوع العالم الإسلامي، وهو الأمر ذاته الذي أكسبها العديد من المميزات، في مقدمتها تلاقح الحضارات التي مكّنها على أن تكون عاصمة المغرب الأوسط في عهد بني زيّان.

وعليه نقول: فيم تمثلت تاريخية تلمسان الحضارية؟ وماهي مراحل التاريخ السياسي لدولة بني زيّان؟ وكيف كانت انعكاساتها على العلاقات الثقافية مع باقي الحواضر العلميّة الأخرى؟

المبحث الأول: مكانة تلمسان الحضارية بالمغرب الأوسط.

لقد حازت تلمسان عبر عصورها على ماضيا تاريخيا مكّنها من أن تكون حاضرة هامة في بلاد المغرب، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى موقعها الجغرافي الممتاز، ومن كونها كانت عاصمة للمغرب الأوسط لأزيد من ثلاثة قرون، فأصبحت مركزا مشعّاً في الفكر، والسياسة، والثقافة على حدٍّ سواء، فكانت بهذا مدينة التاريخ والفن. وقبل أن نتطرق إلى المكانة الحضارية لمدينة تلمسان لابأس في أن نسلط الضوء على أصل التسمية، وجغرافيتها بشقيها الطبيعي والبشري.

أولا: أسماء تلمسان في عيون المؤرخين:

اتخذت مدينة تلمسان أسماء متعددة، منذ تأسيسها، باعتبارها أقدم مدن المغرب الأوسط. كما استوطن الجنس البشري المدينة من آلاف السنين، وهذا ما دلت عليه الحفريات والأبحاث التي أجريت عليها من قِبل بعض الباحثين الغربيين على وجه الخصوص، والذين عثروا على بقايا أثرية تعود الى عصور الحضارة الأولى لإنسان هذه المنطقة.

1 ـ آراء المؤرخين في التسمية:

هناك عدّة آراء حول أصل تسمية تلمسان ومن هذه الآراء نذكر منها:

- رأى المؤرخ الجزائري يحي بوعزيز أن كلمة تلمسان تتكون من كلمتين بربريتين هما: "تلم" ومعناها: تجمع، و"سان" ومعناها "اثنان" لكونها جمعت بين مدينتين تقرارت التي أسسها يوسف بن تاشفين، وأغادير التي اختطها بنو يفرن بزعامة أبو قرّة على أنقاض بوماريا[1].
- أما يحي بن خلدون فقد ذكر الكلمتين السابقتين وأرجع معناها إلى "تجمع اثنين" الصحراء والتل، بمعنى أنها تجمع طبيعة التل والصحراء لوجودهما في مكان ملائم، لأنّ تلمسان تقع في سفح جبل طرارة الذي يطلُّ عل ساحل بحري وغير بعيد عن ميناء الغزوات المعروف، وكونها لاتبعد عن الهضاب العليا الذي مناخها يشبه المناخ الصحراوي[2]. وقد نقل ابن خلدون هذه الرواية عن شيخه مُحَّد بن ابرهيم الآبلي الذي كان يعرف لغة البربر[3].

---

[1] يحي بوعزيز، **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م، قسم مدينة تلمسان، ص13.

[2] ابن خلدون أبو زكريا يحي بن مُحَّد ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ، 1980م، ج1، ص ص85 – 92.

[3] ابن خلدون نقلا عن يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص13.

- أما جورج مارسي فيعتقد أنّ اسم تلمسان من البربرية "تلا" "ومسان" (بالتفيناغ) ومعنى كلمة "تلا" عنده: المنبع، ومسان بمعنى: الجاف، لتصبح كلمة تلمسان "المنبع الجاف" أو "البئر الجاف"[1].
- وذكر المقّري صاحب كتاب نفح الطيب أنّ تلمسان كان يقال لها تلمشان، وهو مركب من "تلم" ومعناها: لها، وشأن، أي لها شأن[2].
- إنّ أصل تسمية تلمسان راجع إلى قبيلة كانت تسكن المغرب الأوسط في عهد الأدارسة، ولها نفس اسم المدينة، امتازت بالعزة والمهابة، إلاّ أنّها سرعان ما اختفت بسبب تكالب الأعداء عليها[3].
- كما تداول بعض العوام على أن هذه الكلمة أصلها عربي وهي مركبة من كلمتين: "تلم" بمعنى: تجمع، و"سان" بمعنى إنسان لتصبح (مجمع الناس)[4].

ولكن كتعقيب على هذا الرأي الأخير وصحته، فلم أجد له لا سند علمي ولا تاريخي في المصادر، لأنّ تلمسان لم تكن بهذا الاسم من قبل، فقد كانت تسمى بوماريا، وأغادير أو أكادير، وتجرارات أو تقرارت.

2. المسار التاريخي لألقاب تلمسان:

لما قَدِمَ الفينيقيون إلى بلاد المغرب كان أوّلَ ما أقدموا عليه هو انشأوا مجموعة من المحطات على طول الساحل، يتمُّ التبادل التجاري من خلالها، ثم صارت هذه المنشآت بعد ذلك مدناً وتجمعاتٍ حضارية مثل: الجزائر وتنس وأهمها تلمسان، التي لم تكن تسمى بهذا الاسم.

أ) بوماريا: (Pomaria)

هو الاسم الذي أطلقه الرومان على تلمسان عند قدومهم إلى بلاد المغرب، واستوطنوا هذه المنطقة. ولكثرة الحدائق الغنّاء التي كانت تتزيّن بها المدينة وعمرانها، سمّاها الرومان بهذا الاسم والذي يعني "البساتين". ولكن لا يمكننا أن نجزم أنّ الرومان هم أول من سكنوا المنطقة، وشيّدوا بها العمران، وما

---

[1] عبد الحق حمّيش، **سيرُ أعلام تلمسان**، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المسيلة، 1432هـ/2011م، ص22.

[2] شهاب الدين أحمد بن مُحَّد، المقري التلمساني، **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م، ج7، ص 134.

[3] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص 23 .

[4] نفسه، ص23

يؤكد قولنا هذا هو وجود بقايا الانسان القديم[1]، بإضافة إل بعض القبائل مثل زناتة، لأنّ ابن خلدون لما ذكر بلاد المغرب الأوسط قال هي بلاد زناتة[2].

بنى الرومان المدينة على أنقاض منطقة كانت مخصصة للزراعة، وجعلوها معسكرا رومانيا، ونمى عمرانها[3]، وزاد عدد سكانها، فكانوا يجلبون لها المياه من عيون كانت تدعى "عيون الوريط"[4]، وهي إلى اليوم تدعى ساقية النصارى[5].

احتفظت مدينة تلمسان ببعض بقايا "بوماريا" الرومانية إلى الوقت الحاضر، وتمثلت هذه الآثار في بقايا السور الذي يحيط بالمدينة[6]، وبعض الأحجار التي بنى بها يغمراسن بن زيان الجزء الأسفل من الصومعة[7] (633–681هـ/1235–1282م) وهي شامخة إلى الآن في سماء مدينة تلمسان. كما وجدت بقايا الحمام الذي كان بجوار مسجد المولى ادريس الأول بن عبد الله (172ـ177هـ/788ـ799م). كما كانت "بوماريا" قد بنيت بحجارة ضخمة، وهي محصنة بأسوار منيعة عالية، وقد عثر بعض علماء الآثار

---

[1] عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1، ص89.

[2] ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن مُحمَّد، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ج7، ص165.

[3]- (L) piesseet canal (j) **Tlemcen, extrait de la revue de la L'Afrique française**, parie, 1889, p6

[4] **الوريط**: هي ضاحية من ضواحي تلمسان ، بها وادي يدعى لوريط يقع شرق المدينة ويبعد عنها بنحو سبع كلم عمرته الجالية الأندلسية التي استقرت بها. ينظر: شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي العدوي العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، . أبو ظبي، 1423 هـ، مج4، ص205.

[5] يقول ابن خميس الشاعر فيها: لساقية الروميِّ عندي مزية وإن رغمت تلك الرواسي الرواشح. المقّري، المصدر السابق، ج7، ص132.

[6]- Labbe j.j.l. barges, **Tlemcen, ancienne capitale du royaume**, benjamin Duprat, paris, 1859, p175.

[7] تطلق عبارة الصومعة على المأذن في المغرب والأندلس، بدلا من كلمة مئذنة، ولذلك شاع استعمالها في الغرب الإسلامي أكثر من الشرق منه، وسميت بالصومعة لأنّها تشبه ابراج المتعبدين والزهاد والرهبان. ينظر: صالح بن قربة، **المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص9.

على أسطوانة بمقبرة اليهود بتلمسان، دلت على أنّ بوماريا كانت مدينة حضارية في المغرب الأوسط، ودخلتها الديانة المسيحية وأنشأت بها كنيسة في القرن الثالث الميلادي[1].

ب) أكادير (Agadir):

ويقال لها "أقادير" أو "أجادير" أيضا. قيل أنشأها بنو يفرن الزناتيون في العصور القديمة[2] وذكر الحسن الوزان بأنّ قبيلة مغراوة الزناتية هي من شيّدت المدينة[3]، المهم أنّها بنيت قبل الإسلام ولكن عبارة عبارة قبل الإسلام غير محددة زمنيا، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا في أيّ عهد تأسست أكادير؟ وهل أنشئت قبل "بوماريا" أم بعدها؟

إنّ الدارس لهذه الإشكالية يجد نفسه ملزما في كثير من الأحيان أن يستعمل فرضيته وتخمينه، بالإضافة إلى وقوفه عند الدراسات والأبحاث رغم قلتها وشحتها. وأشارت بعض النصوص أنّ "أكادير" أقدم من "بوماريا" وهذا ماذكره ابن خلدون بأنّ المدينة تعود إلى عهد النبي موسى عليه السلام وبالتحديد إلى الألف الثانية قبل الميلاد[4].

وتذكر بعض المصادر العربية، أنّ أصل الكلمة فنيقي[5]. فمن خلال هذه المعطيات التاريخية، يتضح لنا أنّ مدينة "أكادير" ربما تكون قد نشأت قبل تخطيط مدينة "بوماريا"، أسسها بنو يفرن وغيرهم من سكان المنطقة الذين كان لهم فضلُ تعميرها، حتى أصبحت أم القرى في المغرب الأوسط آنذاك.

أما النطق الصحيح للمدينة اليفرنية فهو بالكاف "أكادير" وهو الحرف الذي كان جاريا على لسان أهل تلمسان وشيوخها، كما يكون هذا اللفظ ملازما لمعنى اسم موقع المدينة على هضبة قليلة الانحدار، وتنهض من السهل ، وتشرف عليه من ناحيتي الشمال والشرق. وربما كان الاسم اليفرني للمدينة يعادل

---

1 محمّد الطمار، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، تحقيق عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، بن =عكنون، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص11

2 عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر**، طبعة بولاق، القاهرة، 1284هـ، ج7، ص76- 78.

3 الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تحقيق محمّد حجي ومحمّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، تونس، 1983م، ج2، ص17. ينظر: مارمول كربخال، **افريقيا**، ترجمة محمّد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1409هـ/1989م، ج2، ص298 وما بعدها.

4 ابن خلدون، العبر ، المصدر السابق، طبعة بولاق، ج7، ص156.

5 أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن أحمد ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: محمَّد بن أبي شنب، دار الثعالبية، ب.ط، الجزائر، 1434هـ/1908م، ص9.

العبارة العربية "جدار قديم". أما معنى هذا الاسم فقد اختلف الدارسون في تفسيره، فعند أحدهم تعني "الجرف"، وعند آخر "المخازن" التي تخزن فيها الحبوب[1]، وغيرها.

ج) تلمسان (Telmcen):

هي لفظة زناتية مركبة من لفظتين، وظهرت هذه اللفظة لأول مرة عند المؤرخين المسلمين، لما تحدثوا عن حملة أبي مهاجر دينار(55-62هـ/675-681م)لبلاد المغرب، والتي وصل فيها إلى تلمسان[2]. كما أورد الرقيق القيراوني في حديثه على أعمال عبد الرحمان الفهري وحروبه (127-137هـ/745-755م) في بلاد المغرب الأوسط وتوسعه نحو تلمسان[3]. وجاءت عند أبي راس المعسكري عندما وصف لنا حملة عقبة بن نافع الفهري الثانية (62-64هـ/681-683م) التي استشهد فيها أبي مهاجر سنة 64هـ/683م[4].

وفي هذا الصدد يقول بن خلدون: "اختطها(أي تلمسان) بنو يفرن لما كانت مواطنهم، ولم نقف على خبرها فيما قبل ذلك، ولم نقف بها على خبر أقدم من خبر بن الرقيق، بأنّ أبا مهاجر الذي ولي افريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية، فتوغل في ديار المغرب ووصل إلى تلمسان"[5]. والظاهر أنّ أنّ اسم أكادير ظهر قبل اسم تلمسان، والتي برزت في ساحة المغرب منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي[6]، وزاد تداوله في عصر أمراء قبائل زناتة من مغراوة، وبني يفرن، ومغيلة[7].

والجدير بالذكر هنا: أنّ ألقاب ومعاني المدينة لها تباين من حيث المعنى أو الموقع، "فبوماريا" تعني البساتين، و"أكادير" تعني الينابيع، و"تلمسان" تعني التل والبحر، فكل هذه الأسماء تصب في قالب واحد. ولربما تكون هذه الألقاب لمدينة واحدة، أو لعدّة مدن كانت متجاورة فيما بينها.

---

[1] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص93.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص156.

[3] أبو اسحاق ابراهيم الرقيق القيراوني ، **تاريخ افريقية والمغرب**، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، تونس، 1968م، ص130.

[4] فيلالي ، المرجع السابق، ج1، ص94.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص156.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 156.

[7] **مغيلة**: تنتمي إلى بني فاتن، قائدها يدعى أبو قرّة المغيلي في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، كانت تقطن مصب نهر الشلف بالقرب من مازونة في عهد بني عبد الواد. ينظر: أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن مُحَّد البكري الأندلسي (ت487 هـ - 1094م)، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، د.ط، بيروت، 1992م، ج2، ص835.

ثانيا: الجغرافية الطبيعية

يتوفر موقع تلمسان بحكم تكويناته الجيولوجية على مسطّحات مائية يمكن من خلالها تخزين كميات كبيرة من مياه الأمطار، بالإضافة إلى وادي متشكانة الذي يمر بجنوب المدينة وشرقها، ولا يمكننا أن ننسى الجبال المحيطة بتلمسان، والتي ترتبط مباشرة بالساحل. ومازاد من أهميتها الموانئ الحيوية مثل هنين [1] وأرشقول [2]، فقد كانت هذه الأسباب وغيرها عاملا لتطور المدينة وازدهارها.

تقع مدينة تلمسان على ارتفاع 830م عن سطح البحر، وتحيط بها العديد من الجبال والهضاب من الجهة الجنوبية، يحدُّها من الشمال الغربي مرتفع ترارة، وجبل فلاوسن، ومن الشمال الشرقي مرتفعات السبعة شيوخ وتاسلة [3]، تطلُّ المدينة من ناحية الشمال على سهول خصبة تعرف بسهول"الحناية" الممتدد نحو جهة الغرب حتى تصل إلى سهول لالة مغنية [4]، ولا تبعد على البحر إلاّ بسبعة فراسخ [5].

لقد فُتِحت أبواب تلمسان على التجارة الخارجية (الأوروبية)، وتجارة المغرب والمشرق، بسبب موقعها الهام، ووقوعها في نقطة تماس بين طريقين تجارين في بلاد المغرب هما: الطريق الذي يمر بواد الشلف إلى تلمسان وصولا إلى فاس ومنه إلى سجلماسة، وهو رابط بين الشرق والغرب، والطريق الذي يصل الشمال بالجنوب، يمر من مدينة فجيج [6]، وتوات [7]، وصولا إلى بلاد السودان [8].

---

[1] **هنين**: هي مدينة قرب تلمسان تبعد عنها حوالي 34 ميلا(أي قرابة54كلم). تحيط بها أسوار عالية لاسيما من جهة البحر، ولها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منهما في جهة،. كما كان هذا الميناء يدخله سنويا سفن تجارية من البندقية، وجنوة بحيث تحقق أرباحا كبيرة مع أهل تلمسان. ينظر: أبو عبد الله محمّد الشريف الإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق محمّد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص190.

[2] **أرشقول**: هي مدينة كبيرة، تقع على نحو أربعة عشر ميلا من تلمسان، بناها الأفارقة على صخر، يحيط بها البحر من جميع الجهات ماعدا الجنوب، وكانت من أهم مدن المغرب الأوسط. الحسن الوزان، ج2، ص16.

[3] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص ص26- 27.

[4] A. Dhina**, le royaume Abdel oud de a l époque d Abou hammou moussa** 1er et d Abou tachfine 1er,O.P.u , Alger, sans date, p31.

[5] كربخال، المرجع السابق، ج2، ص289.

[6] **فجيج**: واحة من واحات النخيل، غير بعيدة عن مدينة بني ونيف ولاية بشار، وهو حد فاصل بين المغرب و الجزائر، وهي عبارة عن قصور في الصحراء، كانت مشهورة بنسيج الصوف الرقيق. الحسن الوزان، ج2، ص 133.

[7] حول منطقة توات ينظر: عبد السلام بن الأسمر بلعالم، **الحياة الفقهية في توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين**، مذكرة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلاميّة، إشراف سعيد فكرة، كلية العلوم الإسلاميّة، قسم الفقه وأصوله، جامعة الحاج الأخضر 1، باتنة، 2015- 2016م، ص ص2- 8.

[8] العمري، المصدر السابق، ص205.

ونظرا لأنّ تلمسان تقع في منطقة سهلية، وهضاب متسعة، ووديان تقطعها من الشمال إلى الجنوب، ومناخها وافر الأمطار، تصدرت المدينة أقاليم المغرب من حيث خيراتها، وعطائها، فكانت أوفر البلاد، وأجملها. وما أدلّ على ذلك هو عناية الرومان بها، لأنّها تؤدي إلى ممر تازة وهو المدخل الرئيسي إلى بلاد المغرب الأقصى، فكانت قلب ولاية مرطانية السطيفية (Maurietania Setfiensis)[1].

وقد وصف يحيى بن خلدون مؤرخ ملوك بني عبد الواد تلمسان بقوله: «اقتعدت بسفح جبل ودوين، رأسه أطول من الشرق إلى الغرب عروسا فوق منصة، والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين، تطلُّ منه على فحص أفيحٍ معدٌّ للفلاحة»[2].

أما أوديتها وأنهارها وجداولها المنصبة من السلاسل الجبلية، فقد تغنى بها الشعراء، وكان خريرها يُسمع في كلّ ناحيةٍ، إذ قال عنها الإمام المقرّي:

بلد الجدار[3] ما أمرَّ نواها كُلِّفَ الفُؤادُ بحبِّها وهَواهَا

يا عاذِلِيْ في حبّها كُنْ عَاذِرِي يَكْفِيكَ منهَا ماؤُها وهَوَاهَا[4]

كما يوجد بها نهر يدعى "نهر سطفسيف"، وهو نهر ينبعث من أسفل جبل بغل هناك، ويصبّ في بركة عظيمة، ويُسمع لوقوعه خرير شديد، ثم ينشقُّ منه بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهراز، ثم ينصبُّ في أنهار كثيرة، وبعد ذلك ينحدر إلى البحر[5].

---

[1] إسماعيل ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، بور سعيد، 1421هـ/2001م، ص10.

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص91، وينظر أيضا: المقرّي، المصدر السابق، ج7، ص134.

[3] **بلد الجدار**: يعني بها تلمسان. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص23.

[4] شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد المقرّي التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري عبد الحفيظ، طبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1361هـ/1946م، ج1، ص6.

[5] أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، بيروت،1980 م، ج1، ص135. حول تضاريس مدينة تلمسان ينظر: قادة لبتر، **تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية –دراسة لبعض معالم مدينة تلمسان–** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط، إشراف بلحاج معروف ، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة ولإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007م، ص10.

ثالثا: الجغرافية البشرية.

ميّز المجتمع التلمساني في تركيبته البشرية، أنّه مجتمع خليط من أجناس عدّة، يصعب على الباحث الإلمام بكلّ مكوناته، وهذا راجع إلى قلّة الوثائق التي تحدّد التمازج بين السكان الأصليين من البربر، وبين الأجناس الأخرى، التي قدمت منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب. **فماهي أهم الأعراق التي كانت تكوّن المجتمع التلمساني؟**

1 ـ البربر: هم السكان الأصليون لتلمسان، معظمهم من قبيلة زناتة، خاصة من فرع مغيلة، ومغراوة، وبني يفرن، الذين اختطوا مدينة "أكادير"[1]، اتخذوا من تلمسان عاصمة لهم خاصة في القرون الهجرية الثلاثة السابع والثامن والتاسع[2].

ثم قدمت فلول من بني زيري وأقاموا بها[3]، وسكنها المرابطون الصنهاجيون[4]، وحلّت بها جامعة من مسوفة، وانتقلت إليها بعض العائلات الموحدية وخاصة من هنتاتة ومصمودة وكومية[5]، فكانت تلمسان منزلا للحامية الموحدية، ومقرا للحاكم وقرابته[6]. ولما صارت تلمسان عاصمة لبني زيّان، عاد إليها نفوذ زناتة فاحتكرت حمايتها من جديد[7].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص25

[2] الأخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني (633ـ962هـ/1236ـ1554م)**، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، تلمسان، 1425 – 1426هـ/2004 – 2005م، ص35.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص94.

[4] نفسه، ص94.

[5] **كومية**: قبيلة تنحدر من بني فاتن، تفرعت منها ثلاثة بطون هي: صفارة ندرومة، وبني يلومي، وكومية قبيلة الزعيم الموحدي عبد المؤمن بن علي. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص257. أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، (ت 712هـ – 1312م): **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة، ج، س، كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص339.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص48 – 152.

[7] Dhina, Royaume, P P 118 – 139.

لقد كان العنصر البربري هو الغالب على سكان مدينة تلمسان ولا سيما زناتة، التي تصدرت المجتمع التلمساني في هذه الفترة، وتبوأت القيادة، وامتهنت الوظيفة، واحترفت الصناعة والتجارة، والدراسات الفقهية وغيرها[1].

2 ـ العرب: كان ظهور العرق العربي بمدينة تلمسان قد ارتبط بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب، خاصة على عهد أبي مهاجر دينار، والقائد موسى بن نصير(86- 96هـ/705-715م) الذي جعل تلمسان إقليما إداريا مضافا إلى اقليم طنجة في المغرب الأقصى، والذي عيّن عليها طارق بن زياد. وقد كان يقسم وقته بين المدينتين[2].

وذُكر أنّ فخذين عظيمين من المشرق قد حلاّ بالمغرب وهما: فخذ القحطانية اليمنية، وفخذ العدنانية المضريّة، فكانوا قادة للفتح في صقلية، وسردينة، خاصة في عهد عبد الله بن الحبحاب من خلال حملاته البحرية[3]. واستمر العرق العربي بالقدوم إلى المغرب في عهد الولاّة خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي[4]، من الحجاز، ومصر، وخرسان، والشام، والعراق، مع القوّاد الفاتحين خاصة مع كلثوم بن عياض(123هـ/740م)[5].

---

[1] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص171.

[2] عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم، **فتوح افريقية والأندلس**، تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1383هـ/ 1964م، ص72. وينظر: عبد الحميد سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي "تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام دولة الفاطميين"**، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.س، ص ص193 – 194.

[3] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص112. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص54.

[4] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص172.

[5] **كلثوم بن عياض:** هو كلثوم بن عياض القشيري، أمير إفريقية، وأحد القادة الأشراف الشجعان، ولاه هشام بن عبد الملك، بعد عزل عبيد الله بن الحبحاب، وسيره إلى إفريقية بجيش عظيم سنة 123هـ فقتل في معركة مع البربر، في وادي "سبو" في نفس السنة. ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان، 1986م مج5، ص231.

وحنظلة بن صفوان(172هـ/742م)[1]. كما عرفت تلمسان فئة من الأشراف الحسنية، من أبناء سليمان بن عبد الله بن الحسن[2]، أحد اخوة مؤسس دولة الأدارسة بفاس سنة(172هـ/788م) الذي اهتم بتلمسان، وجعلها قاعدة له في المغرب الأوسط سنة(173هـ/789م)[3].

3. الأندلسيون: توافد على بلاد المغرب الأوسط الكثير من الأسر الأندلسية الفارّة من بطش النصارى ومحاكم التفتيش، فشيّدت بعض هذه الأسر مدينة تنس سنة 262 هـ/876م، ومدينة وهران سنة 290هـ/903م[4]، وزاد توافد الأندلسيون إلي تلمسان بعد سقوط غرناطة 897 هـ/1292م، ولجوء مَلِكِها أبو عبد الله مُحَّد بن سعد، المعروف بالزغل، إلى وهران، ومعه الكبراء والأعيان، بعدما أيقنوا بنهاية الأندلس الإسلامية، ثم انتقلوا إلى تلمسان، وترك أبو عبد الله عَقِبًا له فيها عُرِفو ببني سلطان الأندلس[5]. ومهما يكن من الأمر فالجدير بالذكر هنا: هو أنّ مهاجري الأندلس هؤلاء كان معظمهم من العلماء والفقهاء والأعلام وأهل بيوتات ومن وجوه القوم وأعيانهم[6]، فاستعان بهم أمراء بني زيان في تسيير دولتهم، وقيادة الجيوش، وكذا في مجال السياسة والتدريس[7].

كما كانت هناك عناصر أخرى ممن كونت المجتمع التلمساني، أمثال المسيحيين، فذكر البكري بهذا الصدد أنّ هناك كنيسة كان يَؤُمُّها نصارى المدينة حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الحادي عشر

[1] **حنظلة بن صفوان:** هو حنظلة بن صفوان بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل الكلبي، أحد قادة ولاة الدولة الأموية في عهد هشام بن عبد الملك بمصر والمغرب، وقائد قواتهم في محاربة الخوارج، قاد معركتي القن والأصنام، توفي في عهد مروان بن مُحَّد سنة 130هـ/748م. أبو بكر عبد الله بن مُحَّد المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق بشير بكوش، مراجعة مُحَّد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي الطبعة الثانية بيروت، لبنان، 1414 هـ/ 1994م، ج1، ص103. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مراجعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، صيدا، بيروت، 1425هـ/2005م، مج3، ص231.

[2] **سليمان بن عبد الله:** هو سليمان بن عبدالله المحض بن الحسن يلقب بأبي مُحَّد، أمه عاتكة بنت عبد الملك من بني مخزوم، كان مقتله بفخ يوم التروية سنة 169هـ واحتز رأسه، وقتل معه جماعة من الطالبيين. ينظر: أبو الحسن المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص231.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج1، 173.

[4] أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن مُحَّد البكري الأندلسي، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص70. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص294.

[5] عبد الرحمان بن مُحَّد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، 1384هـ/1965م، ج2، ص196.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص683.

[7] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص175.

الميلادي[1]. بالإضافة إلى العنصر اليهودي الذي هوّد الكثير من القبائل البربرية منها جراوة التي كانت تتزعمها الكاهنة، وقبيلة مديونة، ولايزال بعض اليهود من أصل بربري إلى عهد قريب يحملون اسم المديوني. وغيرها من الأجناس التي سكنت تلمسان وعمّرتها[2].

رابعاً: مكانة تلمسان الحضارية.

لقد مرت تلمسان عبر تاريخها الحافل بأحداث فكرية بارزة، كان أولها في منتصف القرن الثاني للهجرة والمتمثل في دخول مذهب الصفرية[3] إليها، حمله أبو قرّة الزناتي[4]، وبقي مسيطرا، إلى أن تمّ القضاء عليه من قِبَلِ قِبَلِ والي افريقية من طرف العباسين مُحَمَّد بن الأشعث[5]. ولـمّا تملَّك الأدارسة على تلمسان في أواخر نفس القرن القرن كان المذهب الشائع هو المذهب المالكي، وببروز دولة بني عبيد انتشر المذهب الشيعيّ بعدما استولى عليها بلكين بن زيري سنة 361هـ/972م[6].

[1] البكري، المصدر السابق، ص ص76– 120. ينظر فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص193.

[2] Alfred.Ble, **Tlemcen et ses environs**, paris,1935, p138

[3] **مذهب الصفرية**: هو مذهب من مذاهب الخوارج، أسسه زياد بن الأصفر، وهم مخالفين لأهل السنة، وهم موالين لقتلة علي ﷺ كعبد الله بن وهب الراسبي، وحُرقوص بن زهير. ينظر: عبد القاهر بن الطاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النجية منهم**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، د.ط، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ص ص70 ـ 71.

[4] **أبو قرّة**: هو أبو قرة اليفرني، الزناتيّ، زعيم قبيلة بني يفرن بتلمسان، دعا إلى اعتناق المذهب الصفري الخارجي، وبايعه قومه بالزعامة بالزعامة سنة148هـ، كما أسس مدينة أجادير، وجعلها عاصمة له، واستقل بكامل المغرب الأوسط، إلى أن فرّق جموعه والي افريقية من طرف الأمويين يزيد بن حاتم. عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص17 ـ 18.

[5] **ابن الأشعث**: هو مُحَمَّد بن الأشعث بن عُقبة الخزاعي وال من كبار القواد في عصر المنصور العباسي، كان واليا على مصر، ثمّ سيّره المنصور إلى افريقية لقمع ثورة أبي الخطاب فقضى عليها سنة 144هـ، ودخل القيروان سنة146هـ. توفي سنة149هـ/766م. ينظر الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص39.

[6] مُحَمَّد بن عزوز، **عقد الألماس في بيوتات علماء تلمسان في فاس ويليه زهرة الريحان في الصِّلات العلميَّة بين فاسٍ وتلمسان**، دار الأمان، الرباط، المغرب، دار ابن حزم عالم المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1440هـ/2019م، ص21.

لـمّا وصل المرابطون إلى تلمسان في القرن الخامس الهجري كان أول ما أسسه يوسف بن تاشفين[1] هي مدينة تاجرارت475هـ فعرفت الحركة الفكرية قفزة نوعيّة، ونشاطا متسارعا، فأصبحت تلمسان من أهم مدن المغرب الأوسط[2].

وفي القرن السادس للهجرة حدث صراع فكريّ عصيب بين فقهاء المالكية ودولة الموحّدين، وصولا إلى عصر دولة بني زيّان ومؤسسها الذي «كان يستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله»[3].

لقد ازدهرت تلمسان في عهد بني عبد الواد، حتى أصبحت تضاهي حواضر مدن المغرب كالقيروان، وفاس، ومراكش، وزادت مكانتها الحضارية فنافست فاس في وفرة المباني، وكثرة المساجد، وعاد المذهب المالكي سيّدا في جميع ربوع المغرب الأوسط، بعدما فقد مكانته في عهد الموحدين، وأصبح السلاطين يولون اهتماما بالعلوم، وذلك ببناء مكتبات لتخزين الكتب والمخطوطات، وراجت تجارة جديدة هي تجارة الكتب، وهذا بظهور الوارقة بشكل كبير[4].

ولقد زار العبدري[5] تلمسان في سنة 688هـ، وأعطى لنا صورة واضحة المعالم عن الحالة العلميّة التي كانت تعيشها المدينة حيث قال في رحلته[6]: " وأمّا العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد، وغاضت أنهاره أنهاره فازدحم على التمادي"[7]، وقد أصدر حكمه على المدينة لخطأ نحوي من بعض المدرّسين في

---

[1] **ابن تاشفين**: هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، الصنهاجي، اللمتوني، الحميري، ولد بصحراء المغرب سنة410هـ/1019م، سلطان المغرب الأقصى، وهو المؤسس الفعلي لدولة الملثمين(المرابطين)، لُقِب بأمير المسلمين، ودخل الأندلس بعد أن استدعاه حاكم اشبيلية المعتمد بن عباد 475هـ، وخاض معركة "الزلاقة" الشهيرة سنة479هـ، ولازال في الجهاد حتى وافته المنية سنة500هـ/1106م. الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص ص221 ـ 222.

[2] عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص57.

[3] أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيّان،** تحقيق الجزء الأول، محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/1985م، ص126.

[4] مُحَّد بن عزوز، المرجع السابق، ص ص22 .23.

[5] **العبدري**: هو مُحَّد بن مُحَّد بن علي، المكنى أبا عبد الله، المشهور بالعبدري، نسبة إلى عبد الدار بطن من بطون قريش، ولد سنة647هـ/1250م بالمغرب الأقصى، أصله من بلنسية من أرض الأندلس، صاحب الرحلة المعروفة برحلة العبدري المسمّاة بالرحلة المغربية. العبدري مُحَّد العبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، د.ت، ص7.

[6] هو الكتاب الذي دوّن فيه العبدري رحلته التي سمّاها "الرحلة المغربية" التي بدأ بتقييدها في تلمسان فقال:" وهذه الرحلة بدأت بتقييدها في تلمسان". نفسه، ص21.

[7] نفسه، ص28.

المساجد التي لا تنفك منهم قرية ولا بلد[1]، إلاّ أنّ العبدري كان منصفا في بعض ما رآه في تلمسان وهذا عندما التقى بالشاعر ابن خميس[2] فقال عنه: « وما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم ولا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله مُحَّد بن عمر بن مُحَّد بن خميس، وهو فتي السن، مولده عام خمسين، وله عناية بالعلم، مع قلّة الراغب فيه، والمعين عليه»، وذكر أنّه كان يستأنس به، و يُكثر من مجالسته ومفاوضته[3].

ثمّ تكلم عند التقائه بالفقيهين الأخوين أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي، وأخاه أبي الحسن وهما مسافران إلى المشرق فقال عنهما: « فقيهان مشاركان في العلم، مع مروءة تامّة ودين متين، وأبو إسحاق أسنُّهُما وأسناهما، وهو ذو صلاح وخير، وكان شيخنا زين الدين أبو الحسن ابن المنير حفظه الله يُثني عليه كثيرا، ويسألني عن المغرب، فذكرت له قلّة رغبة أهله في العلم، فقال: أمّا بلاد يكون فيها مثل أبي إسحاق التنسي فما خلت من العلم، وقد أدركتهما بمصر»[4].

إنّ كلّ ما ذكره العبدري من وصفه لمكانة تلمسان الحضارية في القرن السابع الهجري، يدلّ على أنّها كانت في مرحلة النّمو، إذ لم يمر على قيام الدولة غير خمسين سنة أو يزيد، وهذا ما أكده التطور التي ارتقت به تلمسان إلى مصّاف الحواضر العلميّة، وخاصّة بعد إنشاء المدارس، وتَصَدَر للتدريس فيها علماء أجلاء، فكانت المدينة قِبلة للطلاب من كلّ حدب وصوب، وأصبحت العلوم بتخصصاتها تُدرّسُ، وهذا ما أكدّه منصور الزواوي[5] عندما ارتحل إلى تلمسان فقال: « ثم ثنيت العنان بتوجّهي إلى تلمسان، راغبا في العلوم العربية، و الفُهُوم الهندسية، والحسابية»[6]، وهذا يدلّ على المكانة التي كانت تنالها تلمسان في تلك الحقبة.

---

[1] العبدري، المصدر السابق، ص28.

[2] **ابن خميس**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن عمر بن خميس، شاعر المئة السابعة، رحل من تلمسان إلى سبتة، ومن ثمّ إلى الأندلس، مات مقتولا بغرناطة غرّة شوال سنة 708هـ/1308م، ينظر: المقرّي، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص ص301 ـ 302.

[3] العبدري، المصدر السابق، ص ص30 ـ 31.

[4] العبدري المصدر السابق، ص31.

[5] **منصور الزواوي**: هو منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، من أهل زواوة، ولد سنة 710هـ/1311م ببجاية، جميع للعلوم، رحل إلى إلى الأندلس سنة 753هـ، ثمّ عاد لتلمسان سنة765هـ، قال عنه صاحب نيل الابتهاج " وهوصدر من الصدور، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية". توفي سنة 710هـ/1368م. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص292 ـ 294.

[6] أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق مُحَّد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية، القاهرة، 1393هـ/1973م، ج3، ص250.

وذكر عبد الحق حميش أنّ رغم الصراعات السياسية التي كانت بين بني زيّان وبني مرين، إلاّ أنّ المدينة حافظت على مكانتها الحضارية، بحيث أنّ معظم العائلات التلمسانية كانت تملك فردا واحدا على الأقل يكون إمّا طبيبا، أو رياضيّا، وفلكيّا، أو غير ذلك، ومن ضمن هذه العائلات عائلة ابن زاغو[1] التي نسبها إلى زناتة من قبيلة مغراوة[2].

أمّا في عهد أبي حمو الثاني الذي يُعدّ من السلاطين العلماء، ذاع صيت الكثير من العلماء، الذين بسببهم صارت تلمسان مركزا مشعّا، ووجهة لطلاب العلم من إفريقية والأندلس، وكان الشريف التلمساني تأتيه الفتاوى وما أُشكل في مسائل المنقول والمعقول، وكان مجلسه عظيم يحضره أكابر الملوك والعلماء والصلحاء[3].

ولمعرفة مكانة تلمسان الحضارية، وذِكر علمائها والعلوم المدروسة خاصة في أوائل القرن التاسع الهجري ما أورده السّخاوي عندما ترجم لأبي الفضل المشدالي فقال: « ثمَّ رَحل فِي أول سنة أَرْبَعِينَ إِلَى تلمسان فبحث على مُحَمَّد بن مَرْزُوق ابْن الحفيد الْعَالم الشهير، وَأبي الْقَاسِم بن سعيد العقباني، وَأبي الْفضل بن الإمام، وَأبي الْعَبَّاس أَحْمد بن زاغو، وَأبي عبد الله مُحَمَّد بن النجار...»[4].

وأمّا في القرن العاشر الهجري (16م)، فقد عرف نقصا كبيرا في عدد العلماء والمؤلفات، خاصة الإبداعية منها، فبدأت الحياة العلميّة تتقهقر، والمكانة الحضارية لتلمسان يَأْفُل نجمها، إلى أن صارت الدولة الزيّانيّة للزوال.

---

[1] **ابن زاغو**: هو أحمد بن مُحَّد بن عبد الرحمن، الشهير بابن زاغو، المغراوي، التلمساني، ولد سنة 782هـ/1380م بتلمسان، أخذ العلم عن سعيد العقباني، وأبي يحيى الشريف، وأخذ عنه مجموعة من العلماء أمثال القلصادي وابن زكري، وغيرهم، له مؤلفات كثيرة منها شرح التلمسانية في الفرائض. توفي سنة 845هـ/1441م. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص41 ـ 42.

[2] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص135.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 172 ـ 175. حول إسهامات الشريف التلمساني و مكانته العلمية ينظر: نعيمة بوكرديمي، إسهامات بيت الشريف في الحلركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب التراجم –أبو عبد الله الشريف التلمساني أنموذجا–، **مجلة جسور المعرفة**، المجلد5، العدد 3، نعيمة بوكرديمي، إسهامات بيت الشريف في الحلركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب التراجم –أبو عبد الله الشريف التلمساني أنموذجا–، **مجلة جسور المعرفة**، المجلد5، العدد 3، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ت.ن 2019/09/21م، ص ص179–192.

[4] شمس الدين أبو الخير مُحَّد بن عبد الرحمن بن مُحَّد بن أبي بكر بن عثمان بن مُحَّد السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج9، ص181.

المبحث الثاني: قيام الدولة الزيّانيّة (633ـ 962هـ/1235ـ1555م):

نشأت الدَّولة الزيَّانية بين الدَّولة الحفصية[1] شرقاً والدَّولة المرينية[2] غرباً، اللذين حوّلتا في الكثير من الأزمنة حدودها إلى مادة مطّاطية تضيق وتّتسع، نتيجة استمرار النزاعات منذ بداية القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري[3].

وترجع أصول هذه الدولة إلى قبيلة بني عبد الواد[4]، وهي أحد بطون زناتة[5] التي توطنت المغرب الأوسط[6]، ويقول عبد الرحمن بن خلدون: «إنَّ المغرب الأوسط هو وطن زناتة»[7]، وجعلوا من تلمسان عاصمة لملكهم[8].

[1] **الدَّولة الحفصية**: أصلهم من هنتاتة متشعّبة من دولة الموحدين، أسّسها أبو زكرياء الحفصي سنة 226هـ/1229م، ينظر أبو عبد الله محمَّد بن ابراهيم الزركشي، **تاريخ الدّولتين الموحّدِية والحفصيَّة**، تحقيق مُحَّد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، الزيتونة (تونس)، 1385هـ/1966م، ص 145-146. ينظر: روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى نهاية القرن15م**، تحقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت (لبنان)، 1409هـ/1988م، ص07.

[2] **الدَّولة المرينية**: أصلهم من قبائل زناتة وهم أبناء عمومة مع بني عبد الواد، تأسّست سنة 667هـ على يد يعقوب المريني واستمرت إلى أواسط القرن التاسع الهجري، أنظر مجهول، **زهرة البستان في دولة بني زيان**، تحقيق بوزياني الدراجي، مؤسّسة بوزياني الدراجي، د.ط، الجزائر، 1434هـ/2013م، ج2، ص22.

[3] أحمد موساي،" الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني (رحلة السلطان / رحلة الشعر)"، **مجلة الأثر، كلية الآداب واللغات**، العدد07، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ماي2008، ص86.

[4] **بنو عبد الواد**: عرّفهم ابن خلدون وهم فخذان أحدهما بنو عبد الواد وبهذا عرف الجميع تغليبا، عابد الواد عُرف بها جدهم، والفخذ الثاني هم بنو القاسم من ولد إدريس ابن إدريس، فكان القاسم ممن انضاف إلى قبيلة بني عبد الواد فأكرموا نزله وتزوج منهم ونسل منهم، ولهم ستة بطون، ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، **العبر** ، **المصدر السابق**، ج7، ص97. مجهول، **زهرة البستان، المصدر السابق**، ج2، ص13. خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة تاريخية حضارية (633-981هـ/1235-1282م)**، دار الألمعية، ط1، تلمسان، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 48-49.

[5] أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر الزهري، **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمَّد صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، بور سعيد مصر، د.ت، ص 113-114. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج07، ص 102.

[6] مبارك بن مُحَّد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم مُحَّد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م، ج2، ص125.

[7] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص134.

[8] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 444.

إنّ تاريخَ بني زيّان تاريخٌ حافل بالأحداث السياسية والعسكرية والثقافية، ويشكّل في مجمله رصيدا حضاريا لا ينضب، ذلك أنّ الدولة الزيانية هي أكبر الدول التي استقلّت بالمغرب الأوسط، وأطولها أياما، وأحفلها أعمالا.

وقبل أن نخوض في التعريف بالدولة الزيّانية، يجدر بنا أن نعرف الحدود الجغرافية لهذه الدولة، والتي امتدّ حكمها من سنة 633هـ/1235م، إلى سنة 962هـ/1554م تاريخ سقوطها.

أولا- حدود الدولة الزيانية:

لم تعرف حدود الدولة الزيانية استقرارا طِوال مدة حكمها[1]، نظرا لوجودها بين فكي بني مرين غربا، وبني حفص شرقا، حيث لا تكاد تهدأُ الحرب مع الجارة الأولى، حتى توقد مع الثانية، وبقيت الحدود بذلك بين مدٍّ وجزر، فقد كانت تتسع حينا حتى تبلغ قرية تاوريت[2] غربا، وعمالة قسنطينة شرقا[3]. كما كما كانت تضيق أحيانا حتى لا تشتمل إلاّ على منطقة تلمسان[4].

إنّ الحدود الجغرافية التي كانت تشكل في الغالب العام حدود الدولة الزيانية هي كما يلي:

الحدود الغربية: لقد كانت الحدود الغربية للدولة الزيانية مستقرة في معظم الفترات عند نهر ملوية، وقد اتفق ابن خلدون والقلقشندي على ذلك، فيقول الأول: « وأما ملوية آخر المغرب الأقصى»[5].

وأما الثاني فيقول أنّ «حدّها من جهة الغرب من واد ملوية الفاصل بينها وبين المغرب الأقصى»[6].

---

[1] عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م، ص146.

[2] **تاوريت**: ويقال لها تاوريرت: مدينة تقع في الجهة الشمالية الشرقية للمغرب الأقصى. وفي سنة 721هـ أمر السلطان المريني عثمان ببناء حصن تاوريرت وشحنه بالرجال والرماة والخيل . ينظر: أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، طبعة دار المنصور، د.ط، الرباط،1392هـ/ 1972م، ص ص400-401.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص109.

[4] عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص147.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، طبعة بيروت، 1413هـ/1992م، ج6، ص.119

[1] شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ج5، ص149. ينظر مجهول، **الاستبصار في عجائب الامصار**، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد، ص176. مما يدل على أنّ الحدود الغربية كانت مستقرة منذ القرن السادس الهجري الثاي عشر الميلادي.

الحدود الشرقية: لقد كانت الحدود الشرقية لبني زيّان غير مستقرّة، غير أنها وصلت إلى "جبل الزان" في عهد السلطان الزياني أبي تاشفين بن أبي حمو موسى الثاني(795.791هـ/1392.1388م)[1]،
وقد كانت في زمن القلقشندي إلى "واد مجمع"[2].

الحدود الشمالية: كانت الحدود الشمالية الحدّ الذي بقي في كلّ الأزمنة ثابتا، وهو "البحر الرومي"[3] أو(البحر المتوسط).

الحدود الجنوبية: هي الصحراء التي تفصل بلاد المغرب مع بلاد السودان[4].

ثانيا . الأدوار السياسية للدولة الزيانية:

تتفق بعض المصادر التي أرّخت للدولة الزيانية[5] على أنّ أول خطوة نحو إرساء قواعد الدولة بقيادة جابر بن يوسف كان سنة 627هـ/1230م، حيث تمكن من الاستلاء على تلمسان بعدما أرغم الموحدين كي يتنازلوا عنها مع بقائهم تحت دعوتهم، ثم امتدت يده إلى أحواز تلمسان فتملّكها، وهلك في حصار ندرومة[6] سنة629هـ/1231م، فخلفه ولدُه الحسن الذي تخلى عن الامارة لعمه عثمان بن يوسف، وعزِلَ هذا الأخير من قِبَلِ قومه بعد سنة من توليه، وولّوا أبا عزّة زكدان بن زيّان[7]، حيث كانت بينه وبين بني مطهر[8] وبني راشد[9] حروبا قُتِل في احداها.

---

[1] **جبل الزان**: تقع جبال الزان غرب مدينة بجاية في ناحية الشرقية من سلسلة جبال جرجرة (جبال زواوة)، وتغطيها غابات الزان، وهو شجر يشبه البلوط. نقلا عن محقق كتاب نظم الدر. هامش رقم186.

[2] القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص149.

[3] نفسه، ج5، ص149.

[4] نفسه، ج5، ص149.

[5] يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص199. للمزيد من معرفة الأحداث ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص113.

[6] نفسه، ص114.

[7] هو أَبُو عَزَّة زيدان بن زيان بن ثابت بن مُحَمَّد، العبد الوادي، رابع أمراء تلمسان من بني عبد الواد، وَلِّي بعد خلع عثمان ابن يوسف (سنة 631هـ) وكان شجاعا، صاحب رأي وحزم، توفي سنة 633هـ. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، مج1، ص442. والطبعة الخامسة عشر أيار/ مايو، 2002م، مج3، ص62.بلد

[8] **بنو مطهر**: قبيلة من بطون بني القاسم "بنو مطهر بن يمل بن يزكين بن القاسم"، ينظر ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص 98.

[9] **بنو راشد**: موطنهم في الجبل المشهور بهم، وهو جبل عمور حاليا وتعد هذه القبيلة من القبائل التي ناصرت بني عبد الواد، أنظر ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص 84، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 61.

وحينها قدَّم بنو عبد الواد يغمراسن بن زيان[1]، وبهذا التعيين تبدأ أول مرحلة من المراحل السياسية للدولة الزيانية.

1. مرحلة النَّشأة والتأسيس(633–706هـ/1235–1306م).

تبدأ بتولِّي حكم يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1236م[2]، وينتهي سنة737هـ/1336م تاريخ احتلال تلمسان من طرف السلطان المريني أبي الحسن المريني، ويقول التَّنسي (ت899هـ/1494م)[3] في ذلك: «أوضح للخلافة الحسنية الآثار...وأشرق من فلك اليمن نجم سعوده...نازعه بنو مطهر، وبنو راشد، وألغى سيطرة الموحدين[4] ومحا يغمراسن آثار الدولة المؤمنية ...»[5]. تميزت المرحلة بالظهور القوي لشخصية يغمراسن، جرأة وشهامة ودهاء[6]، وشجاعة[7]، وقوة شكيمة، واستطاع أن يؤسس فعلا لدولة زيانية، قوية، رغم الضربات المرينية التي تعرض لها في كلّ من جبل تامزدكت[8] سنة 646هـ/1248، ووادي ووادي تلاغ[9] سنة 665هـ/1266م، وإيسلي[10] سنة 670هـ/1271م، فكان من دهاءه أنه وثَّق العلاقة بينه وبين السلطان أبي الحسن السعيد الموحدي.

---

[1] هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن مُحَّد العبد الوادي، أوّل من أسّس الدَّولة الزيَّانية، وأوّل من استقل بتلمسان من سلاطين عبد الواد، ينتمي إلى قبيلة بني عبد الواد وهم زناتة، بويع للإمارة بعد مقتل أخيه زيدان بن زيان سنة633هـ/1235م، ولد 603هـ، تولى الحكم سنة 633هـ، أدركته المنيّة بواد الشلف سنة681هـ/1282م، وحمل لتلمسان ودفن فيها، ودام في ملك بني زيان أكثر من أربع وأربعين سنة. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص162. أحمد السعيد سليمان، **تاريخ الدول الإسلامية**، طبع في مصر، 1969م، ج3، ص21 .

[2] S .A. Bouali **« les deux grandes sièges de Tlemcen »** E.N.A.L Alger. P. 26.

[3] **التَّنسي**: هو محمّد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني، الفقيه الجليل الحافظ الأديب المطلع كان من أكابر علماء تلمسان، أخذ عن الإمام العلامة أبي الفضل محمّد ابن مرزوق الحفيد.. وغيرهم، وأشتهر بالعلم في زمانه، توفي سنة 899هـ، أنظر التَّنسي: المصدر السابق، مقدمة المحقق ص: 09–11.

[4] A . MIRANDA. HUICI : **Las grandes bataillas de la Reconquista.** pp 217 – 327.

[5] التَّنسي: المصدر السابق، ص: 115–127.

[6] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص563.

[7] شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن مُحَّد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري وجعفر الناصري، دار الكتاب، د.ط، الدار البيضاء، د.س، ج1، ص380.

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص96. التنسي، المصدر السابق، ص118.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص101.

[10] نفسه، ج7، ص102.

حتى حصلت بينهم مؤانسة[1]، فسيّر يغمراسن جيشه للاستيلاء على ناحية قبائل مغراوة، فاستنجدوا فاستنجدوا بأبي زكرياء الحفصي[2]، أثناءها قد استشعر بخطر التحالف القائم، فقام باستمالة هذه القبائل البربرية والأمازيغية ونازل يغمراسن[3]واحتلها سنة 640ه/1242م[4]، ففَرّمنها يغمراسن إلى جبل ورنيد[5]، ثم ثم خاطب يغمراسن خلال ذلك الأمير أبو زكرياء يحيى راغبا في القيام بدعوته إلى تلمسان[6].

أصبحت العلاقة الزيّانية الحفصيَّة علاقة طيبة، وارتفعت إلى المصاهرة، فخطب يغمراسن بن زيان ابنة إسحاق إبراهيم الحفصي إلى ابنه، وولي عهده ابي سعيد عثمان[7]، لكن من سوء حظّ هذه الدَّولة طول فترة قيامها ما إن تتحالف مع طرف حتى يثور عليها الطرف الآخر خاصة وأنها كثيراً ما كانت ميدان لحروبهم، فأثار هذا الحلف كذلك أحقاد سلطان الدَّولة الموحدية فتحرّك بجيوشه[8]، نحو تلمسان

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص213.

[2] **أبو زكرياء الحفصي:** هو المؤسّس الحقيقي للدَّولة الحفصيَّة، ولد هذا الأمير599ه بمراكش، حكم الدَّولة الحفصيَّة سنة 626ه، حكم 22 سنة توفي سنة 647ه في بونة عن عمر يناهز 48 سنة، ينظر: أبو العباس أحمد بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني **الفارسيَّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة**، تحقيق: محمَّد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية، الطبعة الأولى، تونس، 1388ه/1968م، ص 108.

[3] ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص108، ينظر: خالد بلعربي: **الدولة الزيانية**، المرجع السابق، ص 151.

[4] عمار عمورة، **موجز تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، ط1، القبة، الجزائر، 1423ه/2002م، ص79.

[5] **جبل ورنيد:** هو اسم لبطن من بطون زناتة، وأطلق هذا الاسم على الجبل نسبة إلى قاطنيه، وهو جنوب تلمسان، ينظر التَّنسي، المصدر السابق، ص 117.

[6] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 108.

[7] **أبو سعيد عثمان:** هو أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان، ثاني ملوك الدولة الزيانية العبد الوادية بتلمسان، في دورها الاول، بويع بعد وفاة أبيه في أوائل ذي الحجة سنة 681 ه اذار– مارس 1283 م، وكان ملكا جسورا صبورا حسن السياسة والتدبير، توفي في حصار تلمسان سنة (639 – 703ه / 1241 – 1304م). الزركشي، المصدر السابق، ص84. وينظر: التَّنسي، المصدر السابق، ص 128. محمَّد طمّار، المرجع السابق، ص 95. وينظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 138.

[8] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق،ج2، ص134.

سنة 646هـ/1248م، فكانت يومئذ بينه وبين يغمراسن الواقعة المشهورة حول قلعة تامزدكت[1] فانهزم فيها الموحدون[2].

وفي سنة 681هـ/1283م توفي الأمير ليخلفه ابنه أبو سعيد عثمان، بعد ذلك قام يوسف بن يعقوب المريني[3]، بخمس حصارات كان الخمس آخرهم وأطولهم فأرهق كاهل بني زيان «وضيّق بتلمسان تضييقاً لم لم ير مثله"[4].

استمر الحصار ثمانية سنين وثلاثة أشهر، وهو أطوّل حصار للمدينة من 698- 706هـ/ 1298-1307م، قال ابن خلدون: "واختط لنزله مدينة سمّاها المنصورة[5]، وأقام على ذلك سنين"[6]، ولحق بسكان تلمسان خلال هذه الفترة بلاء عظيم قلّت الأغذية وعمت المجاعة وتوفي فيها السلطان أبي سعيد الذي ترك الحصار محكما، فخلفه ولي عهده أبو زيان مُحَمَّد (703-707هـ/1303-1308م)[7]، ثم جاء أبو حمو موسى الأول فشيّد صروح الدولة مدّة حكمه التي دامت إحدى عشرة سنة[8].

---

[1] **تامزدكت**: هو جبل يقع جنوب وجدة بالمغرب الأقصى تبعد عن تلمسان بثلاث مراحل شرقاً، أنظر ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، ج6، ص 492، خالد بلعربي **الدولة الزيانية**، المرجع السابق، ص89. خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية**، دار الألمعية، ط1، قسنطينة الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 243.

[2] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص: 134، أنظر خالد بلعربي: **تلمسان**، المرجع السابق، ص 243. ينظر: Ch BROSSELARD : **« les inscriptions arabe tlemcen »** in revue africaine, N 17 juin 1885. pp 321-322.

[3] **يوسف بن يعقوب المريني**: ولد سنة 640هـ بويع سنة 685هـ، وقتل بتلمسان سنة 706هـ، ينظر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، **رّوضة النّسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، د.ط، الرباط(المغرب)، 1381هـ/1962م، ص 31.

[4] التّنسي: المصدر السابق، ص: 130. ينظر عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص: 139- 140.

[5] **المنصورة**: وهي مدينة أسّسها السلطان يوسف بن يعقوب سنة 700هـ بتلمسان، ينظر: أبو الحسن علي الجزنائي، **جنى زهرة الأس الأس في بناء مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط (المغرب)، 1411هـ/1991م، ص 62.

[6] ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص127.

[7] **أبو زيَان محمَّد**: وهو أبو زيَّان محمَّد بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، بويع سنة 703هـ، إلى أن توفي بمرض سنة 707هـ، ينظر: التّنسي المصدر السابق، ص 131، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص143.

[8] فوزي المصمودي، **تلمسان بعيون عربية (الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب)**، دار السبيل، ط1، تلمسان (الجزائر)، 1421هـ/2001م، ص: 161.

منها بناؤه للمدرسة التي أخذت اسمه، وجعل عليها العالمين الجليلين "ابني الإمام"[1]، واغتيل غدرا[2] من قِبلِ ابن أبو تاشفين سنة718 هـ/1318م، واستأنف هو بناء الدولة، فبنى القصور، وخلّد أثارا لم تكن لمن قبله[3]، وبنى المدارس، وأرسى قواعد الملك، إلى أن قتل عند باب قصره، عندما هاجم المرينيون تلمسان سنة 737هـ/1336م[4].

2. مرحلة الانقطاع المؤقت والسيطرة المرينية (737 .760هـ/1358.1336م)

لما احتل السلطان أبو الحسن المريني تلمسان، عامل الأسر التي بقيت معاملة حسنة، ظناً منه أن يستطيع جمع شمل بني العُمامة (بنو مرين وبنو عبد الواد)، ولكن هاته الأخيرة لم تنسى ماصنع المرينيون بهم، فكانوا يتحيّنون الفرصة لإحياء دولتهم من جديد[5].

لم تقف أطماع السلطان المريني باحتلال المغرب الأوسط فقط، بل توجه إلى افريقية(تونس) سنة 748هـ/1347م[6]، وولى على تلمسان ابنه أبا عنان[7]، وكان ضمن الجيش المريني قوات من بني عبد الواد يرأسهما أميران هما: أبو سعيد بن عبد الرحمان بن يغمراسن، وأخوه أبو ثابت المعروف بالزعيم[8]، فاستغل فاستغل فرصة ثورة أهل تونس علي أبي الحسن، وشِيع أنّه قتل، فخرج أبو عنان من تلمسان بعدما دعى لنفسه، فدخل الأخوين تلمسان سنة 749هـ1348م، واستطاعا ارجاع العديد من المدن تحت حكمها،

---

[1] **ابنا الإمام**: هما الأخوان أبو زيد عبد الرحمان، وأبو موسى عيسى، ابنا الإمام مُحَّد بن عبد الله بن الإمام، من أهل برشك، فقيهان كبيران، وامامان مشهوران، نزلا تلمسان في أيام السلطان أبو حمو الأول، وتتلمذ على يديهما ثلة كبيرة من العلماء، توفي عبد الرحمان سنة 743هـ/1342م، وتوفي أخوه سنة 749هـ/1348م. ينظر: ابن مرزوق مُحَّد بن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ، 1429هـ/2008م، ص ص202 . 203.

[2] مُحَّد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دَّولة بني زيّان**، ، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، تلمسان الجزائر، 1431هـ/2011م، ج1، ص75.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص140.

[4] يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص219.

[5] نفسه، ج1، ص234

[6] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص136.

[7] **أبو عنان**: هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، الملقب بأبي عدنان، ولد بفاس سنة729هـ/1329م، أحد سلاطين بني مرين، بويع في حياة أبيه سنة 749هـ/1349م. مات مخنوقا سنة 759هـ/1358م. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص127.

[8] لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد**، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، وهران، 2011م، ص ص95 . 96.

فكانت الدولة الزيانية في هذه الفترة مستقلّة عن أيّ نفوذ خارجي، ولا أدلّ على ذلك هو ضرب السكة التي سميت باسم أبي سعيد "أبو سعيد السكة"[1]، واستمر الحكم الزياني مدة أربع سنوات وشهرا واحدا[2] من سنة 749هـ/1348م إلى سنة 753هـ/1352م[3]، حيث عاود بنو مرين احتلال تلمسان، وأقاموا فيها، فيها، وانقطعت الدولة الزيّانية مرة ثانية.

كان أبو عنان صاحبَ أطماع مثل أبيه في اقليم تلمسان، فأخذ يستعدّ لغزوها، ولكن الأمير أبا سعيد استعد للأمر وسبق الحوادث، فخرج بقواته إلى وجدة لملاقاة بني مرين على أرض المغرب، فخاض الجمعان معركةَ (واد القصب) الكبيرة بسهل أنقاض سنة 753هـ/1352م، وكانت الغلبة لبني مرين الذين تمكنوا من أسر أمير تلمسان وقتله، واحتلوا بهذا تلمسان[4]. ولم يكتفوا بهذا بل نقلوا المعركة إلى حوض الشلف وسهول متيجة[5]، وألقوا القبض على أبي ثابت في بجاية وسأله أبو عنان: «كيف رأيت أبطال بني مرين»؟، فقال:« والله ما أعانكم إلاّ السعد، وأما الرجلة فقد غلبناكم فيها»[6].

هذه العبارة تعطي انطباعا قويا بأنّ روح الدولة وإن قُبض على سلطانها، لازالت حية متأجّجة في بني عبد الواد الذين واصلو طريقهم، وأحيوا الدولة من جديد على يدي أبي حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1358م.

3. مرحلة إحياء الدولة (791.760هـ/1389.1358م)

تضمُّ هذه المرحلة سلطانا واحدا من سلاطين الدولة الزيانية، ألا وهو أبو حموا موسى الثاني "مجدد رسوم الدولة"[7] والذي تولى الخلافة غرّة ربيع الأول[8] من سنة 760هـ/1358م، وبويع بالخلافة بعد وفاة السلطان المريني أبي عنان بحوالي شهرين[9].

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص149.

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص247.

[3] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص144.

[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص46

[5] نفسه، ص47

[6] التنسي، المصدر السابق، ص155.

[7] ابن الخطيب لسان الدين، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة، د.س، ص301.

[8] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص37. التنسي، المصدر السابق، ص159. أما ابن خلدون في العبر، ج7، ص146 فيقول: "ودخل السلطان أبو حمو تلمسان يوم الأربعاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة ستين".

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص24، جاء فيه عن وفاة أبي عنان "وفي اليوم السادس منه (محرم760هـ/1358م)، وافت البشرى بموت السلطان أبي عنان ملك المغرب، ينظر: عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص86.

اهتم أبو حمو بتدعيم سلطته وإمارته بالقضاء على نفوذ بني مرين في كل انحاء المغرب الأوسط، فافتك وهران سنة763هـ/1361م، ومدينة الجزائر في السنة الموالية، وبلاد القبائل في السنة التي تليها[1].

وقد ألّف السلطان الزياني الجديد قصيدة من تأليفه ضمت اثنين وتسعين بيتا يمدحه فيها نفسه، فقد كان من فحول الشعراء، كان مطلعها[2]:

جَرَتْ أَدْمُعِي بَيْنَ الرُّسُومِ الطَّوَاسِمِ لَمَّا شَحَطَتْهَا مِن هُبُوبِ الرَّوَاكِـــــمِ

وَقَفْـــــتُ بِهَا مستفهـــا بِخِطَابِهَـــا وأيَّ خِطَـــــابٍ للصُّلاَّدِ الصّلاَدِمِ

وقد أفاض أبو حمو في وصفه لما لقيه وما قام به من معارك، خاصة الموقعة التي استولى فيها على تلمسان بعد حصارها فيقول[3]:

دَخَلْـــــتُ تِلمسَانَ التي كنتُ أَرْتِي كما ذَكَرُوا في الجَفْرِ أهلُ الملاَحِمِ

فَخَلَّصْــتُ من غُصابِهَـــا دارَ مُلكِ وطَهَرتُهَـــــا من كلِّ باغٍ وجازِمِ

إلى أن يقول مؤكدا أنّه مجددُ هذه الدولة بقوله[4]:

نَظَمْنَا شَتِيتَ الملكِ بعدَ افترَاقِهِ وكم بَاتَ نَهبًا شمْلُــهُ دونَ نَاظِمِ

شدَدْنَا لهُ أَزْرًا وشدْنَا بِنـــــــاءَهُ بِأَوْثقِ أركانٍ وأقْوَى دَعَائِـــــمِ

اتّسم عهد أبي حمو موسى الثاني طيلة فترة حكمه التي قضاها في حكم بني زيان في البناء والتشييد وإدارة البلاد، ومحاربة المناوئين من أهل البلد، كما تميّز بالنشاط العسكري الكبير، حيث تصدّى إلى هجمات بني مرين من الغرب، وبني حفص من الشرق، للحفاظ على وحدة المغرب الأوسط تحت راية السلطة الزّيّانية، وكان يسوس الرعية بحنكة وحكمة، ويزور مرضاهم، ويعين فقرائهم، وكان يقسم وقته مابين « حكم يقضيه، وحق يمضيه، ، وعاقّ يُرضيه، وسيف لحماية الدّين يُمضيه، وجفن عن عوراء الأمة يُغضيه، وسبيل إلى رضى الله تعالى ورسوله يقضيه»[5].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص49.
[2] يحي بن خلدون، ج2، ص ص30 ـ 36.
[3] نفسه، ج2، ص ص35 ـ 36
[4] يحي بن خلدون، ج2، ص36.
[5] التنسي، المصدر السابق، ص180. ينظر أيضا:التنسي، المصدر السابق، مطبوعات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، ص160.

ولعل من أسباب انتصار السلطان الزياني الروابط المتينة، والعلاقات الحسنة التي كانت بينه وبين القبائل العربية، والزناتية، ومما زاد في دعم هذه الروابط هي عطايا أبو حمو لهذه القبائل من بذل للمال، والثياب، والاقطاعات التي لم يبخل السلطان بها عن مناصريه وحلفائه[1]. واستطاع أبو حمو موسى الثاني أن يقيم قواعد الملك، وأن يؤسس لدولة جديدة، «فأشرقت شمس الدولة بأفقها بعد تكويرها، وضاءت نجوم سمائها بعد الانكدار، وثبت مركز سياستها فاستقام المدار، فكأنّ العفاء لم يطرق لها ساحا»[2]. وقد اضطلع أبو حمو بإقامة الدولة الزيانية، وإعزاز جوانبها الثقافية، والاجتماعية، فقد كان من العلماء العقليين والنقليين[3]. كما ألف كتابا في السياسة لولي عهده أبي تاشفين في شكل نصائح لإرساء قواعد الحكم والحفاظ عليه عنوانه: "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[4].

والغريب في الأمر أنّ أبا حمو الذي نصح ابنه في كتابه المذكور، صارت بينه وبين ابنه حروب انتهت باستنجاده الأخير بالمرينيين، وقضى على والده في غرّة ذي الحجة من سنة 791هـ/1389م[5]. وبموته انتهت فترة من أزهى فترات الدولة الزيانية، التي أعقبتها فترة التبعية للمرنيين، ثم الحفصيين.

4 . مرحلة الانحطاط والسقوط (962.791هـ/1554.1389م)

تنقسم هذه المرحلة إلى قسمين هما: قسم التبعية للمريين والحفصين، وقسم الانحطاط والسقوط.

أ ـ قسم التبعية للمريين والحفصيين: وقد ألحقت هذا القسم بهذه المرحلة لأنّ التبعية هي أول عوامل السقوط بالنسبة للدولة الزيانية. ويبدأ هذا القسم من سنة 791هـ/1389م سنة وفاة السلطان أبو حمو موسى الثاني، وينتهي عند سنة 890هـ/1485م.

تعاقب على سُدّة الحكم في تلمسان أربعة عشر سلطانا، هناك من حكم أربعين يوما[6]، ومنهم من حكم شهرين[7].

---

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص19.

[2] نفسه، ج2، ص38.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص161.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص287.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص181.

[1] وهو السلطان أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين بن أبي حمو الثاني.

[7] وهما: ابن خولة، والسعيد ابن أبي حمو الثاني.

ومن عزل عن السلطة ورجع إليها[1]. ومر هذا القسم ما بين تناحر المتزاحمين، وتشاكس المتنافسين، بين الدولتين لهذا القطر شرقا وغربا، وبين الأسرة الحاكمة نفسها[2].

ونظرا لضعف السلطة المركزية بتلمسان، وولوجها في فخ التبعية، أصبحت بنو مرين تثير الضغائن بين الأسرة المالكة، وصارت تولي من تشاء وتعزل من تشاء. والغريب في الأمر أنّ مجموعة من أبناء الأسرة الحاكمة، كانت تأسرهم مرين، فإذا احتاجت إلى أحدهم بعثته بجيش، ونصّبته سلطانا على تلمسان تابعا لها، إلى أن وصل السلطان أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني الذي كان أسيرا عند المرينيين بفاس إلى سدّة الحكم سنة 814هـ/1411م[3]. ولكن ما فتئ أن انقلب السحر على الساحر فجهز السلطان عبد الواحد جيشا سار به إلى عاصمة المرينيين "فاس" فاستولى عليها، ونصّب واليا من قِبله وكان ذلك آخر العهد بتدخل المرينيين في الجزائر[4].

بعد أن انتهت تبعية بني زيّان للغرب المريني، برزت من جديد أخطار الحفصيين من الشرق، الذين تجددت أطماعهم ضد تلمسان وإمارتها، وأصبحوا يتحفزون للفوز بالسيطرة عليها، وضمها إلى مملكتهم الحفصية بالشرق[5].

غزا السلطان الحفصي أبو فارس تلمسان وفعل مثلما كانت تفعله بنو مرين بأبناء الأسرة المالكة. ثم جاء عهد أبي عمر عثمان فاتجه إلى تلمسان، وفرض سيطرته على كل المناطق التي مر بها، ولكن أبو ثابت مُحَمَّد المتوكل على الله راسله قبل وصوله، وأبرم معه صلحا عاد به الأمير الحفصي إلى تونس عبر بجاية سنة 867هـ/1462[6]. وبوفاة المتوكل سنة890هـ/1485م، انتهى فصل من فصول التبعية للحفصيين، والذي دام ما يقارب على ستين سنة[7].

---

[1] وهما: عبد الواحد بن أبي حمو الثاني، وأبو عبد الله مُحَمَّد بن الحمراء

[2] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ج2، ص ص191 . 192.

[3] نفسه، ج2، ص188

[4] نفسه، ج2، ص188.

[5] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص51.

[6] الزركشي، المصدر السابق، ص ص136-137. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص52.

[7] رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ/1984م، ج3، ص434.

وفي هذا الوقت وصلت الدولة الزيانية إلى مرحلة الضعف والخور، وبدأت طلائع الإسبان تغزوا سواحل وهران، وسواحل المغرب الإسلامي كله، وانتهى قسم التبعية للمرنيين والحفصيين، ليأتي بعده قسم الانحطاط والسقوط.

ب . قسم الانحطاط والسقوط:

يبدأ هذا القسم من سنة 890هـ/1485م عهد اعتلاء السلطان تاشفين بن المتوكل، والذي لم يدم في الحكم سوى أربعة أشهر، وينتهي إلى خلع السلطان مولاي الحسن آخر سلاطين بني زيّان، من طرف الأتراك سنة962هـ/1554م، وقد دام هذا القسم زهاء اثنتين وسبعين سنة، تعاقب على السلطة ثلاثة عشر سلطانا، وزاد أطماع الإسبان وطمعهم في تلمسان بعدما أسقطوا آخر معقل للمسلمين في الأندلس "غرناطة" سنة897هـ/1492م.

بدأ الهجوم على المغرب من قبل البرتغاليين بعدما أغاروا على المرسى الكبير، ووهران[1]، ثم تعرض الميناء نفسه سنة 911هـ/1505م إلى هجوم الإسبان، ولم يستطع الزيانيون صد هذا الهجوم، فاحتل الاسبان بموجبه المرسى الكبير[2].

كما احتل الإسبان بعد ذلك كلاًّ من وهران وبجاية وغيرها[3]، وهب الأتراك لنجدة المسلمين، فقتل فقتل عروج بالقرب من تلمسان[4].

قام أهل تلمسان بخلع السلطان أبي عبد الله مُحَّد الذي سخر اليهود لخدمته[5]، فجعلهم وسطاء بينه وبين الإسبان، ونصّبوا مكانه أخاه أبو زيّان أحمد الثاني سنة 949هـ/1542م[6]، ولكن لم يُجْدِ ذلك نفعا، إذ قوي النفوذ التركي في تلمسان، وأصبحت الدولة الزيانية تابعة لهم. هذا الوضع لم يَرُق بعض السلاطين الزيانيين، فطلبوا من الإسبان الإغارة على تلمسان، فكانت الغلبة للأتراك مرة أخرى[7]، فرأى هذا الأخير

---

[1] رشيد بوروبية وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص455.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص198. عبد الحميد ابن اشنهو بن أبي زيّان، **دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر**، مطبعة الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، 1392هـ/1972م، ص48.

[3] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، ص ص100 . 108 .

[4] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص222، ينظر: مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص837.

[5] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص77.

[6] نفسه، ج1، ص78.

[7] رشيد بوروبية وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص457.

الأخير أنّ لا حاجة لهم بالسلطان الزياني الذي لم يبق له شيء يُذكر عند الخاصة والعامة، وأصبح وجوده كعدمه، فقرروا خلع السلطان مولاي الحسن بن عبد الله سنة 962هـ/1554م، وانتهت بذلك الدولة الزيانية[1].

والجدير بالملاحظة في هذه الأدوار كلِّها هو الجانب العلمي، فقد استمرت الحركة العلمية في جميع الأدوار المذكورة، فمثلا في الدور الأول اعتمدوا المدرسة كنظام تعليمي جديد، يشرف عليه كبار العلماء من أمثال ابني الإمام، وأبي عمران المشدّالي. وأما الدور الثاني فزادت الحركة الثقافية بإنشاء مدرستي العباد، ومدرسة سيدي الحلوي من طرف السلطانين المرينيين، وقد أثرت هاتين المدرستين الحياة العلمية بعلماءَ وطلبة. أما في ما يخص الدور الثالث فقد كان أبو حمو موسى الثاني يخص العلم والعلماء بعناية خاصة، فبنى مدرسة كبيرة بتلمسان، واحتفل بها، وأكثر عليها من الأوقات، وقدّم للتدريس فيها كبار العلماء. وأما فيما يخص الدور الرابع فقد تراجعت الحركة العلمية تراجعا كبيرا، رغم بقاء المدارس الخمسة في تلمسان تزاول عملها على النهج الذي رسمه لها فقهائها[2].

ثالثا . أعظم سلاطين بني زيان:

تعاقب على ملك بني زيان عدة سلاطين كان لهم دور كبير في استتباب ملكهم، وانتشار مملكتهم في أنحاء بلاد المغرب الكبير. ومن بين هؤلاء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1– **يغمراسن بن زيّان: (681.603هـ/1282.1206م)**

هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن مُحَّد العبد الوادي، أوّل من أسّس الدَّولة الزيَّانية، وأوّل من استقل بتلمسان من سلاطين عبد الواد، ينتمي إلى قبيلة بني عبد الواد وهم زناتة[3].

---

[1] الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص229.

[2] مُحَّد مرتاض، "من أعلام الأساتذة المدرّسين بتلمسان في الخمسيّة الهجريّة الثانية"، **مجلة الفضاء المغاربي**، العدد الخامس، المجلد الأول، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللّغات، ت.ن 2009/02/08م، ص ص8- 48.

[3] **زناتة:** قبيلة بترية ولها فروع كثيرة، مواطنها منتشرة عبر بلدان المغرب كله، واختصت ببلاد المغرب الأوسط ،ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 10. الطاهر بونابي طاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 7و8 الهجريين/12م و13 الميلاديين (نشأته–تياراته–دوره الاجتماعي والثقافي والفكري)**، دار الهدى، د.ط، عين مليلة (الجزائر)، 1425هـ/2004م، ص 29.

بويع للإمارة بعد مقتل أخيه زيدان[1] بن زيان[2] سنة633هـ/1235م، ولد سنة 603هـ، تولى الحكم سنة 633هـ، كان رجلا شجاعا حكيما متواضعا فاضلا، يكثر مجالسة العلماء والصلحاء، عمل على كسب ود الحفصيين فزوّج ابنه عثمان بابنة السلطان أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الواحد الحفصي، وخرج للقائهما بمليانة، وبينما هو عائد أدركته المنيّة بواد الشلف سنة681هـ/1282م، وحمل لتلمسان ودفن فيها، ودام في ملك بني زيان أكثر من أربع وأربعين سنة[3].

2- عثمان بن يغمراسن: (703.639هـ/1304.1241م)

هو أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيّان، ثاني ملوك الدولة الزيانية بتلمسانَ في دورها الأول، بويع بعد وفاة أبيه في أوائل ذي الحجة سنة681هـ/مارس1283م، كان ملكا جسورا، صبورا، حسن السياسة والتدبير، انتشر سلطانه في المناطق المتمردة، ثم بدأ بإخضاع البلاد الخارجة عن نطاق دولته، فاستولى على مازونةَ وانتزعها من مغراوة سنة 686هـ، ثم على ونشريس والمديّة سنة688هـ، وعلى مغراوة سنة689هـ، وكثيرا من البلاد، وهاجمه السلطان يوسف بن يعقوب المريني سنة689هـ فهزمه أبو سعيد، ثم عاود الكرة وحاصر تلمسانَ حصارا شديدا، واشتدّ الكربُ على بني عبد الواد ، ونال منهم الجهد والتعب «وهلك النّاس بالجوع والسّيف والمنجنيقات» وتوفي أبو سعيد عثمان في هذا الحصار يوم السبت غرّة ذي القعدة703هـ/1304م. دام ملكه على الزيانيين واحدًا وعشرين سنة[4].

3- موسى بن عثمان: (718.665هـ/1318.1267م)

هو أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، الملقب بأبي حمو موسى الأول، رابع ملوك الدولة الزيانية بتلمسانَ رابع ملوك الدولة الزيانية في دورها الأول، بويع بعد وفاة أخيه مُحَّد في شوّال

---

[1] **زيدان بن زيان**: بن ثابت العبد الوادي أبو عزة، آخر رؤساء بني عبد الواد قبل قيام دولتهم العبد الوادية بزعامة أخيه يغمراسن بن زيان، بايعه قومه سنة631هـ/1233م بعد عزل عثمان بن يوسف، وخرج عن مبايعته بنو مطهر من بني عبد الواد، فجمع لهم، وقاتلهم فقتل633هـ/1235م، وكانت مدة رياسته ثلاث سنوات. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص153.

[2]

[3] عبد الرحمان بن خلدون، ج7، ص162. أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ج3، ص21.

[4] المقّري، المصدر السابق، ط1، بيروت (لبنان)، 1408هـ/ 1988م، ج5، ص216. ينظر أيضا: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص168.

سنة707هـ/أبريل1307م[1]، قال عنه ابن خلدون«كان صارما يقظاً، داهيةً، قويَ الشكيمة، صعب العريكة، شرس الأخلاق، مفرطَ الذّكاء والحدّة، وهو أول ملوك زناتة رتّب مراسم الملك، وهذّب قواعده، وأرهف في ذلك لأهل ملكه حدّة، وقلب لهم مجن بأسه حتى ذلوا لعز الملك، وتأدبوا بآداب السلطان»، كان من أهم أعماله مسالمةَ بني مرين أصحاب المغرب، ثم أخضع القبائل المنشقة عنه، وزحف بجيشه شرقاً ففتح بجايةَ، وقسنطينةَ وهما من بلاد الدولة الحفصية أصحاب تونس، ولكنّ بني مرين شنوا هجوما على المغرب الأوسط714هـ/1214م فصدهم أبو حمو وبسط نفوذه، ونشر الأمن في البلاد، وقُتِلَ أبو حمو موسى الأول من قِبَلِ ابنه أبو تاشفين[2]، ودام ملكه نحو عشر سنين[3].

4- موسى بن يوسف: (723.791هـ/1323.1389م)

هو أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بن زيّان، الملقب بأبي حمو موسى الثاني مجدد الدولة الزيّانية، وثالث ملوكها في دورها الثاني، ولد في غرناطة بالأندلس، كان فطنًا، أديبا، وبطلا باسلا، ذا كرمٍ ومروءة، وسياسةٍ ودهاء، ليّنَ العريكة، كريم الأخلاق. وكان أبوه قد أُبعد إلى الأندلس منذ سنة717هـ/1318م، انتقل إلى تلمسان في سنة ولادته مع أبيه، فنشأ بها، ودرس فيها مبادئ اللغة العربية والعلوم الدينية، ولما بلغ سنَّ الرابعة عشرة استولى بنو مرين على تلمسان سنة737هـ فشهد زوال ملك آبائه في عهد أبي تاشفين، وخرج مع أبيه إلى فاس، ثم ولى راجعا إلى تلمسان 750هـ. انتقل إلى تونس بعدما عاود بنو مرين استلاءهم على تلمسان فقرر تحريرها فزحف إليها بعدما تحالف مع الحفصيين وبعض القبائل العربية، واقتحمها في مطلع ربيع الأول سنة760هـ/1359م، وبويع بعدها بإمارة، وانتظمت الدولة في أيامه، واستقرت، وضمن لرعيته الأمن والرخاء والإزدهار. قُتِلَ أبو حمو موسى الثاني

---

[1] عادل النويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة النويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ، 1400هـ.1980م، ص125. . الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص144

[2] **أبو تاشفين:** هو عبد الرحمان الأول بن أبي حمو موسى الأول بن أبي سعيد عثمان الأول بن يغمراسن بن زيّان، الملقب بأبي تاشفين الأول، خامس ملوك الدولة الزيانية بتلمسان في دورها الأول، ولد سنة992هـ/1293م، قتل أباه وحلَّ في ملكه سنة 717هـ/1318م، كان أول من سكّ النقود الزيانية، وأكثر ملوك الدولة عمرانا وآثارا، قُتِلَ أبو تاشفين في 27 رمضان737هـ/1330م، بعدما صمد لوحده ضد الهجوم المريني بقيادة السلطان أبي الحسن المريني. عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص147 وما بعدها.

[3] الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص331.

791هـ/1389م من طرفِ ابنه بعدما استعان بالمريين. دام حكم أبو موسى الثاني زهاء واحد وثلاثين سنة ألّف فيها بعض الكتب أهمها "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[1].

5- الحسن بن عبد الله: (ت963هـ/1555م)

هو الحسن بن عبد الله الثاني بن مُحَّد(المتوكل على الله) الزيّاني، آخر سلاطين دولة بني زيّان بتلمسان، ولِّي الحكم سنة957هـ/1550م تحت إشراف دولة الأتراك بالجزائر، كان فاسدَ السيرة، ظالمِا، متعسفًا، كما أظهر ميله للإسبان، وخلعه مجلس العلماء962هـ/1554م، خرج إلى وهران وتوفي بها موبوءًا بعد سنة من خلعه، ثم ضُمَت أعمال تلمسان نهائيًا إلى الدولة الجزائرية، وسقطت بهذا دولة بني زيان التي سادت بلاد المغرب الأوسط أكثر من ثلاثة قرون[2].

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، ج7، ص ص480 ـ 481. ينظر: المقَّري، نفح الطيب، ج5، ص205. السعيد سليمان، المرجع السابق، ج1، ص61.

[2] نفسه، ج1، ص61. عادل النويهض، المرجع السابق، ص224.

المبحث الثالث: العلاقات الثقافية بين تلمسان والحواضر العلميّة في العالم الاسلامي

كانت علاقة تلمسان بمراكز الفكر في العالم الاسلامي علاقة جيدة في معظم الأحيان، بحيث كان فقهائها من خلال تنقلاتهم بسبب طلب العلم والمعرفة، حلقة وصل بين المدينة، وغيرها من الحواضر العلميّة، ممّا جعلها في حركة نمو مطرد في المجال الفكري على وجه الخصوص، تُعطي وتأخذ، وتُؤَثِر وتتأثر، وأدى هذا إلى أن تكون منارة مشعّة من منارات العلم ليس في المغرب فقط، بل في جميع العام الاسلامي، واستفادت المدينة كونها واكبت الحركة العلميّة التي كانت تعجّ بها هذه الحواضر، فلم يكن يظهر فيها أيُّ جديد إلاّ كان لتلمسان منه وفيه نصيب.

أولا – العلاقات مع المغرب الأقصى: كانت العلاقات بين تلمسان و المغرب الأقصى علاقة متجدرة منذ القدم، وقد أرجع الدكتور مُحَّد بن عزوز جذور هذه العلاقة إلى أواخر القرن الثاني الهجري، وبالضبط في عهد إدريس الأكبر[1] مؤسس دولة الأدارسة، فبعد أنِ استتبّ له أمر المغرب الأقصى، توجه صوب تلمسان ودخلها، وأسّس فيها مسجدا كبيرا في أكادير[2].

كان فقهاء المغرب الأقصى يقصدون تلمسان للاستزادة من العلوم والمعارف، والتلقي من علمائها، الذين امتازوا بملكة التلقين والتدريس، على غرار فقهاء الحواضر الأخرى، وهذا ما ذكره صاحب كتاب رياض الأزهار حينما ذكر فقهاء المائة الثامنة حيث وصف أنّ ملكت التلقين والتدريس انتهت عندهم[3]. وأمّا عبد الحق حميش فقد ذكر أنّ أهل العلم من المغرب الأقصى توجهوا نحو تلمسان للأخذ من علمائها، حتى أصبحت العلوم أكثر رسوخا وأشدّ احكاما، وكان بعضهم يقيم بتلمسان لأنّه صار يرى نفسه أهلا للإقامة بها، ولا شيء أعظم من أن يكون صاحب إقراء لطلبة العلم فيها، لِما حصل له من المعرفة[4].

---

[1] هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد سنة 127ه/ 743م، أول من دخل المغرب من الطالبيين أسس فيها عام 172ه الدولة الإدريسية التي تعتبر ثاني دولة إسلامية مستقلة عن الخلافة الإسلامية في المغرب بعد دولة الأمويين في الأندلس، توفي مقتولا سنة 177 ه/793م. السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص ص208 ـ 213.

[2] مُحَّد بن عزوز، المرجع السابق، ص615.

[3] المقرّي، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص25.

[4] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص ص117 ـ 118.

ولما كان الفقهاء هم حلقة الوصل بين تلمسان ومراكز الفكر في العالم الاسلامي، لابد من أن أذكر حركة بعض الفقهاء التي كانت بسبب طلب العلم من وإلى تلمسان.

لقد كان ممن قصد فاس الحاضرة العلميّة للمغرب الأقصى الشيخ الجليل أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني[1] نزيل سبتة وفقيهها[2]، ومنهم مُحَمَّد بن يحي بن النجار التلمساني[3] شيخ التعاليم بتلمسان، ارتحل إلى فاس فلقي عددا من أئمتها، وأخذ عنهم، وكان من جلساء أبي الحسن المريني عندما دخل تلمسان[4]، ومنهم شيخ العلوم العقليّة والنقليّة محمّد بن ابراهيم الآبلي[5] كان من أحبّهم وأقربهم للسلطان أبي الحسن المريني، وجعله أستاذا لأبنه السلطان أبي عنان، وبقي بفاس إلى أن توفي سنة757هـ/1350م[6].

---

[1] هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني، فقيه من أهل تلمسان، ولد سنة 609هـ بتلمسان، وتوفي 699هـ بسبتة. وستأتي ترجمته بالتفصيل. إبراهيم بن علي بن مُحَمَّد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت 799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق: الدكتور مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ج1، ص ص274 ـ 275.

[2] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص ص168 ـ 169.

[3] هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن يحي بن علي، المعروف بابن النّجار، من كبار الفقهاء بالمغربين، ولد بتلمسان، وتوفي بسبتة بوباء الطاعون سنة749هـ/1349م. وستأتي ترجمته بالتفصيل. أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام بمدينة فاس**، دار النشر للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص302.

[4] ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص302.

[5] **الآبلي**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن ابراهيم بن أحمد الآبلي، ولد بتلمسان سنة 681هـ/1282م، وأصله من الأندلس، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، ومن أشهر علماء المغرب الأوسط في المائة الثامنة هجرية، رحل إلى المشرق، ولقي فيها الكثير من العلماء، ثم عاد إلى تلمسان فكان ممن يجالس السلطان أبي الحسن المريني، توفي سنة. وستأتي ترجمته لاحقا. ينظر: ابن مريم البستان، المصدر السابق، ص214. أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، 1979، ص ص21 ـ 22. وعبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 156 –160.

[6] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120. ينظر: رشيد خالدي، **دور علماء المغرب الأوسط في إزدهار الحركة العلميّة في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف لخضر عبدلي، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1431–1432هـ/2010–2011م، ص55.

وذكر صاحب كتاب الروض الهتون أنّ الفقيه الصالح مُحَّد بن الفتوح التلمساني[1] انتقل من بلده الأصلي تلمسان نحو فاس ثمّ إلى مكناسة فأقام بها حتى مات، كما كان يُقرأ ألفية ابن مالك بالمدرسة المتوكلية التي بناها أبو عنان بفاس[2].

ومن فقهاء المغرب الأقصى الذين ارتحلوا إلى تلمسان نذكر منهم على سبيل المثال الفقيه المحدث مُحَّد بن الصباغ[3]، وهذا عندما ذاع صيت ابني الإمام في أقطار المغرب ارتحل ابن الصباغ، ودرس على يديهما ونال حظا وافرا من علمهما[4]، وذكر ابن غازي أنّ بعض أصحابه ذكروا له أنّهم سمعوا ابن الصباغ أنشد بمقصورة تلمسان المحروسة كالمعاتب لنفسه يقول[5]:

يَا قَلْبُ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي أَشْرَاكِهِم ولَقَدْ عَهِدْتُكَ تَحْذَرُ الأَشْرَاكَا

أَرْضَى بــذُلٍ فِي هَوَى وصَبَابــةٍ هذَا لَعَمْرُ اللهِ قَدْ أَشْقَاكَــا

ومنهم قاضي مدينة فاس الفقيه مُحَّد بن عبد الله الندرومي[6]، سافر إلى تلمسان وتتلمذ على ابني الإمام، وتولى قضاء المدينة أيضا في عهد السلطان المريني أبي الحسن[7].

لقد عرفت العلاقات التي كانت بين فاس وتلمسان خصوصا، صُوَرا لامعة من التعاون العلمي، وتعدّدت أنواع هذا التعاون، فكانت عبارة عن رحلات دراسية من هنا وهناك كما أسلفنا، وفي التبادل التلقائي بين الأساتذة والمؤلفات من جهة أخرى، وما نتج عنها من حوارات ومناظرات فكرية سنتطرق إليها لاحقا، بالإضافة إلى المنشآت العمرانية الدينية التي خلّفها بنو مرين في تلمسان، وهذه الأخيرة

---

[1] **ابن الفتوح**: هو أبو عبد الله بن عمر بن الفتوح التلمساني، عالم من أهل تلمسان، بها نشأ وتعلم، ثمّ انتقل إلى فاس، ومات بمكناسة سنة 818هـ/1415م. أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، الطبعة الثانية، طرابلس، ليبيا، 2000م، ص ص497 ـ 498.

[2] أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن غازي العثماني، المكناسي، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، طبعة المامونية، الرباط، 1371هـ /1952م، ، ص ص22 ـ 23.

[3] **ابن الصباغ**: هو مُحَّد بن مُحَّد بن الصباغ الخزرجي، المكناسيّ، ولد بمكناسة، وهو من كبار علمائها، كان من أقرب الناس منزلة عند أبي الحسن المريني، ومات غرقا في اسطول أبي الحسن عائدا من افريقية. ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص301.

[4] نفسه، ج1، ص301.

[5] ابن غازي، المصدر السابق، ص 17.

[6] **الندرومي**: هو مُحَّد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي، فقيه مدينة فاس وقاضيها، وكان يشغل قاضي العسكر في عهد أبي الحسن المريني ولد بفاس، وتوفي بوباء الطاعون سنة749هـ. ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص ص301 ـ 302.

[7] نفسه، ص301.

كانت أكبر شاهد على إسهامات المغرب الأقصى في التطور العلمي والفكري لتلمسان، والملاحظ أيضا أنّ الصراعات السياسية بين بني زيان وبني مرين لم تُؤثر على العلاقات الثقافية بين الحاضرتين، فكان تلاقحٌ فكري أدى إلى نشاط الحركة الفكرية في جميع بلاد المغرب الاسلامي.

ثانيا – العلاقات مع المغرب الأدنى: إنّ العلاقة التي كانت تربط تلمسان بالمغرب الأدنى، أكبر من أن تكون مصلحة مشتركة بين سلاطين الدولتين، ورغم الجو المشوب بالصّراع من حين لآخر حول توسيع الحدود، بقيت الحركة العلميّة والتواصل الفكري بينهما قائم، من خلال حركة الفقهاء المستمرة، والتي أدت إلى تجانس فكريٍّ، امتدّ إلى معظم الحواضر العلميّة في الحاضرتين، على غرار تلمسان وتونس بالإضافة إلى قسنطينة وبجاية اللتين كانتا تحت الحكم الحفصي في تلك الفترة[1].

ساهمت الرحلة العلميّة للفقهاء وطلاب العلم مساهمة فعّالة في إنشاء شبكة علاقات بين تلمسان ونظيرتها في المغرب الأدنى، حيث ذكرت لنا كتب التراجم والسير العديد من الفقهاء الذي أثرو الحياة الفكرية فيما بينهما، ومن فقهاء تلمسان الذين ارتحلوا إلى المغرب الأدنى نذكر: أبا عبد الله الشريف التلمساني[2] الذي توجه صوب تونس الحاضرة العلميّة للمغرب الأدنى عام 710ه/1340م، وكان عمره ثلاثون سنة، وطوى الركب في مجلس الشيخ ابن عبد السلام[3]، واستفاد منه كثيرا، كما درس كتاب الشفا الشفا لابن سينا، ومواد الحساب والهندسة، وغيرها[4].

---

[1] عبد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص195.

[2] **الشريف التلمساني**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني، ولد بتلمسان سنة710ه/1310م، من كبار الفقهاء في تلمسان، نشأ على يد أكبر علمائها من أمثال ابني الإمام، ثمّ ارتحل إلى تونس حيث حيث درس ودرّس فيها، ثمّ توجه نحو فاس، وولى راجعا إلى تلمسان حيث تولى الإقراء بالمدرسة اليعقوبية، ومات بها سنة 771ه/1370م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص164 ـ 183.

[3] **ابن عبد السلام**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن عبد السلام الهواري التونسي، قاضي الجماعة بها، وعلّامتها الفقيه، تولى التدريس والفتوى، وكانت ولايته القضاء سنة 734هـ، من تلاميذه ابن عرفة، له شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي. توفي بالطاعون سنة =749ه/1348م. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص406. مُحَّد بن مُحَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، 1424ه/2003م، ج1، ص301.ينظر: أبو يعقوب الزيّات يوسف بن يحى التادلي، (ت627ه/1230م)، **التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، دار البيضاء، الرباط، 1997، ص110 وما بعدها.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص165.

ومن تلاميذته ابن عرفة وعائلة الرصّاع المرموقة[1]،أمّا ابنا الإمام أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى اللذين ارتحلا إلى تونس في شبابهما فتتلمذا على ابن جماعة[2] وغيره[3]، فقد كانا لهما الفضل العظيم في توطيد العلاقات الثقافية، خاصّة فيما يخص اتصال السند، فقد حافظت تلمسان على سند التعليم عن طريق عالمها أبو موسى عيسى الذي تتلمذ على أشياخ تونس، والتي كان سندها هذه الأخيرة متصلا بالمشرق[4]. بالإضافة إلى عالم التفسير مُحَّد بن إبراهيم التلمساني[5] الذي ترجم له ابن مريم ترجمة وذكر فيها أنّه أقام بتونس شهرا، لقي بعض مشايخها[6].

أمّا فيما يخصّ فقهاء المغرب الأدنى الذين قصدوا تلمسان نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر: عبد الله التونسي[7]، الذي رحل إلى تلمسان زمن الثلة الرائعة من الفقهاء التلمسانيين للاستزادة من علومهم ومعارفهم، كما قام بالتدريس بها، وأجاز بعض طلبتها[8]، دون أن ننسى فقيه بجاية عمران المشذّالي الذي رحل إلى تلمسان، وتولى التدريس بها في المدرسة التاشفينية، فأخذ منه الكثير من الطلبة، صاروا فيما بعد فقهاء أجلاء[9].

---

[1] مُحَّد الباجي بن مامي، التعليم بجامع الزيتونة وبمدارس العلم في العهد الحفصي، **مجلة التاريخ العربي التابعة لجمعية المؤرخين المغاربة**، العدد 17، 2001، ص ص251-283.

[2] **ابن جَمَاعة**: هو عبد العزيز بن مُحَّد بن إبراهيم، ابن جماعة، ولد بدمشق 694هـ/1294م، ثمّ ارتحل إلى مصر، فوُليّ قضائها سنة 739هـ، وجاور الحجاز، وله مصنفات عديدة منها: " أنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة". مات بمكة سنة 767هـ/1366م. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص26.

[3] التنبكتي، المصدر السابق، ص245.

[4] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص ص24 . 25.

[5] **إبراهيم التلمساني**: هو أبو الفضل مُحَّد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مُحَّد بن عبد الله التلمساني، فقيه مفسر، عالم بالأدب والطب، نشأ بتلمسان، ثمّ ارتحل إلى المشرق، وحجّ، ودخل القاهرة، ثمّ بيت المقدس، له أبحاث عديدة في التفسير.توفي سنة 845هـ/1441م. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص220 . 221.

[6] نفسه، ص221.

[7] **عبد الله التونسي**: هو عبد الله بن القاسم المحمودي، أحد كبار فقهاء ومحدثي تونس، نشأ بها، ورحل إلى تلمسان، توفي في الربع الأخير من القرن8هـ/14م. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص120.

[8] نفسه، ص120.

[9] **أبو عمران المشذّالي**: هو أبو موسى عمران المشذّالي، من كبار الفقهاء، من زواوة بجاية، قدم تلمسان أيام السلطان أبي تاشفين الأول، فولاّه التدريس بالمدرسة التاشفينية، توفي سنة 745هـ/1344م. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص130 . 131.

كما لا يسعني إلاّ أن أذكر أحمد بن عمران البجائي[1] الذي دخل تلمسان تاجرا سنة 718و720هـ، 718و720هـ، وحضر مجلس الفقيه أبي زيد بن الإمام، وتناقش معه في مسألة أصولية، وظهر نبوغه، فأكرمه السلطان أبو تاشفين أيّما إكرام[2].

إنّ ما يمكن استخلاصه من العلاقة الثقافية المتينة بين تلمسان والمغرب الأدنى، أنّ القرن السابع والثامن الهجريين كانا أخصب القرنين، إذ أنّ حركة الفقهاء نشطت نشاطا كبيرا بين الحاضرتين، وما زاد في تسريع وتيرتها هي الهجرة الأندلسية إليهما، بحيث أصبحت تلمسان ممر عبور للمغرب الأدنى من جهة، ومن جهة أخرى إضفاء طابع جديد في هذه العلاقة، (الطابع الأندلسي)، خاصّة في شِقِّه الأدبي الزاخر، الذي يُعتبر علاقة متجانسة بين تلمسان وتونس، ولعل تلمسان أفادت تونس كثيرا في العلوم العقليّة لذكر صاحب كتاب "أليس الصبح بقريب" حينما قال: «وأنّ زُهَادَةَ إفريقية في العلوم العقليّة مَعْلُولٌ لعلّة طَبِيعِيَّةٌ عُمْرَانِيّةٌ...»[3].

ثالثا- العلاقات مع الأندلس:

كانت العلاقات الثقافية بين تلمسان والأندلس علاقات وثيقة، وهذا لعدّة عوامل منها ما هو سياسيّ، ومنه ما هو مذهبيّ، ومنه ما هو فكريّ، حيث تمثل هذا التلاقح في حركة التنقل الواسعة للفقهاء والطلبة من وإلى تلمسان، فخلّفت نتائج إيجابية للحاضرتين، في مجال الانتاج الفكري، والتبادل المعرفي، ووصل بهم الأمر إلى المصاهرة أحيانا، ولعل العلاقة العلميّة بين تلمسان والأندلس كانت هي الأبرز بين العلاقات، خاصة حركة الفقهاء من الأندلس نحو تلمسان، « وكان مقصدهم في ذلك إلى تلمسان والمغرب الأقصى، ثمّ إلى تونس، وبدخول رحّالة الأندلس أصبحت هاته الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية»[4]، ولتبيين هذه العلاقة الثقافية بين الحاضرتين، نذكر على سبيل المثال فقيهين ممن وفدوا إلى

---

[1] **ابن عمران:** هو أبو العباس أحمد بن عمران البجائي، فقيه وخطيب بجاية، توفي سنة 753هـ. التنبكتي، المصدر السابق، ص ص94 ص94. 95.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص142.

[3] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، **أليس الصبح بقريب "التعليم العربي الاسلامي"**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، مصر، 1427هـ/2006م، ص60.

[4] الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص70.

تلمسان: محمّد آشي[1] خرج من الأندلس بعد سقوط غرناطة ويمّن نحو تلمسان المحروسة، فدرس ودرّس فيها، وحصلت له بها مصاهرة مع أعيانها بني مرزوق، ثم آلت إلى مقاطعة حسبما ذكر المقرّي في أزهار الرياض[2].

ومنهم الفقيه المتفنن أبو الحسن القلصادي[3]، دخل تلمسان، وأقام بها ثمان سنين، وتلقى العلم من شيوخ تلمسان، وجلس إلى الإقراء، ومن درسوا على يده الشيخ محمّد بن يوسف السنوسي[4] قرأ عليه جملة من الفرائض والحساب، وكان لتلمسان الحظ الوافر من هذه الإقامة[5].

أمّا من فقهاء تلمسان الذين جازوا إلى الأندلس نذكر منهم واحدا على سبيل المثال: الشاعر محمّد ابن خميس، الذي غادر تلمسان زمن حصار المرينيين وتوجه إلى سبتة، فتولى التدريس فيها، ثمّ نُقِم عليه من طلبة العلم فيها، فجاوزها إلى مالقة بالأندلس، ثمّ غرناطة حيث قوبل بالترحيب، وتصدّر للإقراء فيها، إلى أن قُتِل.[6].

كما كان للمؤلفات الأندلسية أثر كبير في توطيد تلك العلاقة، خاصّة تلك التي أُلِّفت بتلمسان، مثال ذلك: كتاب القلصادي المسمّى " التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد" انتهى منه أواخر شعبان سنة847هـ[7].

---

[1] **محّمد الآشي**: هو أبو عبد الله محمّد بن الحداد الشهير بالوادي آشي، موطنه بالأندلس من وادي آشي، نزل تلمسان، وصفه المقّري بشاعر مفلق، وأديب شهير، من تآليفه ديوان شعر كبير، ولم أقف على تاريخ وفاته، المقّري نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص26 وما يليها.

[2] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1 ج3، ص71 ـ 305.

[3] **القلصادي**: هو أبو الحسن علي بن محّمد بن محّمد بن علي، القرشي، البسطي، الشهير بالقلصادي، ولد بمدينة بسطة الأندلسية سنة815هـ/1413م، قال المقّري: أكثر تصانيفه في الحساب والفرائض، ارتحل إلى المشرق، فمر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه. توفي سنة 891هـ/1486م. أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، **رحلة القلصادي**، تحقيق محّمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص30 –38. والمقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص ص692 ـ 693.

[4] **السنوسي**: هو أبو عبد الله محّمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، ولد بتلمسان ونشأ بها، وهو من أشهر علمائها، توفي بتلمسان سنة895هـ/1490م. وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل. ابن مريم، المصدر السابق، ص237 وما يليها.

[5] القلصادي، المصدر السابق، ص33.

[6] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص301 ـ 302.

[7] القلصادي، المصدر السابق، ص33.

والجدير بالذكر في هذه العلاقة، أنّ فقهاء الحاضرتين كانو على اتصال دائم، حيث ذكر ابن مريم في ترجمته للعلامة الشريف التلمساني، أنّ العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة والتآليف البديعة، كلّما ألّف تأليفا بعثه إليه وعرضه عليه، وطلب منه أن يكتب عليه بخطه[1]، وزاد أنّ أبا سعيد بنَ لبٍّ شيخ علماء الأندلس كان كلّما أَشكلت عليه مسألة كتبها إليه وطلب منه بيانها وتوضيحها مُقِرّا له بالفضل والعلم[2].

وذكر عبد الحق حميش أنّ في أواخر العهد الإسلامي بالأندلس، لا تكاد تجد فقيها تلمسانيا، إلاّ أحمد بن عبد الرحمن[3]، الذي كان قد وَلِيَ قضاء الجماعة بغرناطة[4].

رابعا- العلاقات مع المشرق: ظلت العلاقات الثقافية والتبادل العلمي بين تلمسان والمشرق الاسلامي في ازدياد طيلة العصر الوسيط، وكانت الحاضرة المغربية قد ذاع صيتها كثيرا من خلال استقبال الطلبة والفقهاء، وهي بمثابة مركز إشعاع علمي تميز بالجدب الثّقافي كونها مقرّا للحكم والسّلطان، وحازت في داخلها المؤسسات التعليميّة التي دفعت بالحركة العلميّة للتقدم والاستمرار، كما كان الحج للبقاع المقدسة بالحجاز عاملا مهما في الاتصال الثقافي، والتلاقح الفكري، وتمتين هذه الروابط بين تلمسان والمشرق[5]، ولكي نظهر هذه العلاقات الثقافية، لا ضير أن نذكر عينتين من هؤلاء الفقهاء الذين ارتحالو إلى المشرق، وجلبوا علومهم، وتخصصاتهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن مرزوق الخطيب[6]، الذي سافر مع أبيه إلى المشرق وعمره ثماني سنين، درس في الحجاز، ثمّ انتقل إلى الشام، ومصر، وسمع من أكابر العلماء في مكة، والمدينة، وبيت المقدس، والقاهرة[7]، وذكرت المصادر أنّه تتلمذ على يد مائتين

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص175.

[2] نفسه، ص175.

[3] هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مُحَّد بن أحمد، من كبار فقهاء المالكية بتلمسان، وبها وُلد ونشأ، وهو حفيد الشريف التلمساني، عاد إلى تلمسان وتوفي بها سنة895ه/1490م. وستأتي ترجمته بالتفصيل. التنبكتي، المصدر السابق، ص123. أحمد بن يحيى الونشريسي، **وفيات الونشريسي**، تحقيق مُحَّد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د.ط، د.س، ص110.

[4] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص126.

[5] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص127.

[6] هو أبو عبد الله شمس الدين بن مرزوق، اشتهر بالخطيب، ولد بتلمسان سنة 710ه/1310م. وتوفي781ه/1379م. وستأتي ترجمته ترجمته بالتفصيل. ابن مريم، المصدر السابق، ص184.

[7] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص41.

وخمسين شيخا من شيوخ المشرق والمغرب[1]، وقفل راجعا إلى تلمسان مكبا على الدراسة والتدريس معا[2]، واستفادت تلمسان منه كثيرا، خاصّة في الطب، وعلوم الحديث[3].

ومنهم محمّد بن الإمام[4]، رحل إلى المشرق سنة 810هـ/1408م، فحجّ وعاد للقاهرة، ومنها إلى الشام سنة 812هـ/1410م، وزار بيت المقدس وتصدر للتدريس بمدارسها ومساجدها، وانكب عليه الطلبة من كل مكان للأخذ من علومه، وأظهر كفاءة، ومقدرة نال بهما شهرة واسعة، ثمّ رجع إلى تلمسان بعلوم زاخرة خاصّة علم البيان، والطبّ، والشعر[5].

ولا يمكن أن نُرجع هذا التواصل لحركة الفقهاء فقط، بل كذلك الكتب المشرقية التي كانت تُدرّس بالمغرب، عملت دورا مهما في توطيد هذه العلاقة، ومن بينها كتب الفقه، ككتاب مختصر ابن الحاجب[6]

الحاجب[6]

في الأصول والفروع، أدخله أبو علي ناصر الدين المشذّالي[7] إلى بجاية، ونقله إلى تلمسان تلميذه أبو موسى عمران المشذّالي[8]،

---

[1] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص415.

[2] يحيى بوعزيز، اعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص ص42 ـ 43.

[3] نفسه، ج2، ص41.

[4] **محّمد بن الإمام**: هو أبو الفضل محّمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محّمد بن عبد الله، ابن الإمام، التلمساني، عالم من أهل الفقه والتفسير، مشارك في علوم الأدب والطبّ والتصوّف، ولد بتلمسان ونشأ بها، ثم رحل إلى المشرق، وحجّ، ودخل القاهرة، وبيت المقدس، وأثنى عليه جملة من الأئمة منهم الشيخ التنسي، والمقريزي، والقلصاديّ، وغيرهم. توفي سنة 845هـ/1441م. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص 521 ـ 522. ينظر: شمس الدين أبو الخير محّمد بن عبد الرحمن بن محّمد بن أبي بكر بن عثمان بن محّمد السّخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1419هـ – 1999م، ج2، ص620.

[5] التنبكتي، المصدر السابق، ص522.

[6] **ابن الحاجب**: هو عثمان بن عمر بن يونس جمال الدين المصري (ت 646هـ)، له مختصر في الفقه المالكي يعرف عادة باسم " فرعي ابن الجاجب " أو "المختصر الفقهي" ومختصر في أقوال الفقه يسمى " أصلي ابن الحاجب ". المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص221.

[7] هو قاضي بجاية ومفتيها، وصهر أبو موسى عمران المشذّالي، ولد ببجاية ونشأ بها، وارتحل إلى المشرق، وهو شيخ المعقول والمنقول، وشيخ قاضي مالقة وسبتة عبد الله الغافقي. التنبكتي، المصدر السابق، ص ص218 ـ 302 ـ 350. فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص362.

[8] **المشذّالي**: هو أبو موسى عمران بن موسى المشذالي، فقيه، من كبار الفقهاء، من زواوة بجاية عالم بالأصلين، حافظ، وُلد سنة 670هـ/1272م، أخذ عن أئمة منهم صهره الفقيه الناصر المشذّالي، قدم تلمسان أيام السلطان أبي تاشفين الأول، فولاّه التدريس بالمدرسة التاشفينية وهو شيخ الإمام المقري الجد. له رسالة في "اتخاذ الركاب من خالص الفضة" وفتاوى كثيرة نقل الكثير منها الونشريسي في معياره،

وكتاب "شامل بهرام"[1] الذي أدخله إلى المغرب أبو الفضل بن الإمام، وأصبح عمدة في تدريس الفقه المالكي[2].

إنّ من نتاج هذا الاتصال الثقافي آثارا دينيّة هامّة، فقد انتشرت العقيدة الأشعرية[3] بشكل واسع، وأصبح أهل المغرب الأوسط والمشرق الاسلامي على عقيدة واحدة في ظل المذهب سنيّ المتمثل في المذهب المالكي، كما ألقت هذه العلاقات ظلالها على الجانب الروحيّ فيما يخص التّصوف[4]، وانتشرت بشكل واسع الطرق الصوفية، خاصّة الطريقة الشاذليّة[5].

خامسا – العلاقات مع بلاد السودان الغربي:

أمّا العلاقات الثقافية مع بلاد السودان فيمكننا أن نحصرها في رحلة مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي[1] الدعوية إلى بلاد السودان الغربي، حيث قام بنشر الاسلام، وجنّد العلماء فيها ليتخلصوا من الوثنية التي

مولده. توفي سنة 745هـ/1344 م. ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص130 ـ 131. مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص306

[1] هو أبو عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض، قاضي قضاة مصر، وأحد الصالحين، وكتابه بهرام كتاب متكوّن من ثلاثة أجزاء في شرح مختصر خليل، توفي 805هـ/1402م. السّخاوي، المصدر السابق، ج3، ص ص19 ـ 20.

[2] التنبكتي، المصدر السابق، ص522.

[3] هي عقيدة دينية تنسب لصاحبها أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ، الأشعري، يصل نسبه إلى الصاحبي الجليل أبي موسى الأشعري، ولد بالبصرة سنة 260هـ/874م، حارب المبتدعة من أمثال الجهمية، والمعتزلة، وسكن بغداد إلى أن توفي بها سنة 324هـ/936م. ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، **تبيين كذب المفتري فيما نُسِب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1404هـ، ص34-39.

[4] ينظر حول هذا الموضوع: أحمد بن أحمد بن مُحَّد زروق الفاسي البرنسي، **قواعد التصوف**، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص117،

[5] طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، الصوفي سكن الإسكندرية، ولد 571هـ بقبيلة الأخماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، توفي الشاذلي بوادي حميثرة بصحراء عيذاب متوجهًا إلى مكة في أوائل ذي القعدة 656هـ. أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق مُحَّد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، مج2، ص421 وما بعدها. يحيى بن خلدون، المصدر السابق ، ج3، ص382. حول الطرق الصوفية في المغرب الأوسط ينظر: مُحَّد خالد،" الصوفي والفقيه في رحلة عبور الصحراء"، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، العدد السادس، مؤسسةCNRPAH، الجزائر، جانفي 2018م، ص ص309 – 340. حول عوامل ظهور الفكر الصّوفي في بلاد المغرب الأوسط ينظر: أمين كرطالي، **الفقهاء والحياة السياسيّة في المغرب الأوسط خلال القرنين (9–10هـ/15–16م)**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلاميّة، إشراف محمّد بوركبة، كلية العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلاميّة، قسم الحضارة الإسلاميّة، جامعة وهران، 1434–1435هـ/2013–2014م، ص30 وما بعدها.

كانت قد تغلغلت في الأهالي[2]، وبفضل هذا العمل الدعويّ الكبير، أصبح أهل بلاد السودان الغربي من كبار الفقهاء والقضاة، فقد ذكر الوزان قائلا " وفي تنبكتو عدد كثير من القضاة، والفقهاء، والأئمة، يدفع الملك إليهم جميعا مرتباً حسناً، ويُعظِّم الأدباء كثيرا، وتُباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر، وتدرُّ أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع"[3].

وخلاصة هذه العلاقات أنّ تلمسان كان لها دور مُشرق في نشر الثقافة الإسلاميّة في الحواضر العلميّة مشرقا ومغربا، وحَرَص فقهائها على تقوية الراوبط فيما بينها، فأصبحت المدينة منارة مشعّة للإسلام وثقافته في شتى بقاع العالم الإسلامي.

ساعدت جغرافية تلمسان الطبيعيّة والبشريّة على أن تكون المدينة حاضرة المغرب الأوسط في العصر الوسيط، خاصّة في فترة حكم بني زيّان، فازدهرت المدينة بالعلوم، وأقبل إليها الفقهاء والصلحاء من كلِّ حدب وصوب، فكانت صورة تلمسان الحضارية في هذه المرحلة تعجُّ بالعلم والعلماء، بفضل سلاطينها الذين اهتموا بهذا المجال، فوطدوا علاقتهم بهم، واعتنو بشؤون حياتهم، ببناء مدارس ومساجد سمو بعضها بأسمائهم كما سيأتي، فكان نتاج ذلك أن صار بعض هؤلاء السلاطين علماء وشعراء ، كالسلطان أبي حمو موسى الثاني، والسلطان أبي زيان.

---

[1] هوأبو عبد الله مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، ولد بتلمسان ونشأ بها، له عدة مؤلفات. توفي بمنطقة توات سنة909هـ/1503م. ابن مريم، المصدر السابق، ص253 وما يليها.

[2] مسعود خالدي،" أثر الجاليات العربية والبربرية على الحياة الإجتماعية في السودان الأوسط والغربي بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين"، **مجلة حوليات جامعة قالمة للعلو الإجتماعية والإنسانية**، العدد الثاني، جامعة 8 ماي قالمة، ت.ن 2013/11/12م، ص ص182- 200.

[3] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص167. وسيأتي الكلام حول دعوة المغيلي في بلاد السودان لاحقا بحول الله (الفصل الثالث والرابع).



الفصل الأول

الحركة العلميّة بتلمسان

- ❖ المبحث الأول: أثر الإرث الموحدي على الحركة العلميّة في العهد الزيّاني
- ❖ المبحث الثاني: عوامل تطور الحركة العلمية في العهد الزيّاني
- ❖ المبحث الثالث: مظاهر الحركة العلميّة بتلمسان خلال العهد الزياني

عرفت الحركة العلمية بتلمسان في العهد الزياني ازدهارا كبيرا، فالذين كتبوا في التاريخ السياسي للدولة، لم يغفلوا بأيّ حال من الأحوال عن الحياة العلمية والفكرية بها، ولا أدلّ من ذلك كثرة العلماء وانتاجهم الفكري الذي وسع المشرق والمغرب. ومما زاد في هذه الحركة هو الإسهام الكبير من قِبَلِ السلاطين الزيّانيّين، فقد كان من بينهم الفقيه، والأديب، والفنان، أمثال أبي تاشفين الأول الذي كان مولعا بالفن والعمران.

لم تأت هذه الحركة الثقافية الواسعة من فراغ، بل هي امتداد للحركة الثقافية الموحدية، حيث ترك الموحدون ميراثا مكّن الزيّانيّين من خلاله ان يرتقوا به وبحاضرتهم إلى مصاف الحواضر الكبرى، على غرار فاس ومكناس في المغرب الأقصى، والقيروان في المغرب الأدنى، وبغداد في العراق، وقرطبة في زمانها بالأندلس. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: **ماذا يقصد بميراث الحركة العلمية الزيانية؟ وماهي أهم عوامل تطورها؟ وفيم تمثل دور المؤسسات التعليمية في تطوير الحركة؟**

المبحث الأول: أثر الإرث الموحدي على الحركة العلمية في العهد الزياني:

شهد المغرب الإسلامي على عهد الدولة الموحدية، ازدهارا منقطع النظير في مجال الفكر والثقافة، خاصة في عهد الخلفاء الثلاثة عبد المؤمن بن علي[1]، وابنه يوسف[2]، وخليفتهما أبو يوسف يعقوب المنصور[3]. ولم يدع الموحدون الخلافة حتى نهضوا بما نهض به من كان قبلهم من العباسيين، والفاطميين، من نشرٍ للعلوم الإسلاميّة والفلسفة، تفسيرا، وحديثا، وفقها، وكلاما، ومنطقا، ومن كلّ ما عُرِف بعواصم المشرق من قبل، وامتاز عصرهم العلمي على من قبله بالإتقان والدّقة، وعلى من بعده بعدم الجمود والاقتصار على الموجود.

أولا- ملامح الحركة العلمية الموحدية:

تميّز العصر الموحدي بالتفنن في العلوم وتنويعها، وهذا راجع لاهتمامهم بهذه العلوم وبسط حرية البحث والتفكير فيها[4]، وكان أبو يوسف يعقوب المنصور يحب العلم والعلماء، خاصة الطلبة الوافدين على الحواضر التي كانت تحت سلطة الموحدين، فقد تحملت الدولة مؤونتهم، وكان قد ألقى على عاتقه أنّه كفيل الطلبة وسندهم حيث قال: « يا معشر الموحدين أنتم قبائل، فمن نابه أمرٌ منكم فزع إلى قبيلته، وهؤلاء الطلبة لا قبيل لهم إلاّ أنا، فمهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم، وإليَّ فزعهم، وإليّ ينتسبون»[5].

---

[1] **عبد المؤمن بن علي**: هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي، ولد بقرية كومية من قرى تلمسان سنة 487هـ، خلف المؤسس الفعلي لدولة الموحدين، تقلّد الإمارة بعد وفاة ابن تومرت سنة 524هـ، توفي بمدينة سلا سنة 558هـ. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص ص366- 375.

[2] **أبو يعقوب يوسف**: هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ثاني الخلفاء الموحدين (533 ـ 580هـ/1139 ـ 1184م)، أمُّه وأمُّ أخيه أبي حفص، امرأة حرّة اسمها زينب ابنة موسى الضرير: كان (موسى هذا) من شيوخ أهل تينملّ وأعيانهم، من ضيعة يقال لها: (أنسا)، وكان عبد المؤمن ستخلفه على مراكش إذا خرج منها. ينظر: المراكشي، المصدر السابق، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه مُحَّد سعيد عريان ومُحَّد العربي العلمي، مطبعة الإستقامة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1368هـ/1949م، ص237.

[3] **أبو يوسف يعقوب المنصور**: هو ثالث خلفاء الموحدين (555 ـ 595هـ/1160 ـ 1199م)، يكنى أبا يوسف، أمه أم ولد رومية، اسمها ساحر، بويع له في حياة أبيه بأمره في ذلك، وكانت سنّه يوم صار إليه الأمر اثنين وثلاثين سنة، فكانت ولايته منذ وفاة أبيه إلى أن توفي في شهر صفر من سنة 595هـ، ست عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما. ينظر: نفسه، ص261.

[4] مُحَّد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القسم الأول، القاهرة، 1990م، ج2، ص615 .

[5] الميلي، المرجع السابق، ج2، ص ص335 ـ 336.

وفي أيامه انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب المالكي بعد أن جرّد مافيه من حديث رسول الله ﷺ والقرآن الكريم، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدوَّنة سُحنون[1]، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد ومختصرَه، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وماجانس هذه الكتبَ ونحا نحوها. ويذكر عبد الواحد المراكشي ذلك بقوله: " لقد شهدتُ منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضعُ ويطلقُ فيها النار، وتقدّم إلى النّاس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيئ منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدِّثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: (الصحيحين، والترميذيُّ، والموطَّأ، وسنن أبي داود، وسنن البزَّار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدار قطني، وسنن البيهقي) فأجابوه إلى ذلك"[2].

حملت الدعوة الموحدية منذ نشأتها، بذور الدعوة والإصلاح الديني، وثبتوا دعائمهما بتشجيعهم للعلم والتحصيل في شتى المجالات[3].وقد ذكر صاحب كتاب المعجب أنَّ في عهد أبي يوسف المنصور انتشر الصالحون والمتبتلون فقال: " وانتشر في أيامه للصالحين والمتبتلين وأهلِ علمِ الحديث صيتٌ، وقامت لهم سوقٌ، وعظُمت مكانتهم منه ومن النّاس، ولم يزل يستدعي الصالحين من البلاد، ويكتب إليهم يسألهم الدعاء، ويصل من يقبل صلتَه منهم بالصّلات الجزيلة"[4].

كما أدرك الموحدون أهمية تلمسان، فبادروا إلى إعطاء الأهمية البالغة لها، فتفرعت فيها المعرفة، وازدهرت ونشطت فيها العلوم، وقد نتج عن ذلك أن عادت المدينة في العهد الموحدي مركزا مشعّاً، ومنارةً للعلم يقصدها الطلاّبُ والعلماء من كلِّ حَدَبٍ وصَوب، ومما يؤكد هذا الكلام هو خزّان الدولة الذي يعجُّ بالفقهاء والعلماء والقرّاء والمحدثين. وما ميّز الحركة العلمية في العصر الموحدي أيضا، هو اتجاه

[1] **سحنون**: هو أبو عبد الله مُحَّد ابن سحنون بن عبد السلام التنوخي، القيرواني، شيخ المالكية بالمغرب، أبوه فيقه المغرب عبد السلام بن سعيد، كان سحنون واسع التصانيف له كتاب "المدونة" المعروف، وكتاب "السير" في عشرين جزء. ينظر: أبو عبد الله شمس الدين مُحَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، الطبعة الحادية عشر، 1417هـ/1996م، مج13، ص ص60 . 61.

[2] المراكشي، المصدر السابق، ص ص278 . 279.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص375.

[4] المراكشي، المصدر السابق، ص278

التجديد، حيث سلك العلماء بعض آراء المعتزلة والأشاعرة، والفلاسفة، وعلوم المنطق والكلام وإن كان قليل الاتباع، فتعدوا بذلك مرحلة التقليد التي كانت تسود في عهد المرابطين[1].

بذل الموحدون جهودا كبيرة في سبيل توحيد بلاد المغرب سياسيّا وعَقَدِيًّا، وهذا بنشر دعوتهم بين المجتمع المغربي والأندلسي على حدّ سواء، مستندين إلى الكتاب والسنة، ودعوتهم إلى التفكير في كل ما هو منطقي عن طريق اعمال العقل واستدلاله[2]، فأدى إلى صِدام كبير بين التيار السلفي الذي يمثله فقهاء المالكية، وبين أتباع الموحدين وأنصارهم ممن يميلون إلى المذهب الأشعري في مسائل عدّة، خاصة فيما يتعلق باستخدام الحجج العقلية، في أمور أصبحت معلوما من الدّين بالضرورة، وتأويل الآيات القرآنية، فأوّلوا مثلا لفظةَ "رسولا" "بالعقل" في قول الله تعالى: ﴿**وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَىَ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ [سورة الإسراء الآية 15]، قالوا الرسول هو العقل، فإذا كان لك عقلٌ يدركُ حُسنَ الأشياء وقبحَها، أقام الله به عليك الحجة في العذاب، دون أن يرسل رسولا فَيُعْلِمَك بمقصود الله منك. ولم يتبعوا التفسير التقليدي الذي كان سائدا عند الفقهاء المرابطين[3]، ولم يقتفوا رأي مالكٍ في الفقه، ولا اعتقدوا في ظاهر النصوص، وأخذها كما جاءت مع تنزيه الله عن كلِّ ندٍّ وشبيه[4].

---

[1] عبد الحميد حاجيات، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي**، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ج1، ص ص174.173. ينظر: عبد الكريم حساين، **حركة التأليف بالمغرب الأوسط خلال العهد الزيّاني (633– 962هـ/1235–1554م)**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف خالد بلعربي، كلية العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، قسم العلوم الإنسانيّة، شعبة التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1438– 1439هـ/2017– 2018م، ص72.

[2] أحمد صالح يعلى وآخرون، **دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1986م، ص176.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص226. فرض ابن تومرت عقائد التوحيد المطلق على الخواص والعوام في المجتمع المغربي، مع ضرورة استخدام المنطق والبرهان، ونزع العقائد التقليدية التي كانت راسخة في أدهان المغاربة وقلوبهم. ينظر: مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني (548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، طبعة القاهرة، 1317هـ/1923م، ج1، ص ص119.118.

[4] تدور عقيد الموحدين حول محورين اثنين هما: دعوة الموحدين في استخدام العقل، وكسر الجمود الذي كان في العهد المرابطي، والثاني: تشبتهم بالنظرية الشيعية في قضية العصمة والمهداوية. ينظر: حسن جلاب، **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، منشورات الجامعة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص26.

أقْدَم الموحدون على تدريس مصنّفات المذهب الأشعريّ في حلقات الذِّكر وتحصيل الطلاّب، وروَّجوا كتبَ الإمام الجويني (ت478هـ/1085م)[1] ونشروا أفكاره، وسمحوا بتدريس تآليف حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (505هـ/1111م)[2]، والتي كانت قد مُنع التدريس بها في العهد المرابطي[3]. كانت الآراء التي تضمنتها العقيدة الموحدية مقتبسةً من بعض المذاهب التي قَدِمت إلى بلاد المغرب من أمثال: الأشاعرة[4]، والمعتزلة[5]، وتبنوا نظريات الشيعة الإمامية[6]، والمهداوية[7]،

---

[1] **الجويني**: هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن مُحَّد بن حَيَّوَيْهِ، إمام الحَرَمَيْن ابن الإمام أبي مُحَّد الجُوَيْنِيّ، الفقيه الملقَّب بضياء الدّين، ولد بنيسابور سنة 419هـ، درّس نيفا وعشرين سنة بالمدرسة النظامية بنيسابور، وتخرج على يده العديد من العلماء، وله تصانيف كثيرة منها "مسالك العلماء في الظّواهر التي وردت في الكتاب والسُّنّة"، و"كتاب نهاية المطْلَب في المذهب"، وهو كتابٌ جليل في ثمانية مجلَّدات، توفي إمام الحرمين سنة 478هـ. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، مج10، ص424. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج19، ص322 وما بعدها.

[2] **الغزالي**: هو أبو حامد الغزالي مُحَّد بن مُحَّد بن مُحَّد بن أحمد الطوسي، الشافعي، شيخ الاسلام وحجته، ولد بطوس في بلاد فارس سنة 450هـ، تعلم فيه وارتحل إلى نيسابو حيث لازم إمام الجويني، ولاّه الوزير نظام الملك خطة التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وعمره ثلاثون سنة، له تصانيف عديدة في كل المجالات منها كتابه المشهور إحياء علوم الدين، وهو كتاب جامع شامل إحتوى على الأخلاق والتربية، والتصوف والفقه، والعقيدة، توفي أبا حامد بعد عودته إلى مسقط رأسه بطوس سنة 505هـ/1111م ودفن بها.

[3] عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ص49. ينظر: فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص375.

[4] **الأشاعرة**: هم أتباع أبي حسن علي بن إسماعيل الأشعري، (260 ـ 324هـ/874 ـ 936م)، كنيته أبو الحسن، ويلقب بناصر الدّين، أحد أعلام السنّة والجماعة، وهو من كبار الأئمة، ويتصل نسبه إلى الصحابيّ الجليل أبو موسى الأشعري. ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص94.

[5] **المعتزلة**: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد: هم أتباع واصل بن عطاء المخزومي (81-131هـ/ 748 ـ 800م)، الملقب بالغزال الألثغ لِلُكنة في لسانه، كان تلميذا للحسن البصري، حدث خلاف بينهما في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، "اعتزلنا واصل". الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص43

[6] **الإمامة**: عند الشيعة هي ركن من أركان الدين، وفي هذا الصدد يقول ابن تومرت: "وهي ركن من أركان الدين، وعمدة من عُمد الشريعة، ولا يصحُ قيام الحق إلاّ بها. ينظر: مُحَّد ابن تومرت، **أعز مايطلب**، تقديم وتحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص229. الشهرستاني، ج1، ص162.

[7] **المهداوية**: عرّفها ابن تومرت فيقول: "إنَّ الباطل لايرفعه إلاّ المهدي، وأنَّ الحقّ لايقوم به إلاّ المهدي...، وأنّ الإيمان بالمهديّ واجب، وأنَّ من شكَّ فيه كافر". ينظر: نفسه، ص234.

والعصمة[1]، فكان مذهبهم عَقَدِيًّا استمد أصوله من المذاهب السالفة الذكر، وما يتمتعون به إعمال للعقل في استنباط الأحكام.

ومجمل القول من هذا كلِّه، هو أنَّ الموحدين أرادوا أن يمارسوا الضغط على الفقهاء المالكية، وإرغامهم على أخذ الشرائع الموحدية الإصلاحية[2] التي أسّسها ابن تومرت، واتّبعه في ذلك خليفته عبد المؤمن، لكن هذه الخطوة لم تزد فقهاء المالكية إلاّ عزما وإصرارا وعنادا وتصلبا على مواقفهم[3]، بالرغم مما أصابهم من تنكيل وأذى على يد الموحدين، وفي هذا الشأن يقول عبد الله بن كنون: «والذي نريد أن نسجله هنا هو أنَّ المذهب المالكي لم ينهزم أمام الدعوة إلى الإجتهاد، التي كان يتزعمها الموحدون، ولا أمام المذهب الظاهري الذي عرف نشاطا كبيرا في هذا العصر»[4].

ونتيجة لهذا الصراع الفكري، انتعشت الحركة العلمية، وازدهرت العلوم بشتى تخصصاتها ازدهارا كبيرا، وكثر المشتغلون بها[5]، فتقدمت دراسة الفقه على غيره من الدراسات، فنبغ في هذه العلوم عدد كبير من أهل تلمسان تركوا لنا مؤلفات، ومصنّفات، ومختصرات عديدة[6].

ثانيا- النهضة العلمية في العهد الموحدي:

أولت الدولة الموحدية اهتماما بالغا بالعلم والتعليم باعتباره البذرة الأولى في مبعث كلّ نشاط ثقافي وفكري، فجعلته إجباريا مفروضا على كلّ مكلف من الرجال والنساء في كل أقاليم

[1] **العصمة**: يقول فيها ابن تومرت: " أنَّ المهدي يجب أن يكون معصوما من الصغائر والكبائر، وأن يكون معصوما من الكذب والباطل والجور والجهل".ابن تومرت، المصدر السابق، ص ص229 ـ 230. عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1968م، ص348. عبد الله علاّم، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، مصر، 1971م، ص ص292 ـ 294.

[2] في عرف المؤرخين والباحثين توصيف حركة ابن تومرت بالإصلاحية، وذلك استنادا إلى دعواه، وإلى نصوص مصدرية من عصر الدولة الموحّدية أو من نصوص نُقلت عنها، وعليها كان المعتمد، ولم نر من المؤرخين والمفكّرين من أعاد النظر في ذلك، حتى صارت من المسلّمات التاريخية. وأرى أنّ حركة ابن تومرت تحتاج إلى دراسة جديدة تَعرض سيرته ومزاعمه على منصوص الكتاب والسّنة وتقريرات الفقهاء لتعاد صياغة الأحداث وفق منظور صحيح.

[3] المراكشي، المصدر السابق، ص279.

[4] عبد الله كنون الحسني، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1961م، ج1، ص ص123.122.

[5] عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان ضمن كتاب الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزائر، 1984م، ص439.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص376.

المملكة[1]، كما أجمع الملاحظون على عناية الموحدين بشأن التعليم، وإن كان منتشرا بكل مستوياته وفروعه في الغرب الإسلامي منذ الفتوحات الأولى، لأنَّ عقيدة المسلم تفرض عليه ذلك، لكون التعليم هو الأداة الفعّالة في خلق مجتمع متماسك لغويا، ومتقارب فكريا، في الوقت الذي كان فيه أمراء الغرب الإسلامي يفرضون التعليم على الناشئة ذكرانا وإناثا منذ القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، مقارنة بأروبا التي لم تفرض التعليم إلاّ في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهذا ماأكّده جليا التيار الفقهي المرابطي وتأثيره على الحياة الأدبية في تلك الحقبة[2].

ومما زاد في تسارع عجلة الحركة العلمية في العهد الموحدي هو عناية خلفاء الدولة وولاّة أمرها بالعلم، مما جعلهم يُقْدِمُون على بناء المساجد لتأثرهم بالحضارة الأندلسية، فعصر الموحدين هو العصر الذي تقوّت فيه العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس، وهذا راجع لحكم الدولة الموحدية في العدوتين معا[3]، كما انتقل فن العمارة إلى بلاد المغرب وتجلت في بناء الحصون، والقلاع، والمساجد، والتي لازالت معالمها شاهدة عيان على العمارة الموحدية في كثير من المدن مثل: مراكش، وتلمسان، وغيرها، وأصبح الموحدون أصحاب مدرسة في فن العمارة والزخرفة، من أهم خصائصها التبسيط من التكوينات الزخرفية، وتجديد التوريقات من عناصرها الحيّة، وطبعها بطابع من الورع الذي يعكس اتجاههم الإصلاحي[4].

كانت المساجد بمثابة مدارس تعليمية بمختلف مراحلها، لشرح مبادئ الدولة وأهدافها، وعلى ما يبدو أنَّ انتشار التعليم وتعميمه في العهد الموحدي، لاينفي جهود من سبقهم من الإمارات المستقلة كالرستمية، والأغلبية، والأدارسة، فقد كانت لهم اليد الطولى في ذلك، وهذا بفضل الحواضر الثقافية التي تعجّ بها هذه الإمارات.

لقد وجد العلماء والأدباء في كنف الموحدين من العناية والرعاية مالم يجدوه في العهد المرابطي الذي طبع بطابع الجهاد والدفاع عن الثغور، وسيطرة الفقهاء على مقاليد الأمور، فحجروا على الفكر والعقل

---

[1] مُحَمَّد صالح الجون، **أثر الأندلسيين في الأدب المغربي على عهد الموحدين**، أطروحة دكتوراه، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1987م، ص145.

[2] عباس الجراري، **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، نشر وتوزيع مكتبة المعارف، مكتبة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الرباط، الدرا البيضاء، المغرب، 1979م، ص ص83- 88.

[5] السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.س، ص746.

[4] نفسه، ص746.

اللذين لم يبلغا أوجَّ نموهما إلاّ في العهد الموحدي الذي كان يمثل أفضل خلافةٍ من حياة الإسلام في المغرب في الخلق والابداع[1].

أما بالنسبة للأدباء والشعراء فقد كانت تقام الندوات الشعرية في قصور الخلفاء، فيحظى الشعراء من جرّائها بالعطايا والصلات، فقد أعطى الخليفة عبد المؤمن للشاعر مُحَمَّد بن أبي العباس السمعاني[2] ألف دينار على بيتٍ واحد نال إعجابه:

مَا هزَّ عِطْفَيْهِ بَيْنَ البِيضِ و الأُسُلِ   مِثْلُ الخَلِيفَةِ عبدُ المؤْمنِ بنُ عَليِّ

بعد سماع الخليفة لهذا البيت، أمره أن لا يكمل القصيدة، ولعل مارفع البيت إلى هذا المقام، أنّ المادح ربما كان يعرف نفسيّة ممدوحه فلعب على أوتارها، فوصلت قيمتها إلى ألف دينار قائلا له:«لقد قلت في هذا كلَّ شيء»[3]. كما بلغ الأدب العربي شأوا عظيماً، في ظل هؤلاء الخلفاء، فنشطت الحياة الأدبية والفكرية واشتدّ عودها، في ظل الأمن والرخاء، فتحررت العقول من عِقالها، وأينعتِ المعارف، وازدهرت الآداب، وتنوعت المعارف والعلوم، وتفتَّقت قرائح الشعراء التي وجدت المناخ الملائم للعمل الابداعي، في ظل التفاعل والتلاقح بين مجتمع الغرب الإسلامي شماله وجنوبه، في مجالات الثقافة، لامتزاج الشعوب وتفاعلها ثقافيا وفكرياً، فتمخض عن ذلك ميلاد حضارة عربية اسلامية، كوّنت فصلا من ألمع فصول العلم والمعرفة في بلاد المغرب الاسلامي[4].

ثالثا – نماذج من فقهاء تلمسان في العهد الموحدي:

1. أبو مدين شعيب: (594520هـ/1197-1126م)

هو أبو مدين شعيب بن حسن الأندلسي البجائي، شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوة السالكين شيخ الطريقة[5]، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، مناقبه شهيرة وكراماته كثيرة، أخذ عن الحافظين أمثال

---

[1] مُحَّد فتحي،" الموحدون والحركة الثقافية في المغرب الإسلامي"، **مجلة الحواري المتوسطي**، المجلد الخامس، العدد السابع، جامعة سيدي بلعباس، مارس، 2014، ص340.

[2] ينظر ترجمته في كتاب: عبد العزيز عتيق: **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، د.س، ص117.

[3] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص110

[4] مُحَّد فتحي، المرجع السابق، ص341.

[5] هو مصطلح صوفيّ وهو طريق الوصول إلى الله تعالى، كما أنّ الشريعة طريق موصل إلى الجنّة، وتشتمل على على الأعمال الصالحة البدنية، والإنتهاء عن المحارم والمكاره. ينظر: مُحَّد علي التهانوي، **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق علي دحروج، ترجمة جورج زناتي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، لبنان، 1996م، ج2، ص1133.

أبي الحسن بن حرزهم، وأبي الحسن بن غالب، والشيخ أبي يعزى يلنور[1] المتوفى سنة572 هـ/1179 م]، رحل إلى المشرق فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء، وتعرف في عرفة بالقطب الرباني.[2] قال أبو الصبر كبير مشايخ وقته: كان أبو مدين زاهدًا فاضلًا عارفًا بالله تعالى، خاض بحار الأحوال، ونال أسرار المعارف خصوصًا مقام التوكل، لا يُشّق غباره، ولا تُجهل آثاره[3].

قال التادلي[4]:" كان مبسوطًا بالقبض، مقبوضًا بالمراقبة، كثير الالتفات بقلبه لربه حتى مات، وكان من أعلام العلماء وحُفّاظ الحديث خصوصًا جامع الترمذي قائمًا عليه، رواه عن شيخه عن أبي ذر، يلازم كتاب الإحياء وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في وقتها، له مجلس وعظ يتكلم فيه على الناس، وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع له، وربما مات بعضها من وعظه، وكثيرًا ما يموت بمجلسه أهل الحب، تَخرّج به جماعة من العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال، كان شيخه أبو يعزى يثني عليه ويعظمه بين أصحابه"[5].

انتقل إلى المشرق فالتقى الشّيخ عبد القادر الجيلالي، وقرأ عليه في الحرم الشريف كثيرا من الحديث، وألبسه خرقةً صوفيةً[6]، وأودعه بعض لأسراره[7]، وبعدها عاد واستقر ببجاية، وتزوَّج مرأة حبشية، وأنجبت وأنجبت له ولدا، وتَصَدَّر للتدريس والتعلم بها، وأقبل عليه الطلبة من كل صوب وحدب، وكانت بجاية في

---

[3] **أبو يعزى:** هو أبو يعزى يلنور بن ميمون ـ وقيل أنّ اسمه عبد الله ـ المتوفى سنة 561هـ أو 571هـ بداء الطاعون. ينظر: أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله(644هـ/714م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، حققه وعلق عليه عادل نويهض، دار الثقافة، الطبعة الثانية، نيسان ـابريل ـ بيروت،1979م، ص22.

[2] مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص236.

[3] التنبكتي، المصدر السابق، ص193. ينظر: عبدالحليم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، **حياته ومعراجه إلى الله**، المكتبة العصرية، د.س، صيدا، لبنان، د ت، ص 53

[4] **التادلي:** هو أبو يعقوب يوسف بن يحى التادلي ، الشهير بالزيّات، (ت627هـ/1230م)، أديب وقاضي مالكي من أهل تادلة بالمغرب، له آثار كثيرة منها: "التشوف إلى رجال التصوف"، و"نهاية المقامات في دراية المقامات" لشرح كتاب مقامات الحريري، ومناقب الشيخ أحمد السبتي دفين مراكش. ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص22.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص193–194. وينظر أيضا: ابن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب، **أنس الفقير وعزُّ الحقير**، نشره وصححه مُحَّد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، د.ط، الرباط، 1965، ص ص21–22.

[6] كانت حياة سيدي أبي مدين مليئة بحكايات الصوفية كان لابدّ من ايرادها بنصوصها لاتصالها بحياته، غير أنّ تقيدنا بالموضوع لايسمح لنا بعرضها لأننا لسنا في دراسة إحصائية.

[7] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص108.

هذا العهد من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي تعجُّ بالنشاط الاقتصادي الفلاحي، وبالتجارة البرية والبحرية، ويواكبها الازدهار الثقافي، والنهضة الفكرية، يَفِدُ إليها الشيوخ والعلماء، وطلاب العلم والمعرفة، ومن ضمن من درس على يد أبي مدين بها: محيي الدين بن عربي دفين دمشق الذي وفد من الأندلس ليدرس عليه سنة590ه/1193م، والفقيه أبو عبد الله مُحَّد بن حماد الصنهاجي القلعي، وأبو عبد الحق عبد الرحمن الاشبيلي[1]، والشيخ أبو علي المسيلي، الملقب بأبي حامد الصغير، وعبد السلام بن مشيش. ومن الكتب الذي كان أبو مدين يدرسها لطلبته في بجاية: الرسالة القشيرية في التصوف للشيخ أبي القاسم عبد الكريم القشيري (462ه/ 1070م)، والمقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي[2]، وزادت شهرته فيها، إلى أن وشى به علماء الظاهر عند يعقوب المنصور الموحدي (ت595ه)، فأمر والي بجاية ليحملە إليه ولكنّ المنية وافته في الطريق سنة594ه ودفن بالعبّاد في تلمسان[3].

2. مُحَّد ابن اللَّحام: (1217.1163/614.558)

هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد اللخمي بن اللَّحام التلمساني، من أشهر وُعّاظ عصره، ولد بتلمسان، ثم رحل إلى فاس، أخذ العلم على الحجاج بن عبد الصمد وغيره من شيوخ فاس، دعاه السلطان المنصور يعقوب بن يوسف كي يقدُمَ إليه في مراكش، وكان عنده مرضيا، كما حضي عند الناصر والمستنصر بمكانة لا تقّل عن التي كانت في عهد المنصور. توفي بمراكش سنة 614ه/1217م، وله عدّة آثار منها "حجة الحافظين ومحجة الواعظين" في الوعظ. اختصره أبو زكرياء يحي بن مُحَّد بن طفيل وسمّاه "مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار"[4].

---

[1] هو أبو مُحَّد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، من أهل اشبيلية، فقيه ومحدث، أديب وشاعر، ولد بالأندلس سنة 514ه/1116م، ولي قضاء بجاية بعد فتنة الأندلس، له تآليف منها كتاب "الأحكام" الصغرى والكبرى، توفي ببجاية سنة 581ه/1185م. ينظر: أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة،1967م، ص ص391-392. **ينظر**: مُحَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ، 1974م، ج2، ص ص256-257.

[2] يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009م، ج2، ص17.

[3] ابن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب، **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، الطبعة الرابعة، بيروت، 1403ه/1983م، ص ص297-298.

[4] الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، مج9، ص15.

3 . **ميمون ألفِرْدَاوي:** (ت584هـ/11189م)

هو ميمون بن جبارة بن خلفون الفِرْدَاوِي، الملقب بأبي تميم، كان من كبار الفقهاء العلماء، ولد بتلمسان ونشأ بها، ثمّ رحل إلى المشرق فتعلم بها على يدي شيوخ من الحجاز، ثم ولى راجعا إلى عدوة الأندلس وَوُلِيَ قضاء مدينة بلنسية سنة568هـ إلى غاية سنة 581هـ[1].

بعدما رجع من الأندلس تولى قضاء بجاية، واستُقْدِمَ إلى مراكش ليتولى قضاء مُرْسِيَةَ، فتوفي في طريقه إليها بتلمسان سنة854هـ. ومما أخذ عنه: الفقيه القاضي أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني[2] سنة أربع وثمانون وخمسمائة. وممن أخذ عنه أبو عبد الله بن حمّاد[3] قال: "قرأت عليه معيار العلم من أوله إلى آخره[4]، في بيت قصر بجاية اثنان وثمانون وخمسمائة، وقرأت عليه المقاصد[5] بالموضع المذكور وفي التاريخ المذكور[6].

4 . **علي بن أبي القاسم التلمساني:** (ت554هـ/1159م)

هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون، نزيل تلمسان من أهل لقنت من أعمال مرسية بالأندلس، كان سرية الهمة، كثير المعروف، خيِّراً، فاضلا، روى عن أبي الحسن شريح، وعن أبي علي الصفدي، وأبي عمران بن أبي تليد، وروى عنه أبو الحسن بن مُحَّد بن خيار، وأبو الخطاب بن الجميل، وأبو طالب عقيل بن عطية، وأبو عبد الله بن عبد الحق، وأبو مُحَّد قاسم بن الحشا، كان أبو القاسم متبحرا في الفقه، محَقِقًا لأصوله، لع عدّ مؤلفات من أهمها: "المقتضب الأشفى في اختصار

---

[1] عادل نويهض، المرجع السابق، ص253 .

[2] **عبد الحق التلمساني:** هو مُحَّد بن عبد الحق بن سليمان، أبو عبد الله اليعفري، التلمساني، فقيه مالكي، من القضاة، وُلِيَ قضاء تلمسان مرتين، توفي سنة 625هـ/ 1229م، من مؤلفاته: كتاب المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار". الغبريني، المصدر السابق، ص206.

[3] **بن حمّاد:** هو أبو عبد الله مُحَّد بن علي بن حماد بن أبي عيسى بن بكر الصنهاجي، أصله من قرية تعرف "بحمزة" من حَوَزِ قلعة بني حماد من كبار الأئمة وفضلائهم، قرأ ببلدة بالقلعة وكانت حاضرة علم، وقرأ ببجاية ولقي بها جلةً من العلماء منهم الشيخ أبو مدين ﷺ. نفسه، ص218.

[4] يقصد به كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

[5] هو كتاب مقاصد الشريعة لإمام أبي حامد الغزالي، وهو من أوائل كتبه في التأليف.

[6] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 207.206

المستصفى". تولى قضاء تلمسان بعد أبي يوسف بن حجاج فعدَلَ وأحسنَ السيرة. توفي سنة557هـ بتلمسان ودفن بها[1].

5 . **التجيبي المرسي**: **(540 . 610هـ/1213.1145م)**

هو أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الرحمن بن عليّ بن مُحَّد بن سليمان التُجيبي المرسيِّ، الإمام الحافظ المحدّث، نزيل تلمسان ومحدِّثُها، ولِدَ بلقنت من أعمال مرسية، وتعلم علم القراءات بها، وطاف بلاد الأندلس كلِّها، ثم رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وأطال به المقام هناك، وروى عن كثير من علمائه، وولى راجعا إلى تلمسان، وحدَّث بها، ورحل النّاسُ إليه وسمعوا منه كثيرا. كما أخذَ علم القراءات وجوَّدها عن أبي أحمد بن معطٍ المرسيِّ، وأبي الحجاج الثغري، وابن الفرس، وذلك في سنة خمس وستين وخمسمائة، وعملَ "المعجم" وقال: «كان يدعوا لي شيخي أبو طاهرٍ السِلَفِيّ ويقول لي: ستكون محدّث المغربِ إن شاء الله»[2].

كما سمع بمكَّةَ من عليّ بنِ عمّارٍ "صحيح البخاري"، وسمع عند قدومه إلى بجايةَ من عبد الحقّ الحافظ، وارتحل إليه الطَّلبةُ، وأكثروا عنه[3]، كان عدلا، خيّرًا، حافظا للحديث، ضابطا، وغيرهُ أضبطُ منه، روى عنه أكابرُ أصحابناَ وبعضُ شيوخنا لِعُلُوّ إسناده وعدالته، وأجاز لي، صنَّف أربعينيات، وألف أربعين حديثا في المواعظ، وأربعين في الفقر وفضله، وأربعين في الحبِّ لله، و"أربعين في الصلاّة علر رسول الله ﷺ، وتصانيف أُخَرَ منها في التفسير والرقائق، ومن تصانيفه نذكر على سبيل الحصر: «معجم شيوخه في مجلد كبير، "فضائل الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان"، مناقب السبطين الحسن والحسين"، والفوائد الكبرى»[4].توفي في جمادى الأُولى سنة عشرٍ وستِّمِائة وله نحو من سبعين سنة[5].

[1] أبو القاسم مُحَّد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ/1906م، ج2، ص253.

[2] عبد الحق حمّيش، المرجع السابق، ص183.

[3] نفسه، ص184.

[4] أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله القضاعي بن الأبّار، **التكلمة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، د.ط، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص ص303 ـ 306. ينظر: المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص102– 103.

[5] الذهبي، المصدر السابق، مج16، ص74.

6 . عبد الحق التلمساني: (ت571هـ/1176م)

هو أبو عبد الله القيسي، التلمسانيُّ، قاضي تلمسان، قال عنه ابنُ الأبَّار: «كان جليلَ القدرِ، عظيم الوجَاهةِ، يستظهرُ مقامات الحريري، ثم تزَّهد ورفض الدُنيا، وحجَّ وجاورَ، وأجهدَ نفسه صلاةً وصوماً وطوافاً، توفي بالمدينة النبوية كهلاً سنة إحدى وسبعين وخمسمائة»[1].

7 . ابن عبد الحق التلمساني: (ت625هـ/1228م)

هو أبو عبد الله بن مُحَّد بن عبد الحق بن سليمان الكوفيُّ البربري المالكي، قاضي وإمام تلمسان، أخذ القراءات والنّحو عن أبي عليّ بن الخرّازِ النَّحوي، وسمع من أبي الحسنِ بنِ حُنَيْنٍ، وأبي عبد الله بنِ خليلٍ، وأجازَ له ابنُ هذَيلٍ و السِلَفِيُّ. قال عنه الذهبيُّ: «كان إماماً متفنناً، جميل السيرة، معظماً في النفوسِ، كثير الكتب»[2].

ويذكر ابن قنفد القسنطيني في ترجمته لهذا الشيخ عدّة أوصافٍ مع عرضه لبعض مؤلفاته فقال: " كان إماماً، مُعَظَّماً، كثير التصانيف من ذلك: "غريب الموطَّأ" وكتاب " المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" في عشر مجلدات. مات سنة خمسٍ وعشرين وستِّمائةٍ وقد قارب التسعين سنة[3].

8 . أبو جعفر الذهبي: (554 . 610هـ/1159 .1205م)

هو أبو جعفر أحمد بن مُحَّد بن الحسن بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج، يُعرفُ بالذهبي، محدّث وفقيه، وُلدَ ببلنسية، أصلُه من ألمرِيةَ، كان يُلقبُ بفيلسوفُ الأندلس وعالمها، كان خليطا من العلوم، فقد جمع ما بين الطبّ، والنَّحو، واللغة، والقراءات، والفقه، ونَظَرَ في علوم الأوائِل، فبرَعَ فيها أتمَّ البراعةِ، وكان من أحسنِ الناسِ خَلْقًا وخُلُقًا، أخذَ عن أبي القاسم بنُ حَبيشٍ، وأبي عبد الله بنِ نوح. له من التصانيف: " الإعلام بفوائد مسلم" في شرح صحيح مسلم، وكتاب "حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة"، بالإضافة إلى بعض كتب الفتوى والنظم[4]، كان فاضلا، عالما بصناعة الطب، جيّد المعرفة لها،

---

[1] نفسه، ج3، ص125. شمس الدين السّخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1414هـ/1993م، ج2، ص110.

[2] نفسه، ج16، ص ص225 . 226.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص310

[4] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، د،ط، بيروت، 1420هـ/2000م، مج6، ص76.

حَسَنَ التأنّي في أعمالها، كان طبيب الخليفة المنصور الموحدي، ثم بعده الناصر ولده، كما كان يحضر مجالس الأدب. توفي بتلمسان سنة ستمائة عندما زحف الناصر على[1] افريقية[2].

ومما نستخلصه من هذه النماذج كلِّها، وغيرِها كثير، هو رعاية الخلفاء الموحدين للعلم والعلماء والمفكرين، وحشدهم حول البلاط الموحدي في العدوتين، ومنها حاضرة تلمسان كنموذج لذلك.

كما ذكر الذهبي أنّ الخلافة الموحدية تحمل هذه النزعة الفكريّة الأصليّة، قد جرت على سياسة حريّات التفكير والبحث، ولم تشذّ عن هذا المبدأ إلاَّ في أحيانٍ قليلةٍ، كان أهمها حادثتان: الأولى اضطهاد العلاّمة الفيلسوف والطبيب اليهودي موسى بن ميمون، ومحنة الفيلسوف الطبيب أبي الوليد بن الرّشيد. وكان من أهم ما تمخضت عليه هذه الحركة الفكرية هو التأسيس لأرضية علميّة كانت جسرا تَمَكَّنَ من خلاله علماء بني زيّان من مواصلة التّقدم والازدهار، فارتقت بتلمسان لتكون في مصّاف أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي بأكمله.

[1] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **بغية الوعّاة في طبقات اللغويين والنحّاة**، تحقيق مُحَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.س، ج1، ص366.

المبحث الثاني: عوامل تطور الحركة العلمية في العهد الزيّاني

إنّ المكانة الرائدة التي كانت تتمتع بها تلمسان، ترجع بالدرجة الأولى إلى الحركة الفكرية التي شهدت في العهد الزياني رواجاً وازدهاراً لامثيل له، واكتسبت مكانةً بارزة، حيث نافست بها المدن والعواصم الإسلامية الكبرى، فقد أخصب فيها الفكر، فأنجب هذا الإقليم فطاحل العلماء، وازدهرت هذه الحركة نظرا لخصوصية حاضرة تلمسان وعدّة اعتبارات منها: أنها حاضرة المغرب الأوسط[1]، حيث ظلت على مرّ ثلاثة قرون منارة للإشعاع الفكري والثقافي، على الرغم من صعوبة ظروفها السياسية. وممّا ساعد على هذا الازدهار هو تظافر عدة عوامل من أهمها:

أولا – عناية سلاطين بني زيان بالعلماء:

إنّ اهتمام السلاطين والأمراء المسلمين بالعلماء على مرِّ التاريخ الإسلامي، يشكل ظاهرة جديرة بالإهتمام، لما كان لها من الأثر الكبير في رقيّ الحضارات وتبددها، وبقدر ما كانت العلاقة بين السلطة وأهل العلم إيجابية، كان منسوب الحضارة خاصّة منها العلميّة في استمرار دائم.

كما كانت لهم رغبة شديدة وجهود مستمرة، امتازوا بها في ميدان الحركة الفكرية بصفة عامة، ورعاية معتبرة للفنون والآداب الشرعية على وجه الخصوص، وعنايتهم الدائمة هذه جعلتهم يشجعون العلماء والفقهاء والأدباء، ويستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية، والأقطار الإسلامية، ولاسيما منها إقليم الأندلس[2]. وقد شهد المغرب الإسلامي علاقة حميمة بين سلاطينه وعلمائه في ظل الدولة المرابطية[3] والموحدية، حيث كان سلاطين المرابطين لا يقطعون أمرا دون مشاورتهم، وبلغوا بذلك شأوا لم يبلغه الفقهاء مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس[4]، وكذا في عهد الدولتين المجاورتين للدولة الزيانية وهما دولة بني مرين في المغرب الأقصى، ودولة بني حفص في المغرب الأدنى[5].

---

[1] نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/ 13م إلى10هـ/16م**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار)، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص18.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص319.

[3] ذكر صاحب المعجب عن أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين قوله: " فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة، من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتّاب، وفرسان البلاغة، مالم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار". ينظر: عبد الواحد المراكشي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ص115.

[4] نفسه، ص121.

[5] عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص81.

أما في عهد الدولة الزيانية فقد كان لأمراء بني زيان وسلاطينهم رعاية مستمرة للعلم والأدب ومختلف علوم ذلك العصر، وكانت مجالسهم عامرة بهم، يستقدمونهم من أطراف الدنيا، ويتوددون إليهم للإقامة في عاصمتهم[1]. كما كان من بين هؤلاء السلاطين الفقيه والشاعر والأديب والفنان أبو تاشفين الأول المولوع بالفن والعمران، والأمير الفقيه أبو مُحَّد عبد الله بن عثمان بن يغمراسن المعروف بابن أبي حفص[2]، والشاعر السلطان الأديب أبو حمو موسى الثاني[3]، والسلطان أبو زيّان مُحَّد الثاني[4]، فكان هؤلاء السلاطين وغيرهم يشجعون العلماء على الاجتهاد في الدرس، وكانوا يشرفون في بعض الأحيان على المجالس والمنابر التي تُلقى فيها الدروس العلمية، خاصة مايتعلق منها بالعقيدة والتاريخ والعلوم العقلية الأخرى[5].

إنَّ احتفاء سلاطين بني زيّان بالعلماء كانت منذ الوهلة الأولى، فمثلا مؤسس الدولة الزيانية السلطان يغمراسن بن زيّان لم يقتصر على الجانب العسكري فحسب، بل أسّس قواعد وتقاليد راقية في الجانب الثقافي والعلمي، والنص الذي يورده التنسي، يُعطي صورة واضحة عن الشغف والحب الجليلين الذي أولاهما يغمراسن إلى العلماء والصلحاء[6]، فيقول: « وكان كثيرا مايجالس الصلحاء، ويكثر من زيارتهم، وارتحل لزيارة الوليّ الشهير أبي البيان واضح[7]

في موضعه بجبل آفرشان[8] ملتمسا بركته، والدعاء له ولعقبه، وله في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله، ومن أعلم من كان في زمانه أبو إسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، ...فكان أمير المسلمين يغمراسن يكاتبه كثيرا، ويرغبه

---

[1] مُحَّد مكيوي، عوامل ازدهار الحياة الفكرية في القرنيين 7 و 8 هـ بالمغرب الأوسط، **مجلة الأثر**، **كلية الآداب واللّغات**، العدد التاسع، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ماي 2010م، ص ص263 – 268.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص320.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص179.

[4] نفسه، ص ص210. 211.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص220.

[6] مُحَّد طمار، تلمسان عبر العصور، ص ص94–95.

[7] **أبو البيان واضح**: هو واضح بن عثمان بن مُحَّد بن عيسى بن فركون المغراوي أبو البيان: الفقيه القاضي الأعدل الصالح، قال الونشريسي في وفياته بعد وصفه بما ذكر بلدينا وقريبنا، توفي سنة ست وخمسين وثمانمائة. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص619.

[8] ذكر التنسي بشأن هذا الجبل فقال: " لم نعرف هذا الجبل ولايوجد حاليا بناحية تلمسان جبل يحمل هذا الإسم ولا إسم يقاربه". التنسي، المصدر السابق، ص126.

في سكنى تلمسان»[1]، إلى أن نشأت فتنة مغراوة، فورد مرة على تلمسان، فكان يجتمع إليه فقهاؤها، ويأخذون عنه العلم، فبلغ خبره أمير المسلمين فركب بنفسه وسار إليه، واجتمع معه بالجامع الأعظم، ومعه فقهاء تلمسان وقال له: « ما جئتك إلاّ راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميعا ما تحتاجه»[2].

ولم يزل يغمراسن يهتم بالعلماء، ويرعى مصالحهم، حتى ذاع صيته في دول المغرب والأندلس، فقال التنسي: « ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم وأهله، وفد عليه من الأندلس خاتمة أهل الأدب، المبرز في عصره على سائر الكتّاب، أبو بكر مُحَّد بن عبد الله بن داود بن الخطاب[3]، فأحسن نُزُله ومثواه، وقرّبه من بِساط العزِّ وأدناه، وجعله صاحبَ القلم الأعلى»[4].

وقال ابن الخطيب عن هذا الأديب: «كان كاتبا بارعا، شاعرا مجيدا، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نباهة وحسن فهم، [ذو فضل وتعقل]، وحسن سمت...واستعمل في الكتابة السلطانية مدّة، وكان معلوم القدر، معظما عند العامة...واستقر بتلمسان، كاتبا عن سلطانها أبي يحيى يغمراسن بن زيان. وزعموا أنّ المستنصر أبا عبد الله بن الأمير أبي زكريا، استقدمه على عادته في استدعاء الكتّاب المشاهير والعلماء، وبعث إليه ألف دينار من الذهب العين، فاعتذر وردّ عليه المال، وكان أشقّ مامر على المستنصر»[5].

ونحا منحاه ابنه السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن في تشجيع أهل العلم والحفظ، حيث احتفظ بما كان منهم في بلاط أبيه، وأضاف لهم الشاعر الصوفيُّ أبا عبد الله مُحَّد بن خميس، وولاه منصبا في ديوان الإنشاء سنة671هـ/1272م، وفي أيامه مات أبو اسحاق التنسي «وحضر جنازته بنفسه»[6].

[1] **أبو اسحاق التنسي**: هو أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطاطي، من كبار العلماء والفقهاء، من مدينة تنس، استقدمه يغمراسن إلى تلمسان واستوطن بها، وانتهت إكليه رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب، توفي بتلمسان سنة 680هـ/1281م. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص66 ـ 67 ـ 68.

[2] نفسه، ص126.

[3] **ابن الخطاب**: هو أبو بكر مُحَّد بن عبد الله بن داود بن الخطاب الغافقي، نزيل تلمسان، ولي من أولياء الصالحين، كان كثير التبتل إلى الله في مغارة قرب باب كشوط، وتوفي سنة 636هـ/1238م. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص69 ـ 70.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص127. ينظر: ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص227.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص ص426 ـ 427.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص127.

أما السلطان أبو حمو موسى الأول، فقد جعل من مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر من كل مكان، فقد اختص ابني الإمام بوافر الرعاية والاعتناء[1]، واختط لهما المدرسة التي تسمى بهما[2]، وكان لهذا الفعل الأثر الكبير في نشر العلم وازدهار الحركة الفكرية.

وقرّب السلطان أبو تاشفين الأول بن أبي حمو الأول إليه الفقيه أبا عمران المشذّالي البجائي (ت745هـ/1345م) الذي فرّ من بجاية زمن الحصار، واستقرّ بمدينة الجزائر، كان أعرف أهل عصره بمذهب مالك وعيّنه مدرسا بالمدرسة الجديدة التي أسّسها بتلمسان، وأراد بذلك لعاصمته أن تضاهي فاس وتونس وغرناطة في المجال الحضاري والعمران[3].

وذكر المقرّي أنّه نزل بالجزائر أرسل «إليه أبو تاشفين، وأنزله من التقريب والاحسان بالمحلِّ المكين، ودرّس بتلمسان الحديث والفقه والأصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض»[4]. كما اشتهرت في عهده أيضا أسرة بني الملاّح، وقاضي الجماعة[5] أبو عبد الله مُحَمَّد بن منصور المعروف بابن

هدية[6](ت735هـ/1335م) الذي تولى قضاء الجماعة بتلمسان، وكتابة السرّ والخطابة في المسجد الجامع[7]. وأولى اهتماما كبيرا للفقيه أبي العباس أحمد بن عمران البجائي[8]، الذي جاء إلى تلمسان تاجرا، تاجرا، ودخل المدرسة القديمة، وجلس حلقة أبي زيد بن الإمام وتحاورا في مسألة لابن حاجب، فأنزله أبو

[1] المقرِّي، نفح الطيب، المصدر السابق،ج5، ص ص215 ـ 216.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص139.

[3] مُحَمَّد الهادي أبو الأجفان ، **الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد المقرّي التلمساني**، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1988م، ص63.

[4] المقرّي، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص223.

[5] قاضي الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضي القضاة عند المشارقة، المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص385.

[6] **ابن هدية**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني، فقيه مالكي من الكتّاب البلغاء، نزل سلفه بتلمسان، نشأ وتعلم بها، وكتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان، توفي بتلمسان سنة763هـ/1335م، وشهد جنازته سلطانها أبو تاشفين الأول. من آثاره "تاريخ تلمسان". ينظر: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، درا إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، لبنان، د.س، ج1، ص289.

[7] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص322.

[8] **أحمد بن عمران**: هو أحمد بن عمران البجائي اليانوي، فقيه مالكي، قدم تلمسان تاجرا، وهو من أصحاب المئة الثامنة، ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص94.

زيد منزلة الكرامة، وسأله عن مقدمه، وعرّف به أمير المسلمين أبا تاشفين، فرفع عنه كلفة مغرمه ومغرم من جاء معه وكان مائتي دينار[1].

ولم تنته به محبته إلى جمع العلماء فحسب، بل تعدّى ذلك إلى أن كوَّن لهم مجالس علمية في بلاط سلطانه، وجعل منها فرصة للتباري والمناقشة فيما بينهم، مع حضور الطلبة الصغار للاستفادة والإفادة، مثل مناقشة أبي زيد بن الإمام مع أبي موسى عمران بن موسى المِشذّالي، وكان يحضرها بنفسه[2].

استمرت هذه العناية بالعلماء عند السلطان أبي حمو موسى الثاني، مجدد الدولة الزيانية، إذ اعتنى بالعلوم والأدب، عناية خاصة باعتباره أحد فحول الشعراء الكتّاب، فقد قال عنه التنسي: «وله من النثر الرائق، والشعر الفائق، ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك، ومن العلم النقليّ والعقليّ ما جلا نوره عن الدنيا مدلهمات الحلوك»[3]، ومما يُستَشَفُّ من اضطلاعنا بعناية السلاطين الزيّانيين بالعلم والعلماء، أنّ المتأخرين منهم سعوا إلى ما سعى سلفهم، رغم ما كانت عليه الحياة السياسية من تردٍّ وانحطاك، وبقي للعماء والفقهاء تسيير دواليب العلم ومؤسساته. وذكر التنسي في ذكر دولة السلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني أنّ الأدباء في عهده نالوا جزيل العطايا، وامتدحه الشاعر أبو الحسن علي العشّاب الفاسي لما فتح مدينة الجزائر[4].

إنّ ما يمكن استنتاجه من هذا العنصر، هو أنَّ الدولة الزيانية في أوّل أمرها رسّخت دعائمَ راقية في الاعتناء بالعلم والعلماء، وتطوّرَ هذا الأمر إلى أن أصبح بلاط السلطان مجلساً لهم، تُدارُ فيه المناظرات العلمية، فكان مِن نتائج ذلك أن أصبح بعض السلاطين علماء، ورغم ما آلت إليه الحياة السياسية من تَبَعِيَّة لكل من بني مرين تارة، وبني حفص تارة أخرى، فقد بقي نفود العلماء في المجتمع قوياً، بينما تراجع صيتُه عند السلاطين الذين أصبحوا في مهب الريح، وهذا عندما عبثت بهم مصالحهم النفسية، وشهواتهم السياسية، ناهيك عن أنّهم في بعض الأحيان كانوا دمى إن صحّ التعبير في أيدي سلاطين الدولتين المجاورتين.

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص142.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص ص214 . 215.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص161.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص236.

ثانيا – انتشار المدارس:

رأينا فيما سبق عند سردنا لمؤسسة المدرسة وما كانت عليها في العهد الزياني، مع تركيزنا على الخمس المدارس المعروفة، لابأس من إطلالة موجزة عن حالها وانتشارها في العالم الإسلامي، وبالخصوص عن باقي مدارس المغرب الأخرى، التي ظهرت بعد سقوط دولة الموحدين، وورثت الدويلات الثلاث التركة[1]

لقد كانت العلوم بداية العصر الإسلامي تدرّسُ بالمساجد[2]. وبعد تلاقح الأفكار بين المسلمين وباقي الحضارات الأخرى[3]بعد توسع الفتوحات الإسلامية، لم يستطع المسجد لوحده استيعاب الأعداد الغفيرة من الطلبة المشتغلين بالعلم، فقد أسست المدارس في مدينة نيسابور نتيجة لانبعاث حركة السنّة على حساب مختاف فصائل المذهب الشيعي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي[4]. وقد ذكرنا أنّ مصطلح المدرسة مرتبط ارتباطا وثيقا باسم نظام الملك السلجوقي[5] المتوفى سنة 485هـ/1192م، وتمّ بناؤها ببغداد سنة 459هـ/1067م، وعرفت بالمدرسة النظامية، وذكر ابن حلكان في ترجمته لنظام الملك قوله: « وبنى المدارس والرّبط والمساجد في البلاد، وهو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس. وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وفي سنة تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرّس بها الشيخ أبو اسحاق الشيرازي»[6].

ثم انتقلت هذه الحركة إلى مصر مع نهاية الدولة الفاطمية، أي بعد قرن من الزمن، وكانت المدارس بالمشرق تتصنف إلى ثلاثة أصناف هي:

1 . المدارس الحرة: وهي التي يرجع الفضل في إنشائها وتمويلها إلى الخواص من العلماء والأعيان.

2 . المدارس الشبه الرسمية: وهي التي أقامها وحبس عليها بعض الأمراء أو الوزراء أو غيرهم من أعيان الدولة الحاكمة.

---

[1] Jacques Simon , **L’Algérie au passé lointaine de Carthage à la Régence d’Alger l’harmattan** , Paris 2011 , p 175 .

[2] المهدي البوعبدلي، المقال السابق، ص85.

[3] وسيلة بلعيد بن حمدة،"نشأة المدارس في تونس"، **مجلة الهداية**، العدد 5، سنة1415هـ/1995م ص80.

[4] مُحَّد القبلي، **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار توبقال للنشر، د.ط، الدار البيضاء، 1987م، ص69.

[5] المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص363.

[6] ابن خلكان، المصدر السابق، مج2، ص129.

3 . المدارس الرسمية: وهي التي أمر ببنائها والإنفاق عليها الملوك والسلاطين أنفسهم، أنشئت جميعها لمقاومة التشيّع في بلاد المشرق لفائدة السنّة، بمختلف اتجاهاتها الحنفية والحنبلية والشافعية والمالكية.[1]

وأما في بلاد المغرب فقد تأسست أول مدرسة بسبتة سنة 635هـ/1237م[2]. وذكر أحمد التجاني في رحلته أنّ هناك مدارس كثيرة في طرابلس فقال: «وبداخل البلد (أي طرابلس) مدارس كثيرة، وأحسنها المدرسة المنتصرية التي كان بناؤها على يد الفقيه أبي مُحَّد عبد الحميد بن أبي بركات بن أبي الدنيا رحمه الله تعالى، وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين إلى سنة ثمان وخمسين (يُقصد 658.655هـ/1260.1257م) وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضْعاً وأظرفها صُنعاً»[3].

وجاء في مسند ابن مرزوق قوله: « ..إنَّ إنشاء المدارس كان في المغرب (أي المغرب الأقصى) غير معروف حتى أنشأ مولانا المجاهد، الملك العابد، مدرسة الحلفائين[4] بمدينة فاس وبعدوة القرويين منها»[5]. كما أسّس السلطان أبو سعيد عثمان[6] مدرسة المدينة البيضاء بمشاركة الفقيه ابن مرزوق الجد[7]، وَفِي سنة ثَلَاث وَعشْرين وَسَبْعمائة فِي فاتح شعْبَان مِنْهَا أَمر السُّلْطَان أَبُو سعيد أَيْضا بِبِنَاء الْمدرسَة الْعُظْمَى بِإِزَاءِ جَامع الْقرَوِيين بفاس وَهِي الْمَعْرُوفَة الْيَوْم بمدرسة العطارين[8].

---

[1] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص324 . 325.

[2] أبو عبد الله مُحَّد بن مُحَّد الأنصاري الأوسيّ المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة**، تحقيق مُحَّد بن شريفة، مطبعة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ج2، ص197.

[3] أبو مُحَّد عبد الله بن مُحَّد بن أحمد التجاني، **رحلة التجاني**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص ص252.251.

[4] مدرسة الحلفائيين (الحلفاويين): أقدم مدرسة بالمغرب الأقصى، شيّدها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، الذي تولى سلطان المرينيين سنة 656 ـ 685هـ/1258 ـ 1286م، وقد بنيت سنة 679هـ/1280م. ينظر وسيلة بلعيد بن حمدة، المقال السابق، ص77.

[5] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص331.

[6] **السلطان أبو سعيد**: هو السلطان أبو سعيد عثمان المريني أحد سلاطين بني مرين، ولد سنة675هـ/1286م، أمه عربية اسمها عائشة عائشة بنت أبو عرب، تولى الإمارة سنة 710هـ/1310م، توفي في فاس في ذي الحجة من سنة 731هـ/1331م، وذكرت بعض المصادر أنّه مرض بمرض النقرس في الخامس والعشرين من ذي القعدة من نفس السنة. مُحَّد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس**، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1987م، ص ص107.100.

[7] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص331.

[8] السّلاوي، المرجع السابق، ج3، ص112.

والمدرسة المصباحية، والمدرسة الكبرى مدرسة الوادي[1]، بالاضافة إلى مدرسة الصهريج[2]. وأسس السلطان أبو الحسن المريني[3]، مدرسة مصباح[4]، الكائنة جوفي جامع القرويين[5]، وبمكناسة الزَّيْتُون المدرسة المدرسة الجديدة[6]. وقد بنى السلطان المذكور عديد المدارس في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط[7]، فأنشأ بمدينة تازى قديما مدرستها الحسنة، ومكناسة وسلا وطنجة وأغمات ومراكش والقصر الكبير وبالعبّاد ظاهر تلمسان[8].

ملاحظة: ذكر صاحب كتاب جدوة الاقتباس ابن القاضي المكناسي أنّ مدرسة المصباح التي تقع في جامع القرويين أسسها السلطان أبو الحسن المريني[9]، فيما ذهب ابن مرزوق إلى أنّ تشيّيدها كان من قِبَلِ قِبَلِ أبيه السلطان أبي سعيد عثمان المريني[10]، وهذا مانميل إليه، لاعتباريين اثنين: الأول: هو أنّ ابن مرزوق من مواليد القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وابن القاضي من مواليد القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وقد عاصر جدّه الذي وقف على بناء عدّة منشآت، والاعتبار الثاني: هو أنّ كتاب المسند مصدرٌ أقدم من كتاب جدوة الاقتباس، والظاهر أنّي أميل إلى رأيّ ابن مرزوق على أنّ المدرسة المذكورة شيّدها السلطان أبو سعيد عثمان المريني.

كما أسس السلطان أبو عنان مدرسته المشهورة التي سماها باسمٍ مشتقٍ من اسمه "المدرسة العنانيّة"، استغرق بنائها سبع سنين، ووصفها الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس بأنها "المدرسة العجيبة"[11].

---

[1] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص331.

[2] السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص176.

[3] **أبو الحسن**: هو السلطان أبو الحسن بن أبي سعيد عثمان المريني، ولد سنة 693هـ/1293م، وذكر ابن الأحمر في كتابه روضة النسرين أنّه ولد سنة 697هـ/1297م، تولى الإمارة سنة 731هـ/1331م، وتوفي في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة 752هـ/1351م، وهو في عمر الستين سنة. الحريري، المرجع السابق، ص ص 108 ـ 109.

[4] مصباح هَذَا هُوَ أَبُو الضياء مِصْبَاح بن عبد الله الياصلوتي الْفَقِيه الْمَشْهُور. كما يطلق على هذه المدرسة كذلك اسم مدرسة الرخام. السلاوي ، المرجع السابق، ج3، ص176.

[5] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص331.

[6] السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص176.

[7] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص332.

[8] نفسه، ص332. وينظر: الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص ص324 ـ 325.

[9] ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص46.

[10] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص331.

[11] الحريري، المرجع السابق، ص325.

وأما صاحب كتاب المؤنس فقد ذكر أنّ أول المدارس في تونس أنشأها السلطان الحفصي أبو زكريا[1] مابين سنتي 625هـ/1227م، تاريخ توليه السلطة الحفصية، وتاريخ وفاته الذي كان سنة 646هـ/1249م، فقال: «وكذلك بنى المدرسة التي بطرق سوق الشمّاعين»[2]. وأضاف أنّ أمَّ السلطان أبي عبد الله مُحَمَّد[3] بن يحي بن أبي زكريا، وهي أم ولد، قد أَمرت ببناء جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية[4] بتونس.

والظاهر أنّ سلاطين بني زيان كغيرهم من ملوك الدول الإسلامية، كانوا يهدفون من وراء إنشاء المدارس في المقام الأول إلى نشر العلم والثقافة من جهة، وتوجيه الرعية وخدمة مذهب الدولة من جهة أخرى[5]، كما يظهر من خلال إنشاء المدارس في الدول الثلاث عملية التأثير المتبادل، وأنّ ضغط المحيط العلمي قد وفّر الفرصة الازمة لانتشارها في مختلف مدن المغرب الأوسط على غرار تلمسان، فحاول سلاطين دولة بني زيّان من جانبهم بناء المدارس وأشرفوا عليها بأنفسهم، وهذا مواكبة لسفن العلم ومضاهاتها في الدولتين المتجاورتين، وقد أوردنا هذه المدارس بشيء من التفصيل في مبحث المؤسسات التعليمية، وبالضبط في عنصر مؤسسة المدرسة.

[1] **أبو زكريا**: هو أبو زكريا يحيى بن المولى أبي مُحَمَّد بن عبد الواحد بن أبي بكر بن المولى أبي حفص عمر الهنتاتي، ولد بمراكش سنة 599هـ/ 1203م، بويع بالقيروان في رجب سنة 625هـ/1228م، وجُدِدَتْ له البيعة يوم وصوله إلى تونس في الرابع والعشرين من رجب المذكور. توفي وهو مُتَّجه إلى الغرب ودفن ببونة (عنابة الحالية)، ثم نقل إلى قسمطينة وله تسع وأربعون سنة، ودام في الملك اثنان وعشرون عاما. ينظر: أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار، **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، الطبعة الأولى، 1286هـ/1869م، ص ص125.127.

[2] نفسه، ص127.

[3] **أبو عبد الله مُحَمَّد**: هو ابن المولى أبي زكريا بن المولى أبي مُحَمَّد بن عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص، بويع صبيحة الليلة التي توفي فيها والده يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الاخيرة سنة سبع وأربعين وستمائة وعمره اثنان وعشرون سنة، ولُقِب بالمستنصر بالله، توفي في الحادي عشر من ذي الحجة سنة 675هـ/1277م، وله من الأعوام خمسون عاما. نفسه، المصدر السابق، ص ص127.128.130.

[4] **المدرسة التوفيقية**: لا يوجد لها أثر وكانت قُبالة زاوية الشيخ الزليجي. نفسه، ص128.

[5] عبد الكرين حساين، المرجع السابق، ص ص113– 114.

ثالثا – الرحلة في طلب العلم:[1]

حرص سلاطين بني زيّان، وفقهاء مدينة تلمسان على توطيد العلاقات مع أهل المغرب خاصة، والمشرق وعدوة الأندلس على وجه العموم، وزاد هذا الإتصال عن طريق النشاط الديبلوماسي[2]، وتبادل الرسائل الديوانية والإخوانية والسلطانية، ومنها ماذكره ابن خلدون في كتابه التعريف بابن خلدون حينما بعث إليه السلطان أبو حمو موسى الزياني رسالة يبيّن له فيها مقامه ومنزلته لديه[3]. وزاد رحمه الله بقوله: « ووصلني مع هذه الكتب السلطانية، كتاب رسالة من الوزير أبي عبد الله بن الخطيب من غرناطة يتشوّقُ إليَّ، وتُأدَّى إلى تلمسان على يد سفراء السلطان ابن الأحمر، فبعث إليَّ به من هنالك»[4].

كما كانت الرحلة العلمية، والحج إلى البقاع المقدسة بالحجاز وبيت المقدس، إحدى الوسائل المهمة المساعدة على نقل المعارف والعلوم، والمعزّزة للحركة العلمية في تلك الحقبة التاريخية، والتي تميزت برحلات واسعة النطاق، فنتج عنها التلاقح الفكري ودعم الروابط الثقافية بين علماء تلمسان، ونظرائهم من بلاد المشرق والمغرب والأندلس، بالرغم من التجزئة السياسية التي عرفتها الأقطار الإسلامية حينذاك[5]، فكان طلاّبُ العلم لايكتفون بما يتلقونّه من علوم في حواضرهم، بل كانوا يجوبون البلدان للالتقاء بالعلماء المشهورين والأخذ عنهم، فرحلوا إلى المغرب والمشرق والأندلس، واحتكوا بهم، وقد أدى هذا التجانس إلى تأثر الحياة الفكرية في دولة بني عبد الواد، فصارت تلمسان مركزا علميّاً يضاهي مراكز الثقافة في كل من المغرب الأدنى والأقصى، فكانت ذروة هذا الإشعاع خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فدرّسوا مختلف العلوم من أمثال المنطق والطب والرياضيات وغيرها[6].

[1] حول أماكن الرحلة العلمية لفقهاء تلمسان ينظر: الملحق رقم- 2 –

[2] عطاالله دهينة،" مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس"، **مجلة تاريخ وحضارة المغرب**، العدد الثالث عشر، الجزائر، جانفي 1976، ص ص7- 17.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص110.

[4] نفسه، ص113.

[5] فيلالي، ج2، ص327.

[6] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص ص485.484.

وذكر صاحب كتاب تاريخ الأدب الجغرافي أنّ عبد الباسط بن خليل اللمطي[1] سافر من مصر صوب المغرب والأندلس، وأخذ عليه علماء المغرب الكثير من علوم الطب، وزار تونس وطرابلس وتلمسان ووهران[2]، كما جاء في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة في الباب الرابع الذي عَنْوَنَهُ بباب منثورة من أبوب العلم، وبالتّحديد في المنظر الرابع والذي قال فيه: « إنّ الرحلة في الطلب مفيدة، وسببُ ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب، تارة علما وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلاّ أنَّ حصول المَلَكَاتِ عن المباشرة والتلقين أشدُّ استحكاما، وأقوى رسوخا...» إلى أن قال: "فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[3].

ويذكر ابن مريم أنّ الشريف التلمساني « لما ورد حضرة تونس، أتى مجلس عبد الله بن عبد السلام فلم يجد محلاً يجلس فيه، فجلس حيث انتهى به المجلس»[4]. وزاد قائلا: «وكان ابن عبد السلام يصغي إليه، ويُؤْثِر محلَه، ويَعرف حقّه، حتى زعموا أنّ ابن عبد السلام كان يخلو بالشريف في بيته، ويقرأُ عليه فصل التصوف من كتاب الشفاء لابن سينا...»[5]

وكانت الرحلة في طلب العلم دأبُ فقهاء تلمسان وعلمائِها، فقد قرأوا في مختلف المدن التي زاروها، قاصدين مشيختها، وتطوعوا للتدريس في مساجدها ومدارسها، فكان منهم من انتظم في سلك الأساتذة بصفة رسميّة، ورفض بعضهم الرواتب والعطايا. ومن أبرز هؤلاء الرحّالة:

1 . أبو اسحاق ابراهيم التنسي: (ت680هـ1281م)

درس في مسقط رأسه بتنس ومليانة والشلف، ثم واصل الدراسة بتونس والقاهرة والشام، مرورا بتلمسان وبجاية، وطُلبَ منهم التدريس بالمدرسة "الطبرسية" بمصر ولكنّه رفض واعتذر. وكان عند وصوله مدينة فاس اجتمع حوله كبار فقهاء المدينة وطلبوا منه درسا في الحديث، وكان يحضر مجلسه عالم فاس

---

[1] **عبد الباسط اللمطي**: هو عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، فقيه حنفي، و عالم طب مصري، ولد سنة 844هـ/1440م بالقاهرة، أبوه إسمه خليل الظاهري أحد كبار الإداريين بدولة المماليك، ومؤلف كتاب المدخل الإداري الجغرافي، مات مشلولا. ينظر: كراتشكوفسكي، المرجع السابق، القسم الأول، ص445.

[2] نفسه، ص445.

[3] حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص ص42 . 43.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص166.

[5] نفسه، ص165.

وفقيهها أبو الحسن الصغير[1]، كما درّس في مكة والمدينة علم الحديث وغيرها. وقال عنه السلطان أبو يعقوب المريني: « ما صفحني أحدٌ إلاّ أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان، إلاّ الفقيه أبو اسحاق التنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته»[2].

2 . أبو عبد الله مُحَّد بن النّجار (ت749ه/1349م)

ذكره ابن خلدون في كتابه التعريف حين ترجم له فقال: « ومنهم شيخ التعاليم أبو عبد الله مُحَّد بن النَّجار، من أهل تلمسان، أخذ العلم ببلده عن مشيختنا، وعن شيخنا الآبلي، وبرزَ عليه، ثم ارتحل إلى المغرب فلقيَ بسبتة إمام التعاليم أبا عبد الله مُحَّد بن هلال شارح المِجِصطي في الهيئة، وأخذ بمراكش عن الإمام أبي العباس بن البناء، وكان إماماً في علوم النِّجامة وأحكامها، وما يتعلق بها، ورجع إلى تلمسان بعلم كثير»[3].

3 . مُحَّد بن ابراهيم بن أحمد العبدري الآبلي: (ت757ه/1356م)

ولد بتلمسان سنة 681ه/1282م، وأصله من أبلة **(Avila)** من بلاد جوف الأندلس، كانت دراسة بتلمسان تحت رعاية جده القاضي مُحَّد بن غلبون[4]. انتقل إلى مصر وبغداد واستقرّ وقتاً في كربلاء، وبعد أن أدّى فريضة الحج عاد إلى تلمسان بعلم غزير من المعقول والمنقول[5]، وقرأ في تلمسان على أبي موسى عيسى بن الإمام علم المنطق[6] قال ابن مريم على لسان الآبلي: « وقَدِمتُ إلى الديار المصرية وبها ابن دقيق العيد، وابن الرفعة، والصفِّيُ الهندي، والتبريزيُّ وغيرهم من فرسان المعقول...ثم حَجَجْتُ ورجعت إلى تلمسان»[7]. «وارتحل إلى فاس فاختفى هناك عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي

[1] **أبو الحسن الصغير**: هو أبو الحسن علي بن مُحَّد بن عبد الحق الزرويلي، المعروف بالصغير قاض معمر، من كبار الفقهاء بفاس، ولد بها، ووُلِّي قضاءها من طرف السلطان المريني أبا الرّبيع، توفي بها سنة 719ه/1319م عن عمر ناهز مائة وعشرين عاما. مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ص309. وينظر أيضا: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص334.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص329 ـ 330.

[3] ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص48.

[4] ابن عزوز، المرجع السابق، القسم الثاني، ص696.

[5] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص330.

[6] ابن خلدون، التعريف، ص ص21 ـ22. لقد أصبح علم المنطق ضعيفا وقليل الاتباع أوائل القرن 10 الهجري مقارنة بالقرون السابقة لحكم بني زيان. ينظر: مُحَّد بن عبدالكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق رابح بونار، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، 2007م، ص12.

[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص214 ـ 215.

اليهودي فأخذَ فنونها ومهر فيها، وارتحل إلى مراكش في حدود عشرٍ وسبعمائة، ونزل على الإمام ابن البناء شيخِ المعقول والمنقول المبرَزِ في التصوف علما وحالا، فلازمه...وصَعَدَ إلى شيخ الهساكرة عليٌّ بن مُحَّد فقرأ عليه مدّةً...وكان علي بن مُحَّد يحبُّه ويعظِّمُه»[1].

4 . أبو عبد الله مُحَّد الحسيني الشهير بالشريف التلمساني: (ت771هـ/1369م)

سافر إل تونس وحضر مجالسها العلمية، ودرس على عالمها عليٌّ بن عبد السلام التونسي، ثم إلى فاس فتتلمذ على العالم السطّي[2] ودرس عليه الموطأ والصحيحين، «وملأ بلاد المغرب معارف وتلاميذ[3]، نسيج وحده وفريد عصره في كل طريقة، انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب، وضربت إليه إباط الابلِ شرقا وغربا، فهو علمُ علمائها، ورافع لوائها»[4].

رابعا . المناظرات العلميّة:

ظهرت بشكل جليّ في عصر أبي عبد الله الشريف التلمساني، فكانت عبارة عن جملة من المسائل كانت محل مراسلات تارة، ومناظرات تارة أخرى، في شتى العلوم والفنون، بين ذوي الاختصاص العلمي في ذلك العصر، وجريان المناقشات على مستوى رفيع وبمقاييس علميّة مضبوطة، تُبرز لنا عمق نظرة فقهائنا، ورسوخهم في العلم[5].

كما ساهمت المناظرات العلمية بشكل مباشر وفعّال في ازدهار ونمو الحركة الفكرية الزيّانية، ذلك لأنَّها تمكنت من معرفة دقائق المسائل ومعانيها، وقد جعلها العلماء من وظائف المتعلم وشرائطه[6]. وذكر

---

[1] نفسه، ص215.

[2] **السطّي**: هو مُحَّد بن علي بن سليمان السطّيّ، هو من قبيلة أوربة البربرية، ولد بنواحي فاس، عالم المغرب وإمامه، تتلمذ على العلامة أبي الحسن الصغير، ومن تلاميذه سعيد العقباني، وابن عرفة، وابن مرزوق الخطيب، وغيرهم، كان من جلساء السلطان أبي الحسن المريني، مات غرقا بنواحي بجاية عند رجوعه من تونس سنة 750هـ/1349م. يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص14. ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص ص32 . 33

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص331.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص167.

[5] أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد الحسني الشريف التلمساني، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مَثَارات الغَلَط في الأدّلة**، دراسة وتحقيق مُحَّد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ص37.

[6] أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو أبو النور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1388هـ/1986م، ج1، ص24.

شوقي ضيف قيمة المناظرات فقال: « و هذا كلُّه أنَّ العقل العربى دُعِّمَ فى هذا العصر بمواد ثقافية كثيرة، وهو دعمٌ نجد آثاره فى ازدهار العلوم الإسلامية الخالصة: علوم الفقه والتفسير والحديث، كما نجد هذه الآثار فى كثرة المناظرات التى نشبت بين الآراء المختلفة فى السياسة والدين»[1].

ورغم عِظَمِ مجالس السلطان ورهبتها، إلاّ أنَّ المناظرات لا تكادُ تخلو منها، لاسيما مجالس السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو، ويذكر ابن خطيب أنّ مناظرة حدثت بين أبي زيد بن الإمام، ونازعه أبو موسى عُمران بن موسى المشذّالي، حول تقييد ابن القاسم بأصول مالك، وكانت في مجلس السلطان المذكور سلفا[2].

كما كانت مسرحا فسيحا لحرية التفكير، والاستنباط، وعاملا محفزا للفقهاء في الإلمام بالمسائل الخلافية، وغيرها. قال ابن مرزوق لما قَدِمَ عليه العالم الجليل مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي القاسم المشذّالي ليحضر مجلسه: «ما علمتُ العلم حتى قَدِمِ إليَّ هذا الشاب، (فقيل له كيف) ؟ قال: لأنّي كنتُ أقولُ فَيُسَلَّم لي كلامي، فلما جاء هذا الفتى شَرَعَ ينازعني، فَشَرَعْتُ أتحرَّز، فانفتحت لي أبواب المعارف»[3].

هذا، ومن أهم المسائل التي كانت محور المناظرات بين العلماء في عصر الشريف التلمساني ما يأتي:

1 . مناظرة أبي يزيد بن الإمام، وأبي موس عُمران بن موسى المشذّالي، في مجلس السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو، وكان موضوعها حول صفة اجتهاد ابن القاسم العتقي صاحب مالك (191هـ/506م)، هل الاجتهاد مطلق أم مقيّد[4]؟

2 . مناظرة ابن مرزوق الخطيب مع أبي القاسم الغبريني (ت772هـ/1370م)، حينما عقَّب الغبريني على العالمين التلمسانيين (الإمام الشريف التلمساني والفقيه أبي عبد الله المقرّي) حول قضيةٍ متعلقةٍ ب" من أوصى بثلث ماله واشترط ألاّ يرجع في وصيته"، فتصدى له ابن مرزوق للردّ عليه انتصارا للمفتيَيْن التلمسانيين[5].

---

[1] شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، الطبعة الأولى، مصر، 1960، 1995 م، ج2، ص203.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج2، ص214.

[3] مُحَمَّد بن مُحَمَّد السراج، المصدر السابق، ج1، ص464.

[4] ابن الخطيب، الاحاطة، المصدر السابق، ج2، ص214. وينظر: رفاف شهر زاد ، فن المناظرات بالمغرب الأوسط الزياني، نموذج "مناظرات القاضي سعيد العقباني (ت811هـ/1408م)"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، قسم التاريخ، جامعة بشار، العدد1، المجلد 14، 01 جوان 2019م، ص243.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص268.

3 . مناظرة أبي العباس القبّاب[1](ت778هـ/1376م) والقاضي أبي عبد الله مُحَمَّد الفشتالي (ت777هـ/1375م)[2] في مسألة "مراعاة الخلاف في المذهب المالكي"، ومشاركة أبي اسحاق الشاطبي (ت790هـ/1388م) في هذه المناظرة، وقد أظهر بحثا جليلا مع الإمامين القباب[3] وابن عرفة (ت803هـ/1400م)[4].

4 . والمناظرة المشهورة التي وقعت بين الإمام أبي العباس القباب، والإمام سعيد العقباني[5] (ت811هـ/1408م)، من مناقشات، ومراجعات في مسائل، جمعها العقباني وسمّاها: " لُبابُ اللُّباب في مناظرة القُباب"[6].

وممّا يُلفت الانتباه أنّ هذه المناظرات قد آتت أُكُلَها، فقد أنجبت ثُلةً من العلماء والفقهاء، في ظل زمنٍ تميّز بالإبداع الفكري في شتى المجالات، شمل جميع أقطار العالم الإسلامي، ولم تُستَثن منه تلمسان، بل وقد كانت بدورها حاضرةَ الإشعاع الفكريِّ، والثقافيّ في المغرب الإسلامي، تُنافس فاس، ومكناس، والقيروان في العلوم دراسةً وتدريساً.

---

[1] الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص114.

[2] **الفشتالي**: هو أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الفشتالي، إمام فاس وفقيهها، كان ذا نبل وعقل فريدين، توفي سنة 777هـ/1375م. أبو الحسن علي بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي، **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، تحقيق لجنة إحياء دار الآفاق الجديدة، التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان، 1403هـ. 1983م، ص170.

[3] **القباب**: هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الفاسي الشهير بالقباب، توفي سنة (778هـ/1376م). التنبكتي، المصدر السابق، ص49. ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص ص338. 339.

[4] **ابن عرفة**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عرفة، الورغمي، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. ولد بتونس سنة 716هـ/1316م، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة 750 هـ ،وقُدِّم لخطابته سنة 772هـ، وللفتوى سنة 773هـ، له عدّة مصنّفات منها: "المختصر الكبير في فقه المالكية". توفي سنة 803هـ/1400م. ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج7، ص ص42. 43.

[5] **سعيد العقباني**: هو أبو سعيد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد العقباني التلمساني، القاضي، الفقيه المالكي، المحقق النظّار، أخذ عن السطي، وابني الإمام وبهما تفقه، والأبلي، وجماعة، له عدّة تآليف منها: "شرح الحوفية" في الفرائض، كانت وفاته سنة 811هـ/1408م. الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص59. وينظر أيضا: ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص360.

[6] الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص39. التنبكتي، المصدر السابق، ص104. ينظر: الملحق رقم- 3-

خامسا . المجالس العلمية (السلطانية):

وهي المجالس التي كانت تُعقد بالقصر السلطاني على شكل ندوات علمية رفيعة المستوى، يحضرها خيرة العلماء وفطاحل الفقهاء. وقد حرص السلاطين الزيّانيّون على أن تكون مجالسهم للعلم، فأصبحت مؤسسات تقوم بدور فعّال في مجال التعليم ورقيّه وازدهاره.

لقد كان السلطان أبو الحسن المريني يعرف قدر العلماء، ويعظمهم، ويتتبع أخبارهم، ويُلْحِقُهم بخواص أهل مجلسه إذا لمس منهم النبوغ الفكري والنضج العلمي، ويُجري عليهم النفقات والمنح ما يغني ويكفي، «فاجتمع بحضرته أعلام، ثم ضمَّ لهم من كان بتلمسان وأحوازها حين استيلائه عليها، ثم استمر هذا العمل في دخوله افريقية، ولم يزل على هذا إلى أن توفي»[1].

أما بالنسبة لسلاطين بني زيّان، فقد كان منهم الشيئ العظيم في توقير العلماء وتقريبهم من البلاط السلطاني، وقد رأينا فيما سبق ما كان من السلطان أبي تاشفين بن أبي حمو من تعظيم الفقهاء، حتى جعل مجلسه مجلس علم وتعليم، تُدرس فيه العلوم، وتُعقدُ فيه الندوات العلمية، والفكرية، والفقهية، وتثارُ فيه المناظرات والمناقشات التي يشارك فيها مجموعة من كبار العلماء والفقهاء[2]. وكان بلاط السلطان أبي حمو الثاني عل المنوال ذاته، فقد طرح السُّلطان في مجلسه سؤالا على الفقيه أبي عبد الله الشريف التلمساني، عن معنى قول رسول الله ﷺ« حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاَثٌ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ»[3]، فأجابه ﷺ بجواب أظهر فيه فضله، وغزارة علمه، وقوة عقله[4].

وقد أصبح البلاط في عهد السلطان أبي زيّان بن أبي حمو مؤسسة علميّة بأقصى ما يحمله المصطلح من معنى، تقوم على أداء مهام التعليم بشكل مستمر منقطع النظير. وأجمل ماقيل في هذا قول التنسي: « وكُلِّفَ بالعلم حتى صار منهجَ لسانه، وروضة أجفانه، فلم تخل حضرتُه من مناظرة، ولا عَمَرَت إلاّ

---

[1] نفسه، ص34. ويذكر ابن بطوطة في رحلته أنّ مجالس السلطان أبي عنان كانت مجالس علم تلقى فيها الدروس، وتطرح فيها الآراء، ويتناقشون من خلالهل في الفتوى. شمس الدين أبي عبد الله مُحَّد بن عبد الله اللوّاتي الطنجي، **رحلة ابن بطوطة المسمّاة تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، المغرب، 1417هـ/1997، ج4، ص230.

[2] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج6، ص361 ومايليها.

[3] مُحَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، **المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك**، تعليق مُحَّد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، تقديم يوسف القَرَضَاوي، دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1428 هـ/2007 م، ج2، ص308.

[4] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج12، ص171.

بمذاكرة ومحاضرة، فلاحت للعلم في أيامه شموس، وارتاحت للاستغراق فيه نفوس ونفوس»[1]، ونظرا لخصوصية مجالس السلاطين فقد كان يحضرها إلى جانب السلطان مجموعة من كبار العلماء والفقهاء المشهورين، وكذا بعض الطلبة النجباء، الذين أظهروا نجابتهم وتفوقهم في الدراسة، والسنّ غير معتبر هنا، فالعبرة بالفطنة والذكاء وقوة الحجة والإقناع. وهذا ما أكّده المقرّي في كتابه أزهار الرياض حين كان يحضر بعض هذه المناظرات وهو حديث السن، «وقد حَضَرتُ مناظرةَ أبي زيد بن الإمام وأبو موسى عمران المشذّالي وتَدَّخَلَ بينهما فقال:" ما أنصفتما الرجل...»[2].

وما يمكن قوله في هذه المجالس، أنّها كانت أشبه ماتكون بملتقيات الفكر، الذي يكون فيه إلقاء المحاضرات، وإقامت الندوات، للوصول إلى مستوى راقٍ من التحضّر الثقافي، ولذلك كانت من أهم عوامل نمو الحركة الفكرية في العهد الزيّاني، فكانت بحقّ مؤسسات علمية مهمّة، عملت على ترقيّة التعليم، وأعطته دَفْعَةً كبيرة لتحسين مستوى الطلبة الذين يعملون جهدهم لإتقان العلوم.

سادسا ـ تيسير الإقامة:

من العوامل المعززة لازدهار الحركة الفكرية في العهد الزيّاني، هو تسهيل الإقامة للعلماء المسلمين وأدباءهم في ربوع المملكة التلمسانية من غير عائق، بل وقد كان السلاطين يستقدمونهم من بلدانهم نحو تلمسان، مثلما فعل السلطان أبو حمو الأول مع أولاد الإمام عندما جاء بهما من برشك[3]. كما تمتع الطلبة بوافر العناية من قِبَلِ السلطان نفسه، وتمتع الفقهاء بنفس المميزات التي تمتع بها أقرانهم من أهل العلم التلمسانيّين، ويظهر ذلك جليّا في المجالس العلمية لبني عبد الواد الزيّانيّين التي احْتَضَنَتْ علماء أجلاّء من مختلف الأمصار والأقطار، وكذا مجالس بني مرين وسلاطينهم[4].

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص211.

[2] المقرّي، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج5، ص ص20.19.

[3] **برشك**: هي مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، يسكنها ناس خشنون على حدّ قول الوزّان، يتغل معظمهم بحيّاكة الأقمشة، ولها زراعة وافرة المنتوج كالتّين، وباديتها عامرة بالكتّان والشعير. وأضاف الإدريسي في نزهة المتاق قوله: " ومدينة برشك مدينة صغيرة على تل، وعليها سورُ تراب، وهي على ضفّة البحر، وشُرب أهلها من عيون، وماؤها عذب". الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص ص32 ـ 33. والإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص257.

[4] الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص40. بشيء من التفصيل ينظر: الونشريسي، المعيار المصدر السايق، مج7، ص ص 264 ـ 265. المقرّي، نفح الطيب، المصدر السايق، ج5، ص223.

سابعا . الهجرة الأندلسية:

كانت تلمسان مقصدا لكثير من العلماء والفقهاء، باعتبارها حاضرة العلم، ومركزا مشِّعا للعلوم، ومن هؤلاء علماء الأندلس الذين قدموا المدينة بعلومهم وآدابهم وفنونهم ، وحتى مؤلفاتهم، ونظموا حلقات علم ودروس داخل المساجد والمدارس، على غرار المسجد الجامع الذي أصبح يضاهي جامع الزيتونة بتونس، والقرويين بفاس، والأزهر بمصر.

إنّ من النتائج التي تمخضت عن هجرة علماء الأندلس، ظهور جيل جديد من العلماء برعوا في مختلف العلوم، حتى أصبحت تلمسان خلال هذا العهد أعظم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي. ومن هؤلاء العلماء على سبيل الذكر لا الحصر:

1 . لسان الدين بن الخطيب (ت772هـ/1371م)

هو أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، الخطيب، ولدبمدينة لوشة[1] سنة 713هـ/1313م، كان شاعرا، وفيلسوفا، ومتطببا، دخل فاس، ثمّ تلمسان، ودرّس فيها، وحاول استقدام عائلته من الأندلس، لكنّ الظروف السياسيّة لم تُسعِفه. له العديد من المؤلفات: "الإحاطة في أخبار غرناطة" ـ و"أعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" ـ و"اللُمحة البدريّة في الدولة النصريّة" ـ و"نفّاضة الجراب"[2].

2 . اسماعيل الغرناطي: (710 . 764هـ/1310 . 1362م)

هو إسماعيل بن قاسم بن اسحاق النميري الغرناطي، قال عنه الشيخ خالد البلوي في رحلته: صاحبنا الفقيه الجليل الكاتب البارع الماجد الأكمل ابن الوزير الكبير، ذو المعالي العلية والفنون العلمية والحكم الأدبية والآداب الحكمية، والكرم المفضل والفضائل الكريمة، والبلاغة التي لها على البلغاء مزية

---

[1] **لوشة:** هي مدينة أندلسية تقع في أقصى غرب أعمال غرناطة بينهما خمسة وعشرون ميلا، إستولى المسيحيون عليها سنة 1486م، وقد سمتها إيزابلا الأولى من قشتالة "الزهرة بين الأشواك". حول هذه المدينة ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص570–803.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص ص17–45. خالد بلعربي، "مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني"، **مجلة الدراسات**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بشار، العدد1، المجلد 3، ديسمبر2017. ص167. وينظر أيضا : مريم قاسم،" لسان الدين بن الخطيب موسوعة حضارية"، **مجلة العصور الجديدة**، مخبر البحث التاريخي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، العدد 5/4، ديسمبر جوان 1424 ـ 1425هـ/2003 ـ 2004م، ص ص61 . 62 . 63.

المزيد ومزيد المزية، أديب بارع، وشاعر لا يشقُّ له غبار. اشتغل بكتابة الشعر، وبلغ غاية عند السلطان أبي تاشفين بن عبد الرحمن بن أبي حمو[1].

3 . ابن الأشقر: (820هـ/1418م)

هو **أبو عبد الله المالقي المعروف بابن الأشقر**، طبيب ماهر، أخذ هذا العلم عن أبيه، وعُرِف بهذه الصنعة في الأندلس، ثم رحل إلى تلمسان، وزوال مهنته هناك، ودرّس الطلبة المهتمين به، وجلس مع الآبلي والمقرّي، وكان بينهم كلام[2].

ومن الأسر الأندلسية التي قدِمت على تلمسان، أسرة العقباني، وبرز فيها أبو عثمان سعيد العقباني[3] الأب، الذي كان قد اشتهر بالإقراء، ثم ابنه من بعده سعيد بن مُحَّد العقباني الذي خلَفَ مكان الفقيه أبا عبد الله الشريف في التدريس بالمدرسة التاشفينية[4].

لقد ساهم في ازدهار الحركة العلمية في تلمسان، أعلام الأندلس الوافدين عليها، وكانت هذه المساهمة بطريقة مباشرة من خلال استقرارهم بالحاضرة، وبطريقة غير مباشرة من خلال احتكاك أعلامها وطلبتها بمؤلفاتهم في شتى العلوم النقلية والعقلية، وحتى الأدبية والطبيعية منها.

والخلاصة من كل هذا، أنَّ الحركة العلمية في العهد الزيّاني، ازدهرت بفعل عوامل ساعدتها على أن ارتقت تلمسان إلى مصّاف الحواضر الثقافية، منها الإرث الفكريُّ الموحدي الذي كان بمثابة حجر الأساس لبناء حركة ثقافية واسعة بعلومها، متنوعة بمشاربها، كما ازدهرت ببنية فقهائها الفكرية، فأصبح لها خزّان كبير، ومورد لا ينضب من كبار العلماء من أمثال: الشريف التلمساني، والمشذّالي، والمقرّي، وغيرهم، من الذين ملؤوا الدُّنى علوما، وتركو آثارا باقية على مرّ العصور تأليفا، وبلغوا بالحضارة الإسلامية في ربوع العالم الإسلامي مبلغها، فشهد لهم القاصي والداني على علمهم دراسة وتدريسا.

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص46 ـ 47.

[2] نفسه، ص423.

[3] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص261.

[4] نفسه، ص ص288 ـ 547.

المبحث الثالث: مظاهر الحركة العلميّة بتلمسان خلال العهد الزياني

تُعَدُّ المؤسسات التعليمية من بين أهم المظاهر التي تُمَيِّز حاضرة تلمسان، فقد عرفت هذه الحاضرة كغيرها من الحواضر عدة مراكز تعليمية كالمساجد، والمدارس، والزوايا، والكتاتيب، والمكتبات، التي لم تكن معروفة في بلاد المغرب الأوسط قبل العهد الزيّاني. وانكبَّ سلاطين الدولتين على حدٍّ سواء في تشييدها وعمارتها قصد إثراء الحركة الفكرية في بلاد المغرب عامة، وبلاد المغرب الأوسط على وجه الخصوص.

فهل كان للدولة الزيانية اهتمام بالعلم من خلال إقامة المؤسسات التي تحافظ عليه وعلى استمراره تطوره؟

مما لاشك فيه أنَّ المؤسسات التعليمية تُشكِّل النواة الأساسية لرعاية العلوم، والمحافظة على استمرارها وتطورها، كما أنَّ هذه المراكز اضطلعت بهذه المهام، وأدّت دورا بارزاً في التربية والتعليم في العهد الزياني، ومن هذه المؤسسات حسب تدرّج المتعلِّم ما يلي:

أولا . الكتاتيب:

كان هذا النوع من المؤسسات عبارة عن حجرات مجاورة للمساجد أو بعيدا عنها بعض الشيء، وقد كان منوطا بهذه المؤسسة تعليم الصبيان فهي بمثابة التعليم الابتدائي[1]. وذكر عبد العزيز محمّد عادل في كتابه التربية الاسلامية في المغرب أنّ الولدان يُرسَلون إلى المكاتب (الكتاتيب) متى بلغوا سنّ التمييز في الرابعة والخامسة من أعمارهم. كما كان نظام اليوم الدراسي في تلك الكتاتيب يقضي بأن تكون الدراسة على فترتين: الفترة تبدأ من صلاة الفجر حتى قرب الظهر، فيذهبون لتناول طعام الغذاء، ثم يرجعون بعد ذلك مباشرة ليتابعون تَعَلُمَهُم حتى صلاة العصر حيث ينتهي اليوم الدراسي[2].

ولم يكن أكثر الأولاد . خاصة أولاد الطبقة الدنيا . يتجاوزون مستوى تلك الكتاتيب بل إنّ كثيرا منهم كانوا يتركون الدراسة قبل أن يختموا القرآن، وحذقوا القراءة والكتابة، وأتقنوا التجويد والتفقه في

[1] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص231. مغنية غرداين، قراءة في الحركة العلميّة بتلمسان الزّيّانيّة 633-992هـ/1236- 1554م، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد السادس**، العدد الثالث، جامعة بسكرة، ت.ن 2017/09/17م، ص ص285- 307.

[2] محّمد عادل عبد العزيز، **التربية الاسلامية في المغرب "أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1987م، ص ص25. 26.

بعض أمور اللغة والنحو، وكانوا قد بلغوا سن المراهقة في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرهم، فكانوا يتابعون دراستهم في المرحلة الأعلى متى سمحت مواردهم بذلك[1].

ثانيا . المسجد:

يقول رسول الله ﷺ: « من جاء مسجدي هذا لم يأته إلاّ لخيرٍ يتعلمه أو يُعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله»[2]. من هنا يتبيّن لنا الدور التعليميُّ الذي كان منوطا بالمسجد منذ العهد الأول للإسلام، فقد كانت تُعقدُ فيه حلقُ الذكر والعلم، إضافة إلى أنّها حلّت محل الجامعات في عصرنا الحاضر، فصار المسجد بهذا مركزاً ثقافيا فهو بيت للعبادة ومعهد للتعليم[3].

وقد اهتم الزّيّانيّون ببناء المساجد من حيث أنّه الحلقة الأساسية التي بدأت منها الدعوة الإسلامية في بلاد نجد، ومنها إلى أقطار الدنيا، وبقي المسجد يمارس دوره التعليميُّ عبر العصور، حتى صار له إرتباط وطيد بالتعليم مثله مثل الصلاة[4]، فأصبح من أهم المؤسسات التعليمية. كما كان سلاطين بني زيّان يولون أهمية كبرى في تشييد هذه المؤسسة، بنايةً، وتجديدا، وأقاموا عليها الأحباس الكثيرة، وقد فرق أبو عثمان سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد العقباني الأوقاف باعتبار واقفيها[5]، وانتشرت معظم هذه المساجد في أحياء المدينة وضواحيها منذ أن دخلها الفاتحون في النصف الأول من القرن الأول الهجري السابع الميلادي، وكان من أهمها: الجامعان الأعظمان بتلمسان، والذي أعجب العبدري بأحدهما في رحلته فقال عنه: «ولها جامع عجيب مليح مُتّسِع»[6].

---

[1] نفسه، ص26.

[2] أبو عبد الله مُحَّد بن يزيد القزويني ابن ماجه، **السنن**، تحقيق مُحَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.س، ج1، ص ص82 . 83.

[3] نفسه، ج1، ص83.

[4] أحمد شلبي، **تاريخ التربية الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، مصر، 1973م، ص102 .

[5] جمعية علماء المسلمين الجزائريين، **مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين**، دار الكتاب الجزائري، الثلاثي الرابع، 1402هـ/1982م، ص140.

[6] أبو العباس أحمد بن يحيى بن مُحَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، طبع بإشراف مُحَّد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م، مج1، ص237. العبدري، المصدر السابق، ص9.

من جهة أخرى وصف أحمد أمين المسجد بقوله: «لم تكن المساجد للعبادة وحسب، ولكن كانت تؤدي أعمالا مختلفة، فهي مكان عبادة تقامُ فيه الصلاة، وتُخطَبُ فيه الخُطب، كما كانت محكمة للتقاضي، وقام المسجد مقام المدارسِ والجامعات في العصر الحديث»[1].

وانتشرت المساجد في بلاد المغرب الأوسط، وركّزت على حفظ القرآن والحديث، وتدريس مجموعة من العلوم أهمها: الفقه، والنحو، واللغة، والأدب، وأما المساجد الجامعة[2]، فكانت شبيهةً بالمعاهد العليا، وتُدرَّسُ فيها العلوم الدينية من فقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، بإضافة إلى العلوم اللسانية[3]. ومن أهمِّ المساجد بتلمسان وأقدمها نذكر منهم:

أ . مسجد أجادير:

بنى هذا المسجد إدريس الأول، مؤسس الدول الإدريسية سنة (174هـ/790م)، وذكر ابن أبي زرع أنّه لما دخل إدريس تلمسان، صالح أهلها، وأتاه قائدها مُحَمَّد بن خزر بن صولات المغراوي مبايعاً، فبنى مسجدها، وأتقنه، ووضع منبره، وكتب عليه: «بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عن، وذلك في شهر صفر سنة أربعٍ وسبعين ومائة»[4].

ولمّا اعتلى يغمراسن، عرش بني زيّان، بنى صومعتين، إحداها بالجامعة الأعظم بأجادير، والأخرى بجامع تاجرارت، وأشاروا عليه أن يكتب اسمه في صومعة مسجد أجادير فأبى وقال: «عِلْمُ ذلك عند ربي»[5].

---

[1] أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة، د.س، ج2، ص52.

[2] **المساجد الجامعة**: هي المساجد التي تُقام فيها الجمعة والأعياد

[3] مبخوت بودواية، **العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيّان**، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ تلمسان، 2005م، ص ص66-67.

[4] أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق،ج1، ص21.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص125.

ب . المسجد الجامع أو الأعظم[1]:

يرجع عهد تأسيسه إلى المرابطين، وأكّد الدكتور لخضر عبدلي أنّ هذا المسجد بني عبر مراحل، المرحلة الأولى في عهد علي بن يوسف بن تاشفين سنة 475هـ، والثانية في عهد ابنه يوسف حيث أدخل عليه الهندسة الأندلسية خاصة في تزيين المحراب[2]، والثالثة هي في عهد يغمراسن لما بنى مئذنته[3].

ويذكر عبد الرحمن الجيلالي أنّ من بنى المسجد الجامع بتلمسان هو موسى بن نصير بين حدود المغربين: الأوسط والأقصى، وكان ينافس في النشاط جامع القيروان، واستمر هذا المعهد بعمله الثقافي كمركز من مراكز الثقافة الإسلامية خلال القرون المتعاقبة، وكان عاصمة من عواصم العلم المالكي، إلى جانب جامع طبنة، وقسنطينة، وبونة، ووهران، وتاهرت، والجزائر[4].

ج . مسجد سيدي أبي الحسن التنسي:

أسسه السلطان الزيّاني أبوسعيد عثمان سنة 696هـ/1296م، ونسب لهذا العالِم لأنّه كان يلقي دروسه فيه[5]، واستمر هذا المسجد في أداء رسالته إلى غاية الاحتلال الفرنسي في مطلع القرن التاسع عشر، فحوله الفرنسيون إلى متحفٍ للفن الإسلامي وما يزال كذلك إلى اليوم. ويقع شرق جنوب المسجد الكبير، وغرب مسجد سيدي المصمودي، ويتألف من قاعة للصلاة مربعة الشكل، تحتوي على ست سواري عالية، ولها محراب جميل منقوش[6]، قيل أنّ المسجد أحرق سنة 1900م فأعيدَ سقفُه ونقشُه[7].

---

[1] (G)Marçais et William, **les monument arabes de Tlemcen** , fonte oing, paris, 1905,pp162-169
[2] Rachid Bourouiba**, l'art religieux musulman en algèrie**, alger, send, 1973, p71.
[3] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص234.
[4] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص410.
[5] لخضر عبدلي، **تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيّان (633ـ 962هـ/ 1236ـ 1554م)**، دار الأوطان، الطبعة الأولى، الجزائر، 2011م، ص508.
[6] عبد العزيز لعرج، **المساجد الزيّانية بتلمسان "عمارتها وخصائصها"**، حوليات الجامعة الجزائرية، المجلد السادس، العدد الأول، ت.ن 1991/12/15م، ص ص101– 125.
[7] يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص140. ينظر: الملحق رقم–5–

د . مسجد أولاد الإمام:

بناه السلطان أبو حمو موسى الأول حوالي سنة 710(هـ/1310م)، احتفاء بمَقدَمِ الأخوين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى من بلدة برشك إلى تلمسان، وكان أبوهما الإمام أبو عبد الله بن عبد الله ابن الإمام البرشكي[1].

يقع هذا المسجد في حي باب الحديدة بتلمسان، وهو صغير الحجم، يتكون من قاعة للصلاة بها ساريتان في الوسط، كما انّ سقف المسجد خشبيٌّ، وكان له باب على الزاوية الشمالية الشرقية يؤدي مباشرة إلى قاعة الصلاة ولكنه أغلق بسبب الضوضاء، والقاذورات، وأُبدل بآخر في نهاية الساحة الخلفية[2].

هـ . مسجد سيدي أبي مدين شعيب:

شيّده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 740هـ/ 1340م بقرية العبّاد، كما أوقف له أحباسا تابعة إليه[3]وقد أشرف على بنائه عم ابن مرزوق الجد[4]. وذكر ابن مرزوق التلمساني هذا المسجد فقال: « وأماّ الجامع الذي بناه حِذاء ضريح شيخ المشايخ، وقدوة المتأخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب بن الحسين ﷺ، فهو الذي عزَّ مثالُه، واتصفت بالحُسن والوثاقة أشكالُه...وكان بناؤه على يد عمي وصنوُ أبي الصالح أبي عبد الله مُحَّد بن مُحَّد بن أبي بكر بن مرزوق وعلى يدي». وأضاف في وصفه قوله: «اشتمل على المنبر العجيب الشكل، المؤَلَفِ من الصندل والعاج والأنبوس المذّهبِ ذلك كلِّه. وأما الباب الجوفي الذي ينفتح على المدرج الذي ينزل فيه على قبر الشيخ ﷺ وإلى الشارع.

---

[1] نفسه ص152.

[2] يحي بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص151.

[3] Ch : Brosselard : **les inscriptions arabes de Télémcen**, in revus Africaine,5é année , N° 18 ,1858- 1859, p 404 ,410.

[4] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص242.

وهو باب النحاس المشتمل على مصرعين، كل مصرع منهما مصفح بالنحاس المخرم، المنقوش بالخواتم المستوفاة المشتركة العمل وتخريمه على أشكال من نحاس ملونة»[1].

و . مسجد سيدي ابراهيم المصمودي:

أسسه السلطان أبو حمو موسى الثاني، ويذكر أنّ هذا المسجد كان في الأصل هو المدرسة اليعقوبية التي أسسها السلطان المذكور سنة763هـ/1362م للعالِم أبي عبد الله مُحَّد الشريف العلوي الحسني التلمساني ليُدرّسَ بها. يقع هذ المسجد شرقَ مسجد أبي الحسن، وإلى الجنوب الغربي من مسجد المشور وقلعته، له قاعة للصلاة مربعة الشكل، تحتوي على ست عشرة سارية، وله بابان عن اليمين والشمال لا يفتحان إلاّ أيام الجمعة والأعياد، وقد أدى هذا المسجد دورا في الحياة الثقافية والدينية في العهد الزياني، وتعاقب عليه علماء أجلاّء أمثال: الفقيه والمحدث الشريف التلمساني، وابنه أبي مُحَّد، وتلميذه الشيخ ابراهيم المصمودي[2].

ز . مسجد سيدي الحلوي:

ينسب هذا المسجد إلى الشيخ العالم أبي عبد الله الشوذي قاضي إشبيلية، ولُقِّب بالحلوي لأنّه كان يوزّع الحلوى على أبناء الحي الذي كان يعيش فيه عندما قَدِمَ إلى تلمسان[3]، وقد أمر بتشييده السلطان المريني أبو عنان عام 754هـ/1353م تكريما لهذا العالم الجليل الورع، وكان أبوه السلطان أبو الحسن المريني قد أمر ببناء مسجد العبّاد ومدرسته عام739هـ/1339م، أي قبل خمسة عشر عاما من هذا التاريخ. وذلك فإنّ مسجد سيدي الحلوي جاء صورة طبق الأصل لمسجد العبّاد في الشكل، والحجم، والمرافق المختلفة داخلا وخارجا[4]. وقد أدّت المساجد دورا تعليميّا انقسم إلى قسمين أساسيين هما: العلوم التي كانت تدرّس في المسجد، و الثاني، مراحل تعليمه.

---

[1] أبو عبد الله مُحَّد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، ضبط وتقديم مُحَّد مفتاح، دار الأمان، الطبعة الأولى، الرباط، 1433هـ/2012م، ص ص329 . 330. ينظر: عبد العزيز لعرج، " مجموعة المنشات المعمارية للسلطان المريني أبي الحسن"، **مجلة دراسات تراثية**، مخبر البناء الحضاري، العدد2، جامعة الجزائر2، 2008م، ص ص57–63. ينظر الملحق رقم– 4–

[2] نفسه، ص ص123 . 127.

[3] يحي بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، قسم مدينة تلمسان، ص130.

[4] نفسه، ص130.

- **العلوم المدرّسة:** كانت أغلب العلوم المدرَّسة في المساجد الجامعة بتلمسان هي العلوم الدينية، من فقه، وتفسير، وحديث، والقراءات، والأصلين (أصول الدين، وأصول الفقه) والفرائض، واللّغة، بالإضافة إلى العلوم الأخرى كعلم المنطق، والبيان، والحساب، ونحوها[1]، وزيد على هذه العلوم تدريس كتب المواعظ في المساجد، وهذا اقتداء بالنبيّ ﷺ، حيث كان يعظُ أصحابه، وسواء كان الوعظ بكلام من الواعظ، أو بقراءة كتاب يتضمن الوعظ، يُشترط في ذلك أن يكون الواعظ من الكتاب أو مما يلقيه من حفظه صحيحا لا تردُّه القواعد العلمية، ولا يتنافى مع النّصوص الشّرعيّة، لأنَّ بعض الوعظ قد يشتمل على أباطيل كثيرة، ولاسيما ما كان يتعلق بالأنبياء والرسل، وهذا النوع يتطلب حظا وافرا من الطلب[2].

أما بالنسبة للعلوم العقليّة، فقد كان لها حظٌ كبير في التّعليم المسجدي، وذكر مُحَمَّد بن سحنون في كتاب "كتاب آداب المعلِّمين" أنّ الشيوخَ أجازوا تدريس بعض العلوم النقلية مثل: الحساب، والمنطق[3]. كما أورد الشيخ السنوسي أنّ شيخه مُحَمَّد بن قاسم بن تومرت كان عالما بالمنقول، والمعقول، والنحو، والحساب، والفرائض، والخط، والهندسة، وبكل علم فقال: « وما رأيته قطُ نظر في كتاب، إلا مرةً واحدة استشكلت عليه مسألةً هندسية، فنظر فيها كتبا كثيرة...»[4]. وزاد قوله: « وكان يقول لي اقرأ فقرأتُ عليه جملةً من الحساب، والفرائض...»[5].

- **مراحل التعليم المسجدي:** ساهم سلاطين بني زيّان في نشر العلوم في أصقاع الدولة كلِّها، وكانت أول مرحلة في التعليم هو تعليم الكتابة والقراءة وحفظ القرءان، وهذه المهمة أنيطت بالكتاتيب، ثم يتدرج المتعلم بعد ذلك في الدراسة، فيدرس مثلا علم الأدب[6]، والنحو، والصرف، والبلاغة، والفقه[7]،

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص238.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص111.

[3] أبو عبد الله مُحَمَّد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1402هـ/1981م، ص82.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص237.

[5] نفسه، ص237.

[6] زكرياء مفدي،" النشاط العقلي والتقدم الحضاري في عهد الزيانيين"، **مجلة الأصالة**، السنة الرابعة، العدد 26، السنة الرابعة، رجب-شعبان 1395هـ/جويلية- أوت1975م، ص165.

والفقه[1]، ثم دخل تعليم علم التصوف[2] والكلام إلى التعليم المسجدي، ومن أبرز من درّس في هذه العلوم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ولكنّ بجاية كانت سبقت الجزائر وتلمسان بمدرسة عبد الرحمن الوغليسي(ت786هـ/1384م). ومن أساتذة تلمسان في هذا الميدان مُحَّد بن يوسف السَنوسي الذي أصبح هو نفسه إماماً، وله تلاميذُ كثيرون[3]، ومن أعظم النماذج في التعليم المسجدي الجامع الأعظم بتلمسان، حيث كانت تدرّسُ جميع العلوم المذكورة سابقا، وكان يحضر مجالس هذه العلوم طلبة من خارج تلمسان، كبجاية، بل وحتى من فاس[4]، وكانت ترد عليه أسئلة الفتوى من تلمسان وبلاد افريقية[5]. افريقية[5]. كما كان هذا الصرح الزيانيُّ قبلةً لكثير من العلماء والفقهاء، الذي تصدروا مجال التدريس أمثال: أبي عبد الله الحسني الشريف التلمساني، وذكر ابن مريم قائلا: « وتَخَرَّج عليه من التّلاميذ من لا يحصى من صدور العلماء، وأعيان الفضلاء، ونجباء الأولياء...»[6]، ودرّس فيه ابنه عبد الله[7]، الذي كان كان متبحرا في شتى العلوم، « حتى لم يكن في المغرب أكثر اجتهادا منه في الإقراء، وانتفاع الطلبة، وارتحلوا إليه من الآفاق»[8]. وكانت المكتبات المسجدية قد ساهمت إسهاما كبيرا، خاصّة في تقديم المادّة العلميّة للطلبة، وعامّة النّاس[9]، فكانت المكتبات بمثابة الزاد الذي يحتاجه الطلبة لتحصيل العلم وطلبه.

[1] عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**، الأصالة، العدد 26، السنة الرابعة، رجب-شعبان 1395هـ/جويلية- أوت1975م، ص138.

[2] اقتصر العلماء في تعليم هذا الفن على كيفية الوصول إلى الولاية ومراتبها وبعض كرامات الأولياء، واجتنبوا تلك الانحرافات على حدّ قولهم التي تمس بالعقائد كالنفع والضر، والتبرك بالقبور... ينظر: مراد هوفمان، **الاسلام كبديل**، ترجمة غريب مُحَّد غريب، مؤسسة العلم والحديث، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1413هـ/1993م، ص88.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م، مج1، ص ص88. 89.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص119.

[5] نفسه، ص67

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص137.

[7] **أبو مُحَّد عبد الله الشريف الحسني التلمساني**: الإمام العلامة الفقيه المحقق المتفنن الحافظ الفهامة. نشأ في عفة وصيانة ووجاهة وديانة. أخذ عن والده، وابن مرزوق الجد، وأبي عمران العبدوسي، وأبي العباس القباب، وأبي العباس بن الشماع، وابني الإمام، وغيرهم وعنه جماعة منهم أحمد بن موسى البجائي، وابن مرزوق الحفيد، وأبو بكر بن عاصم. مولده سنة 748 هـ وتوفي غريقاً سنة (1389/792م). ينظر: مخلوف، المرجع السابق، ص337.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص119.

[9] الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص ص293 . 294.

ومنه نستخلص أنّ المسجد مؤسسةٌ تعليمية هامة، كان لها دور فعّال في تعليم المجتمع الزيّاني وتثقيفه، كما ساهم في تطوير العلوم بشتى أنواعها، فكانت النتيجة أن سطع نجمُ علماءٍ أفذاذ، أثرو الحياة الفكريّة في العهد الزيّاني، فضاهت تلمسان بمكانتها الحواضر العلمية ببلاد المغرب على غرار القيروان، وفاس، ومكناس.

ثالثا . المدرسة:

ارتبط مصطلح المدرسة بنظام الملك السَلجوقي، والذي كان وزيرا للسلطان ألب ارسلان وابنه الملك شاه، والحقيقة أنّها قبل ذلك بكثير، حيث كانت أول إشارة لوجودها في شعر دُعبُل بن عليٍّ الخزاعي[1] 459هـ/1057م حينما قال:

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاَوَةٍ ومَهْبَطُ وَحْيٍ مُقْفِرُ العَرَصَاتِ

وأما بالنسبة للمغرب الإسلامي، و على وجه الخصوص المغرب الأوسط، وبالتحديد مدينة تلمسان فقد شيّدت أول مدرسة على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني، رابع سلاطين بني عبد الواد، وسمّاها "مدرسة أولاد الإمام" (أبو زيد وأبو موسى)، والتي أصبحت تسمى بالمدرسة القديمة وهذا عند بناء المدرسة التاشفينية[2]. كما عارض في وقت لاحق بعد فقهاء المغرب الأوسط من أمثال الآبلي والعبدريّ، وغيرهما بناء المدارس، واعتبروا أنّ هذا الفعل إضعافا للمعرفة، وذهابا لهيبة العلم[3].

1 . أسباب إنتشار المدارس بتلمسان:

أورد ليون الإفريقي في كتابه وصف افريقيا أنّ مدينة تلمسان كان فيها خمس مدارس فقال: «وتوجد بتلمسان مساجد عديد جميلة صينة، لها أئمة وخطباء، وخمسُ مدارس حسنّة، جيّدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنيّة، شَيَّدَ بعضها ملوكُ تلمسان، وبعضها ملوكُ فاس»[4].

---

[1] **دعبل بن عليّ الخزاعي:** هو شاعر ولد سنة148هـ/765م، عاصر عهد الدولة العباسية زمن هارون الرشيد، هجا بني العبآس، وإن كان قرّبه بعض أمرائها، مات مقتولا سنة 246هـ/860م. سيدي مُحَّد نقادي، **إسهامات الإمام الآبلي في الحياة الفكرية للمغرب الكبير، "تلمسان نموذجا"**، أطروحة دكتوراة في الثقافة الشعبيّة، كلية العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1430 . 1431هـ/2009 . 2010م، ص75.

[2] مُحَّد النقادي، المرجع السابق، ص79.

[3] (A) Al Khammar **Les medrasas mérinides de Meknes**, Archéologie islamique, volume 11, Revue publiée avec le concours du Centre de la recherche scientifique Maisonneuve et larose, 2001, p 139.

[4] الوازان، المصدر السابق، ج2، ص19.

هناك دوافع عديدة شجعت السلاطين على بناء المدارس، وأول دافع هو العلم، بحيث أصبحت الحاجة ماسّة إلى مثل هذه المؤسسة، وهذا لكثرة الطلبة الوافدين على تلمسان، ولا يمكن للمسجد استيعاب هذه الحشود من الطلبة، وهم يستغرقون الوقت الطويل في الدراسة والعلم، وقد كان العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي يدّرسُ التفسير في مسجد القيسارية، وكان يحضرهُ الفقهاء والطلبة والعامة، وكان أكثرهم يجلسون في السكك، وكانوا يزدحمون حتى ضاقت الشوارع المتصلة بالجامع المذكور[1].

وإلى جانب هذا الدافع، ثمة الدافع السياسي، والديني[2]، والإجتماعي، والفني[3]، والشخصي، لتجسيد حرص السلاطين للعلم، لغرض الظهور وذكر إسمهم في الخلف، وحتى تكون لهم صمعة عند العلماء والعامة على حدّ سواء[4]. فأصبحت المدرسة هي المؤسسة الوحيدة المهيمنة في مجال التعليم العالي، وصارت بمثابة الجامعة في وقتنا الحاضر[5].

2 . شروط الالتحاق بالمدرسة:

يُشترط لالتحاق الطالب بالمدرسة عدّة شروط منها:

أ . أن يبلغ الطالب سنّ العشرين سنة فما فوقها.

ب . أن يكون قد بدأ في قراءة العلم ودرسه بقدرٍ واسع.

ج . أن يحضر مجالس المقرئين فيها بانتظام، إلاّ لضرورة مرض وشبهه من الأعذار المبيحة لتخلفه.

د . أن يحضر قراءة الحزب صُبحا ومغربا.

ه . إذا لم تظهر نجابته بعد عشرة أعوام من سكنى المدرسة، أُخرج منها جبرا، لأنّه يُعطل الحبس[6].

كل هذه الشروط والمراقبة المتواصلة للطلبة تؤكد الصرامة التي يتوفر عليها نظام المدرسة في العهد الزياني.

---

[1] عبد الجليل قريان، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص ص155-156.

[2] نفسه، ص156.

[3] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص331. 332.

[4] محمود قمبر، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، دار الثقافة، د.ط، الدوحة، قطر، 1405هـ/1985م، ص ص43-52.

[5] توبي. أ. هف، **فجر العلم الحديث (الإسلام . الصين . الغرب)**، ترجمة مُحَّد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية، الكويت، 1421هـ/2000م، ص91.

[6] الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص262.

3 . نظام الدراسة:

يبدأ توقيت الدراسة بالمدرسة عادة "من صلاة الصبح إلى قرب الزوال". وقد ذكر ابن مريم في ترجمته لسيدي عبد الله بن مُحَّد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني أنّه « أقْرأَ في مدرسته بتلمسان كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق من صلاة الصبح إلى قرب الزوال، وفي الصيف يُقْرأُ العلوم العقليّة من الأصول، والبيان، والعربية، وسائر العلوم، يَقطع جميع نهاره في ذلك لا يَفْتُرُ عنه غالبا إلاّ في أوقات الصلاة، وإذا كثر الطلبة قسّموا الوقت بينهم بالرملية»[1].

كما يمكن أن تستمر إلى مابعد صلاة العشاء وهذا ما يؤكّده الشيخ السنوسي لما تحدث عن شيخه سيدي مُحَّد بن قاسم بن تومرت التلمساني بقوله: « فَتَخَلَفْتُ عن مجلسه أياما، ثم جئته ووجدته وحده فقال لي تغيبت عنا؟ فقلتُ له يا سيدي أنا لا أعرف شيئاً، ولا أفهمُ شيئاً (أي من الدرس)، فقال إذا أردت القراءة فأتني وحدك بعد العشاء، فكنتُ إذا صليتُ المغرب رفعت العَشَاء إلى الشيخ، فيأكلُ منه حتى يكتفي، فإذا صليتُ العِشاء يقول لي اقرأ فقرأتُ عليه جملة من الحساب والفرائض...»[2].

وأما بالنسبة للتوقيت السنوي للدراسة، فعادة ما يكونُ فصلُ الشتاء لدقيق الأبحاث ونقل الغريب منها، فصار فصل الشتاء لهم عرقلة لما قرؤوه في الفصول الماضية، فكان أقلُّها دراسة واجتهادا، وجاء في نص الونشريسي قوله: « وجرت عوائد الشيوخ قديما وحديثا، أن يجتهدوا في فصل الشتاء بسرد القليل من المسائل، وافراغ الوُسع في نقل ما للعلماء فيها...فإذا انصرم هذا الفصل أجمّوا أنفسهم بعض الإجمام، ثم شرعوا في اقراء الطلبة والمبالغة في نصيحتهم قدر الامكان» وأضاف قائلا: « وعادتهم في سائر فصول السنة غير فصل الشتاء أن تُسردَ عليهم كثرة المسائل، ويقتصرون على بيان صورة كل مسألة مع نقل ما لابد منه عليها من المباحث والأقوال»[3].

[1] ابن مريم البستان، المصدر السابق، ص119. **الرملية**: هي السّاعة الرملية التي تعتمد على سقوط حبّات الرمل من أنبوبة ضيّقة.
[2] نفسه، ص237.
[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص353.

4 . المواد المدّرسة :

كانت المدرسة في العهد الزياني خليطا من العلوم والفنون، فبالإضافة إلى تدريس العلوم النقلية من فقه، وحديث، وتفسير، وغيرها، كانت تدرّس العلوم العقلية، والعلوم الطبيعية، وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة[1].

كما نبغ في تدريس علم المنطق ابنا الإمام، فعتادا المدرسة القديمة[2]، رغم تحذير أهل الأندلس من الخوض في المنطق وعلم الكلام أمثال أبي الوليد الباجي[3]، وكان للشريف التلمساني الذي ولاّه أبو حمو الثاني التدريس في المدرسة اليعقوبية، باعا كبيرا في العلوم العقلية من منطق، وحساب، وتنجيمٍ، وهندسة، وموسيقى، وطبٍ، فكان الطلبة يقولون يوم موته "مات الطبيب" لاطلاعه على أسراره، حافظا للغة والغريب، والشعر والأمثال، وأخبار الناس ومذاهبهم، وأيام العرب وسيرها[4]. وكان ابن زاغو الذي كان يلقي الدروس في المدرسة اليعقوبية، يدرّس التفسير، والحديث، والفقه في أزمنة الشتاء، والأصول العربية، والبيان، والحساب، والفرائض، والهندسة، في زمن الصيف، ويوم الخميس والجمعة لقراءة التصوف وتصحيح تآليفه[5].

هذه النصوص التي أوردناها، وغيرها من نصوص مؤرخي هذه الفترة، تُفحمُ أفواه القائلين بأنّ المدرسة الزيانية، ألغت تدريس العلوم العقليّة، ولكن مقارنةً بالعلوم الدينيّة، فإنّها لم تأخذ حضّها الكامل من التّدريس، وهذا لتركيز المدارس على هذه الأخيرة. وإنّ مما يمكننا قوله في هذه المؤسسة، أنّها أثرت الحياة العلمية بتلمسان وهذا من خلال علمائها، وسُمْعَتِهُمُ التي لاحت في الأفق مشرقا ومغربا، أمثال:

[1] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص20 .21.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص167.

[3] أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، **وصية الشيخ الحافظ أبو الوليد الباجي الأندلسي لولديه**، تحقيق عبد اللطيف الجلالي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، بيروت، 2002م، ص47. ينظر: أبو مُحَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، **رسالة البيان عن حقيقة الإيمان ضمن رسائل ابن حزم الظاهري**، تحقيق : إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1987م، مج3، ص194.

[4] الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص179.

[5] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص167

الشريف التلمساني، وابني الإمام، والمقرّي الجد، والشيخ السنوسي، وأبي عمران المشدّالي، وغيرهم الكثير. وسيأتي الكلام مستفيضا في الفصل الثالث حول هذه علوم في المناهج التعليميّة للفقيه.

5 . نماذج من المدارس الزيانية:

شهد عهد الدولة الزيانية بناء عدّة مدارس، منها ما بناه السلاطين الزيانيّون، ومنها ما بناه سلاطين بني مرين لما استولوا على تلمسان، وكانت مدينة تلمسان تحتوي على خمس مدارس، بقيت شامخة بهندستها المعمارية، وحركتها العلمية إلى عهد ليون الافريقي.

كما اتسمت هذه المدارس بالإشراف الرسمي للدولة، فسجلت انتصارا كبيرا للسنّة، والعودة الى المالكية مذهبا، وانتشار الأشعرية اعتقادا[1]، وكانت هذه المدارس قد انتهجت منهجين مختلفين في التدريس هما: الاجتهاد[2]، والتقليد[3].

أ . مدرسة ابني الإمام: أمر ببناء هذه المدرسة السلطان أبو حمو موسى الأول (ت707 .718هـ)، وعيّن على رأس هيئة التدريس بها ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن (743هـ/1342م)، وأخيه أبي موسى عيسى (ت749هـ/1348م)[4]، وذكر التنسي في كتابه هذه المدرسة فقال: « وكان هذا السلطان المرحوم صاحب آثارٍ جميلة وسيرة حسنة، محبًا للعلم وأهله، ورد عليه بعد موت يوسف بن يعقوب الفقيهان العلمان الجليلان أبو زيد، وأبو موسى ابنا الإمام، فلم ير ما يؤدي به شكر الله على النعمة التي منّ الله عليه بها، من قتل عدوِّه، وتعجيل الفرج، إلا الاعتناء بالعلم، والقيام بحقه، فأكرم مثواهما، واحتفل بهما، وبنى لهما المدرسة التي تسمى بهما، وكان يكثرُ مجالستهما، والاقتداء بهما، وهذان الفقيهان من بلدة برشك»[5]، حيث تخرج من هذه المدرسة الكثير من الفقهاء أمثال: أبي عبد الله مُحَّد بن إبراهيم الآبلي، والشريف التلمسان، وتخرج على يديهما العديد من فقهاء المغرب برمته[6].

---

[1] عبد الرزاق قسوم، **عبد الرحمن الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص22.

[2] **الاجتهاد:** هي مدرسة تستعمل الرأي في القرآن، والحديث، على نحوٍ لا يتعارض مع المبادئ الاسلامية، وقد عارض بعض الفقهاء هذه المدرسة واعتبروها خروجا عن الدين. نفسه، ص22

[3] **التقليد:** هو اتباع السلف في كل ما فعلوه وأقرّو به، دون الرجوع إلى العقل. نفسه، ص22.

[4] Hadj Omar Lachachi , **Le passé prestigieux de Tlemcen** , Editions Ibn-Khaldoun,Tlemcen 2002, p 192 .

[5] التنسي، المصدر السابق، ص139.

[6] المهدي البوعبدلي،" مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر"، **مجلة الأصالة**، العدد 11، السنة الثانية، شوال، ذوالقعدة 1392هـ/ نوفمبر، ديسمبر 1972م، ص86.

أما بالنسبة لعمارة هذه المدرسة، فإنّ المصادر سكتت عن وصفها، ولم يبق من هذه المدرسة إلاّ المسجد الصغير بمنارته، والذي أُسّس بجانبها، ولا يزال قائما إلى اليوم، يُعرف عند أهل تلمسان باسم "جامع سيدي ولاد ليمام"، ويقع في الناحية الغربية من المدينة في اتجاه باب كشوط، المعروف اليوم بباب سيدي بوجمعة.

ب . المدرسة التاشفينية: بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول مابين سنتي (718. 737هـ) بجانب الجامع الأعظم بتلمسان، ليضاهي بها سلاطين بني حفص في تونس، وبني مرين في المغرب الأقصى[1]، كانت تسمى في حياته باسمه، ثمَّ دُعِيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته، وبناها تكريما للفقيه أبي عمران المشذّالي، وسخر لبنائها فنانين ومهندسين في الزخرفة والتزيين والبناء، فجاءت هذه المدرسة نموذجا فريدا للزخارف التي احتوتها قصور ومدارس تلمسان في العهد الزياني، تدلّ على ولَعِ هذا السلطان بالعمران والتفنن فيه، واحتفل أبو تاشفين بتدشين هذه المدرسة باحتفال كبير، حضرته مشيخةُ تلمسان وأدباؤُها، وأهمُهم أبو موسى عمران المشذّلي الزواوي[2]، وقد وصف أحدُ أُدباء الأندلس ما رآه مكتوبا على دائرة مجرى الماء بهذه المدرسة فقال المقرّي: « رأيتُ مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبو تاشفين الزياني، وهي من بدائع الدنيا هذه الأبيات[3]:

انظرْ بِعَيْنَيْكَ مُهْـجَتِي وَسَنَائِي   وَبَدِيـعَ اتْقَـانِي وَحُسْنَ بِنَـائِـي
وَبَدِيعَ شَكْلِي وَاعْتَبِرْ فِيمَا تَرَى   مِـنْ نَشْـأَتِي بَلْ مِنْ تَـدَفُّـقِ مَائِـي
جسْمٌ لَطِيفٌ ذَائِـبٌ سَيَلَانُـهُ   صَافٍ كَذَوْبِ الفِضّةِ البَـيْضَـاءِ
قد حَفَ بِي أزْهارُ وَشْيٍ نَمَقَتْ   فَغَدَتْ كَمِثْلِ الرَوْضِ غِبَّ سَمَاءِ

وظلت هذه المدرسة قائمةً تقوم بوظيفتها نحو خمسة قرون من الزمن، إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي فهدمها بحجة توسيع شبكة الطرق داخل المدينة، وبنيت فيها دار البلدية سنة 1876م[4].

[1] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص244.
[2] محمّد بن عزوز، المرجع السابق، ص ص 26 ـ 27.
[3] المقّري، المصدر السابق، ج6، ص47.
[4] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص142 .143. وينظر: عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص62. Nabila Oulebsir , **Les usages du patrimoine Monuments** , musée , et politique coloniale en Algerie (1830-1930) Editions de la Maison des sciences de l'homme , Paris 2004 , p 152

ج . مدرسة العبّاد (أبي مدين): قام بتشييدها السلطان أبو الحسن المريني عندما استولى على تلمسان، والمغرب الأوسط بقرية العبّاد[1] 747هـ/1447م، فوق ربوة مطلَّةٍ على تلمسان إلى جانب روضة أبي مدين الغوث (ت594هـ/1197م)[2]. وتبعد المدرسة عن الجامع بنحو سبعة أمتار، وقد ذكرها الوزان بقوله: « وهناك أيضا مدرسة جميلة جدا، وفندقٌ لإيواء الغرباء أسّسها بعضُ ملوكِ فاس من بني مرين، حسبما يُقْرأُ ذلك في الرخامتين المنقوش عليهما أسماؤهم»[3].

ووصف غوستاف لوبون هذه المدرسة بقوله: « ...وتمّ إنشاء المدرسة التابعة لهذا المسجد (مسجد أبي مدين) في سنة 747هـ، وتُعدُّ هذه المدرسة من أهم المباني من نوعها في افريقية، وكانت تُدَرَّسُ فيها العلوم والتاريخ أيامَ ارتقاءَ العرب»[4].

د . مدرسة سيدي الحلوي: بنى هذه المدرسة السلطان المريني أبو عنان عندما دخل تلمسان سنة 754هـ/1354م، بالقرب من ضريح الوليّ الصالح أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي، الملقب بالحلوي (ت أواخر القرن7هـ/13م)، ولكن هذه المدرسة لم تكن بنفس شهرة المدارس الأخرى التي أنشئت بتلمسان[5].

هـ . المدرسة اليعقوبية: شيّدها السلطان أبو حمو موسى الثاني765 هـ/1364م وسماها اليعقوبية نسبة إلى أبيه يعقوب ، وجعلها ملحقة بمقبرة بني عبد الواد. وذكر التنسي هذه المدرسة فقال: « وفي دولته كان الإمام العالم المتفنن البحر، الحبر، شريف العلماء، وعالم الشرفاء، أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن علي بن يحي بن مُحَّد بن قاسم بن حمود...فكان له محبا ومعَظِّمًا، وبه حفيّاً ومكرمًا... وله بنى مدرسته الكريمة حين تُوفي والده إلى تلمسان ودُفِنَ بباب ايلان»[6].

---

[1] **العبّاد**: العُبّادُ مدينة صغيرة شبه ربض، تقع في الجبل على بُعد نحو ميلٍ جنوب تلمسان، وهي كثيرة الازدهار، وافرة السكان والصنّاع ومعظمهم من الصبّاغين، وبها دُفن وليٌّ كبير، ذو صيت شهير، يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلّمٍ من عدة درجات، ويُعظم أهل تلمسان والبلاد المجاورة لها هذا الوليَّ كثيرا ويستغيثون به، ويتصدقون عنده كثيرا لوجه الله، ويسمى "سيدي مدين". ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص143.

[3] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24.

[4] مُحَّد بن عزوز، المرجع السابق، ص29.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص144.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص179.

استغرق بناء المدرسة أكثر من سنة ونصف، حيث تمّ الإنتهاء من الأشغال فيها سنة 765هـ/1364م[1]، وكان أول من أُسنِدَ إليه التدريس بها هو العلامة أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد الشريف الحسني[2]، الذي كان عالما في المعقول والمنقول، وكان بارعا في تلقين الدروس، فقدكان السلطان أبو حمو يحضرُ درسَ الشيخ بنفسه[3]، وقد ذكر التنسي في كتابه نظم الدر والعقيان هذا فقال: « وحضر مجلس اقرائه فيها جالسا على الحصير، تواضعا للعلم، واكراما له، فلما انقضى المجلس أشهد بتلك الأوقاف، وكسا طلبتها كلَّهم...»[4].

وإلى جانب هذه المدارس، نجد مدارس أخرى، منها المدرسة التي بناها أو أعاد بناءها السلطان أبو العبّاس أحمد المعتصم الملقب بالعاقل (483-866هـ/1431-1462م)، فذكر التنسي هذا السلطان ومدرسته فقال: « وكانت له عناية عظيمة بالولِيّ الزاهد، القطب الغوث، شيخ الزُّهاد، وقُدوة العبّاد، السيّد أبي علي الحسن بن مخلوف[5]، فكان يكثرُ من زيارته، ويقتبسُ من اشارته، ومَدارُ أكثر أموره عليه، عليه، وبنى بزاويته المدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافا جليلة...»[6].

---

[1] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص144.

[2] **مُحَّد بن أحمد الشريف**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد الشريف، التلمساني، كان أحد رجال الكمال علمًا وذاتًا وخُلقًا وخَلقًا، عالمِا بعلوم جمّة من المنقول والمعقول، و هو أحد العلماء الراسخين وآخر الأئمة المجتهدين' ولد بتلمسان سنة 710هـ/1311م، ونشأ بها، له مؤلفات بديعة أشهرها: "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول". توفي سنة 771هـ/1370م. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص ص430 ـ 445. وابن مريم، المصدر السابق، ص ص164 ـ 184.

[3] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص ص534 ـ 535.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص180.

[5] **الحسن بن مخلوف**: هو أبو علي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الرّاشدي. المعروف بأبركان، الفقيه الإمام العالم من أساتذة التنسي، قال عنه الإمام السنوسي: رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان كان لا يخاف في الله لومة لائم. توفي سنة (857هـ/1453م)، ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص74. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص ص161 ـ 162. الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص ص131 ـ 133.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص248.

لم يبق من هذه المدرسة إلاّ الجامع، ويبدو أنّها لم تحظ بالشّهرة والمكانة التي حظيّت بها المدارس الأخرى التي كانت بتلمسان[1].

رابعا ـ الزوايا (الربط):

كانت الزاويا بالمشرق تسمى "بالرُّبُط" أو "الخوانقُ"، وجاء هذيان المصطلحان في مسند ابن مرزوق « وهذه الزوايا هي التي يُطلقُ عليها في المشرق الرُّبُطُ والخوانِقُ، والخانِقات عَلم على الرُّبط، وهو لفظ أعجميٌّ»[2].

والرباط في الاصطلاح الفقهي: عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة.

وفي المصطلح الصوفي: عبارة عن الموضع الذي يلتزم فيه العبادة[3].

وقال أبو حفص السهروردي[4] في كتاب عوارف المعارف: «وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول...وشرائط سكان الرباط، قطع المعاملة مع الخلق، وفتح المعاملة مع الحق، ...، وحبس النفس عن المخالطات، ومواصلة اليل والنهار بالعبادة، مُتعوّضا بها عن كل عادة، والانشغال بحفظ الاوقات، وملازمة الأوراد، وانتظار الصلوات، واجتناب الغفلات، ليكون بذلك مرابطا مجاهدا، والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم، ولكل قوم دار والرباط دارهم، وقد شابَهوا أهل الصُّفة في ذلك»[5].

وفي عهد دولة بني زيّان ظهرت عدّة زوايا غير أنها لا تعبّرُ عنها جميعا، سيما بعد انتشار التصوف في المدينة، وكثرة رجاله، وبعد أن صارت الزاوية تنافس المدرسة والمسجد في التعليم، نذكر

---

[1] حول المدارس وتشيّيدها ينظر: رشيد خالدي، **دور علماء الأوسط في إزدهار الحركة العلميّة في المغرب الأقصى خلال القرنين 7– 8**هـ/**13– 14**م، إشراف أزد لخضر عبدلي، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، 1431– 1432هـ/2010– 2011م، ص ص31– 36.

[2] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص335.

[3] نفسه، ص335.

[4] **السهروردي:** هو أبو حفص عمر بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عَمُّويه واسمه عبد الله البكري، الملقب شهاب الدين السهروردي، ولد بسهرورد في أواخر رجب، أو أوائل شعبان، والشك منه في سنة 539هـ/ 1145م، من فقهاء وعلماء التصوف في بغداد، صاحب كتاب "عوارف المعارف"، وتوفي في مستهلّ المحرم 632هـ/1234م، رحمه الله ، ودفن من الغد بالوردية. أحمد محمّد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1972م، ج3، ص ص446 ـ 448.

[5] أبو العبّاس أحمد بن علي المقريزي، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الاسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م، ج2، ص427.

منها[1]: زاوية العبّاد بظاهر تلمسان[2]، وزاوية أبي الحسن الذي شيَّدها السلطان أبو سعيد عثمان[3]، وزاية الحلوي بجانب مسجده[4]، وزاوية أبي عبد الله[5]، وزاوية أبي زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي[6]، وزاوية الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان قرب المدرسة الجديدة التي بناها السلطان أبو العبّاس أحمد العاقل[7]، وزاوية ابن البناء[8]، وزاوية أبي يعقوب العشّاشي بشلف[9].

كما كانت هناك عدة زوايا خاصة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي مثل زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، وزاوية تابعة لضريح سيدي الهواري[10] بوهران، وغيرها، كما كانت هذه المؤسسة تحتوي على مكتبات مليئة بنوادر المخطوطات التي كان الشيوخ والطلبة يستعينون بها في طلب العلم[11]. ولعبت دورا هاما في انتشار العلوم وتنوّعها في العهد الزيّاني[12].

---

[1] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص149.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص179.

[3] شارل اندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، ترجمه: مُحَّد مزالي وبشير سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1389هـ/1969م، ج2، ص210.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص33.

[5] **أبو عبد الله**: أحد كبار الأعلام المشاهير، سكن موضعا واتخذه خلوةً، وألزم كل من دخل زاويته أن يكون سلوكه وفق السنّة والسلف الصالح. فيلالي المرجع السابق، ج1، ص149.

[6] عبد الجليل قريان، ص179.

[7] التنسي، المصدر السابق، ص248.

[8] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص149.

[9] مُحَّد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ/1978م، ص60.

[10] **سيدي الهواري**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن عمر بن عثمان الهواري، الولي الصالح، كان كثير التجوال شرقا وغربا برا وبحرا، أخذ العلم بفاس على يد موسى العبدوسي والقباب، وفي بجاية عن شيخه أحمد بن إدريس، وعبد الرحمن الوغليسي، ثم ارتحل إلى المشرق للحج، واستقر في وهران، وتوفي بها سنة 843هـ/1439م. أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي (ت1036هـ/1626م)، **نيل الابتهاج**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1410هـ/1989م، ص516.

[11] وسيلة بلعيد بن حمدة،" الزاوية ودورها التربوي والاجتماعي"، **مجلة الهداية**، العدد الرابع، سنة 19، تونس، 1415هـ/1995م، ص30.

[12] مُحَّد برشان،" الحركةالعلمية في الزوايا" – الزاوية الزيّانية– أنموذجا–، **مجلة دراسات إنسانية واجتماعية**، العدد الثاني والثالث، جامعة وهران، جانفي 2013م، ص ص195– 212.

وأما بالنسبة للزوايا في المساجد فكثيرة هي، ولم ندخلها تحت الضبط، واقتصرنا على الأمثلة المذكور، لِما مِلْنَا إليه من الاختصار. وظلت الزاوية تقوم بوظيفتها الاجتماعية للمحتاجين إليها طِوال عهودها. وقد ساهمت هذه الوظيفة في استجلاب أعداد كبيرة من الناس، وادخالهم تحت طريقتها.

وذكر صاحب كتاب الاستقصا أنَّ الشاعر أبا بكر بن جُزَيّ نظم أبياتا في بعض ما أنشأه السلطان أبو عنان من الزوايا فقال[1]:

هَذا مَحَلُّ الفَضْلِ والإِيـــــــثـــــــارِ	وَالرِفْقِ بِالسُّكَـــــــــــانِ وَالـــزُوَّارِ
دار على الإحسان شُيِّدت والتُّقـــى	فجزاؤهـــــا الحسنى وعـقبى الـدارِ
هي ملجأ للـــــواردين ومـــــــــورد	لابن السّبيل وكـلُّ ركب ســــــارِي
آثارُ مولانَا الخلـيفةُ فـــــــــــارسٍ	أكرِمْ بهَا في المجْــدِ من آثـــــــارِ
بُنِيَت على يدِ عَبِيدِهِـــــــــم وخديمِ	بَابِهِمُ العليّ محـــمد بن الحـــــــدارِ
في عامِ أربعةٍ وخمسينَ انقَضَـــــــــتْ	مِن بعـدِ ســبعِ مِئِينَ في الأَعـصَارِ

خامسا: المكتبات:

أدرك المسلمون منذ وقت مبكّرٍ حاجتهم للمكتبات كوسيلة لنشر العلم والمعرفة بالإسلام، فعملوا على إنشائها وعمارتها بأعداد كبيرة من الكتب، وأنشؤوا بيوتَ الحكمة ودورَ علم، كأماكن تَتَيَسَرُ فيها سبل البحث والتدريس والتعليم ودراسة مختلف العلوم، ومن أوائل ذلك بيت الحكمة[2] الذي أنشأه الخليفة العباسي هارون الرشيد[3].

[2] السّلاوي، المرجع السابق، ج3، ص206.

[3] **بيت الحكمة**: هي مكتبة أنشأها هارون الرشيد سنة (185هـ/801م) ببغداد، وأُحرقت لما اجتاح المغول بلاد الاسلام، وأسقطوا دولة بني العباس. أحمد أمين، المرجع السابق، ج2، ص ص62.61.

[3] **هارون الرشيد**: هو هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، هو خامس خلفاء بني العباس، ولد سنة (149هـ/766م)، تولى الخلافة من سنة 170. 786م إلى غاية سنة وفاته 809.193م، ودفن بطوس في إقليم خرسان. ينظر: أبو جعفر مُحَّد بن جرير الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، مج4، ص417.

ودعّمه ابنه المأمون[1] من بعده، ثمّ المكتبة الضّخمة التي أنشأها الحكم المستنصر[2] في قرطبة، وجمع فيها ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله[3]، «وفُتِحَت دار الحكمة بالقاهرة سنة 395هـ/1005م، وحُمِلَت الكتب إليها من خزائن القصور، ودخل النّاس إليها، وجلس فيها القرَّاء والفقهاء والمنَّجِمُون والنُحّاة وأصحاب اللّغة والأطباء، وحصل فيها الكتب من سائر العلوم ما لم يُرَ مثله مجتمعا، وأَجرى (أي الخليفة الفاطمي المستنصر بالله) على من فيها من الخدّام والفقهاء الأرزاق السنية، وجعل فيها ما يُحتاج إليه من الحبر والأقلام والمحابر والورق»[4]. وانتشرت المكتبات بعد ذلك في أنحاء العالم الإسلامي، فقد كان بعضها في عهد المرابطين[5]، والمرينيين[6]، حتى الحفصيين[7] الذين عاصرو الدولة الزيانية.

كما كان في انشاء المكتبات وتوفير الكتب اللازمة إحدى الركائز الأساسيّة للحركة الفكريّة بالمغرب الأوسط، إذ كانت تلمسان عاصمة مزدهرة بلغت فيها صناعة الكتب تآليفا ونَسْخا وجَمْعاً درجة عالية، وقد زوَّد السلاطين والأمراء والعلماء والفقهاء مكتبات تلمسان بمجموعة من الكتب مثل كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" للسلطان أبي حمو الثاني، وكتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس اللأمّارة" للسلطان أبي زيان مُحَّد بن أبي حمو الثاني، و "كتاب مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول على مسائل الفقه" للشريف التلمساني، ومصنف "الجامعة في الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك" وتسمى "الوغليسية" لعبد الرحمن الوغليسي، وشرح "التلمسانية في الفرائض" لابن زاغو، و

---

[1] **الخليفة المأمون**: هو عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة 170هـ/786م، كان عهده ازدهارا في النهضة العلمية والفكرية في العهد العباسي الأول، توفي وهو في الغزو سنة 218هـ/833م، ودفن بطرسوس إقليم الشام. مُحَّد بن أبي يعقوب ابن النديم ، **الفهرست**، تحقيق: يوسف علي الطويل دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996م، ص185.

[2] **الحكم المستنصر**: هو الحكم بن عبد الرحمن بن مُحَّد بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل، ولد سنة 302هـ/915م، تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس، بويع بالخلافة سنة 350هـ/961م، اشتهر بعلمه واقتنائه للكتب، توفي سنة 366هـ/976م. ينظر: المقّري، المصدر السابق، ج1، ص386.

[3] أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي، **المغرب في حلى المغرب**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997، ج1، ص126.

[4] المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص342.

[5] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص128.

[6] مُحَّد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، دار القلم، الطبعة الثانية، الكويت، 1408هـ/1987م، ص ص349- 350.

[7] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص128.

"الدرر المكنونة في نوازل مازونة" للفقيه يحي المازوني[1]، وغيرها من المصنفات التي امتلأت بها مكتبات تلمسان. وقد كان في تلمسان أسواق لتجارة الكتب وبيعها "فكان السمسار ينادي عليه بسوق بيع الكتب بسبعة عشر درهما"[2].

وذكر شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله قوله: «ويعتبر إنتاج القرن التاسع، رغم ذلك من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي، ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين (أو العلماء) والمؤلفات...وجدت أنّ عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية متفرقة»[3]، وقد اشتهرت في عهد بني زيّان مكتبتان كانتا كانتا في المسجد الأعظم، حافلتان بالكتب النفيسة التي كان يستفيد منها الطلبة:

المكتبة الأولى: أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني، وقد كانت على يمين المحراب، وهُدِمت، وفُقِدَ ما كان فيها من كتب حوالي سنة 1266هـ/1850 حينما قامت مصلحة الآثار التاريخية التابعة للاستعمار بإصلاح وترميم ما تلاشى من المسجد الأعظم[4].

أما المكتبة الثانية: فقد بناها ابنه أبو زيان مُحَّد الثاني سنة796هـ/1394م، وكانت بمقدم الجامع الأعظم، وقد احتوت على نسخ من القرآن الكريم نسخها ﷺ بيده الشريفة، ونسخة من صحيح البخاري، ونسخا من "الشفا" للقاضي عياض، وحبسهما في المكتبة المذكورة[5].

إنَّ مثل هذا الحرص من السلاطين الزيانيين على إنشاء هذه المؤسسات الضخمة، ينُمُّ على اهتمام الدولة بالعلوم وتقريبها للدارسين، وهي وسيلة أيضا للظفر بالملك والاستعانة به في تدابيره، والظهور في نظر العامة بمظهر المهتمّ في مَالَهُ علاقة بالعلم والعلماء، والمهمّ في الأمر كلّه هو المكانة المرموقة التي حظيت بها تلمسان خلال العهد الزيّاني من جرّاء تطور حركتها العلميّة، حيث أصبحت عاصمة الزيّانيّين حاضرة ذاع صيتها في جميع القطر الإسلاميّ، ليس لدوران عجلة الحياة الثقافية بها فقط، بل وحتى من خلال فقهائها الذين شُدَّ لهم الرّحال لطلب العلم، فكانت بهذا تلمسان مقصدا للراغبين في تحصيل العلوم.

[1] جلول هادي، دور المكتبات في نشر العلوم في تلمسان في العهد الزياني، **المجلة الجزائرية والدراسات التاريخية المتوسطية**، العدد الثاني، جامعة الشلف، شتاء 1436هـ/2015م. ص161.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص124.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص39.

[4] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص538.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص211.



الفصل الثاني

فقهاء تلمسان في العهد الزيّاني

- المبحث الأول: الفقهاء المخضرمون
- المبحث الثاني: جمهرة فقهاء تلمسان
- المبحث الثالث: فقهاء تلمسان في عصر الضعف والانحطاط

إنَّ الحركة العلمية في تلمسان خلال العهد الزيّاني، لم تكن وليدة الصدفة، بل تصدّرها علماء وفقهاء ذاع صيتهم في جميع البلاد الإسلامية، وقد ساهموا مساهمة فعّالةً في ازدهارها وتطوّرها. كما كان لهم جزيل الفضل أن كوّنوا طلبةً أصبحوا فيما بعد فقهاء أثرو الحياة الفكرية في عاصمة الدولة، وغيرها من عواصم المغرب. ويتضحُ ذلك جليّاً على سبيل المثال في فقهاء تلمسانيين الذين تصدّروا العلم في مدينة فاس إقراء وتدريسًا أمثال: أبي إسحاق التنسي، وأبي زيد بن الإمام، والعلامة الآبلي وغيرهم.

وفي هذا الفصل سأحاول التعريف بعدد من فقهاء تلمسان في جميع أطوار الدولة الزيانية، غير أنّني لست في دراسة إحصائية كي أحصيهم إجمالا، لأنّ أعدادهم لا يمكن حصرها في فصل واحد، ولا حتى في أطروحة بأكملها، وعلى حدِّ قَوْلِ القائل: أنّ ما لا يُدركُ كلُّه لا يُتركُ جلُّهُ، وقد أقتصرُ على نماذج منهم في كل مبحث، ورتبتهم ترتيبا بحسب سنة الوفاة، لأنني لم أقف على سنة الميلاد لبعض منهم.

المبحث الأول: الفقهاء المخضرمون[1]

بذل الموحدّون جهودا مضنيةً في تطوير الحركة الفكرية، وهذا من خلال بروز فقهاء كانوا أعلاما فيها،كما كانت هذه الفئة بمثابة بذور نهضةٍ للحركة الزيّانية فيما بعد، فهم ميراث روحيٌّ استعان به بنو زيّان في إقامة حياة فكريةٍ تليق بهم وبدولتهم. وقد اعتمدتُ في هذا المبحث على ذكر بعض فقهاء تلمسان باعتبار: المولد، أو النشأة، أو الوفاة، أو النّسب على حدّ سواء، واخترتهم عل أساس رحلتهم العلمية من وإلى تلمسان، على أن يكون الفقيه المذكور قد عاصر الفترة التي ما بين سنة قيام الدولة الزيّانية على يد يغمراسن بن زيّان سنة 633هـ/1236م، وسقوطِ مُراكش عاصمة الموحدين سنة 668هـ/1270م منهم على سبيل الذكر لا الحصر:

أولا . أبو عبد الله النّدرومي: (580 . 634هـ/1184 . 1234م)

أ . ميلاده ونشأته:

هُوَ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن سَحْنُونَ يعرف بالندروميّ، مَنْسُوبا إِلَى ندرومة من مَدِينَة تلمسان، ويُقال له الكوميّ نسبة إلى قبيلته كومية، قال عنه ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنبّاء في طبقات الأطبّاء: « كان جليلَ الْقدر، فَاضلَ النَّفس، محبًّا للفضائل، حادَ الذِّهْن، مُفْرَطَ الذَّكاء»[2].

وجاء في كتاب معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض أنّه وُلِدَ بقرطبةَ ونشأ فيها بعد أن هاجر والِدَه إلى الأندلس، ثم انتقل إلى اشبيلية[3]. وسمع كثيرا من الحَدِيث، وخدم النَّاصِر فِي آخر دولته بصناعة الطِّبّ، وخدم بعده لوَلَده الْمُسْتَنْصر، وَأَقَام بإشبيليه، وخدم بعد ذَلِك النَّجَاء سَالمَ بنَ هودٍ، ولأخيه أبي عبد الله بنَ هودٍ صَاحب الأندلس[4].

[1] المخضرمون جمع مخضرم، عند علماء الحديث هو من أدرك الجاهلية والإسلام، وفي المصطلح اللغوي هو من عاش في زمنين مختلفين. ينظر: علي التهانوي، المرجع السابق، ج2، ص ص1495-1496.

[2] أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنبّاء في طبقات الأطبّاء**، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الإحياء، د.ط، بيروت، د.س، ص537.

[3] عادل نويهض، المرجع السابق، ص330.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص537.

وذكر عبد الحق حميش أنّ النّدروميَّ زيادة إلى فقهه وعلمه جمع بين الطبِّ وعلم اللّغة والأدب، وقد عاش في العهد الأخير للدولة الموحديّة، ولنبوغه في ميدان الطبّ، اختاره النّاصرُ مُحَّد بن يعقوب ليكون من خاصّة أطبّائه، ثم طبيباً للمستنصر المؤمنيّ يوسف بن مُحَّد[1].

ب . شيوخه:

درس أبو عبد الله النّدروميّ على عدّة شيوخ، منهمُ الأطبّاء، وغيرُهم من الفقهاء، فقد درس الطبّ على أَبي الْوَلِيد بنِ رُشد، واشتغل عَلَيْهِ بصناعة الطِّبّ، واشتغل أَيْضا على أبي الْحجَّاج يُوسُف بن موراطير[2].

آثاره: لم توجد آثار كثيرة للشيخ الندروميّ إلا ماذكره ابن أبي أصيبعة والمتمثل في كتاب "إختصار كتاب المستصفى"للإمام الغزاليّ رحمة الله عليه.

ج . وفاته: لم تذكرِ المصادر سنة وفاة الشيخ، غير أنّها أشارت إلى أنّه كان حيًّا سنة أربع وثلاثين وستمائة. وسار على نهجها الدكتور رضا عمر كحالة في معجم المؤلفين حيث لم يشر إلى سنة الوفاة[3]. ومثله كان رأي عادل نويهض، فقد ذكر أنّه كان حيًّا سنة 634[4]. أمّا الدكتور حميش فقد ذكر أنّها سنة وفاته[5]. والله أعلم.

ثانيا . ابن عصفور التلمساني: (571 . 646هـ/1175 . 1248م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر بن عصفور، العبدري، التلمساني، محدّث من كبار المالكية في وقته بتلمسان[6].

[1] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص375.

[2] بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، 537. وينظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، د.س ، ج10، ص18.

[3] رضا عمر كحالة، المرجع السابق، مج10، ص18.

[4] عادل نويهض، المرجع السابق، ص330.

[5] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص375.

[6] عادل نويهض، المرجع السابق، ص233.

قال عنه ابن الفخار الرعينيّ[1] في كتابه "برنامج شيوخ الرعيني" قوله: « ولقيت بتلمسان أبا زكرياء يحيى بن أبي بكر بن عصفور في ربيع الأول من سنة 646هـ». وكانت السنة المذكورة هي نفسها السنة التي سقطت فيها اشبيلية، ولذلك كثيراً ما يذكر بعد قولها (أي المدينة): «رجعها الله»[2].

ولما كان الرعينيُّ يؤلِّف كتابه البرنامج، وهو كتاب يذكر فيه شيوخه ويُترجمُ لهم، كان يقفُ على كلِّ اسمٍ منهم بقوله: «رحمه الله»، إلاّ ثلاثة شيوخ تحدث عنهم على أنّهم أحياء، ودعا لهم بالبقاء، وهم:

ـ أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن مُحَّد بن يوسف الأنصاري.

ـ وأبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله الأزدي.

ـ وصاحب ترجمتنا الشيخ أبوزكرياء يحي بن أبي بكر بن عصفور العبدري[3].

وذكر نويهض في معجم أعلام الجزائر قوله أنَّ الرعيني عندما التقى بابن عصفور بمراكش أجاز له ولبنيه جميع ما يحمله[4]، وكتب بذلك كتبا ظَهَرَ فيها نُبلَه ومعرفتَه بطريقة التحديث. وفي برنامج الرعيني أسماء شيوخ ابن عصفور الذين أخذ عنهم، وهم منكبار الأندلس والمغرب[5].

ب ـ وفاته: لم أقف على سنة وفاته، غير أنّني أُورد ما أورده عادل نويهض، أنه كان حيّاً سنة 646هـ، وهذا ما جاء به نص الرعينيُّ السابق ذكره[6].

ثالثا ـ مُحَّد بن عبد الله التلمساني: (ت651هـ/1253م)

أ ـ ميلاده ونشأته:

هو أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن مروان التلمساني، من أكابر الفقهاء التلمسانيين.

[1] **الرعيني:** هو أبو الحسن علي بن مُحَّد بن عبد الرحمان بن هيصم، الرعينيُّ، الإشبيليُّ، يعرف بابن الفخار، ويُعرف سلفه قديما ببني الحاج، ولد في شعبان سنة 592هـ/1196م، وبها نشأ ، وأخذ على شيوخ عصره، تولى قضاء اشبيلية سنة 615هـ، انتقل إلى تلمسان سنة 646هـ، واستقرّ آخر عمره بمراكش، حتى توفي بها في الرابع والعشرين من رمضان سنة 666هـ/1268م. ينظر: ابراهيم شبّوع "أبو الحسن علي بن مُحَّد بن علي الرعيني الإشبيلي المعروف بابن الفخار (ت 666هـ/1268م)"، برنامج شيوخ الرعيني، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد الخامس، الجزء الأول، المغرب، ذو القعدة 1378هـ / مايو 1959م،ص ص103 ـ 104

[6] نفسه، ج1، ص114.

[3] إبراهيم شبّوع، المرجع السابق، ص ص114 – 115.

[4] نفسه، ص115.

[5] عادل نويهض، المرجع السابق، ص233.

[6] الرعيني، المصدر السابق، ص114.

ذكر التاج ابن حموية الدمشقي[1] في رحلته المغربية أنّ أصله من المرية بالأندلس، ولد بوهران كان والده من الأجناد، تقدم وساد ووليَ مدينة وهران نشأ بتلمسان ونبغ في الفقه والأدب، ومال لعلم الظاهر، وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم واشتهر بذلك. وصادف انحراف المنصور عن كتب الفروع وميله إلى مذهب أهل الحديث، فتقدم عنده، إلى أن ولاه قضاء قضائه سنة 583هـ/1187م، فأبان عن صرامة وعفة ومروءة، ثمُ نُسِبَ له بعض التقصير في صدقات خرجت على يده، فعزلهُ المنصور سنة 592هـ/ 1196م، ولكنّه رجع إلى القضاء عندما وُلِّيَ الناصر لدين الله مُحَّد بن يعقوب مقاليد حُكْم الدولة الموحدية[2].

ب . آثاره: كما كان أدبُهُ فوق شعره، وأحسن ما أورده منه قوله في المنصور، وله فيه أمداحٌ كثيرة، أورد منها ما رأيت الاقتناع ببعضه كافٍ[3]:

أَسَيّدنا يا بنَ الإمامين أمرُكُـــــــمُ   منوطٌ بأمر الله ما عنده مَعْدِلُ

نُصِرتُم لأنَّ الحقَّ آن ظُهُـــــــــورُه   ونَاصِرٌ في الله ما كـــان يُخْـذَلُ

مَلأتم بساطَ الأرضِ خيراً وما بقى   فأخباركم فيه تـــسيرُ وتُنْقَـــلُ

أَقِمْ إنْ تَسِرْ نَحوَ الممـالكِ رَاحِــلاً   فسَاكنُها شـوقاً لعدلك يَرْحـلُ

ومن نادر الحكايات أنّه كان قد لزم أبا جعفر بن مضاء قاضي القضاة مدَّةً، وكان يُثقلُ عليه بالطبع، ويخفُ عليه بالتصنيع، فسأله في بعض الأوقات عن حاله، فارتجل هذه الأبيات[4]:

يَا مَنْ مَضَى وتَسَمَّى   ولم يَخُنْهُ زَمَـــانُهُ

سَأَلْتَنِي كَيْفَ حَـــالِي   وَقَدْ كَفَاكَ عِيَانُهُ

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ   يُرْجَى فَهَذَا أَوَانُهُ

---

[1] **ابـن حمويـه:** هـو أبـو مُحَّد عبـد الله بـن أحمـد بـن حمويـه بـن يوسـف الدمشـقي، الإمـام، المحدث، الصّـدوق، المسـند، ولـد سـنة 293هـ/906م، سمع في سنة ست عشرة وثلاث مائة (صحيح البخاري) من أبي عبد الله الفربري، وسمع: (المسند الكبير) و (التفسير) لعبد الله بن حميد من إبراهيم بن خزيم الشاشي، وسمع (مسند الدارمي) من عيسى بن عمر السمرقندي. وقد بقي حديثُه يُروى عاليا في سنة ثلاثين وسبع مائة. توفي لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، السير، المصدر السابق، مج16، ص ص492 . 493.

[2] عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص78 . 79.

[3] أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، "**الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السّابعة**"، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، د،ت، ص ص30 . 31.

[4] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص32.

فقال: يكون الخير إن شاء الله ولاسعينَّ فيه جَهدي. ثم جعل يستنبيه ويُرشِّحه لما هو أهله. فقال له بعض أصدقائه: « أراك تُقدم هذا الرجل وتُعينه على نفسك، فضحك ابن مضاء وقال: الرأي ما ظننته، أنَّه غيَّرَ رأي، هذا الرجل لاحت لي فيه بوارق السعادة، ولا بُدَّ أن يتقدم رَضيتُ أم سَخطتُ، والأَوْلَى أن أَظْهَرَ أن تقديمه بترشيحي وسعْيِ له، فإنْ وَفَى اشتركنا في حَمْدِ النَّاس، وإنْ لم يَفِ انفردَ بالملامة»[1].

ومما شنَّع عليه أعداؤه، أنّه نزل بتلمسان في دار يهودي، فاحتفل في إكرامه، وأحضر له جميع ما قَدَرَ عليه، فخلا به وذاكره في دينه، ثم داعبه حتى أحضر له من طاهورتهم، فيقال إنه قال: يا إسرائيلي، دياركم نظيفة، وطعامكم طيب، وشرابكم رائق، ما أظنكم إلا على الحق. وما تكاد تجد فقيهاً من طلبة المغرب إلا وهو يحفظ هذه الحكاية، وقد سارت بها الركبان، والله أعلم بالحقائق[2].

كان له ابن يكنى أبا زكريا مثله في حفظ الأدب والتخصص، إلا أنه كان نهاية في سوء الخلق والبخل[3].

ج . وفاته: توفي رحمه الله سنة واحد وخمسين وستمائة[4]، ولم أقف على مكان وفاته.

رابعا . ابن الشرش التلمساني: (564 . 656هـ/1168 . 1258م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن ابراهيم بن عبد الرَّحْمَن ابْن مُحَمَّد التلمساني الْأَنْصَارِيّ الْمَعْرُوف بالشرش، بالشين الْمُعْجَمَة، ويقال له الجرج[5]، من فقهاء المالكية، من أهل تلمسان[6] قَالَ عنه الشَّيْخ قطب الدّين اليونيني: «شيخ حسن من أهل الدّيانَة وَالْخَيْر والعفاف والصيانة». سمع الحَدِيث بالمغرب وبمكة وبغيرهما وَسكن الاسكندرية وَحدَّث بهَا، وَكَانَ ثِقَة صَالحا سُئِلَ عَن مولده فَقَالَ سنة أَربع وَسِتِّينَ وَخمْس مائَة بتلمسان[7].

---

[1] نفسه، ص33 .

[2] نفسه، ص33 .

[3] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص34.

[4] نفسه، ص34. نويهض، المرجع السابق، ص78

[5] أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، "**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت، 1406 هـ / 1986م، مج7، ص489.

[6] عادل نويهض، المرجع السابق، ص74.

[7] الصفدي، المصدر السابق، مج1، ص264.

ب . شيوخه:

كان شيوخ أبي عبد الله متنوعين من حيث الجغرافية، فقد نشأ في تلمسان وتعلم بها، ثم انتقل إلى سبتة فسمع الموطأ برواية يحيى بن يحي الليثي من أبي مُحَّد بن عبد اللَّه بن عبيد الحجري[1]، وسمع منه أيضا "الأربعين حديثا" للآجري، ثم انتقل إلى مكة وسمع من علمائها آنذاك أمثال: زاهر بن رستم الأصبهاني[2]، ومن أبي عبد الله أحمد بن أبي العلاء الهمداني[3]، وغيرهم[4].

وذكر أبو الطيب الفاسي في كتابه ذيل التقيّيد أنّ أبا عبد الله كان يحدّث النّاس بأسانيد الأحاديث فقال: « وكان عالما صالحا ...سمع منه الحافظ شرف الدين الدمياطي» [5].

ج . آثاره:

لم تذكر المصادر في ترجمة أبي عبد الله التلمساني غير أنّ له آثارا كثيرة، لكنّ معظمها للأسف أَفْنَتْهُ أيادي النسيان، وأذهبت به عوادي الأيام، ولم يسلم منها إلاّ كتاب واحد وهو "شرح الجلاّب" المشهور[6]، الذي كان متداولا في تلمسان خلال عهدِ بني زيان. وفيما اضطلعت به لم أقف على أثر له في كتب التراجم والسيّر، ولا في كتب الطبقات، ولا حتى في مصنّفات السيّر والشّمائل.

د . وفاته:

توفيّ أبو عبد الله مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله في ثَالِث عشر من ذِي الْقعدَة سنة سِتٍّ وَخمسين وستمائَة بالإسكندرية، وَدفن مَا بَين الميناوين، وَكَانَ يَوْمًا مشهودا[7].

---

[1] نفسه، ص380.

[2] **الأصبهانيّ**: هو زَاهِرُ بنُ رُسْتُمَ بنِ أَبِي الرَّجَاءِ الأَصْبَهَانِيّ، عالم بالفقه والحديث، شافعيّ المذهب، توفي سنة 609هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج21، ص18.

[3] **الهمداني**: هو أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهذاني، ولد سنة 488هـ، رحل إلى عديد من البلدان لطلب العلم، فقيه همذان وشيخها، توفي سنة569هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق،ص ص40 – 46.

[4] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص197.

[5] أبو الطيب مُحَّد بن أحمد بن علي، تقي الدين الفاسي، **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ج1، ص91.

[6] التنبكتي، المصدر السابق، ص381.

[7] نفسه، ص381. وينظر: الصفدي، المصدر السابق، مج1، ص264.و أبو الطيب الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص91.

خامسا . حافي رأسه التلمساني: (606 . 680هـ/1209 . 1281م)

أ . ميلاده ونشأته:

مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر، العلامة جمال الدين التلمساني؛ محيي الدين النّحوي المعروف بحافي رأسه. ولد بتلمسان سنة ست وستمائة[1] وسمع من ابن روّاج[2] وجماعة، وتصدر للاشتغال زماناً، أخذ عنه تاج الدين الفاكهاني وجماعة[3]. ولُقِّب بحافي رَأسه لحفرة كَانَت فِي دماغه، وَقيل كَانَ فِي رَأسه شَيْءٌ يشبه ح وَقيل لِأَنَّهُ كَانَ فِي أول أمره مَكْشُوف الرَّأْس وَقيل رَآهُ رَئِيس فِي الثغر فَأَعْطَاهُ ثيابًا جدداً لبدنه فَقَالَ هَذَا لبدني ورأسي حافي فَأمر لَهُ بعمامة فَلَزِمَهُ ذَلِك[4].

قال صاحب الوافي: « كَانَ من أيمة الْعَرَبِيَّة بالثغر وَكَانَ يحفظ الْإِيضَاح لأبي عَليّ ويقرؤ بداره»[5]. و كَتَبَ إليه ابن عصفور بالإجازة من تونس[6]، وقالَ عنه الشَّيْخ أثير الدّين «وَلَا أعْلَمُهُ صَنَّفَ شَيْئا قلت وَهُوَ أحد النُّحَاة الثَّلَاثَة المحمدين فِي عصر وَاحِد هُوَ فِي الاسكندرية وَابْن النّحاس فِي مصر وَابْن مَالك فِي دمشق»[7].

ب . شيوخه: سمع النّحويُّ حافي رأسه من عدّة فقهاء ونحويين منهم: ابْن رَوَّاج، وجَمَاعَة، وَأخذ هُوَ النَّحْو عَن أبي مُحَمَّد عبد الْمُنعم بن صَالح التَّيْمِيّ[8]، وَعَن أبي زيد عبد الرَّحْمَن بن الزيّات تلميذ مُحَمَّد بن

---

[1] وذكر جلال الدين السيوطي في كتابه حسن المحاضرة، أنّه ولد بتاهرت بظاهر تلمسان سنة ست وستمائة. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المعروف بجلال الدين السيوطي، "**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، 1387 هـ/ 1967م، مصر، ج1، ص533.

[2] **ابن رواج:** هو أبو محمد ظافر بن علي بن فتوح الملقب بابن رواج، ولد سنة 554هـ، وتوفي سنة 648هـ بالإسكندرية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج23، ص237.

[3] ابن شاكر، المصدر السابق، ج3، ص409

[4] الصفدي، المصدر السابق، مج3، ص ص289 . 290. وينظر: صلاح الدين، المصدر السابق، ج3، ص410.

[5] نفسه، ج3، ص289.

[6] مجد الدّين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، "**البُلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة**"، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، ، 1421هـ/ 2000م ص271.

[7] الصفدي، المصدر السابق، مج3، ص290.

[8] **التيميّ:** هو أبو محمد عبد المنعم بن صالح عبد المنعم بن صالح بن أحمد بن محمد التيمي القرشي، عالم بالادب واللغة، سكن الإسكندري، كان حيّا سنة 630هـ. الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج4، ص167.

قَاسم بن قِنداس، وَابْن قنداسٍ من أَصْحَاب الجُزُولِيّ وأبي ذَرٍّ الْخُشَنِيّ[1]، وَحدّث عَن ابْن روّاج المحدّث المشهور، وَأخذ أَيْضا عَن نحوي الثغر عبد الْعَزِيز بن مخلوف الاسكندري الْجَرَّاد، وأخذ عنه ابن رشيد[2].

ج. آثاره:

ذكر الفيروز آبادي أنَّ جمال الدّين التلمساني كان مُكبّاً على النّظر والإقرّاء والتّدريس، ومع كلّ هذا لم يُعرف له مُصَنَّفٌ، غير أبياتٍ من الشعر. ومن شعره يَذُمُّ الثغر[3]:

يا منكرًا منْ بخلَ أهلُ الثّغرِ ما عَلِمَ الورى أنكرتَ ما لا يُنْكَرُ
أَقصرْ فقد صَحَّتْ نَتَانَةُ أَهْلِهِ وَمِن الثُّغور[4] كَمَا عَلِمْتَ الأَبْخَرُ[5]

ومن شعره[6]:

إذا ما الليالي جاورتكَ بناقصٍ وقَدْرُكَ مرفوعٌ فعنه تَرحَّلِ
ألم تر ما لاقاه في جنبِ جاره كبيرُ أنّاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

ومن شعره:

ومعتقـــدٌ أنَّ الرئاسةَ في الكبر فأصبحَ ممقوتًا به وهو لا يَـــتدرِي
يجرُّ ذِيالَ العُجْبِ طالبُ رِفعةٍ ألا فَاعْجَبوا من طالبِ الرَّفْعِ بالجرّ

د. وفاته: كانت وفاته رحمه الله في سنة ثمانين وستمائة[7]، وذكر عادل نويهض أنّ في وفاته خلاف: قيل سنة680هـ، وقيل693هـ، وقيل سنة 691هـ[8].

---

[1] **الخشنيّ**: أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله الخشني، الملقب بابن أبي ركب، الأندلسي، الجياني، تضلع في النحو والبلاغة، له كتاب في شرح كتاب "سبويه"، توفي بفاس سنة 604هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج21، ص478.

[2] **ابن رشيد**: هو أبو عبد الله محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي، رحالة مغربي، وعالم بالأدب والتفسير والتاريخ، ولد بسبتة سنة 654هـ، له مصنفات كثيرة منها: كتاب "تلخيص القوانين" توفي سنة 721هـ. الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج4، ص324.

[3] يَقصدُ تغر الإسكندرية. نفسه، مج3، ص410.

[4] الثغور في هذا الموضع يُقصد به الأفواه. نفسه، مج3، ص410.

[5] نفسه، مج3، ص410.

[6] الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص271.

[7] صلاح الدين، المصدر السابق، ج3، ص410.

[8] عادل نويهض، المرجع السابق، ص119.

سادسا . أبو عبد الله المُزَّالي: (606. 683هـ/1209 . 1284م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن موسى بن النعمان الـمُزَّالي الهنياني التلمساني، الملقب بشمس الدّين، وقيل الفاسي، المغربي، قال عنه الصفدي « كَانَ فَقِيها مالكياً، زاهداً عابداً عَارِفًا، إِلَّا أَنه كَانَ متغالياً فِي أشعريته»[1]، وكان يقال: إنه يحفظ كتاب سيبويه[2]. ذكره نويهض في معجمه فقال: " صوفيّ، زاهد، عابد، من فقهاء المالكية، وُلِد بتلمسان وبها نشأ وتعلم". وأضاف نويهض نقلا عن الذهبي أنّه قال: «كان عارفا بمذهب مالك، راسخ القدم في العبادة والنسك، أشعريّا منحرفا على الحنابلة...»[3]. وذكر أبو عبد الله الفاسي أنّ أبا عبد الله كان يتعاهد تلمسان عهد يغمراسن بن زيّان، وله حلقات علمٍ بجَامِعِها[4].

ب . شيوخه:

ذكر الصفدي أنّ الشيخ لـمّا قَدِمَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّة، سمع بهَا من أَبِي عبد الله الْحَرَّانِي، وَأَبِي الْقَاسِم الصفراوي[5]، وَأَبِي الْفضل جعفراً الهمذاني، وبمصر من: أَبِي الْحسن ابْن الصَّابُونِي[6]، وَأَبِي الْقَاسِم بن الطُّفَيْل، وَابْنِ وَابْنِ المقير وَجَمَاعَة[7].ولما انتقل إلى مكّة سمع على أبي الفضل بن الجبّاب[8] صحيحَ مسلم وحدَّثَ به، سمعه عليه

---

[1] الصفدي، المصدر السابق، مج5، ص60.

[3] شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 2003 م، مج15، ص512.

[3] عادل نويهض، المرجع السابق، ص293.

[4] أبو الطيّب الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص270.

[5] **الصفراويّ**: هو جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بنُ عَبْدِ المجِيْدِ ابْنُ الصَّفْرَاوِيّ، شيخ المقرئين بمصر، ولد بالإسكندرية سنة544هـ، وتوفي بها سنة 636هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج16، ص306.

[6] **ابن الصابوني**: هو جمال الدين ابن الحسن بن محمود بن الصابوني، ولد بمصر سنة 604هـ، فقيه ومحدث، توفي سنة 680هـ. نفسه، مج21، ص197.

[7] الصفدي، المصدر السابق، مج5، ص60.

[8] ابن الجبّاب: هو أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن عبد العزيز، الملقب بابن الجبّاب، ولد بمصر سنة 561هـ، كان حيّا سنة 627هـ. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، مج47، ص379.

عليه بمكة، وسمع الحديث عن الرضي ابراهيم بن مُحَّد الطّبري[1]، امامُ المقام الشريف وحدّث به عن ابنِ النّعمان سماعا، وعن شيخه ابن الجبّاب المذكور وعن صالح بن شجاع المدْلَجيّ[2].

ج . آثاره:

كانت للشيخ أبي عبد الله الـمُزّالي عدّة آثار نذكر منها: "النورُ الواضح إلى محجّة المنكر على الصّارِخ في وجوه الصّائح"، و"مصباح الظّلام في المستغيثين بخير الانام"، وأعلامُ الأجناد والعباد أهل الاجتهاد بفضل الرباط والجهاد[3].

كما له بعضُ أبياتِ الشعر منها[4]:

أَتطْمعُ أَنْ تَرى ليلى بعـــــينٍ ... وَقد نَظَرْتْ إِلَى حُسْنِ سِـواهَا

سِواهَا لَا يَروقُ الطّرف حُسنًا ... وأَوصافُ الْجَمالِ لَهَا حِمَــاهَـا

أَتَنظُرُها بِعَيـنٍ بعد عيـــــــن ... فَتلكَ الْعينُ تمنَعُهَـا قَذَاهَـــا

قَذَاهَا إِن أَردْتَ يَـزُول عَنْهَا ... بِعَينِ الدَّهْـرِ غَيْرُكَ لَا تَرَاهَـــا

د . وفاته: تُوُفّيَ الشيخ أبو عبد الله مُحَّد الـمُزّالي بمصر، في التاسع من رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة من الهجرة، ودُفن بالقرافة، وشيَّعَه الخلائقُ، وكان يوماً مشهوداً[5].

سابعا . مُحَّد بن عبد الله التلمساني: (ت686هـ/1287م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أبو بكر مُحَّد بن عبد الله بن داود بن الخطاب الغافقي التلمساني، عالم، أديب، من فقهاء المالكية[6]. قال عنه لسان الدين بن الخطيب: «كان كاتبا بارعا، شاعرا مجيدا، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نَبَاهَةٍ وحسنَ، فَهْمٍ، ذو فَضْلٍ وتَعَقُّلٍ وحسنَ سمتٍ»[7].

---

[1] **ابراهيم بن مُحَّد الطبري:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَّد بن إبراهيم الطبري، ولد سنة 636هـ، شافعي المذهب، كانت له عناية بالفقه والحديث، توفي 722هـ. أبو الفضل تقي الدين مُحَّد بن مُحَّد ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفهاني، **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ص ص100-101.

[2] أبو الطيّب الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص ص269 . 270.

[3] الصفدي، المصدر السابق، مج5، ص60.

[4] الصفدي: المصدر السابق، ص60.

[5] الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، مج15، ص512. وينظر: عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص345.

[6] عادل نويهض، المرجع السابق، ص79.

[7] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص426

ورد على غرناطة، واستُعْمِلَ في الكتابة السلطانية مدّة، وكان معلوم القدر، معظّما عند الكافّة. ثم إنّه رجع إلى مرسية، وقد ساءت أحوالها، فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها، وقد اشتدّت أحوالها، واستقر بالعدوة بعد مكابدة. وانصرف، واستقرّ بتلمسان، كاتبا عن سلطانها أبي يحيى يغمراسن بن زيّان. وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبي زكريا، استقدمه على عادته في استدعاء الكتّاب المشاهير والعلماء، وبعث إليه ألف دينار من الذهب العين، فاعتذر وردّ عليه المال، وكانت أشقّ ما مرّ على المستنصر، وظهر له علوّ شأنه، وبعد همّته[1].

ب . شيوخه: روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السّداد، وأبي بكر بن محرز[2]، وعن الأستاذ أبي بكر مُحَّد بن مُحَّد، المعروف بالقرشي، وقرأ وسمع على هؤلاء ببلده، وأجاز له كتابة أبو الربيع بن سالم[3] وغيره[4].
وغيره[4].

ج . آثاره:

كان لابن الخَطَّاب شعرٌ جميل ، من ذلك قوله في الزهد[5]:

اقْنَعْ بمَا أُوتِيتَه تَنَلِ الغِـــــــنى ... وإذا دَهَتْكَ مُلِمَّــــــةٌ فَتَصَبَّرِ
واعْلَم بأنَّ الرزقَ مقسومٌ فَـلَــوْ ... رُمْنَا زيادةَ ذَرَّةٍ لَــــــمْ نَقْدِرِ
والله أرحمُ بالعبادِ فلا تَســــــلْ ... أحدًا تَعِشْ عَيْشَ الكرامِ وتُؤْجَرِ
وإذا سَخِطْتَ لِبُؤْسِ حَالِكِ مَرَّةً ... ورأيتَ نَفسكَ قد غَوَتْ فَلْتُبْصِرِ
وانظُرْ إلى مَن كَانَ دُونَكَ تـذكر ... لعظيم نعمتَهُ عليكَ وتَشْكُـــرِ

ومما قاله في الغزل قوله في صباه[6]:

يا دَعْوَةَ شَــاكٍ ما قَـــــــــدْ ... دَهَاهُ مِنْ لِحَاظِ رَشـــــاكِ

---

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص427.

[2] **ابن محرز**: هوُ أبو بكر محَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمد ابْن عبد الرَّحْمَن الزُّهْرِيّ البلنسي وَيعرف بِابْن مُحرز القاضي، من أهل بلنسية، ولد سنة 569هـ، نبه كان بارعا في العلوم والأدب، توفي سنة 655هـ. الصفدي، المصدر السابق، مج1، ص161.

[3] **أبو الربيع**: هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الأندلسي، ولد سنة 565هـ، من كبار أئمة الحديث، كا أنّ له في الشعر والنثر والخطابة، توفي سنة 634هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج23، ص ص135–138.

[4] ابن الخطي، المصدر السابق، ج2، ص427.

[5] نفسه، ج2، ص428.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص ص428 . 429.

ظبيٌ تَصدَّى للقلوب يَصِيدُهَا من ناظِرَيْهِ في سلاحٍ شاكِ
ورمى وإن قالوا رُنَـا عن فاتـرٍ ساجٍ عليه سيمةُ النُّسَّــاكِ
قد كنتُ أَحْذَرُ بَطشَهُ لو أَنَّني أَبصرتُ منهُ مخايلَ الفُتَّــاكِ

إلى أن قال:

أَصْلَيْتِنِي نارَ الصُّــدُودِ وإِنَّني راضٍ بأَنْ أُصْلَى ولا أَسْلاَكِ
وَمَنَعْتِ أجفاني لذيذَ مَنَامِها كي لا يَتِيحَ لِي الكَرَى لُقْيَاكِ

ومما قاله في الخوف والرجاء قوله[1]:

ربِّ أنتَ الحليمُ فاغفرْ ذنـوبي ليس يعفو عن الذنوبِ سِوَاكَا
رَبِّ ثَبِّتْ عند السؤالِ لســاني وأقمني على طريقِ هُـدَاكَــــا
رَبِّ كن لي إذا وقفتُ ذَلــيلاً نَاكِسَ الرَأْيِ أَسْتَحِي أنْ أَرَاكَا
رَبِّ إنْ لم أكنْ لفضلكَ أهلاً باجترائي فأنتَ أهــلٌ لِـذَاكَا

ومن نثره ما خاطب به صديقين له بمرسية من مدينة إشبيلية: « كتب الله لكما فوزا بالحسنى، وأجناكما من ثمرات إحسانه أكثر ما يجنى. من إشبيلية، وحالي بحمد الله حسنة، ونفسي بحبّ قربكما مرتهنة، وعليّ بما لديكما من السّراوة التي جبلتما على فطرتها، وامتزتما في الاجتلاء بغرّتها، علم لا يدخله الشكّ، ونسبتي إلى ودّكما الذي لبسته معلما، وتقلّدته محرما، لا يعبّر عن معناها إلّا بما لا يزال ولا ينفكّ. فلنثن عنان القلم عن مداده، ونأخذ في حديث سواه»[2].

د . وفاته: توفي بتلمسان يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وستمائة للهجرة[3].

ثامنا . ابن مخلوف التلمساني: (602 . 686هـ/ 1205 . 1287م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أبو مُحَّد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف، ويكنى أبا فارس. قاضٍ، ومحدّث، وفقيه من فقهاء المالكية، ولد بتلمسان يوم الثلاثاء 13 من جمادى الآخرة سنة 602هـ/1205م، قال الغبريني: " فصيح اللسان والعبارة، حسن الإشارة، له عكوف على التدريس دؤوب عليه، كان له درس بالغداة، ودرس بين

[1] نفسه، ج2، ص ص430 . 431.
[2] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص217.
[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص433.

الصلاتين، ودرس بين العشاءين، وكلّها دروس مشهورة وأوقات باستفادة العلم مقصودة، دأب على هذا مدة طويلة من عمره، واقتصر بعده على تدريس درسين، أحدهما في مسجده بالغداة بين الجزيري والآخر بالجامع الأعظم بين الصلاتين، وكان مبارك التعليم ميمون النقية في التفهيم، درس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به، وكان أكثر الناس أصحابا، وألينهم جنابا، وكان سليم الصدر، لا يعرف شيئا من الشر"[1].

ب . شيوخه:

لما سافر الشيخ إلى بجاية وجد فيها جملة من الفضلاء وقرأ عليهم: كالشيخ أبي الحسن الحرالي ﷺ وأبي بكر بن محرز وأبي العباس الملياني[2] وأبي زيد اليزناسني[3] وأبي الحسن بن أبي نصر وغيرهم رحمهم الله، جد واجتهد وحصل[4].

ج . وظائفه:

وأضاف الغبريني أنّه رحمه الله أُسند إليه قضاء الانكحة ببجاية عن بعض قضاتها، وَوُلِيَّ القضاء مستقلا بعد ذلك بمدينة بسكرة، ثم بمدينة قسنطينة، ثم بالجزائر، تكرر إليها مرتين، وكان مُشَاوَرا، وعلى فَتْوَاه العمل، كانت قراءته ببجاية. كما ذكر أنّه قرأ عليه فقال: « قرأتُ عليه رحمه الله، وحضرتُ دروسه، وسمعت منه كثيرا، قرأت عليه "الجلاَّب"، وقرأت بعده "الموطأ" بالجامع الأعظم. وكان يحكى في مجلسِ الدرس أنَّه رأى النبي ﷺ في المنام، قال: "فقلت له يا رسول الله كيف رجعتَ في قضيةِ ذي اليدين[5] هل جالسا أو قائما؟ قال، فالتفتَ إلي متبسما بعد أنْ جذبتُه من ثوبه فقال لي، بل قائمًا". وقيَّدَ الطلبة عنه كثيرا، واستكملوا التقييد على "الجلاب" كلُّ إنسانٍ بحسب قوته، ومنهم من قيّد على "الموطأ". ورُغِّبَ

---

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص63.

[2] **الملياني:** هو أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني، فقيه متفنن في العلوم، رحل إلى المشرق، ثم سكن بجاية ودرّس بها، مات بمليانة سنة 644هـ، الغبريني، المصدر السابق، ص144.

[3] **اليزناسي:** هو إبراهيم بن مُحَّد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زيد بن أبي الخير اليزناسني، قاضي فاس وفقيهها، توفي سنة 775هـ. التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص ص50-52. .

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص ص63 . 64. وينظر: مُحَّد مخلوف ، المرجع السابق، ج1، ص289

[5] هي قضية في سهو النبي ﷺ في صلاة العشيِّ، وسلم من ركعتين، فنبهه الصحابيُّ الجليل الخرباق بن عمرو من بني سليم ويكنى ذو اليدين لطول في يديه. ينظر: أبو مُحَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، "**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**"، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، د.ت، مج5، ص ص262 . 263.

في التأليف فامتنع منه، ولو أَلَّفَ لجرى على طريق القرويين ولم يخرج عن قانون الفضلاء والمحدقين، رأى فيما أَلَّفَهُ أهل المذهب كفاية، رحمه الله»[1].

د . وفاته: توفي بالجزائر في يوم الثاني عشر لجمادى الآخرة عام ستة وثمانين وستمائة للهجرة[2].

تاسعا . العفيف التلمساني: (610 . 690هـ/1213 . 1291م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْن عَلِيّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيّ، التلمساني، يكنى عفيف الدّين، من قبيلة كومية[3]، الشاعر المتْقِنُ المتَفَنِنُ فِي عُلُومٍ مِنْهَا: النَّحْوُ وَالْأَدَبُ وَالْفِقْهُ وَالْأُصُولُ[4].قال صلاح الدينّ صاحب كتاب فوات الوفيات: « وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حُرمةٌ ووجاهةٌ، وخدم في عدة جهات. وقال قطب الدين اليونيني: رأيت جماعة ينسبونه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية. وقال الجزري في تاريخه: إنه عَمَلَ ببلاد الروم أربعين خلوة، يخرج من واحدة ويدخل في أخرى، وله في كل علم تصنيف»[5].

وقال عنه الصفدي نقلا عن أثير الدّين قوله: « أديب ماهر جيّد النظم، تارة يكون شيخَ صوفية، وتارة كاتبا، قَدِمَ علينا بالقاهرة، ونزل بخانقاه سعيد السعداء عند صاحبه شيخها الشيخ شمس الدين الأيْكِيُّ، وكان متنجّلاً[6] في أقواله وأفعاله طريقة ابن العربي»[7].

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص64.

[2] محمّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص289.

[3] **كومية**: قبيلة تنحدر من قبائل بني فاتن، وتفرعت منها ثلاثة بطون هي: صفارة ندرومة، وبني يلومي، وكومية قبيلة الزعيم الموحدي عبد المؤمن بن علي، كثيرة العدد، جمّة الشعوب، لم تكن لها رياسة لا في قديم الدهر ولا في حديثه، وإنّما كانوا أصحاب فلاحة، ورعاة غنم، وأصحاب أسواق. ينظر: محيي الدّين عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه وأعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006م، ص339.

[4] إسماعيل أبو الفداء بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، **البداية والنهاية**، دار الفكر، د.ط، 1407 هـ – 1986 م، مج13، ص326.

[5] صلاح الدّين، فوات الوفيات، المصدر السابق، ج2، ص72.

[6] **تنجيلا**: مصدرها الفعليّ نَجَلَ، ينجل تنجيلا، والمفعول متنجّل به، كأن تقول: تجلّلت بمُلاءةٍ: تغطَّت بها، والتحفت بها، أي التحف التحف أقوال وأفعال ابن عربي. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ/ 2008م، مج1، ص386.

[7] صلاح الدين، المصدر السابق، ج2، ص73.

قال عنه ابن العماد صاحب كتاب شذرات الذهب: « وأما شعره ففي الذّروة العليّا من حيث البيان و البلاغة، لا من حيث الاتحاد. وقال الشيخ عبد الرّؤف المناوي: أثنى عليه ابن سبعين، وفضّله على شيخه القونوي[1]، فإنه لما قدم شيخه القونوي رسولا إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التّلمساني مع شيخه القونوي، قالوا لابن سبعين: كيف وجدته؟ – يعني في علم التوحيد– فقال: إنه من المحقّقين، لكن معه شابّ أحذقُ منه، وهو العفيف التّلمساني»[2].

ب . شيوخه: أخذ عن صدر الدين مُحَّد بن إسحاق، و عن أبي بكر بن العويني الحاتمي، و عن الشيخ القونوي المصري، وعن الزاهد العارف أبي عبد الله مُحَّد بن أحمد بن أبي الفتح المكى، وغيرهم[3].

ج . آثاره:

لَهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٌ كثيرة منها: شَرْحُ المقامات فِي التّصوف للنفزي[4]، وَشَرَحَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَلَهُ وَلَهُ دِيوَانٌ مَشْهُورٌ مخطوط، نسخة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق، كما له شرح "كتاب فصوص الحكم" لابن عربي، وشرح تائية ابن القارض، وشرح منازل السَّائرين" مخطوط، وكتاب "الكشف و البيان في علم معرفة الإنسان، وشرح "عَيْنِيَّةُ ابن سينا"، وكتاب في "العَروض" مخطوط[5].

وله أبيات من الشعر كقوله[6]:

وقفنا على المغنى قديماً فما أغنى ولا دلّتِ الألفاظُ منه على مَعْنَى

---

[1] **القونويُّ:** هو أبو الحسن عَليّ بن إِسْمَاعِيل بن يُوسُف التبريزي ، الإمام الْعَلامَة، قَاضِي الْقُضَاة بِدِمَشْق، شَّافِعِيُّ المذهب، ولد سنة ثَمَان وَسِتِّينَ وستمِائَة، وَتُوفِّي بِدِمَشْق سنة تسع وَعشْرين وَسَبْعمائة فِي ذِي الْقعدَة وَدفن بسفح قاسيون. ينظر: الصفدي، المصدر السابق، مج20، ص148.

[2] ابن العماد، شذرات الذهب، المصدر السابق، مج7، ص720.

[3] أبو العبّاس أحمد بن محمّد المكناسى الشّهير بابن القاضى، **ذيل وفيات الأعيان المسمى "درّة الحجال فى أسماء الرّجال"**، تحقيق مُحَّد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، الطبعة الأولى، تونس، ، 1391 هـ/ 1971 م، مج3، ص ص306 . 307.

[4] **النفزي:** هو أبو عبد الله مُحَّد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عباد النفزي الحميري الرندي، المعروف بابن عباد، ولد برند الأندلسية سنة 733هـ/1333م، من رجال المتصوُّفة، عاش متنقلا ما بين فاس وتلمسان ومراكش، له تصانيف عديدة منها "الرسائل الكبرى" في التوحيد والتصوّف، توفي بفاس سنة 792هـ/ 1390م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، مج5، ص ص299–300.

[5] إسماعيل بن مُحَّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي، د. ط، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص400.

[6] صلاح الدين، المصدر السابق، ج2، ص73.

وكم فيه أمْسَينَا وبِتْنَا بِرَبْعـــــهِ حيَارى وأَصْبَحنَا حيَارى كَمَا بِتنَا

ثَمِلْنَا ومِلْنَا والدُّموعُ مُدامُنـــــا ولولا التّصَابي ما ثَمِلنَـــا ولا مِـــلْنَا

وقال أيضا[1]:

إنْ كَــــــانَ قَتْلِي فِي الهَوَى يَتَعَيَّنُ يَا قَاتِلِي فَبِسيفِ طَرْفِكِ أهونُ

حَسبِي وحسبُكَ أن تكونَ مَدَامِعي غَسْلي وفي ثوبِ السِّقَام أُكَفَّنُ

د . وفاته: توفي الشيخ عفيف الدين بدمشق في سنة تسعين وستمائة، ودفن بمقابر الصوفية[2].

10 . إبراهيم بن أبي بكر التلمساني: (609 . 699هـ/1212 . 1300م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني، وقشيُّ الأصل، نزيل سبتة، ولد بتلمسان ونشأ بها، ارتحل إلى الأندلس وهو ابن تسع سنين وسكن مالقة، كان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط، مبرزاً في العدد والفرائض، أديباً شاعراً، محسناً ماهراً في كل ما يحاول. قال ابن عبد الملك: « وخَبِرتُ منه في تكراري عليه تيقظاً، وحضورَ ذِكرٍ، وتواضعا، وحسنَ اقبال، واشتغالا بما يعنيه في أمر معاشه، وتخاملاً في هيئته ولباسه»[3]، كما قال ابن الزبير نقلا عن ابن فرحون: كان أديباً فاضلاً، لغوياًّ، إماماً في الفرائض.

ب– رحلته وشيوخه: ارتحل ابن أبي بكر من الأندلس إلى سبتة واستقر بها، حيث لقي فيها عددا من شيوخه نذكر منهم: أبو بكر بن محرز[4] وأجاز له، وكتب إليه مجيزاً أبو الحسن بن طاهر الدباج، وأبو علي علي الشلوبين، ولقي بسبتة أبا العباس علي بن عصفور الهواري، وأبا المطرِّف أحمد بن عبد الله بن عميرة، وسمع على أبي يعقوب يوسف بن موسى المحاسني الغِماري[5].

---

[1] ابن العماد، المصدر السابق، مج7، ص721.

[2] نفسه، ج2،ص73.

[3] الحفناوي، المرجع السابق، ص9. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص ص33 . 34

[4] **ابن محرز**: هو أبو بكر مُحَّد بن مُحَّد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري البلنسي ويعرف بابن محرز، حافظ للعلوم والمعارف، ولد سنة 569هـ، وتوفي سنة 655هـ. أبو عبد الله مُحَّد بن الأبار البلنسي، "**تحفة القادم**"، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، لبنان، 1406هـ/1986م، ص ص251-252.

[5] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص274

ج . آثاره:

من آثار الشيخ أبي إسحاق التلمساني أنَّه نظَّمَ في الفرائض أرجوزةً محكمة وهو بن عشرين سنة – ، بعملها ضابطة عجيبة الوضع، قال ابن فرحون عن هذه الأرجوزة: «لم يُؤَلَّفْ في فنّها مثلها»[1]. نظّمها قبل أن يتجاوز العشرين سنة، وله تأليف أخرى، منها: مقالة في علم العروض الدوبيتي، ومنظوماته في السيَّرِ، وأمداح النبيّ ﷺ[2].

كما له "المعشّرات على أوزان العرب" و منظومةُ " نتيجة الخير ومزيلة الضّير"[3]، وقصيدة في المولد الكريم[4]. كما له كتاب "اللُّمع في الفقه"، و"شرح ابن الجلاّب" شرحاً جليلا واسعاً، وله شعرٌ منه قوله:

الغدرُ في النَّاسِ شِيمةٌ سَلَفَتْ	قَدْ طَالَ بينَ الورَى تصرُّفُـها
ما كلُّ مَن قَد سَرَتْ لَهُ نِعَـمٌ	منكَ يَرَى قَـدْرَها ويَعْرِفُــا
بل رُبَّمَا أعقب الجـزاءَ بهــا	مضرَّةٌ عزَّ عنكَ مَصْرِفُهـــا
أما ترى الشَّمْسَ كَيْفَ تَعْطِفُ بالنّ	ورِ على البدرِ وهو يَكْسِفُهَا[5]

د . وفاته: توفي الفقيه الشاعر أبو اسحاق بن أبي بكر التلمساني بسبتة سنة تسعٍ وتسعين وسِتمائة، وقال: لعلّه تُوُفي سنة سبعمائة[6]. وذكر صاحب هدية العارفين مُحَّد الأمين البغدادي أنَّ وفاته كانت سنة ستمائةٍ وتسعين للهجرة[7].

من خلال ما سبق يتّضح أنّ فقهاء تلمسان خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي هم مخضرمون، إذ أنّهم عاشوا مابين دولتين، دولة موحديّة عاصمتها مُراكش والتي بسطت نفوذها في كامل ربوع المغرب حتى وَسِعت تلمسان، ودولة زيّانية عاصمتها مدينة تلمسان، فكان هذا القرن بمثابة مرحلة

[1] نفسه، ج1، ص275.
[2] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص187.
[3] البغدادي، هدية العارفين، المرجع السابق، ج1، ص13.
[4] الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج1، ص34.
[5] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص10.
[6] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص10.
[7] البغدادي، المرجع السابق، ج1، ص13.

تأسيس لحيّاة فكريّة جدّيدة، كوّن نواتَها هؤلاء الفقهاء. كما عاشوا وسط تقلبات سياسيّة، تمثلت في انهيار دولة وقيام أخرى، وأحداثٍ تعلّموا منها الكثير، واستخرجوا عبراً ساعدتهم على مواجهة مختلف المحن والمصائب التي ابتلوا بها في مراحل مختلفة من حياتهم.

وعند ذكر فقهاء هذا القرن، يمكن أنّ معظَمَهم كانوا شعراء أيضا، فقد جمعوا بين العلوم الدينية والشعر، فكان بذلك مصدرا للواقع السيّاسيّ والاجتماعي والدينيّ للأمّة. ومن الملاحَظِ أيضا أنَّ الحياة الفكريّة في العواصم المغربية متشابهة إلى حدٍّ ما، وأَخُصُّ منهما تلمسان وفاس، إذْ كانتا في بعض الفترات تحت حكم واحد (الدولة الموحديّة)، إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر.

والجدير بالذكر أنّ الحركة الثقافية في هذا القرن، لم يقتصر أثرها على الداخل فقط، بل تعدّاها إلى الخارج، مثل بجاية، وفاس، والأندلس، وحتى المشرق الإسلامي، فكانت كتبُ الشروح على المتون والقصائد، والكتب الفقة، تُدرَّسُ في مختلف الحواضر الإسلامية، بالإضافة إلى انتقال هؤلاء الفقهاء للتدريس في هذه الحواضر، فلم يبخلوا بنشر علمهم وثقافتهم على طلاّب العلم المسلمين، ومثال ذلك: عفيف الدّين التلمساني الذي تُوُفي في دمشق، وغيره، وهاجر الكثير من المدينة فمنهم من عاد إليها، ومنهم من لم يعد. كما كانت الظروف السياسية التي شهدتها المدينة سبباً بارزا في هجرة كثير من الفقهاء نحو عواصم علميّة، على غرار فاس ومكناس والقيروان في المغرب، وصولا إلى مصرَ والشامَ في المشرق الإسلامي.

المبحث الثاني: جمهرة فقهاء تلمسان

شهدت تلمسان حياة فكريّة رائدة، وهذا بعد أفول نجم الدولة الموحديّة، وتبدأ ببداية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، حيث ظهرت حملة بناء المدارس العلميّة، التي استقطبت عددا كبيرا قد لا يُحصى من عمالقة الدّين، وأساطين الثقافة والمعرفة بمفهومها الواسع، وفروعها العديدة والمتنوعة، البعض منهم من أبنائها ومواليدها، والبعض الآخر جاؤوا إليها من أماكن بعيدة، واستقرّوا بها، فأصبحوا من أهلها، لهم مالهم، وعليهم ما عليهم. وقد عنونت هذا المبحث بجمهرة فقهاء تلمسان لاعتبارات عدّة منها: أنّ جميع المدارس الزيّانية أُنشئت بسبب هؤلاء الفقهاء، بالإضافة إلى تجدّيد الدولة الزيانيّة على يد أبي حمو موسى الثاني كان في هذا العهد أيضا، والاعتبار المهمّ أنّ هذا العهد هو بداية تكوينِ البنية الفكريّة لعقل الفقيه التلمساني ونتاجه. وبهذه الضوابط سأذكر بعض الفقهاء الذين عاشوا في هذه الفترة على أساس: البيوتات الكبرى لعلماء تلمسان، والتي اشتهرت باختصاص ما، كاشتهار بيت المقّري في الأصلين والأدب، والمرازقة بالخطباء، والعقابنة بالقضاء والحسبة[1]، مع ذكر فقيهين أو ثلاث من كلّ بيت كنماذج، إمّا في عهد السلطة الزيّانية على تلمسان، أو عندما كانت المدينة تحت حكم بني مرين. والضابط في البيوتات الكبرى هي تلكم البيوتات التي أنجبت ثلاثة علماء فأكثر، وعُرِفوا بإسهاماتهم في ميدان النّتاج العلمي، وكانت لهم اليد الطولى في شتى المجالات الفكرية، التي بسببها أصبحت تلمسان حاضرة العلم في بلاد المغرب.

أولا . بيت المقّري:

1 . تعريفه:

يعتبرُ بيت المقرّي من أشهر البيوتات العلمية بتلمسان، وينسب هذا البيت إلى جدّهم الأكبر مُحَّد بن مُحَّد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشيُّ المقَّري[2]. وسبب تسميتهم بالمقّري نسبة لقرية مقّرة من قرى الزاب، وذكرها الحميريّ في كتابه الروض المعطار فقال:

---

[1] وظيفة دينية تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصاحب السوق يُعرف بصاحب الحسبة، وهو الذي ينظر في المكاييل، والغش، والخديعة، والديون، ... . ينظر: أحمد بن يحيى الونشريسي، **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعيّة**، نشر وتعليق مُحَّد الأمين بلغيث، د.ط، مطبعة لافوميك، الجزائر، د.ت، ص ص28 ـ 29.

[2] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص191.

«ومقرة هي المدينة العظمى، وفيها مِنْبَر، وعليها سور، وأهلها قوم من بني ضبّة، وبها قوم من العجم، وحولها قوم من البربر، ولها حصون كثيرة»[1].

2 . علماؤه:

2 . 1 . مُحَمَّد المقّري: (ت759هـ/1359م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن احْمَد بن أبي بكر بن يحيى القرشيّ اللغويّ المَقّري التلمسانيّ، قاضي الْجَمَاعَة بفاس[2]. ولد بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغراسن بن زيّان[3] ونشأ فيها، وتعلم بها وبتونسَ والمغرب وذكره الكتانيّ في كتابه سلوة الأنفاس في قوله: »كان رحمه الله فقيها، علاّمة محققا، نظارة قدوة حجة، أحد أكابرِ مجتهدي المذهب المتأخرين الأثبات، كبير الشأن، شهير الذِّكر، ذا قدم راسخ، ويدٍ طولى، ممن تُشَدُّ له الرحال»[4].

ب . رحلته:

رحل لفقيه مُحَمَّد المقّري إلى مصر ثم الشام[5]، ورحل بعدهما إلى أداء فريضة الحج، فحجّ ورجع إلى بلده، ثمّ استقر عدّة سنوات بالأندلس مدرِّسا في المدرسة النصرية[6]وانقطع إلى خدمة العلم. ولمّا ولي أبو عنان المريني سنة 749هـ/1348م ولاّه قضاء الجماعة بمدينة فاس، «فاستقلّ بذلك أعظم الاستقلال،

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص556.

[2] البغدادي، هدية العارفين، المرجع السابق، ج2، ص160. وينظر: عمر رضا كحالة، المرجع السابق، مج11، ص181. المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص556.

[3] ابن القاضي، المصدر السابق، مج1، ص298.

[4] مُحَمَّد بن جعفر بن ادريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: الشريف مُحَمَّد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الطبعة الأولى، المغرب، 1425هـ/2004م، ج3، ص437. ينظر: عبد الرحمان بن مُحَمَّد الحضرمي الإشبيليّ، **رحلة ابن خلدون**، عارضها بأصولها و على حواشيها مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، المغرب، 1425هـ/2004م، ص ص67 . 68.

[5] المقّري، أزهار الرياض، ج1، ص5.

[6] ابن الخطيب، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق مُحَمَّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003، ص202.

وأنفذ الحقّ، وألان الكلمة، واستُعمل في الرسالة»[1]. ومن الملاحظ أنّ ابن مرزوق الحفيد ألّف جزءا في ترجمته سمّاه: "النور البدري في تعريف الفقيه المقّري"[2].

ج . شيوخه:

كانت مشيخة الشيخ المقّري متفرقة ما بين تلمسان وفاس والمشرق، فقد ذكر الكتاني أنّه أخذ بتلمسان عن أبي إسحاق ابراهيم بن الحكم السَّلوي، وأبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذّالي، ولازم أبا عبد الله مُحَمَّد بن ابراهيم العبدري التلمساني، الشهير بالآبلي، وأبا زيد عبد الرحمن، وأخذ بتونس ومصر والشام وغيرها عن جماعة من الأئمة يطول ذكرهم[3]. وأضاف المكناسي في شيوخ الشيخ ابني الإمام عبد الرحمن وعيسى، وأبا عبد الله بن عبد النور، وسعيد بن ابراهيم بن علي الخياط[4]. وزاد صاحب كتاب شذرات الذهب أنّه سمع بالمشرق من العماد بن الشيخ شمس الدّين ابن العماد، والتّقي ابن تمّام، وغيرهما[5].

د . آثاره:

ترك الشيخ المقّري الجدّ ميراثا علميّا كبيرا، فمن آثاره الكثيرة نذكر منها: "كتاب الحقائق والرقائق" في التصوف، "رحلة المتبتل"، "كتاب القواعد" الذي اختصر فيها قواعد الشهاب القرافي، وطرزها بذكر خلاف أبي حنيفة و صاحبيه، اشتملت على ألف قاعدة[6]، "التحف والطرف"[7]، و"شرح التسهيل"، و"كتاب النظائر" وكتاب عمل من طَبَّ لمن حَبَّ" مشتمل على أنواع من اللأحاديث الحُكْمِيّة[8].

[1] الكتاني، سلوة الأنفاس، المرجع السابق، ج3، ص438.

[2] نفسه، ج3، ص438.

[3] الكتاني، المرجع السابق، المرجع السابق، السابق، ج3، ص437.

[4] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ج1، ص299. وينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص201.

[5] ابن العماد، المصدر السابق، مج8، ص335.

[6] الكتاني، المرجع السابق، المرجع السابق، السابق، ج3، ص437.

[7] عمر رضا كحالة، المرجع السابق، مج11، ص181.

[8] عادل نويهض، المرجع السابق، ص313. الكتاني، المرجع السابق، ج3، ص437.

وكتاب "المحاضرات" مشتمل على حكايات وإشارات وفوائد[1] ومختصر المحصل لم يكمل[2]، وله شعر شعر أيضا ذكره ابن الخطيب في الإحاطة[3].

هـ . وفاته: توفي الشيخ بمدينة فاس في اخريات المحرم من عام 759هـ/1359م، وبقي سنة بفاس، ثم نُقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان[4].

2 . 2 . سعيد المقّري: (928 . 1011هـ/1522 . 1603م)

أ . ميلاد ونشأته:

هو أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري التلمساني، عم صاحب نفح الطيب. قال عنه صاحب كتاب شجرة النور الزكيّة «عالمها ومفتيها نحواً من ستين سنة، وخطيبها بجامعها الأعظم خمساً وأربعين سنة، وجدّه الأعلى محمَّد المقري (التي تقدمت ترجمته)، الإمام الفقيه الراوية العالم العامل العمدة القدوّة الفاضل»[5].

ولد الفقيه سنة 928هـ/1522م، بتلمسان، وبها نشأ وتعلم وذكر صاحب البستان أنّه سمع هذا منه مباشرة فقال: « ومنه سمعت أنّه وُلد في حدود ثمانية وعشرين وسبعمائة»[6]. وذكر صاحب درة الحجال الحجال أنّه وُلِد سنة 930هـ/1511م[7]، وأضاف ابن مريم أنّ سعيد المقّري كان حفيد حفيدة الشيخ مُحَمَّد بن مرزوق، وكان مشاركا في كل فن، وغالبه التوحيد والفقه، حافظا للغة العربية والشعر والأمثال، وأخبار الناس ومذاهبهم، وأيام العرب وسيرها وحروبها، ذاكرًا لأخبار الصالحين وسيرهم، وافر العقل، شديد الاقتفاء لأحكام الشرع، مذلِلاً لما صعُبَ من الأمور، إماما في العلوم العقلية كلِّها، حسابًا، ومنطقًا، وفرائضَ، وهندسةً، وطبًّا، وتنجيمًا...[8].

---

[1] الكتاني، المرجع السابق، ج3، ص438.

[2] عمر رضا كحالة، المرجع السابق، مج11، ص181 .

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص204 ومايليها.

[4] ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص ص299 ـ 300. ينظر: الكتاني، المرجع السابق، ج3، ص438. وابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص226. ومُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص328. وعمر رضا كحالة، المرجع السابق، مج11، ص181.

[5] مُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص427.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص104.

[7] ابن القاضي، المصدر السابق، مقدمة درة الحجال، ج2، ص16.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص104 . 105.

ب . شيوخه:

أخذ العلم عن والده، وعبد الوهاب الزقاق[1] وعبد الواحد الونشريسي، وابن جلال وابن هارون. وخروف وسعيد المنوي وجماعة[2]. وزاد ابن مريم في ذِكْرِ شيوخ صاحب الترجمة فقال: « حفظ القرآن على سيدي مُحَّد بن عبد الرحمن الوعزاني، والعربية عن سيدي عمر الراشدي، وأخذ عن سيدي شقرون بن هبة الوجديجي[3]، وأخذ عن سيدي مُحَّد أبي السادات المديوني، وأخذ التّصوف عن سيدي عليّ بن يحيى السلكسيني، سمعتُ هذا من فمِ سيدي سعيد»[4].

ج . تلاميذه:

كان لسعيد المقّري طلبة كُثُر منهم: ابن أخيه الشهاب أحمد المقري، وأحمد ابن القاضي المكناسي[5] صاحب "درة الحجال"، وابن أبي مريم، وأحمد بن أبي مدين[6]، بالإضافة إلى ابن أبي عبد الله اليزناسي، وخلق كثيرٌ لا يحصي عددهم إلاّ الله، وابن مريم صاحب "البستان"[7].

د . آثاره: لم أعثر له على أثر في المصادر، غير أنّ هذه الأخيرة ذكرت بإطناب حياته العلميّة، من مشايخ، وتلاميذ، وتدريس في مختلف العلوم.

---

[1] **عبد الوهاب الزقاق:** هو أبو مُحَّد عبد الوهاب بن مُحَّد بن علي الزقاق الفاسي، كان قاضي الجماعة بفاس، ولد بها سنة 905هـ، كان حافظا بارعا في العلوم، توفي سنة 961هـ. ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص17.

[2] مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص427.

[3] هو مُحَّد شقرون بن هبة الله الوجديجي، المعروف بشقرون، التلمساني، ولد بتلمسان 908هـ/1503م، من أكابر فقهاء المالكية، عرف بمالك الصغير في وقته، له مشاركة في علوم المنطق والفرائض والبيان. ولي الإفتاء بتلمسان، ثمّ رحل الى فاس سنة 967هـ وتصدر للتدريس، توفي سنة 983هـ/ 1575م. ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص491.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص105.

[5] **ابن القاضي:** أبو العباس أحمد بن مُحَّد بن أبي العافية المكناسي، ولد بفاس سنة 960هـ 1553م، من أكبر علماء و مؤرخي المغرب الأقصى بزمنه، و ولي قضاء سلا و توفي بفاس سنة 1025هـ 1616م . من مؤلفاته "درّة الحجال في أسماء الرجال". ينظر:ابن القاضي، المصدر السابق، المقدمة، ص ص14-17.

[6] مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص427

[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص104 . 105.

هـ . وفاته:

ذكر صاحب البستان أنّه كان حيّا سنة كان حياً سنة 1011هـ[1]. ونهج نهجه مُحَّد مخلوف كذلك، حيث أورد أنّه كان حيّا في سنة 1011هـ[2]، ومما يؤيّد هذا القول أنّ المقّري صاحب نفح الطيب تلقى رسالة من مُحَّد الوجدي في سنة 1011هـ بالذات يُسلّم فيها على عمّه سعيد[3]، غير أنّني لم أقف على هذا هذا الدليل.

2 . 3 . أحمد المقّري: (986 . 1041هـ/1578 . 1631م)

أ . ميلاده ونشأته:

هو أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن يحيى بن عبد الرَّحْمَن بن أبي الْعَيْش بن مُحَمَّد، أَبُو الْعَبَّاس الْمقري، التلمساني المولد، الْمَالِكِي الْمَذْهَب[4].

ولد أحمد المقري المكنى بأبي العباس والملقب بشهاب الدين سنة 986هـ بمدينة تلمسان. وذكر المقّري في نفح الطيب قوله: « وبها ولدت أنا، وأبي، وجدّي، وجدّ جدّي، وقرأت بها ونشأت، إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس سنة 1009هـ، ثم رجعت إليها آخر عام 1010هـ، ثم عاودت الرجوع إلى فاس سنة 1013هـ، إلى أن ارتحلت عنها للمشرق أواخر رمضان سنة 1027هـ»[5]. وذكر السملالي في ترجمته لأبي العباس فقال: « كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث، ومعجزا باهراً في الأدب والمحاضرات»[6].

ب . رحلته:

بعد أن بلغ سنّ الرشد تاقت نفسه لزيارة العواصم العلميّة بالمغرب الأقصى فرحل إلى فاس فيما أوردنا، كما فعل جدّه مُحَّد المقّري، والذي قضى فيها سنوات طويلة عالمِا، ومدرّسًا، وقاضياً للجماعة،

---

[1] نفسه، ص105.

[2] مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، 427.

[3] نويهض، المرجع السابق، ص312.

[4] أحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن مُحَّد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، د.ط، بيروت، د.س، ج1، ص302.

[5] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، مقدمة الكتاب، ص5.

[6] العباس بن ابراهيم السملالي، **الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1413هـ/1993م، ج2، ص308.

وهناك اعتكف على الدراسة والتحصيل، ومتّن صِلاته بالشيوخ والعلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس والتعليم. فتعرف على الفقيه إبراهيم بن مُحَّد الآسي أحد قُوّاد السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي، فأعجب بذكائه ونباهته، فصحبه معه إلى مُراكش، وهناك تعرف على العالم أحمد بابا التنبكتي صاحب كتابي "نيل الإبتهاج" و"كفايه المحتاج"[1].وكانت هذه الرحلة مادة كتابه " روضة الآس " الذي أخذ في كتابته حين عودته إلى فاس ومنها إلى بلده تلمسان، ليقدمه إلى السلطان المنصور، ولكن السلطان توفي (سنة 1012هـ) والمقري ما يزال في بلده. ومع ذلك فإن الهجرة من تلمسان كانت قد ملكت عليه تفكيره فلم يلبث أن غادر مسقط رأسه نهائياً إلى فاس (1013هـ) وأقام فيها حوالي خمسة عشر عاماً[2]؛ يقول في النفح: « وارتحلت منها إلى فاس حيث ملك الأشراف فشغلت بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها »[3].

وفي أواخر رمضان عام 1027هـ غادر مدينة فاس متوجهاً إلى المشرق فوصل تطوان (تطاون) في ذي القعدة من ذلك العام، ومن هناك ركب السفينة التي عرجت به على تونس وسوسة حتى وصلت الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة فالحجاز بحراً، فوصل مكة في ذي القعدة من العام التالي[4]. والظاهر أنّه كان يُدرّس في مصر سنة 1028هـ، فقد أورد الكتاني نقلا عن تلميذ المقّري الشيخ عبد الباقي الحنبلي الدمشقيّ قوله: «دخلت مصر سنة 1028هـ فوجدته في صحن الجامع الأزهر يُقرأ العقائد وله مجلس عظيم، فلم يستنكر عليه ما كان يورده من الأعاجيب، لأن العقائد فن أهل المغرب فلما دخل رجب أفتتح البخاري فأتى بما أعجب وكان حافظاً أديباً »[5]. ثم انتقل منها إلى مكّة و درّس فيها فقال: «وحصلت لي بالمجاورة فيها (أي مكة) المسرّات، وأمليت فيها على قصد التبرك دروساً عديدة، والله يحيل أيام العمر بالعود إليها مديدة، ووفدت على طيبة المعظّمة ميمماً مناهجها السديدة سبع مرار، وأطفأت بالعود إليها ما بالأكباد الحرار، واستضاءت تلك الأنوار، وألفت بحضرته ﷺ بعض ما منّ الله

---

[1] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص167.

[2] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ص6.

[3] نفسه، الطبعة الأولى،1417هـ/ 1997م، ج7، ص137.

[4] نفسه، طبعة 1408هـ/1988م، ص7.

[5] مُحَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن مُحَّد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1982، المرجع السابق، ج2، ص ص574 . 575.

به عليّ في ذلك الجوار، وأمليت الحديث النبوي بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع ... ثم أُبْتُ إلى مصرَ مفوضاً لله جميع الأمور، ملازماً خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور، وكان عودي من الحجة الخامسة بصفر سنة 1037 للهجرة»[1].

وفي أوائل رجب من العام المذكور قصد إلى زيارة بيت المقدس، فبلغه أواسط رجب وأقام فيه نحو خمسة وعشرين يوماً، وألقى عدة دروس بالأقصى والصخرة، وزار مقام الخليل إبراهيم ومزارات أخرى؛ وفي منتصف شعبان عزم على التوجه إلى دمشق، وهناك تلقاه المغاربة وأنزلوه في مكان لا يليق به، فأرسل إليه الأديب أحمد بن شاهين مفتاح المدرسة الجمقمقية، فلما شاهدها أعجبته وتحول إليها، واستوطنها مُدَّة إقَامَته؛ وقد أسهب في ذكر حاله بدمشق وما تلقاه به أهلها من حسن المعاملة[2].

عاد المقّري إلى مصر رغم إعجابه بدمشق وأهلها، وكان أثناء إقامته الطويلة بمصر قد تزوّج امرأة من عائلة السّادة الوفائية[3]، رزق منها بنتاً، توفيت عام 1038. ويبدو أن العلاقة بينه وبين زوجته لم تكن موشّحة بالوفاق، مما اضطره إلى تطليقها[4]. وذكر السملالي أنّ بعد تطليق المقّري لزوجته الوفائية، صار لا يُكلمُه أحدٌ، إلاّ رجلٌ حدّاد، وعزم الرجوع إلى دمشق غير أنّ سهام المنية عاجَلَتْهُ[5].

ج . شيوخه:

كانت نشأت الشيخ في تلمسان، وهذا يدل على أنّ المبادئ الأولى كانت بهذ المدينة. وذكر صاحب تعريف الخلف قوله: " ونشأ بها (أي تلمسان)، وحفظ القرآن وقرأ و حصّل بها على عمّه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقّري، مفتي تلمسان ستين سنة، ومن جملة ما قرأ عليه صحيح البخاري سبع مرات، وروى عنه الكتبَ الستة بسنده عن أبي عبد الله التنسي، عن والده حافظ عصره مُحَّد بن عبد الله التنسي، عن البحر أبي عبد الله بن مرزوق، عن أبي حيّان...[6].

---

[1] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص ص56. 57.

[2] أحمد أمين الحموي، المرجع السابق، ج1، ص ص305304. وينظر: المقّري، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ص8– 9.

[3] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص55.

[4] المقّري، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص10.

[5] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص56. السملالي، المرجع السابق، ج2، ص312.

[6] نفسه، ج1، ص45.

ومنهم: الفقيه الفاسي إبراهيم بن مُحَّد الآسي، وأحمد بابا التنبكتي[1]،الذي كان في إقامته الجبرية بفاس، كما تتلمذ على عدد من علماء مراكش وأدبائها[2]، وزاد السملالي أنّه أخذ عن مُحَّد القصّار القيسي[3]، و أبو القاسم بن أبي نعيم الفاسي[4]، وكان يحضر حلقات الفقيه علي بن عمران الغسانيّ[5]، وغيرهم[6].

د . تلاميذه:

لقد كان للشيخ أحمد المقّري عدّة طلبة إن في المشرق أو المغرب، ومن جملة تلامذته بالمغرب نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ مُحَّد بن أبي بكر الدلائي[7]، والشيخ عبد القادر الفاسي[8].

---

[1] **التُنبكتي:** هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، من أهل تنبكت أصله من صنهاجة في إفريقية الغربية، ولد في تنبكت سنة 963هـ/1036م. من بيت علم وصلاح. مؤرخ وعالم بالحديث والفقه، له تصانيف منها: "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" في تراجم المالكية، و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج". توفي بتنبكت سنة 1036هـ/1627م.وقيل: 1032هـ/1623م. نفسه، ج1، ص ص12 .15.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص167

[3] **القَصَّار:** هو أبو عبد الله مُحَّد بن قاسم بن علي القيسيّ، الشهير بالقصّار، لقباً لا صناعةً، خطيب، مفتي وخطيب وإمام فاس، له في العلم البيان، والأصلين، وعلم الأنساب والرجال، ومن رواة الحديث الحديث.. ينظر: شهاب الدين أحمد بن مُحَّد المقرّي التلمساني، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مُراكشَ وفاس**، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1403هـ/1983م، ص316. ملاحظة: لم أقف على تاريخ ميلاده ولاوفاته.

[4] **أبو نُعيم:** هو أبو القاسم بن مُحَّد بن أبي القاسم بن أبي نعيم الغسانيّ، الفاسي، ولد بفاس سنة952هـ/1454م، خطيب من فقهاء المالكية ، ، من أهل فاس، قال عنه مخلوف "كان من كبار الشيوخ الذين لهم الشهرة والصيت متضلعاً في الفنون ماهراً في المعقول والبيان والتفسير وكان خطيباً بليغاً حميد السيرة، ، وعنه أخذ ميارة، وابن عاشر والشهاب المقري، والعربي الفاسي، وأضرابهم. توفي مقتولاً سنة 1032هـ/ـ1622م. ينظر: نفسه، ص335. ومُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ص432. وعادل نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، تقديم حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1409هـ/1988م، ج2، ص791.

[5] **علي بن عمران:** هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلاسي، مفتي مدينة فاس، ولد سنة 960هـ/1553م، كان بحرا في البيان والأصلين، والمنطق والنحو. توفي بفاس سنة 1065هـ/1655م. ينظر: نفسه، ص332 ومايليها. مُحَّد إدريس طيّب، الشيخ أحمد زروق محتسبُ العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، د.س، ج1، ص332.

[6] السملالي، المرجع السابق، ج2، ص309.

[7] **الدلائي:** هو الإمام المحدث العارف الطائر الصيت، قبلة العلماء مأوى الأشراف والصلحاء، مفخرة المغرب أبو عبد الله مُحَّد فتحاً ابن الشيخ أبي بكر الدلائي شيخ زاوية الدلاء التي هي أعظم زاوية كانت بالمغرب، ولد سنة 967، ورُبِّيَ في حِجْرِ والده، ورحل إلى فاس فأخذ عن أهلها، واعتمد الشيخ أبا عبد الله القصار، أخذ عنه علوم السنة وأدواتها، وأجازه بإجازة رائقة، توفي سنة1046هـ/1637م، ودفن بالزاوية الدلائية. ينظر: عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص ص394 . 395.

[8] **الفاسي:** هو عبد القادر بن علي الفاسي، عالم فاس وإمامها ومسندها وبركتها انتهت إليه الريّاسة، قدّمه لذلك سنّه وعلمه وجاهه الموروث، توفي بها سنة 1091هـ. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص ص763 . 764.

وأحمد بن علي البوسعيدي[1]، والشيخ ميارة[2]، وغيرهم[3]. وأما بالنسبة لتلاميذه بالمشرق نذكر عبد الباقي الحنبلي الدمشقي[4]، الذي كان يعتاد حلقات المقّري عندما كان بمصر[5].

هـ . آثاره:

ترك المقّري العديد من المؤلفات منها:

"روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"، ألفه حوالي 1011 – 1012هـ ليقدمه إلى المنصور أحمد الذهبي. "أزهار الرياض في أخبار عياض، ألفه أثناء إقامته بفاس" 1013هـ . 1027هـ[6]،"إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة"، منظومة بدأ بتأليفها أثناء زيارته للحجاز للحجاز سنة 1029، ودرّسها في الحرمين الشريفين، وأتمها في القاهرة سنة 1630م[7]. "نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب". وذكر وزيرها ابن الخطيب، حققه وأعاد نشره الدكتور إحسان عباس[8]. أجوبة على مسائل أرسلها إليه أستاذه مُحَّد بن أبي بكر الدلائي سماها " أعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس ... "[9] .

---

[1] **البوسعيدي:** هو الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن مُحَّد السوسي البوسعيدي، الصنهاجي، الهشتوكي، من بلاد السوس، فقيهٌ ورعٌ زاهدٌ متقشفٌ، رحل إلى فاس فكان يأوي إلى المدرسة المصباحية، إلى أن توفي سنة 1046هـ/1637م بفاس. ينظر: أبو عبد الله مُحَّد بن عيشون الشرّاط، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَّد الخامس، الرباط، د.س. ص ص224 . 225.

[2] **ميّارة:** هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد، الشهير بميارة، فقيه مالكي من أهل فاس. ولد بها سنة 999هـ/1590م. من كتبه "الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام" و "الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين" المعروفة بمنظومة "ابن عاشر"في فقه، ويعرف "بميارة الكبير"، تمييزا عن مختصر له، يسمى "ميارة الصغير". توفي بها سنة 1072هـ/1662م.

[3] السملالي، المرجع السابق، ج2، ص312.

[4] هو عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي، البعلبكيّ، ولد سنة 1005هـ، ارتحل إلى مصر 1029هـ، فاستزاد من علمائها، علمائها، ثم تصدر للإقراء وعمره ست وثلاثون عاما، توفي 1071هـ ودفن بمقبرة الغرباء في دمشق. عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة (المتوفى: 1071هـ)، **العين والأثر في عقائد أهل الأثر**، تحقيق عصام رواس قلعجي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1407هـ، ص ص14–22.

[5] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص574.

[6] ذكر إحسان عباس محقق نفح الطيب أنّه لم يطبع منه إلا ثلاثة أجزاء بتحقيق الأساتذة مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص11.

[7] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص177.

[8] نفسه، ج2، ص179.

[9] توجد ضمن كتاب البدور الضاوية بخزانة الرباط. ينظر: المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص12.

وكتاب "حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي"[1]. "عرف النشق من أخبار دمشق"، كان مشروعاً لم يَتِم[2]. وكتاب "شرح مقدمة ابن خلدون". "قطف المهتصر في شرح المختصر"، وكتاب حول شرح على حاشية مختصر خليل[3]. وله مجموعة من الأراجيز شعرية في أغراض متنوعة وعددها سبع عشرة عشرة أرجوزة[4]. بالإضافة إلى بعض الشعر في حبّه لبلاد الشام وأهلها، ومدح رجل كريم من أهل غزّة[5]. غزّة[5].

و . وفاته: توفي الشيخ أبي العباس أحمد المقّري في جمادى الآخرة سنة 1041هـ/1632م بمصر، ودفن بمقبرة المجاورين قرب جامع الأزهر. وأورد الحفناوي أنّه مات مسموما في الشام، وللمعلومة أنّه ذكر القولين معاً[6].

وبموت أبي العباس المقّري أفل بدرٌ ساطعٌ من بذور الدّين والعلم والأدب في العالم الإسلاميّ برمته.

ويمكن القول في الأخير عن بيت المقّري أنّه بيت له عدّة تخصُّصات، فقد برعوا في الأصلين والأدب وعلم الكلام، وهذا إن دلّ فإنّما يدُلُ على البنية الفكرية القويّة لدى عقل فقهاء هذه الأسرة، كما شهد عهدهم زخمٌ ثقافيٌّ كبيرٌ، ودفعوا بالحياة العلميّة في تلمسان حتى صارت قِبلةً للعلماء، ومنارةً للعلم، مثلها مثل العواصم العلميّة الأخرى في العالم الإسلاميّ.

---

[1] نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص310.

[2] عبد حميش، المرجع السابق، ص362.

[3] نجيب بن لمبارك، **ذخائر حاضرة تلمسان**، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2012، ج2، ص78.

[4] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ص13. حول تصانيف المقري ينظر: مُحَّد بوشريط، "التعريف بالمقّري وإسهاماته العلميّة"، **مجلة مجلة عصور الجديدة**، المجلد التاسع، العدد الثاني، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، سبتمبر، ت.ن 2019/09/04م، ص ص63- 82.

[5] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص54. ينظر: أحمد أمين الحموي، المصدر السابق، ج3، ص384.

[6] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص ص54 . 58. ينظر: المقّري، روضة الآس، المصدر السابق، المقدمة، ص يط. عبد الحي الكتاني، الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص574. الزركلي، المرجع السابق، ج1، 237. ينظر: أحمد أمين الحموي، المرجع السابق، ج1، ص9. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص366. يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، 177. نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص309. نجيب بن لمبارك، المرجع السابق، ج2، ص77.

ثانيا– بيت المرازقة:

1 ـ تعريفه:

كانت تلمسان تعجُّ بالبيوتات والأسر التي كان لها شأنٌ عظيم، وخاصّة في مجال العلم، ومن أشهرها أسرة المرازقة، أول أسرة استوطنت تلمسان، وكان أفرادها قد عُرِفوا بالعلم والدراية والدّين والولاية، وهم نُزَلاءُ الولِيِّ الصالح أبي مدين شعيبٍ بالعبّاد. وكان جَدُّهم الأول مرزوق الذي يُنسبُ له هذا البيت هو أولُ من دخل تلمسان[1] أيام حصار لمتونة لها ما بين سنتي 472هـ/1079م و475هـ/1082م[2].

ويرجع أصل بيت المرازقة إلى مدينة القيروان، من بطون البرانس، من ولد عجيسة[3] بن برنس. وكان مرزوق صاحبَ دينٍ، وفَلاَّحا لأرض امتلكها بعد استقراره بالعُبّاد، ونهج أولاده هذ المسار في خدمة الأرض والتجارة، بالإضافة إلى اكتساب العلم والمعرفة[4]، فكان منهم الخطيب والحفيد والكفيف وحفيد الكفيف (السبط) كلُّهم رجال خيرٍ وعلم[5].

ومن هنا بدأ نجمُ هذه الأسرة يبرزُ في سماء حاضرة تلمسان، ليُكْتَبَ تاريخها بأعلام اشتهروا بالعلم والتقوى والتصوف، ونالت مكانتها الاجتماعية والثقافية بين الأسر التلمسانية المنتشرة في المغرب الأوسط، بل وذاع صيتها في جميع أنحاء العالم الإسلامي[6]. **فمن هم أشهر علماء هذه الأسرة؟ و ما مدى تأثير بنيتهم الفكرية في الحياة الثقافية في العهد الزياني؟**

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص226. ينظر: ابن مرزوق، المصدر السابق، ص20.

[2] أبو عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني (ت781هـ/1379م)، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م، ص ص146 ـ 147. وينظر: نصر الدين بن داود، **الحياة الفكرية والتعليمية بتلمسان "من خلال علماء بني مرزوق من ق7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**، كنوز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2011، ص1.

[3] **عجيسة**: قبيلة بربرية من قبائل زناتة، بطن من بطون البرانس، من سكان المغرب الأوسط، تنسب إلى عجيسة بن برنس الذي تُنسب إليه القبائل البرنسية. الميلي، المرجع السابق، ص101.

[4] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص218.

[5] نوال بلمدني،" ابن مرزوق الخطيب وكتاب المناقب المرزوقية"، **مجلة العصور الجديدة**، عدد خاص، 1432هـ/2011م، 1433هـ/2012م، ص83.

[6] حول علماء أسرة المرازقة ينظر: الملحق رقم – 6–

2 ـ علماؤه:

2 . 1 ـ مُحَّد بن مرزوق (الخطيب) : (710 ـ 781هـ/1311 ـ 1379م)

أ ـ ميلاده ونشأته:

هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن مُحَّد بن مُحَّد بن مرزوق العجيسي،الشّهير بالخطيب[1]، ويُلّقبُ من الألقاب المشرقيّة بشمس الدّين[2]. وُلِد بتلمسان أواخر سنة 710هـ/1311م ونشأ بها[3]. قال عنه ابن خلدون « ومنهم صاحبنا الخطيب أبو عبد الله بن أحمد بن مرزوق، من أهل تلمسان، كان سلفه نُزَلاء الشيخ أبي مدين بالعُبَّاد، ومتوارثين خدمة تُربته، من لَدُن جدّهم خادِمِه في حياته»[4]، حفظ القرآن ومبادئ اللغة في المدارس القرآنية على عادة عصره، وعلى وعلى ما كان عليه أطفال المسلمين[5].

وصفه لسان الدين بن الخطيب بقوله: « هذا الرجل (أي مُحَّد بن مرزوق) مليح التوسّل، حَسَنَ اللّقاء، كثير التّودّد، نظيف البزّة، خَيِّرَ البيت، طلقَ الوجه، خَلوبَ اللسان، طيّب الحديث، مُقَدِّرَ الألفاظ، عارف بالأبواب، دَرَبَ على صحبة الملوك والأشراف، متقاض لإيثار السلاطين والأمراء، يسحرهم بخلابة لفظه، ممزوج الدّعابة بالوقار، والفكاهة بالنّسك، والحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وُدِّه، والتّعصّبِ لإخوانه، إلْفٌ مألوف، كثيرَ الأتباع والعلق، غاصّ المنزل بالطّلبة، بارع الخطّ أنيقه، عذب التّلاوة، متّسع الرّواية، مشارك في الفنون من أصول وفروع وتفسير، يَكتبُ ويشعر، ويقيّدُ ويؤلّفُ، فارس منبر، غيرَ جزوعٍ ولا هيّاب»[6].

---

[1] أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق مُحَّد عبد المعيد الضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، د.ط، صيدر اباد، الهند، 1392هـ/1972م، ج5، ص ص93–97. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص450.

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص290.

[3] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص137.

[4] ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص50. وينظر ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص184.

[5] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص40.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1424هـ/2003م، ج3، ص75. وينظر أيضا: أيضا: المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص391.

ب ـ رحلته: رحل ابن مرزوق الخطيب إلى المشرق في كنف حشمة من جناب والده سنة 718هـ/1318م، فحج وجاور ولقي الجِلَّة، ثم فارقه وقد عُرِفَ بالمشرق حقَّه[1]، ولما جاور أبوه بالحرمين رجع هو للقاهرة مرورا بالشام، وبيت المقدس، فأخذ عن علمائها[2]، وحصل على علوم كثيرة كالطبِّ والرواية والخط، وخاصة في علوم الحديث الذي اعتكف لدراستها على حوالي مائتين وخمسين شيخاً[3].

وفي سنة سنة ثلاث وثلاثين ولى راجعا للمغرب ولقي السلطان أبا الحسن محاصرًا لتلمسان وقد بنى مسجدًا عظيمًا بالعبّاد[4]، وكان عمّه مُحَمَّد بن مرزوق خطيبًا به على عادتهم، وتوفى فولاّه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمّه سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وسمعته يشيد بذكره في خطبته ويثني عليه فقربه، وهو مع ذلك يلازم ابني الإمام ويلقى أكابر الفضلاء ويأخذ عنهم[5]، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالاً خلطه بنفسه، وجعله مُفْضَى سرِّه، وإمامَ جُمَعِه، وخطيبَ مِنبره، وأمينَ رسالته، فَقَدِمَ في غرضها على الأندلس أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة[6] فنزل على أبي الحجاج أمير غرناطة فولاّه خطابة جامع الحمراء، فبقي عليها حتى استدعاه السلطان أبو عنان سنة 754هـ/1353م، وانتهى به الحال عند ملك المغرب أمير المؤمنين المذكور[7]. ثم بعثه لتونس عام ثمان وخمسين ليخطب له بنت السلطان أبي يحيى، فردتِ الخطبة، واختفت بتونس وَوُشِيَ به لأبي عنان أنّه مطَّلعٌ على مكانها، فأمر بسجنه، فَسُجِنَ مدَّةً ثمَّ أَطلقه قبل موته[8].

انتقل ابن مرزوق إلى تونس سنة766هـ/1365م، فأكرموه، وولّوه خطابة جامع الموحدين، إلى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة 770هـ/1369م، فركب البحر صوب الإسكندرية، فولاّه السلطان الأشرف الوظائف العلميّة، متصدراً للقضايا المالكية حتى توفي بها[9]، كما كانت له عدّة أسفارٍ منها: سفره

---

[1] نفسه، ج5، ص391. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج3، 75ص.

[2] التنبكتي، المصدر السابق، ص451. ينظر: الحفناوي، المصدر السابق، ص137.

[3] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص41.

[4] ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص51. التنبكتي، المصدر السابق، ص451. ابن مريم، المصدر السابق، ص184.

[5] نفسه، ص184. التنبكتي، المصدر السابق، ص451.

[6] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص391.

[7] نفسه، ج5، ص392. ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص76.

[8] التنبكتي، المصدر السابق، ص451. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص ص137 ـ 138.

[9] ابن مريم، المصدر السابق، ص186.

للبرتغال حين صحبه السلطان أبو الحسن معه في حملته الحربيّة ضدهم بالأندلس. ومنها سفره إلى حواضر أخرى بالمغرب الأوسط مثل: بجاية، وقسنطينة، وبسكرة وغيرها...[1].

ج ـ شيوخه: ذكر المقّري في نفح الطيب بإطناب شيوخ ابن مرزوق الخطيب ممن لقيّهم في تلمسان مسقط رأسه، ومصر والشام ومكّة والمدينة المنوّرة، وحتى بيت المقدس، وكلُّ هؤلاء وزيادة ذكرهم ابن مرزوق في كتابه المسمى "عُجالة المستوفز المستجاز، في ذكر من استجازني من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز"، وأحصى فيها نحو مائتين وخمسين شيخاً[2]. وذكر جلال الدين السيوطي في بغية بغية الوُعّاة قوله: " فبلغت شُيُوخه ألفي شيخ"[3]. وسأقتصر على بعضهم للاختصار:

فممن لقيه بالمدينة المشرّفة على ساكنها الصلاة والسلام الإمام العالم العلامة عز الدين أبا مُحَّد الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي[4]، صاحب خطتي الإمامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوي[5]، وبمكة وبمكة الشيخ شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجبي المكي[6]، وبمصر الشيخ علاء الدين القونوي، وقاضي القضاة جلال الدّين القزويني[7].

---

[1] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ص ص43 ـ 44.

[2] نصر الدّين بن داود، المرجع السابق، ص53.

[3] السيوطي، بغية الوعّاة، المصدر السابق، ج1، ص46.

[4] **الواسطي**: هو أبو مُحَّد عز الدين أبو مُحَّد. ولد ببغداد سنة ٦٥٤ ه و نشأ بواسط، و قرأ القراءات و قدم مصر سنة 681هـ، وحضر وحضر مجالس فقهائها، كما كان إماما بالمسجد النبوي، مات في شعبان سنة 741هـ، ابن حجر العسقلاني، الدرر، المصدر السابق، ج2، ص20.

[5] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص392.

[6] أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ، 1969م، ج1، ص206. ينظر: السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص46.

[7] **القزويني**: هو أبو عبد الله جلال الدّين الْقزْوِينِي مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن عمر، قَاضِي الْقُضَاة الْعَلامَة ذُو الْفُنُون، شَّافِعِي المذهب، مولده بالموصل سنة سِتّ وَسِتِّينَ و وَسكن دمشق مَعَ وَالِده وأخيه وَولي بهَا القَضَاء وَله نَحْو من عشْرين سنة كنائب لأخيه إمام الدّين، كما كان خطيب المسجد الأموي. كان حيّا سنة ثمان وعشرين. نفسه، ج1، ص ص199 ـ 200. ينظر: ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص35.

ومن النساء الشيخة ست الفقهاء[1] فاطمة بنت مُحَمَّد الفيومي البكري، ومن الشاميين بالقدس علاء الدين أبا الحسن علي بن أيوب[2]، ومن أهل دمشق قاضي الحنابلة الشمس بن مسلم، وبالإسكندرية أحمد المرادي بن العشّاب[3]، وبتونس القاضي ابن عبد الرفيع[4]، وبتلمسان الشيخان الإمامان ابنا الإمام، أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى، وأبو عبد الله مُحَمَّد بن ابراهيم الآبلي، وابن اسحاق الخياط، وبن هدية القرشي[5].

د ـ تلاميذه: كان لابن مرزوق مريدون كُثُر منهم: الشيخ ابن قنفد القسنطيني[6]، الشيخ أبو اسحــــاق الشاطبي،[7] و أبو القاسم البرزلي[8]، وعبد الله بن مُحَمَّد الشريف التلمساني[9] وغيرهم.

---

[1] **ست الفقهاء:** هي ست الفقهاء بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل، أم مُحَمَّد، وتدعى أمة الرحمن، بنت الشيخ القدوة تقي الدين الواسطي. ولدت سنة 633هـ/1236م، روت بالإجازة عن أبي طالب عبد اللطيف بن مُحَمَّد القبيطي كتبا وغيرها. توفيت في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وسبعمائة بصالحية دمشق عن ثلاث وتسعين سنة. ينظر: أبو الطيب الفاسي، ذيل التقييد، المصدر السابق، ج2، ص ص375 ـ 376. وذكر بن حجر في الدرر أنّها ولدت في 635هـ، وتوفيت في سنة 747هـ. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج4، ص266.

[2] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق ، ج5، ص ص393 ـ 394. ينظر أيضا: السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص46.

[3] **العشّاب:** هو أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد العشاب المرادي القرطبي. إمام مقرئ، له تفسير للقرآن، توفي سنة 736هـ. الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج1، ص202.

[4] ابن العماد، المصدر السابق، مج8، ص467.

[5] لمزيد من المعلومات ينظر: المقّري، ج5، ص395. وينظر أيضا: ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص40.

[6] **ابن قنفد:** هو أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، الشهير بابن الخطيب وابن قنفد القسنطني، الإمام العلامة، الفاضل المحدّث، المبارك المصنّف، ولد سنة 740هـ/1340م، له مؤلفات كثيرة منها: تيسير الطالب في تعديل الكواكب، توفي سنة 810هـ/1408م. التنبكتي، المصدر السابق، ص ص109 ـ 110.

[7] **أبو إسحاق الشاطبي:** هو ابو اسحاق ابراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي، الغرناطي، المالكي، الشهير بالشاطبي، محدّث، فقيه اصولي، لغوي مفسر. من مؤلفاته: الموافقات في اصول الفقه. توفي في شعبان 790 هـ/1388م. ينظر: عمر رضا كحالة، المرجع السابق، مج1، ص118. وينظر: نجيب بن لمبارك، المرجع السابق، ج2، ص32.

[8] **البرزلي:** هو أبو القاسم بن أحمد بن مُحَمَّد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي، ولد سنة 740هـ/1340، نزيل تونس، أحد الأئمة الكبار في المذهب المالكي، وصاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى، امام وعلاّمة، بارعٌ في حفظ الفقه. توفي بتونس سنة 844هـ/1441م، وله من العمر ثلاث سنين بعد المائة. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص150 ـ 152.

[9] **مُحَمَّد الشريف:** هو عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني، الإمام العلامة، المحقق الحافظ الجليل، المتفنن المتقن ابن الإمام العلامة الحجة النظار الأعلم أبي عبد الله الشريف، من أكابر علماء تلمسان ومحققيهم، ولد سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فنشأ على عفة وصيانة وجد، له مؤلفات كثيرة منها: مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول. توفي غرقا عندما همّ بالرجوع إلى تلمسان من مالقا سنة 792هـ/1390م. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص ص225 ـ 247. وينظر: نصيرة دهينة، "مشاهير بيوتات العلم والعلماء في حاضرة تلمسان"، **مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية**، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، العدد العاشر، 19 ديسمبر2015، ص158.

هـ ـ آثاره: أُثِرَت لابن مرزوق العجيسي مؤلفات عديدة بعضها قد يكون فُقِد، والبعض لايزال موجودا، منها:

المسند الصحيح الحسن في محاسن ومآثر مولانا الحسن. حققته ماريا فيغيرا خيسوس الإسبانية[1]. عُجالة المستوفز المستجاز، في ذكر من استجازني من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز. أحصى فيها شيوخه الذين درس وتعلم على أيديهم[2]. "تُحفة الطرف إلى الملك الأشرف"، أُلِّفَ للسلطان أشرف[3] سلطان مصر. وكتاب "جنيُّ الجنتين في فضل الليلتين" (ليلة القدر وليلة المولد الشريف)، وشرح كتاب الشفا للقاضي عياض، لم يُكمله في الفقه الإسلامي، وديوان خطب وقصائد[4]. و الكثير من المؤلفات لايسعني ذكرها.

و ـ وفاته: توفي أبا عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن مُحَّد بن مُحَّد بن مرزوق العجيسي، الشهير بالخطيب فِي ربيع الأول سنة إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَسَبْعمائة[5]، ودفن في مقبرة القرافة الصغرى، بين قبري أبي القاسم وأشهب[6].

2 . 2 ـ مُحَّد بن مرزوق (الحفيد): (766 ـ 842هـ/1364 ـ 1438م)

أ ـ ميلاده ونشأته:

هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد، ابن مرزوق العجيسي التلمساني، المعروف بالحفيد، أو حفيد ابن مرزوق، عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب[7]. ولد فِي الثَّالِث عشر ربيع الأول سنة سِتّ وَسِتِّينَ وَسَبْعمائة

---

[1] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص50.

[2] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص392.

[3] **السلطان الأشرف**: هو شعبان زين الدين شعبان بن حسين بن مُحَّد بن قلاوون، الملقب بالملك الأشرف، تولي حكم مصر سنة 764هـ/1363م، وفي عصره كان سوق العلم والعلماء رائجا، وبسبب تآمر الأمراء عليه اغتيل سنة 778هـ، ودفن في قبة مدرسة أم السلطان شعبان بمنطقة الدرب الأحمر بجنوب القاهرة. أبو الفداء، البداية والنهاية، المصدر السابق، مج14، ص302–308.

[4] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص ص50 ـ 51. ينظر: نجيب بن لمبارك، المرجع السابق، ج2، ص33. نويهض، المرجع السابق، ص290.

[5] السيوطي، بغية الوعّاة، المصدر السابق، ج1، ص47. ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج1، ص206. ابن العماد، المصدر السابق، مج8، ص468. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص138. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص186. جمل الدّين الحنفي، المصدر السابق، ج11، ص196.

[6] نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص290. ينظر: عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص ص342 ـ 343. وذكر الونشريسي في وفياته أنّه مات سنة 782هـ. ينظر: الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص ص64 ـ 65.

[7] الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج5، ص331.

بتلمسان واشتغل بها[1]، الفقيه المجتهد الأبرع، الأصولي المفسر المحدث، الحافظ المسند الراوية، الأستاذ المقرئ المجود، النحوي اللغوي، البياني العروضي، الصوفي المسلك[2]. قال عنه التنبكتي: « الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الراعي في كل علم مرعاة الخصيب، حجة الله على خلقه، المفتي الشهير، ... سليل أفاضل الأكابر، ... الجامع بين المعقول والمنقول، والحقيقة والشريعة بأوفر محصول»[3]. وأضاف قوله: « كان رضي الله عنه، من رجال الدنيا والآخرة، وأوقاته كلها معمورة بالطاعة ليلًا ونهارًا، من صلاة، وقراءة قرآن، وتدريس علم، وفتيا وتصنيف، وله أورادٌ معلومة، وأوقات مشهودة، وكانت له بالعلم عناية تكشف بها العِمَاية، ودِرَاية تَعْضدها الرِواية...»[4].

نشأ بتلمسان، وعاش على غرار أبيه وجدّه محبّاً للعلم والعلماء، وتفرغ في البداية لحفظ القرآن الكريم، ثم اعتكف على دراسة العلوم والمعارف الإسلامية، على أَجِلَّةٍ من الشيوخ والعلماء بتلمسان، وفاس، وتونس، والقاهرة، وغيرها[5].

ونقلا عن الكتاني في فهرس الفهارس أنّ تلميذه الثعالبي قال عنه: « أجمع الناس من المغرب إلى الديار المصرية على فضله، لا أَعلم نظيره في وقته»[6]. وقال تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنسي " إن إمامنا مالكاً سُئِلَ عن أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين لا أدري، وجُنَّةُ العَالِمِ لا أدري (ما نصه)، ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا مَن تَمَرَنَ على هذه الخصلة الشريفة ويُكْثِرُ استعمالَها غيرَ شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله بن مرزوق[7]. وقال الشيخ أبو الحسن القلصادي في رحلته: عندما ذكر شيوخه بتلمسان: « وأَوْلاَهُم في الذِّكر والتقديم الشيخُ الفقيهُ، الإمام العلامةُ الكبيرُ الشهيرُ، شيخنا وبركتنا سيدي أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد ابن مرزوق العجيسي»[8].

---

[1] السّخاوي، المصدر السابق، ج7، ص50. ينظر: مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص119.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص201. ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص124.

[3] التنبكتي، المصدر السابق، ص499.

[4] نفسه، ص504.

[5] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص51.

[6] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص524. ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص124.

[7] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص426.

[8] القلصادي، المصدر السابق، ص96.

ب ـ رحلته:

لمّا أخذ الشيخ بن مرزوق الحفيد مبادئ العلوم بتلمسان كما أسلفنا، ولّى وجهتَه نحو تونس بغية الاستزادة من طلب العلم والمعرفة، فدرس على العديد من العلماء من أمثال: ابن عرفة، وأبي العبّاس القصّار التونسي[1].

وفي هذا قال تلميذه الإمام الثعالبي[2]: « وقَدِم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله ابن مرزوق فأقام بها بها وأخذت عنه كثيرًا وسمعت عليه جميع الموطأ بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا مُحَمَّد القلشاني[3]، وختمت عليه أربعينيات النووي قراءة عليه في منزلة قراءة تفهم، فكان كلما قرأت عليه حديثًا حديثًا يعلوه خشوع وخضوع، ثم أخذ في البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي حتى ختمت الكتاب، وهو من أولياء الله تعالى الذين إذا رأوا ذكر الله»[4]. ثم عاد بعدها إلى تلمسان، وشدّ الرحال إلى فاسَ واعتكف هناك على الدراسة والتحصيل في حلقات العلماء الأجلاّء أمثال: الشيخ أبي زيد المكُّوديّ[5]، النحويِّ، وغيرهم[6].

---

[1] **القصّار**: هو أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمان، عُرف بالقصّار، الأزديُّ، التونسيُّ، إمامٌ، علامة، محققٌ، من أهل تونس، بَرَع في النحو، له حاشية على الكشّاف. كان حيّاً بعد التسعين وسبعمائة. ينظر: أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج**، دراسة وتحقيق مُحَمَّد مُطِيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د.ط، المغرب، 1421هـ/2000م، ج1، ص100. وينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص131. نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص49.

[2] **الثعالبي**: هو أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، الإمام الحجة، ولي الله الناصح الصالح العارف بالله، شهر بالثعالبي، ولد عام ست أو سبع وثمانين وسبعمائة وتوفي، كما ذكر التنبكتي، سنة خمس وسبعين وثمانمائة فعمره نحو تسعين سنة. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص ص257 ـ 260.

[3] **مُحَمَّد القلشاني**: هو مُحَمَّد بن عبد الله القلشاني، الفقيه العالم العلامة الصالح القدوة والد القاضيين للجماعة أبي العباس أحمد وعمر القلشانيين، كان رحمه الله تعالى من أكابر علماء تونس، أحد أصحاب الإمام ابن عرفة، وقال ولده أبو العباس أحمد القلشاني: توفي والدي مُحَمَّد القلشاني يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الثاني عام سبعة وثلاثين وثمانمائة بتونس عن ثلاثة وثمانين سنة وخمسة أشهر غير ستة أيام. نفسه، ص496

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص503. ينظر: وابن مريم، المصدر السابق، ص206.

[5] **المكّودي**: هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، عالم بالعربية والنحو، نسبته إلى بني مكود، قبيلة قرب فاس، ولد بها، له شرحٌ على ألفية بن مالك، وشرح لمقدمة بن آجروم، توفي بفاس سنة 805هـ/1405م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص318.

[6] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص131. نصر الدّين بن داود، المرجع السابق، ص70.

شدَّ الرحال من فاس إلى المشرق الإسلامي، لمواصلة مشواره الدراسيّ لينزل بالقاهرة، أين لقي بها العلامة بن خلدون[1] والفيروز أبادي[2] صاحب كتاب البلغة في تراجم الأئمة، وغيرهم من ذوي الفضل والمكانة العلمية[3]، ثم قفل راجعا إلى تلمسان[4].

والملاحظ من هذه الرحلات أنّها غير مضبوطة بتواريخ محدّدة، ولكنّها كانت قبل نهاية القرن الثامن الهجري، وبداية القرن التاسع منه، بدليل ما أورده التنبكتي وغيره كالحفناوي، والمقّري، أنّه التقى بعبد الرحمن بن خلدون في القاهرة وكانت وفاة هذا الأخير سنة 808هـ/1406م.

ثم حجّ بيت الله الحرام سنة 792هـ1390م رفقة شيخه ابن عرفة، واجتمع في مكة بشيوخها، وروى فيها صحيح البخاري على الشيخ ابن صديق، ثمّ عاد إلى تلمسان، وبقي عدّة سنوات في التدريس، والإقراء، والوعظ، والإرشاد[5]. وفي عام 819هـ/1416م سافر إلى المشرق مرة أخرى، وأدّى فريضة الحجِّ، والتقى بعدد آخر من الشيوخ، ودرس وتعلم عليهم، وحصل على إجازات كثيرة من علماء الأندلس، وبقي مدّة هناك ثمّ عاد إلى تلمسان[6].

ساعدت هذه الرحلات، واللِّقاءات، والمجاورات، ابن مرزوق الحفيد على الإلمام في العلوم والمعارف المختلفة، و التفرع في التخصصات الدينية واللغوية، فكان بحرا لا ساحل له في ميدان العلم والمعرفة، وشُهِد له بالفضل وعُلُوُ الهمّة والشأن، وكاد بعلمه الغزير أن يتفوق على جدّه الخطيب.

---

[1] **ابن خلدون**:هو أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَّد بن مُحَّد بن الحسن بن مُحَّد بن جابر بن خلدون، الحضرمي، الاشبيلي الأصل، ولد بتونس سنة 732هـ/1332م، رحل إلى مصر،فولاّه الظاهر برقوق قضاء المالكية، له عدّة مؤلفات منها،"العبر"،مات قاضيًا فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمانمائة عن ست وسبعين دون أشهر،ودفن في مقابر الصوفية. ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق،ص 250 ـ 252.

[2] **الفيروز أبادي**: هو مجد الدّين أبو الطاهر مُحَمَّد بن يَعْقُوب بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الشِّيرَازِيّ الفيروز أبادي الْعَلامَة ولد سنة تسع وَعشْرين وَسَبْعمائة بكارزين، وتفقه ببلاده، وَنظر فِي اللُّغَة، فَكَانَت جلّ قَصده فِي التَّحْصِيل، فمهر فِيهَا إِلَى أَن بهر وفَاق، وَله من التصانيف: الْقَامُوس الْمُحِيط فِي اللُّغَة،مَاتَ لَيْلَة الْعشْرين من شَوَّال سنة سِتّ عشرَة وَثَمَانِمائَة. ينظر: السيوطي، بغية الوعّاة، المصدر السابق، ج1، ص ص273 ـ 274.

[3] المقّري، المصدر السابق، ج5، ص428. ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص131. نويهض، المرجع السابق، ص290.

[4] نصر الدّين بن داود، المرجع السابق، ص71.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص210.

[6] الشوكاني، المرجع السابق، ج2، ص119. يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص52.

ج ـ شيوخه: أخذ عن أبيه[1] وعمّه، وجدّه وسعيد العقباني[2]، والولي الصالح أبي اسحاق المصمودي[3]، وبتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصّار[4]، وبفاس عن ابن حياتي[5]، وأبي زيد المكُّودي.

وسمع بمكة من بهاء الدّين الدماميني[6]، وبمصر عن الفيروز أبادي ونور الدّين النويري[7] وابن خلدون.

ولازم فيها المحبّ بن هشام في العربيّة[8] ، وتدبّج مع الحافظ ابن حجر[9]، وأبي القاسم البرزلي ومسند غرناطة أبي عبد الله الحفار، وأبي عبد الله القيجاطي، وأبي مُحَّد عبد الله بن جزي الكلبي[10] وأبي زرعة

---

[1] هو أحمد بن مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن أبي بكر بن مرزوق، فقيها عالماً، وهو ولد بن مرزوق مؤلف المسند. ينظر: ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص47.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص209. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص524..

[3] **أبو اسحاق المصمودي**: هو إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني، الشيخ العالم، الولي الصالح الزاهد، أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد، قال الشيخ أبو عبد الله بن صعد التلمساني في كتابه (النجم الثاقب): "كان هذا الولي أحدَ من أُوتي الولاية صبيًّا، وحلّ من رياسة العلم والزهد مكانًا عليًّا. توفي سنة 804هـ1402م. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص54. والونشريسي، الوفيات، ص74. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص131. وينظر أيضا : يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص51.

[4] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص428. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص51.

[5] **ابن حياتي**: هو مُحَّد بن علي بن حياتي الغافقي، الأستاذ النحوي، قال السراج في فهرسته: شيخنا الفقيه الجليل الأستاذ المقْرِئ النحوي، المتخلق الفاضل، ولد سنة ثمانية عشر وسبعمائة، وتوفي يوم الخميس ثامن جمادى الأولى عام ثمان وثمانين وسبعمائة. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص260.

[6] **الدّماميني**: هو عبد الله بن مُحَّد بن عبد الله بن أبي بكر الدماميني: قاض مالكي، قرشي، مخزومي، من أهل الإسكندرية. وُلِّيَ قضاءها أكثر من ثلاثين سنة. شاعر وأديب ونحوي وفقيه. قال السخاوي: صار وجيها ضخم الرياسة مع نقص بضاعته في العلم. توفي سنة 845هـ/1442م. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص127.

[7] **النويري**: هو عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مكين نور الدّين، النويري، القاهري، الْأَزْهَرِي، الْمَالِكِي، أَخُو الزين النويري، لازم أَخَاهُ فِي الْفِقْه وَغَيره، بل وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقرَاءَات وَفضل وَاسْتقر بعده فِي تدريس الْفِقْه بالحسينية وَغَيرهَا، وَمَاتَ سنة ثَمَان وَسبعين وسبعمائة. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج5، ص325.

[8] نفسه، ج7، ص50.

[9] **ابن حجر**: هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَّد بن مُحَّد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني، المصري، الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، فقيه، وأديب، وشاعر، ومحدّث، وُلِّيَ القضاء بالديار المصرية، والتدريس بعدة أماكن، توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. السيوطي، الذيل، المصدر السابق، ص251. الشوكاني، المرجع السابق، ج2، ص ص119 ـ 120.

[10] **ابن جزي**: هو أبو القاسم مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن عبد الله، ابن جزي، الكلبي، فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة، ولد سنة 693هـ/1294م. من مصنفاته: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، توفي عام 741هـ/1340م. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص325.

العراقي[1]، ومحمود العيني الحنفي، والحافظ ابن علاّق الأندلسي[2]، وأجازه جميع من ذكرنا الإجازة العامة بما لهم من المصنّفات والمرويّات، وهذا فخر كبير، اجتماع هؤلاء كلِّهم له[3]، وغيرهم الكثير[4].

د ـ تلاميذه: كان لابن مرزوق الحفيد تلامذة كثر فقد أخذ عنه جماعة كعبد الرحمن الثعالبي، والقاضي عمر القلشاني، والعلامة نصر الزواوي[5]، والولي سيدي الحسن أبركان، وابنه، وأبي الفضل المشذّالي[6].

وإبراهيم ابن فائد[7]، وأبي العباس الندرومي، وابنه الكفيف، وسيدي علي بن ثابت[8]، والشهاب بن كحيل التجاني[9].

---

[1] **أبو زرعة:** هو أَحْمد بن عبد الرَّحِيم بن الْحُسَيْن بن عبد الرَّحْمَن بن إِبْرَاهِيم بن أبي بكر بن إِبْرَاهِيم الْوَلِيّ أَبُو زرْعَة بن الزين أبي الْفضل الْكرْدِي الأَصْل، القاهري، ولد فِي سحر يَوْم الِاثْنَيْنِ ثَالِث ذِي الْحجَّة سنة اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعمائة بِالْقَاهِرَة وَأمه عَائِشَة ابْنة لمغاي العلائي أحد أجناد أرغون، من مؤلفاته: "البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح". توفي بالقاهرة سنة 826هـ/1423م. السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج1، ص ص 336 ـ 337.

[2] **ابن علاّق الأندلسي:** هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن قاسم بن علي بن علي بن علاق الاندلسي، الغرناطي، فقيه، فرضي، خطيب، حافظ، من القضاة، من آثاره: شرح مطول على ابن الحاجب الفرعي في عدة أسفار، وشرح فرائض ابن الشاط. توفي في 2 شعبان سنة 806هـ/1404م. عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج11، ص34.

[3] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص524.

[4] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص428. وينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص ص49 ـ 50.

[5] التنبكتي، المصدر السابق، ص506.

[6] **مُحَمَّد المشذّالي:** هو أبو الفضل مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي الْقاسم المشذّالي، من قبيلة زواوة، ولد سنة 822هـ/1417م، هاجر إلى تلمسان وتعلّم بها، وتصدّر للإقراء والتدريس، ثم رحل إلى المشرق وحجّ سنة 849هـ/1445م، ثم القاهرة فلقي بها الإمام السخاوي، وكانت بينهما اجتماعات. توفي بمكان يسمى "عين تاب" بين حلب وانطاكيّة سنة 865هـ/1461م. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج9، ص180 ومابعدها. الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج7، ص ص5 ـ 6.

[7] **ابراهيم بن فائد:** هو ابراهيم بن فائد بن موسى بن هلال، الزواوي، القسنطيني، ولد سنة 796هـ/1394م، فقيه، عالم، أخذ العلم عن أبي الحسن بن علي بن عثمان، وغيرهم، برع في كل الفنون، وله مؤلفات منها: شرح ألفية بن مالك، وفيض النيل. توفي سنة 857هـ/1453م. ينظر: التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص164 ـ 165.

[8] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص131.ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص209 ـ 210.

[9] **ابن كحيل:** هو أبو العباس أحمد بن محمَّد التجّاني، نسبة لقبيلة بالمغرب عُرِف بابن كحيل التونسي العالم العلامة الفقيه، ولد 802هـ/1400م، ألف كتاباً في الفقه سماه "المقدمات" وآخر في التصوف وآخر في الوثائق. وتوفي سنة 869هـ/1464م. وينظر: ابن مرزوق، المصدر السابق، ص48. مُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، 373.

بالإضافة إلى العلامة أحمد بن يونس القسنطيني[1]، والعلامة يحيى بن يدير، وأبي الحسن القلصادي، والشيخ عيسى بن سلامة البسكري[2]، وغيرهم، كالحافظ التنسي التلمساني[3]، وخلق كثير من الأجلاء[4].
الأجلاء[4].

هـ ـ آثاره: ترك لنا الشيخ مُحَمَّد بن مرزوق الحفيد قائمة طويلة من الكتب والمؤلفات في مختلف العلوم والمعارف بعضها طُبع، وبعضها مازال مخطوطا، والبعض موجود وبعضه اندثر، خاصة بسبب العوامل السياسية، فنذكر منها:

روضة الإعلام أرجوزة في علم الحديث، نهاية الأمل في شرح الجمل شرح كتاب جمل الفوائد للخونجي، أنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتّقين، مختصر الحاوي في الفتاوى، ومختصر شرح كتاب الفقه لابن عبد النور التونسي[5]، ومنها شروحه الثلاثة على البردة، وسمي الأكبر إظهار صدق المودة في شرح البردة واستوفى فيه غاية الاستيفاء، وضمنه سبعة فنون في كل بيت، والأوسط، والأصغر المسمى بالاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب[6]، واغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى ابن عقيبة فأجابه عنها[7]، وَالرَّوْض البهيج فِي مسائل

[1] **أحمد بن يونس:** هو أحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني عرف بأبيه، ولد 813هـ/1411م، إمام في الحديث والعربية والأصلين والبيان والمنطق والطب، توفي سنة 878هـ/1474م، ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص126. والسخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص50.

[2] **ابن سلامة البسكري:** أورده أبو القاسم سعد الله في موسوعته فقال: "هو عيسى البسكري، تتلمذ على الثعالبي وابن مرزوق الحفيد وغيرهما من علماء القرن التاسع. ويرى بروكلمان أن البسكري قد ألف كتابه وهو في بسكرة سنة 860هـ، ولكننا لا نعرف عن حياة البسكري غير هذا، فأين ولد وعاش وتوفي؟ ليس هناك إجابة واضحة الآن. ويبدو أنه أكمل تعليمه في تونس لأنه يذكر عددا من علمائها في كتابه. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص ص105 ـ 106.

[3] **التنسي:** هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نسبته إلى (تنس)، مؤرخ، من فقهاء تلمسان وأدبائها. له "تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيّان". توفي سنة 899هـ/1494م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص238. والمقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص428.

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص506. وينظر أيضا: الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص132.

[5] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص49.

[6] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص429.

[7] التنبكتي، المصدر السابق، ص507. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص57.

مسائل الخليج، والمفاتح المرزوقية فِي اسْتِخْرَاج خبر الخزرجية وهو كتاب في علم العروض والقوافي[1]، ومنها المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرجب الفسيح في شرح الجامع الصحيح، لم يكمل[2]. وغيرها الكثير[3].

و ـ وفاته: أورد القلصاديُّ في رحلته أنّ الشيخ أبا عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد، ابن مرزوق العجيسي التلمساني، توفي يوم الخميس عند العصر، الرابع عشر من شعبان سنة 842هـ/ 30 جانفي 1439م، وصُلِّيَ عليه بالجامع الأعظم، بعد صلاة الجمعة، ودُفن بالروضة المعروفة هناك بغربي المسجد، وكانت له جنازة عظيمة حضرها السلطان فمن دونه، لم أر مثلها فيما قبل[4].

لقد بلغ الشيخ ابن مرزوق الحفيد منزلة في المشرق والمغرب، وعُرف بشيخ الشيوخ، ولكني لم أقف على عبارة صريحة تدُلُّ على أنّه أمَّ الناس، ولكن وجدتُ عبارة أوردها التُنبكتِيُّ في نيل الابتهاج، وابن مريم في البستان قولهما:« فارس الكراسي والمنابر»[5]، وأيضا عبارة: «وله خطبٌ عجيبة»[6]، وقبلهما لفظة الإمام المشهور، فهذه العبارات وغيرها مع كونها أنّها عبارات كناية إلاّ أنّ لها دلالة لغويّة تدلّ على أنه كان خطيباً مثله مثلُ جدّه.

2 ـ 3 . مُحَّد بن مرزوق (الكفيف): (824 . 901هـ/1421 . 1496م)

أ ـ ميلاده ونشأته:

هو أبو عبد الله مُحَّد بن مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن مُحَّد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسي، التلمساني، عُرِفَ بالكفيف، ولد ليلة الثلاثاء غرّة ذي القعدة عام 824هـ/ 27 أكتوبر 1421م[7]، نشأ بتلمسان، واعتكف منذ صغره على حفظ القرآن، ودراسة العلوم العربية والدينية،

---

[1] السّخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج7، ص51. نويهض، المرجع السابق، ص291.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص211. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص525.

[3] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص ص429 ـ 430. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص210 ـ 211. والحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص ص132 ـ 133. والتنبكتي، المصدر السابق، ص ص506 ـ 507 ـ 508. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص49. وينظر أيضا: يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص ص57 ـ 58.

[4] القلصادي، المصدر السابق، ص ص97 ـ 98. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص212. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص134. السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص51. التنبكتي، المصدر السابق، ص508. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص48. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص524. الشوكاني، المرجع السابق، ج2، ص120. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص213.

[5] التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص499. ابن مريم، المصدر السابق، ص202.

[6] نفسه، ص211. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص507.

[7] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص49. ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص144.

واللغوية، فحفظ القرآن على والده ابن مرزوق الحفيد، ودرس عنه بعض العلوم الأخرى خاصة الفقه. ثم على جُلّةٍ من علماء تلمسان[1].

كان إمامًا، عالماً، علامةً، وصفه ابن داود البلوي[2] « بشيخنا الإمام عَلَمُ الأعلام، فَخرُ خطباءِ الإسلام، سُلاَلة الأولياء، وخلفُ الأتقياء[3]. وقال عنه الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن الإمام أبي العباس[4] التلمساني في رحلته: " علم الأعلام حجة الإسلام آخر حُفّاظ المغرب »[5]. وذكره الحفناوي بقوله: « المسنَدُ، الراوية، المحدّثُ، العلاّمة، القُدوة، الحافلُ، الكامل أبو عبد الله بن سيدنا شيخ الإسلام»[6]. وأورد وأورد المقّري في النفح بعدما ذكر ابن مرزوق الحفيد فقال:« وابنه العلامة المشهور بالكفيف، والد أمِّ جدّي أحمد، لأبي احمد بنُ مُحَمَّد بن أحمد، فوالدة الجدّ أحمد بنت الكفيف المذكور»[7].

ب ـ رحلته: عزم ابن مرزوق الكفيف على التوجه نحو المشرق، فسافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة 861هـ/1458م، فوجد فيها ثُلّة من شيوخ وعلماء الحرمين الشريفين، فأخذ عليهم العلوم والمعارف[8]، ثمّ أخذّ في التدريس فذاعت شهرته، وقصده الطلبة لينهلوا من علمه الغزير، وكانت دروسه تتميّز بالبساطة والسهولة، فأقام العلاّمة بالبقاع المقدّسة يأخذ عن من لقيه من المشايخ ويُدَرِّسُ، ثمّ شدَّهُ الحنين لمسقط رأسه فقرّر العودة لتمسان[9]. ولم أقف على المدّة التي قضاها في المشرق.

---

[1] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص59.

[2] **ابن داود البلوي**: هو علي بن أحمد بن داود البلوي الأندلسي الغرناطي، انتقل مع أولاده من الأندلس لتلمسان بعد تسعين، تميز في الفقه والعربية وتصدّر للإقراء والإمامة والخطابة والتدريس وغيرها، كان حيًا سنة ست وتسعين وثمان مائة. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص341.

[3] نفسه، ص574.

[4] **مُحَمَّد بن العباس** هو الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن الإمام بن العباس الصغير، له رحلة، وأحدُ تلامذة ابن مرزوق الكفيف. ينظر: نصر الدّين داود،" أبو عبد الله بن مرزوق الكفيف 824هـ/1421م ـ 901هـ/1496م قراءة عن سيرته ونشاطه"، **مجلة أنثروبولوجيا الأديان**، قسم التاريخ كليّة الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة تلمسان، العدد العاشر، تاريخ النشر: 15-06-2011م، ص408.

[5] الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص525.

[6] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص145.

[7] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص419.

[8] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص59.

[9] نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص67.

ج ـ شيوخه: أخذ ابن مرزوق الكفيف العلم على مجموعة من الشيوخ اعتُبِروا من خيرة علماء المغرب والمشرق على حدٍّ سواء فنذكر منهم على سبيل المثال: بتلمسان والده مُحَّد بن مرزوق الحفيد فقرأ عليه الصحيحين والموطأ[1]، وأبو الفضل مُحَّد بن الإمام، قاسم بن سعيد العقباني. وبالجزائر عن أبي زيد عبد الرحمان بن مُحَّد بن مخلوف الثعالبي. وببجاية عن مُحَّد المشذّالي. وبتونس عن مُحَّد بن مُحَّد بن ابراهيم بن عقاب، وعبد الله بن قاسم البحيري. وبالحجاز عن الحافظ السّخاوي. وأجازه بن حجر العسقلاني بإجازة عن طريق المراسلة كما ذكر صاحب البستان[2].

د ـ تلاميذه: أمّا تلامذته فقد أخذ عن الكثير منهم: ابنه الذي يعرف بأحمد بن مُحَّد بن مرزوق، ومُحَّد بن أحمد بن مرزوق، مُحَّد بن العباس، وأحمد بن داود البلوي، وأبو العباس الونشريسي، و عالم فاس ابن غازي[3]، وغيرهم الكثير[4].

د ـ آثاره: لم يكن ابن مرزوق الكفيف كاتباً غزيرَ الإنتاج كمن سبقه من أسلافه، فكل المصادر التي ترجمة لهذه الشخصية لم تُشِر إلاّ لعمل واحد، وهو شرحه لكتاب أبيه المسمّى" بشرح مختصر الحاوي للفتاوى" لابن أبي عبد النور التونسي[5]. ومع ذلك كلّه فقد حفظ لنا المازوني عدداً من فتاوى ابن مرزوق مرزوق الكفيف في مختاراته المسمّاة "بالدرّة المكنونة في نوازل مازونة"[6].

ويذكر الدكتور حجّي مُحَّد أنّ هناك مخطوطا شعريّاً عنوانه: "منظومة ميمونة في الدعاء والابتهال" هي لابن مرزوق الكفيف التي مطلعها[7]:

رَفَعْتُ أُمُورِي لِبَارِي النَّسَمْ   وَمُوجِدُنَا بَعْدَ سَبْقِ الْعَدَمْ

---

[1] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، 145.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص250 ـ 251.

[3] **ابن غازي**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن مُحَّد بن علي بن غازي، العثماني، المكناسي، مؤرخ حاسب فقيه. من المالكية، من بني عثمان (قبيلة من كتامة بمكناسة الزيتون ولد بها سنة 841هـ/1437م، وتفقه بها وبفاس، وأقام زمنا في كتامة، واستقر بفاس سنة 891هـ/1486م، له عدّة مصنّفات منها: "الروض الهتون" في أخبار مكناسة، و " غنية الطّلاب في شرح منية الحسّاب، وغيرهما الكثير. توفي بفاس سنة 919هـ/1513م. ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج5، ص336.

[4] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص ص419 ـ 420.

[5] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص50.

[6] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص420.

[7] مُحَّد حجّي، **فهرس الخزانة العلمية الصبحية بسلا**، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط، الكويت، 1406هـ/1985م، ص315.

وآخرها:

وَثُمَّ الْصَّلاّةُ عَلَى الْمُصْطَفَى شَفِيعِ الخَلاَئِقِ فِي الْمُزْدَحَمْ

والمعروف عن هذه القصيدة أنّها لابن مرزوق الخطيب قالها في محنته، لـمّاَ سَجَنَهُ السلطان المريني أبو عنان سنة754هـ/1353م[1].

وما يمكن قوله في هذا الإشكال، أنّ كلاًّ من أعلام البيت المرزوقيّ الـمَذْكُورِينَ سابقاً يُكَنَوْنَ بأبي عبد الله، فلربما كان المخطوط يقصد ابن مرزوق الخطيب، فظنّه ابن مرزوق الكفيف، ولأنّ هذه الألقاب (الخطيب ـ الحفيد ـ الكفيف) جاءت للتَّفْرِقَة فيما بينهم لمن ترجموا لهؤلاء الفقهاء، فيقع اللبس من هذا. والله أعلم.

هـ ـ وفاته: ذكر الحفناوي في تعريف الخلف وابن مريم في البستان ومُحَّد مخلوف في شجرة النور الزكيّة نقلاً عن المازوني، أنّ ابن مرزوق الكفيف توفي سنة 901هـ/1496م بتلمسان ودفن بها، في موكب جنائزيٍّ مهيب[2].

إنّ بيت المرازقة من البيوتات التي لم تبق في حدود تلمسان فقط، ولكن تعدّى صيتها حتى بلغت المشرق الإسلامي، ولعلّ مكانَتَهم في الثقافة الإسلامية دلّت عليها عبارات الثناء ممن ترجموا لعلماء هذه الأسرة: كفخر خطباء الإسلام، وشيخ الإسلام، وعلم الأعلام وغيرها. فهذا ابن مرزوق الحفيد يقول عنه عُمارة اليمني[3]:

حَلَفَ الزمانُ لَيَأتِيَّن بمِثْلِهِ حَنَثَتْ يمينُكَ يا زَمانُ فَكَفِّرِ

وخلاصة القول في بيت ابن مرزوق، أنّه بيت خطباء بلغاء، ومدرّسين أكفّاء، ومصَنِّفِين في شتى المجالات، وبنيّتهم الفكرية واسعة الأفق، منقطعة النظير، وهذا بسبب رحلتهم للمشرق، والاستفادة من العلوم المشرقيّة. والملاحظ أنّ أحمد المقّري صاحب نفح الطيب كان من سلالة ابن مرزوق الكفيف، الذي كان والد أمِّ جدّه، وما يسعنا في هذا إلاّ قولُ الله عزّ وجلّ ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران: 34].

[1] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص418.

[2] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص146. وابن مريم المصدر السابق، ص251. مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص387. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص525. ينظر: عمر كحالة، المرجع السابق، مج11، ص187. يحي بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص60. عبد الحق حمّيش، المرجع السابق، ص312. نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص292.

[3] الصفدي، المصدر السابق، ج2، ص441.

ثالثا– بيت العقابنة:

1 ـ تعريفه: يرجع انتماء هذه الأسرة إلى قرية عقبان بالأندلس، وتنسب إلى تجيب[1] والتجبيين[2]، ولم أقف على تاريخ دخول هذه الأسرة إلى تلمسان، ولكن ربما تكون قد دخلت في فترة صراعات ملوك الطوائف، واستفحال خطر النصارى الإسبان.

2 ـ علماؤه:

2 ـ 1 ـ سعيد العقباني (720 ـ 811هـ/1360 ـ 1408م):

أ ـ ميلاده ونشأته:

هو سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد، التجيبي، العقباني، التلمساني، إمامها وعلامتها. قال عنه صاحب الديباج:" هو إمام عالم فاضل، فقيه مذهب مالك، متفنن في العلوم، ولد بتلمسان سنة 720هـ/1360م، حفظ القرآن وهو صغير، ثمّ انكب على دراسة الفقه، والنحو، والحديث، والأصول، وغيرها، حتى أصبح من علماء المدينة[3]وصدراته في العلم مشهورة. تولى التّدريس بالمدرسة التاشفنية[4]، وُلِيَ قضاء الجماعة ببجاية في أيام السلطان أبي عنان، والعلماء يومئذ متوافرون، وَوُلِيَ القضاء في عدّة مدن، على غرار تلمسان، وبجاية، ووهران، ومراكش، وسلا[5]، وله في ولاية القضاء مدّةً تزيد على أربعين سنة[6].

ب ـ رحلته: لم تكن للعلامة سعيد العقباني إلاّ رحلة واحدة كانت صوب المغرب الأقصى، حيث ذكرت المصادر أنّه تولى قضاء مدينة مراكش وسلا أيام السلطان أبي عنان المريني الذي كان يُعدّ أحد مشايخه[7].

ج ـ شيوخه: لقد ذكرت المصادر بعض مشايخ الإمام سعيد العقباني حيث ذكر ابن فرحون أنّه سمع من ابني الإمام أبي زيد وأبي موسى، وتفقّه بهما، وأخذ الأصول عن أبي عبد الله الآبلي وغيره، وعلم الفرائض وتقسيم

---

[1] **بنو تجيب:** بضم التاء، وكسر الجيم، وسكون الباء المثناه، هم بطن من كندة، وكندة هذا من ولد أشرس، وعديّ، وتجيبُ أمُهُما، عُرِفَ بنوها بها، وهي بنت ثوبان بن سُلَيم بن رهاء بن مذجّح. ينظر: أبو العباس أحمد القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، بيروت، 1400هـ/1980م، ص185.

[2] التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص190. ينظر: وابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص298.

[3] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص72.

[4] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص163.

[5] الحناوي، المصدر السابق، ج2، ص154.

[6] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص394.

[7] نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص42. رابح بونار، "سعيد العقبان التلمساني"، **مجلة الأصالة**، العدد السادس، وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة1، 1972م، ص67.

التركات على الحافظ السطّيّ، وسمع مدونة مالك وصحيح البخاري عن السلطان أبي عنان الذي رواهما بدوره عن قاضي قضاة الديار المصرية عز الدّين بن جماعة وغيره[1].

د ـ تلاميذه: أخذ عنه العديد من الفقهاء كابراهيم المصمودي، والإمام أبي يحيى الشريف، وحجة الفقهاء ابن مرزوق الحفيد، وولده الإمام العلامة قاسم العقباني، والإمام أبي الفضل ابن الإمام، والإمام الفاضل أبي العباس بن زاغوا، وغيرهم[2].

هـ ـ آثاره:

أمّا مؤلفاته فمنها: "شرح الحوفية"، (في الفرائض على مذهب الإمام مالك) قال عنها ابن فرحون: "لم يؤلف عليه مثله"[3]، و"شرح جمل الخونجي"، (في المنطق).

وشرح التخليص(لابن البناء)، "شرح أرجوزة الياسمين"[4] في (الجبر والمقابلة).

و"شرح العقيدة البرهانية" في (أصول الدين)[5].

و ـ وفاته:

توفي العلامة سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد العقباني عام 811هـ/1408م عن عمر ناهز واحد وتسعين سنة، ودفن بمقبرة السلاطين الزّيّانيين[6].

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص107.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص190.

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص394.

[4] **ابن الياسمين:** هو عبد الله بن حجاج أَبُو مُحَمَّد الْمَعْرُوف بِابْن الياسمين، عالم في الرياضيات، والهندسة، والهيئة، والمنطق، بالإضافة إلى تفوقه في في الأدب العالي شعرا ونثرا، لَهُ ارجوزة فِي الحبر والمقابلة، مات مقتولا فِي حُدُود سنة 601هـ. ينظر: ابن سعيد المغربي، الغصون اليانعة، المصدر السابق، ج1، ص41 وما بعدها. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص458.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص190. وينظر أيظا: ابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص299. عمر كحالة، المرجع السابق، ج4، ص ص230 . 231.

[6] الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص ص 80 .81. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص107. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص190. ابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص299. وينظر أيضا: الحناوي، المرجع السابق، ج2، ص154.. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص73. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص312.

2 ـ 2 . قاسم العقباني (768 . 854هـ/1368 . 1450م)

أ ـ ميلاده ونشأته:

هو أبو الفضل قاسم بن سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد العقباني، التلمساني، قال عنه التنبكتي: « شيخ الإسلام، ومُفتي الأنام، الفَردُ العلاّمة، الحافظُ القدوة العارف المجتهد المُعَمِّرُ»[1]. ووصفه كحالة بأنّه «فقيه، أصولي، مفسّر، نحويّ، ناظم»[2].

وذكر القلصاديّ أبا الفضل فقال:« شيخنا وبركتنا الإمام الفقيه المعمّر، ملحق الأصاغر بالأكابر، العديم النظراء والأقران، المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان أبو الفضل»[3]. وقال أيضا: «وكانت أخلاقه ﷺ حسنة مرضيّة قلّ أن يرى الراؤون مثلها»[4]. ولد سنة ثَمَان وَسِتِّينَ وَسَبْعمائة بتلمسان، وبها نشأ[5]، حفظ القرآن الكريم، وأتقنه على والده، ودرس عليه علوما أخرى، فكان من مجتهدي مذهب مالك[6]. وُلِّيَ خطّة قضاءِ تلمسان في وقت مبكّر من حياته يوم أن كان شابّاً يافعاً[7]. وأضاف الحفناوي الحفناوي أنّه كان رئيس المعقول والمنقول، وانتهى عنده علم اللسان والبيان[8]، وهو فيما عداه من الفنون يفوق الصدور، ويفيض على مزاحمة البحور[9].

ب ـ رحلته: في سنة 830هـ/1426 . 1427م، ارتحل قاسم العقباني إلى المشرق، ومرّ بمصر فحضر بها املاء ابن حجر العسقلاني واستجاز ابن حجر فأجازه، وحضر أيضًا درس العلاّمة البساطيّ[10]، ولا شكّ أنّه زار بلداناً ومُدُناً مشرقيّة عديدة[11].

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص365.

[2] عمر كحالة، المرجع السابق، مج8، ص101.

[3] القلصادي، المصدر السابق، ص106.

[4] نفسه، ص107.

[5] السّخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج6، ص181.

[6] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص73.

[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص148.

[8] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص85.

[9] ابن مريم، المصدر السابق، ص148.

[10] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص86. ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص148. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص366.

[11] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص74.

ج ـ شيوخه: تتلمذ الشيخ قاسم العقباني على يد أبيه سعيد العقباني الذي لازمه طوال حياته، حتى أنّه كان يَشرح حوفية الفرائض ويُقْرِئُها تماما من شرح أبيه[1].

د ـ تلاميذه: أخذ عنه جماعة منهم: أبو القاسم العقباني وحفيده مُحَّد ابن أحمد والعلامة ابن زكري[2]، والكفيف ابن مرزوق، وأبو العباس الونشريسي، والقلصادي الذي قال عنه: " وحضرت عليه كتبا متعددةً في علوم شتى"[3] وغيرهم[4].

هـ ـ آثاره: أمّا مؤلفاته فقد ذكر التنبكتيّ أنّ له تعليقا عن ابن الحاجب الفرعي، أرجوزة تتعلق بالصوفية في اجتماعهم وتراتيلهم في الذِّكر وغيره، لأنّه كان يميل للحياة الصوفيّة[5].

و ـ وفاته: توفي أبو الفضل قاسم بن سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد العقباني، التلمساني في ذي القعدة من سنة 854هـ/ديسمبر 1450 م، وصُلّي عليه في الجامع الأعظم، وحضر جنازته السلطان وعليّة القوم فمن دونهم، ودُفن قرب الشيخ ابن مرزوق[6]، بالإضافة إلى هذين العلمين من بيت العقباني نجد أحمد العقباني[7]، ومُحَّد العقباني[8].

---

[1] القلصادي، المصدر السابق، ص107.

[2] **ابن زكري:** هو أحمد بن مُحَّد بن زكري المانوي التلمساني، علّامتها ومفتيها العالم الحافظ المتفنن الإمام الأصولي، الفروعي، المفسّر الأبرع، أخذ عن الإمام ابن مرزوق والمفتي الحجة قاسم العقباني، له مؤلفات منها: بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، وتآليف في القضاء والفتيا، توفي في صفر سنة تسع وتسعين وثمانمائة للهجرة. ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص130. والونشريسي، الوفيات، ص111.

[3] القلصادي، المصدر السابق، ص107.

[4] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص87. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص148 ـ 149.

[5] التنبكتي، المصدر السابق، ص366. والسخّاوي، الضوء اللامع، ج6، ص181.

[6] الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص95. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص87. وينظر أيضا: ابن مريم، المصدر السابق، ص148. القلصادي، المصدر السابق، ص107. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص366. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص ص74 ـ 75.

[7] **أحمد العقباني:** هو أحمد بن قاسم بن سعيد بن مُحَّد العقباني، التلمساني، قاض من فقهاء المالكية، ولد بتلمسان ونشأ بها، ثمّ وُلِيَّ قضاءها، توفي سنة840هـ/1436م.ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص118. نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص236.

[8] **مُحَّد العقباني:** هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني، قاض ، من أكابر المالكية، وله مشاركة في الأدب، ولد بتلمسان ونشأ بها، رحل إلى المشرق، وحجّ، ثمّ عاد إلى بلده، فوُلِيَّ قضاء الجماعة بها. له مؤلفات منها: "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر". توفي بتلمسان سنة 871هـ/1467م.ينظر: الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص103.

كما لا ننسى قاضي القضاة ابراهيم العقباني[1]، وغيرهم.

وجملة القول في هذا البيت، أنّه بيت تخصّص في القضاء، وهذا ما يؤكد ضلوعهم في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية، وإتقانهم للعلوم الشرعية وأصول الدّين، وحَذَقِهِم، وتمييزهم للأمور، رغم وجود ثُلّة من الفقهاء الأجلاّء مثلهم في تلمسان، ويكفيك أنّ سعيد العقباني كان يطلق عليه لقب "رئيس العلماء والعقلاء".

إنّ المتتبّع للمسار الثقافي للبيوتات العلمية الكبرى في تلمسان، وبالتنقيب في الواقع الفكري لهذ الأسر نجدّ أنّ ميزتهم هو الإسهام الكبير في إثراء الحركة العلمية بمصنفاتهم، و بالمشاركة في الوظائف كالتعليم، و الإمامة، والخطابة، والقضاء، وغيرها. وبالاستقراء في حياة هؤلاء الفقهاء، يتبيّن لنا من خلال مسيرتهم العلميّة، وبإبداعهم الثقافيّ، أنّ البنية الفكرية التي كانت تميّزُ عقل الفقيه التلمساني في هذه البيوتات، هي بنية اتسمت بالخيال الواسع للعلوم، الخيال الذي تضبطه قواعد الشريعة، ولا أدلّ على ذلك من تلك العلوم المختلفة، من عقليّة ونقليّة، وأدبيّة، وغيرها، متمثلة في شخصية فقيه واحد من هؤلاء. وزاد من اتّساع هذه البنية، الرحلة إلى المشرق، والجلوس في حلق علمائه، ودراسة المذاهب الأخرى، وآراء أئمتهم، وامتزاج عقليّة الفقيه المغربي، بعقليّة الفقيه المشرقي، وغير ذلك، لا شكّ أنّ هذا التزاوج الفكري، يُنجبُ لنا فقهاء لا يُضَاهى فكرهم، وإن كانوا أقلّ علمٍ ودراية، من غيرهم. وبهذا أصبحت تلمسان مركزاً مشعّا للثقافة، ومهداً حاضناً للعلم والعلماء، ومقرّاً للمعارف يتوارثه الأبناء عن الآباء، فضلاً عن عامّة طلبة العلم التي كانت تلمسان تعجُّ بهم.

[1] **إبراهيم العقباني**: هو أبو سالم براهيم بن قاسم بن سعد بن مُحَّد العقباني التلمساني، قاضي الجماعة بها، الإمام العلامة الحافظ ابن شيخ الإسلام، أبي الفضل قاسم، أخذ –رحمه الله– عن والده وغيره من علماء تلمسان، وحصّل وبرع وألّف وأفتى وتولى القضاء بعد عزل ابن أخيه العلامة مُحَّد بن أحمد بن قاسم. توفي سنة ثمانين وثمانمائة للهجرة. ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص65. والونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص106.

المبحث الثالث: فقهاء تلمسان في عصر الضعف والانحطاط

عرفت تلمسان خلال العهد الزّيّاني، وفي أطواره الأولى خاصّة، نقلةً علميّة وثقافية كبيرة، والفضل راجع بالدرجة الأولى إلى إسهامات سلاطين الدولة، وبقيت هذه الرعاية للعلم والعلماء إلى سقوط الدولة سنة 962هـ/1554م. كما يعتبر هذا العصر من أزهى عصور بلاد المغرب الأوسط (الجزائر الحالية). فكوّنت له حاضرة ضاهت حواضر المغرب الإسلامي. واستقطبت العلماء، وأكرمت نُزلهم، وأصبحوا يحضون بمكانة مرموقة عند أصحاب السّلطة، بل وعند العامّة أيضا، فأطروا الحياة الثقافية، وشغلوا المناصب الحسّاسة في الدَّولة؛ كالكتابة والقضاء، فضمِن لهم علمُهم الحظوة لدى السَّلاطين، والمكانة المرموقة في المجتمع.

وبقراءة أوليّة لعناصر المبحث، وبإشارة منّا في بداية هذا الفصل، أنّ نجم هؤلاء الفقهاء بدأ في الأفول أواخر منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وبالتحديد من سنة 890هـ/1485م عهد اعتلاء السلطان تاشفين بن المتوكل، والذي لم يدم في الحكم سوى أربعة أشهر، وينتهي إلى خلع السلطان مولاي الحسن آخر سلاطين بني زيّان، من طرف الأتراك سنة962هـ/1554م. وسأحاول ذكر بعض هؤلاء الفقهاء على سبيل المثال لا الحصر، باعتبار البيوتات الصغرى في حاضرة تلمسان، وسأقتصر على فقيه واحد في كل بيت لتجنب الإطالة. والبيوتات الصغرى هي التي أنجبت عالمين أو ثلاثة، وكانت شهرتهم محدودة، ولذا كانت مساهمتهم دون البيوتات الكبرى، مع ضابط معاصرة بعض أعلام هذه الأسر فترة الضعف، والانحطاط، وصولا إلى مرحلة السقوط والانهيار.

أولا ـ بيت الشريف التلمساني:

1 ـ تعريفه: هو أعرق البيوتات بتلمسان ينسب إلى أبي عبد الله مُحَّد بن أحمد الشريف، وكان أول من عُرِف بلقب الشريف من هذا البيت. وذكر ابن خلدون في الرحلة أنّ أبا عبد الله كان يُعرَفُ بالعلويّ، نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان، تُسمى العَلْوِين[1]، وقد ذكرها اليعقوبي في كتابه البلدان فقال: "ثم إلى المدينة التي تسمى مدينة العلويين، كانت في أيدي العلويين من ولد مُحَّد بن سليمان، ثم تركوها فسكنها رجل من أبناء ملوك زناتة يقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي"[2]. ولفظ الشريف يعني النسب الشريف الذي يمتد إلى أحفاد النبي ﷺ من أبناء فاطمة ﵂. وقد أنجب هذا البيت علماء أجلاّء كان

[1] ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص69.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

لهم دور كبير في ازدهار الحياة الفكرية في تلمسان خاصة، والبلاد الإسلاميّة عل وجه العموم. ومن أعلام هذا البيت، الذي عاصر مرحلة الضعف والانحطاط:

2 ـ علماؤه:

2 . 1 ـ أحمد الشريف (ت895هـ/1489م):

أ ـ نشأته وشيوخه:

هو أبو العباس أحمد بن أبي يحيى بن مُحَّد الشريف، العالم العلامة، قاضي الجماعة بغرناطة، أبو جعفر، ابن الإمام العلامة المحقق المفسّر أبي يحيى[1] ابن الإمام الأوحد العلامة الشريف التلمساني[2]. وذكر صاحب البستان أنّه أخذ العلم عن الحفيد بن مرزوق، ووقع بينهما مراجعة وبحث في مسألة المتيمّم يدخل في الصلاة ثم يدخل عليه رجل بالماء، وكلامهما في ذلك نقله الونشريسي في معياره[3].

ب ـ وفاته:

ذكر الونشريسي ما نصه: «وفي سنة خمس وتسعين وثمانمائة توفِي الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن سيدي أبي يحيى الشريف بن السيّد أبي عبد الله الشريف التلمساني»[4]. وقال التنبكتي أنّه لم يقف على سنة وفاته[5].

ثانيا ـ بيت السنوسي:

1 ـ تعريفه: يذكر بن حوقل في كتابة صورة الأرض، أنّ بني سنوس قبيلة من قبائل البربر، من صلب زناتة خرجت عليها[6]، وأمّا ابن خلدون فيُرجعُ أصل قبيلة بني سنوس إلى بطون كوميّة، وقال وهو يُترَجم

---

[1] **أبو يحيى:** هو عبد الرحمن بن مُحَّد بن أحمد بن الشريف التلمساني، المشهور بأبي يحيى الشريف، الإمام العلامة المحقق الأعرف، ابن الإمام العلامة أبي عبد الله الشريف، ولد آخر ليلة التاسع عشر من رمضان عام سبعة وخمسين وسبعمائة، أخذ العلم عن أبيه وعن أبي عثمان العقباني، قال التنبكتي: "ولقد سمعت شيخنا الفقيه الصالح أبا يحيى المطغري يقول: حضرت مجالس العلماء شرقًا وغربًا فما رأيت ولا سمعت مثل أبي عبد الله وولديه. توفي أبا يحيى مع الفجر السادس والعشرين من رجب عام ستة وعشرين وثمانمائة. ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص ص252 . 253.

[2] التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص123.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص44.

[4] الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص110. وابن مريم، المصدر السابق، ص44. ينظر: مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص385.

[5] التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص123

[6] أبو قاسم مُحَّد النصيبي المعروف بابن حوقل ، (ت. بعد 367هـ – 977م): **صورة الأرض**، الطبعة الثانية، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م ج1، ص106.

لشخصية يحي بنِ موسى صاحب شلف من قِبَلِ أبي تاشفين الأول: " وأمّا يحي بن موسى فأصله من بني سنوس، إحدى بطون كوميّة، ولهم ولاء في بني كُومي بالاصطناع والتربية"[1].

2 ـ علماؤه:

- **مُحَّد السنوسي (832 ـ 895هـ/1489 ـ 1428م):**

أ ـ المولد والنشأة:

هو أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب، الحسني، السنوسي، التلمساني، ولد بتلمسان، ولم تذكر المصادر يوم ولادته، وانفرد بها الزركلي في الأعلام أنّه وُلد سنة 832هـ/1428م، ونشأ بها[2]. وصفه ابن مريم بقوله: «عالمها، وصالحها، وزاهدها، وكبير علمائها، الشيخ العلامة المتفنن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع، أبو يعقوب يوسف السنوسي»[3]. وزاد التنبكتيّ في أوصافه فقال: «نشأ خيِّرًا، مباركًا، فاضلًا، صالحًا[4]. وأمّا مُحَّد مخلوف فذكر أنّه:" شيخ العلماء والزهاد والأساتذة العباد العارف بالله الجامع بين العلم والعمل"[5].

ب ـ رحلته: لم تشر المصادر التي ترجمت للإمام مُحَّد بن يوسف السنوسي أنّه قام برحلة، سوى رحلة واحدة إلى فاس للقاء الإمام أبي جمعة مُحَّد الهبطي، وتناقشا فيه على بعض وقف القرآن[6].

ج ـ شيوخه: أخذ العلم عن ثُلّة من العلـماء منهم: والده[7]، وأبو زيد الثعالبي الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث، والحسن أبركان أخذ عنه علم التوحيد وانتفع به وببركته، وعن نصر الزواوي[8]،

[1] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ج7، ص118.

[2] الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج7، ص154. وذكر التنبكتيّ أنّه وُلد بعد الثلاثين وثمانمائة. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص570.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص238.

[4] التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص564.

[5] مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، 384.

[6] محمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب، السنوسي، **عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى**، مطبعة جريدة الإسلام، د.ط، مصر، 1316هـ/1899م، ص40.

[7] هو الشيخ يوسف بن عمر بن شعيب، السنوسي، والد مُحَّد السنوسي، كان معلم الصبيانِ القرآن، فحفظ عليه القرآن، ومبادئ العلوم والمعارف. لم أعثر على تاريخ وفاته. عبد القادر أحمد عبد القادر، السنوسي التلمساني الجامع بين علوم الباطن والظاهر" مصنفاته المخطوطة وأماكن وجودها"، **مجلة الآفاق للثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد، قسم المخطوطات، العدد 23/22، أكتوبر 1998، ص138.

[8] **نصر الزّواوي**: هو عالم، محقّق، زاهد، عابد، من أكابر ابن مرزوق، واحدُ شيوخ السنوسي، والزواوي نِسْبَة إِلَى زواوة، قَبيلَة كَبِيرَة بِظَاهِر بجاية من أَعمال أفريقية ذَات بطُون وأفخاذ، كان بحرا في العربية، رحل إلى المشرق، وبقي في القدس زهاء عشرين سنة، وتوفي ودفن بها.ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص205. وابن مريم، المصدر السابق، ص295. والتنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص341.

والقلصادي، وعن الفقيه المغيلي المشهور بالجلاّب[1] الفقيه، وأخذ علم الأسطرلاب عن أبي عبد الله الحبّاك[2]، وعلوم الأصول والمنطق والبيان، عن أخيه من أمّه علي بن مُحَمَّد التالوتي[3]، وغيرهم[4].

د ـ تلاميذه: كان لصاحب الترجمة طلبة كثر نذكر منهم: ابن الصعد[5]، والقاسم الزواوي[6]، ومُحَمَّد القلعي[7].

---

[1] **مُحَمَّد المغيلي**: هو مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى المغيلي، شهر بالجلاب التلمساني، فقيه، عالم، حافظ لمسائل الفقه، أحد شيوخ مُحَمَّد السنوسي، وله فتاوى في المازونية والمعيار ووصفه المازوني بصاحبنا الفقيه، قال الونشريسي في وفياته: "شيخنا الفقيه المحصل الحافظ، توفي سنة خمس وسبعين وثمانمائة". التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص552. وينظر: الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص105. التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص188.

[2] **الحبّاك**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن يحمد بن يحيى التلمساني، شهر بالحباك، الشيخ الفقيه العالم العلامة الأجل الصالح العدل، من علماء المالكية، وأحد سيوخ السنوسي، له كتاب "بغية الطلاب في علم الاسطرلاب". توفي سنة سبع وستين وثمانمائة. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص543. الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص01.

[3] **مُحَمَّد التالوتي**: هو علي بن مُحَمَّد التالوتي، الأنصاري، أخو الإمام مُحَمَّد بن يوسف السنوسي لأمه، قال عنه التنبكتي الفقيه الحافظ، العالم العالم المتفنن الصالح أبو الحسن، كان محققًا متقنًا حافظًا يحفظ كتاب ابن الحاجب ويستحضره بين عينيه، قلَّ أن ترى مثله حافظًا، قرأ عليه أخوه مُحَمَّد السنوسي الرسالة في صغره، وكان من أكابر أصحاب الحسن أبركان، ما رأيته قطُّ مشتغلًا بما لا يعنيه بل إما ذاكرًا أو قارئًا للقرآن أو مشتغلًا بمطالعة أو نحوه وتوفي في صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة. ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص ص341 ـ 342.

[4] نفسه، ص564.

[5] **ابن الصّعد**: هو مُحَمَّد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد، قال عنه مُحَمَّد العربي الغرناطي: إذا جئت لتلمسان فقل ... لصنديدها ابن صعد، علمك فاق كل علم ... مجدك فاق كل مجد، ألف كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، وروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين وهم: الهواري وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الغماري. توفي بالديار المصرية في رجب سنة إحدى وتسعمائة. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص251 ـ 252. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، 147. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص575. التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص212.

[6] **القاسم الزّواوي**: هو شرف الدّين قاسم بن عمر الزواوي، فقيه، متصوّف، مالكي، أحد تلاميذ السنوسي في مصر، كان أولا مقيما مقيما في صحبة رفيقه الشيخ العابد الزاهد مُحَمَّد الزواوي بمقام الشيخ تاج الدّين بن عطاء الله الإسكندري، ثم في ضريح الشافعيّ رضي الله عنه، وصحب الشيخ جلال الدّين السيوطيّ، وله تصانيف. توفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من شعبان سنة سبع وعشرين وتسعمائة رحمه الله. ينظر: نجم الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزّي (ت 1061هـ)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان،1418هـ/1997م، ج1، ص294.

[7] **مُحَمَّد القلعي**: هو مُحَمَّد المعروف بالقلعي، فقيه، وعالم، ومتصوّف، وأحد كبار تلاميذ مُحَمَّد بن يوسف السنوسي، الجامع بين المعقول والمنقول، وصفه ابن مريم بشيخ الشيوخ، وآخر النُظّار الفحول، له مسائل تسمّى بالمسائل القلعية، توفي ودفن في ضريح الإمام السنوسي. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 271 ـ 272.

بالإضافة إلى ابن العباس الصغير[1]، وابراهيم الملاّلي[2]، وأحمد زروق[3]، وأبو السادات[4]، وغيرهم[5].

هـ ـ آثاره:

ترك لنا الإمام ميراثا علميّاً كبيراً، فقد كتب فِي جُلِّ العلوم من فقه، وتفسيرٍ، وتحيدٍ، وتصوّف، ومنطقٍ، وحساب، وغيرهم، فتفوق في المعقول والمنقول، وبرزت مؤلفاته بشكل خاص في التوحيد والتّصوّف، فنذكر منها على سبيل المثال: "تَوْحِيد اهل الْعِرْفَان وَمَعْرِفَة الله وَرُسُله بِالدَّلِيلِ والبرهان" في التّوحيد، "العقد الفريد فِي حل مشكلات التَّوْحِيد" وَهُوَ شرح لامية الجزائري[6] فِي الْكَلَام، و "عقيدة اهل اهل التَّوْحِيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التَّقْلِيد المرغمة انف كل مُبْتَدع عنيد"، و"عُمْدَة أهل التَّوْفِيق والتّسديد فِي شرح عقيدة اهل التَّوْحِيد[7]"، وَلَهُ كتاب "الْحَقَائِق" فِي تعريفات مصطلحات عُلَمَاء

---

[1] **ابن العباس الصغير**: مُحَّد ابن العباس الصغير، حفيد الشيخ ابن العباس الكبير، عالم في الحساب والفرائض، وغير ذلك من تبحره في علم الحديث، وله في المعقول والمنقول، أحد تلاميذ السنوسي. توفي يوم الجمعة سنة 1011هـ/1603م. نفسه، ص263.

[2] **ابراهيم الملاّلي**: هو مُحَّد بن ابراهيم الملالي، فقيه فاضل، نسبه يرجع إلى بني ملاّل بالمغرب، وكان أحُد تلاميذ مُحَّد بن يوسف السنوسي، له مصنّفات منها: المناقب السنوسية. توفي سنة 897هـ/1492م. ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي، **ترتيب الأعلام على الأعوام**، رتبه وعلّق عليه زهير ظاظا، فهرسه مُحَّد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ط، بيروت، لبنان، 2006م، ج1، ص533.

[3] **أحمد زروق**: هو شهَاب الدَّين أَبُو الْعَبَّاس احْمَد بن احْمَد بن مُحَمَّد بن عِيسَى البرنسى، الْمَعْرُوف بزروق الفاسى، المالكى، الصوفى، من أهل فاس، ولد سنة 846هـ/1443م، تعلم في بلده، ورحل إلى مصر، غلب عليه التصوّف، من تآليفه "اعانة المتوجه الْمِسْكِين على طَرِيق الْفَتْح والتمكين". و"شرح مختصر خليل"، توفى فِي طرابلس الغرب سنة 899هـ/1494م. ينظر: البغدادي، المرجع السابق، ج1، ص136. مُحَّد بن عزوز، المرجع السابق، قسم زهرة الريحان، ص667.

[4] **أبو السادات**: هو مُحَّد بن مُحَّد بن يحيى بن مُحَّد المديوني، الملقب بأبي السادات، فقيه، وحجّة في مذهب مالك، وصفه ابن مريم بصاحب التحقيقات البديعة، والإختراعات الأنيقة، الجامع بين المعقول والمنقول، من تلاميذ السنوسي، أخذ الفقه عن والده. توفي هو وتلميذه مُحَّد الصغير ابن موسى الوجديجي التلمساني في الوباء سنة 981هـ/1574م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص286.

[5] نجيب بن لمبارك، المرجع السابق، ج2، ص ص69. 70.

[6] **أحمد الجزائريّ**: هو أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، إمام فاضل، مالكي، من قبيلة زواوة، ولد سنة 800هـ/1398م، وكانت إقامته بالجزائر. له "اللامية" في علم الكلام، تسمى "الجزائرية في العقائد الايمانية"، شرحها الإمام مُحَّد بن يوسف السنوسي. توفي سنة 884هـ/1479م. الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج1، ص160.

[7] البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص216. ينظر: مقدم مختارية، "نظرية الحكم في فلسفة التوحيد لأبي عبد الله السنوسي التلمساني"، التلمساني"، **مجلة الحوار الثقافي**، المجلد الرابع، العدد الأول، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ت.ن 10/01م2018م، ص ص9- 15.

الْكَلَام. و"الْمنْهَج السديد فِي شرح كِفَايَة المريد" للجزائري[1]. و"نصْرَة الْفَقِير فِي الرَّد على ابى الْحسن الصَّغِير"، و "مختصر في علم المنطق"، و"مكمل إكمال الإكمال" في شرح صحيح مسلم، وغيرهم الكثير[2].

و ـ وفاته: توفي محمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب، الحسني، السنوسي، التلمساني، يوم الأحد الثامن عشر من جمادى الأخيرة عام خمسة وتسعين وثمانمائة بتلمسان، عن ثلاث وستين سنة، بعد عطاء وافر، ودفن بمقبرة المدينة في موكب جنائزيّ مهيب[3].

ثالثا ـ بيت التنسي:

1 ـ تعريفه: ينسب بيت التنسي لتنس من أَعمال تلمسان[4]، وقد ذكرها البكري في كتابه المسالك والممالك فقال: "ومدينة تنس بينها وبين البحر ميلان، وهي مسوّرة حصينة داخلها قلعة صغيرة.. وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة، وهي على نهر (يسمّى تناتين)، وبها حمّامات. وتنس هذه هي الّتي تسمّى تنس الحديثة، أسّسها وبناها البحريّون من أهل الأندلس وذلك سنة اثنتين وستّين ومائتين، ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل ألبيرة وأهل تدمير، وأصحاب تنس من ولد إبراهيم بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ[5].

أمّا الإصطخري فقال عنها:«وأما تنس فهى مدينة كبيرة، وهى عدوة إلى الأندلس أيضا»[6].

وأضاف بن حوقل في ذكره لبلاد المغرب وثرواتها أنّ معدن المرجان لايوجد إلاّ في القرية التي تُسمّى مرسى الخرز ومدينة تنس[7].

---

[1] ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج2، ص142. والبغدادي، المرجع السابق، ج2، 216

[2] الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، مج7، ص154.

[3] التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص570. ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص142. مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ج1، 385. البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص216. وينظر أيضا: الزركلي، المرجع السابق، ج7، 154. نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص70.

[4] السّخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص120.

[5] البكري، المسالك والممالك، المصدر السابق، ج2، ص726.

[6] أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَّد الفارسي الكرخي المعروف بالإصطخري، **المسالك والممالك**، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، القاهرة، 1413هـ/1992م، ص34.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، طبعة دار الصادر أفست ليدن، بيروت، 1938م، ج1، 75.

وكان الحموي قد أورد المدينة في كتابه معجم البلدان بقوله: " وهي (أي تنس) آخر إفريقية مما يلي المغرب، بينها وبين وهران ثماني مراحل، وإلى مليانة في جهة الجنوب أربعة أيام، وإلى تيهرت خمس مراحل"[1].

2 ـ علماؤه:

- **مُحَمَّد التنسي (ت899هـ/1494م):**

أ ـ مولده ونشأته: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الجليل التنسي، التلمساني. وقد رجّح محمود بوعياد محقق كتاب "نظم الدر والعقيان" أنّ مولده بمدينة تنس، مستنداً على اسمه أولاً[2]، كما رجحّ أيضا سنة ولادته باعتبار سنة وفاة شيوخه واستنتج أنّها سنة 820هـ/1317م[3]،غير أنّنا لم نقف على نصوص تقطع بذلك. بذلك. وصفه التنبكتي بقوله: "الفقيه، الجليل، الحافظ، الأديب، المطَّلِعُ، من أكابر علمائها"[4]. ونقلا عن ابن مريم أنّ ابن داود البلوي الأندلسي[5] وصفه فقال: «شيخنا بقيّة الحُفّاظ، قدوة الأدباء، العالم الجليل بن الإمام العلامة أبي مُحَمَّد عبد الله»[6].

وزاد في وصفه أبو عبد الله بن العباس: « الفقيه العَلَمُ الشّهير قال: حضرت إقراءه تفسيراً، وحديثاً، وفقها، وعربيّة، وغيرها»[7]. وأضاف الإمام مُحَمَّد السنوسي في ذكره للتّنسي:«الشيخ الإمام القدوة، علم الأعلام، الحافظ المحقق التّنسي»[8].

نشأ بتلمسان وتعلم بها، وأخذ معظم العلوم من مشايخها الذين سيأتي ذكرهم لاحقاً، وأصبح فيما بعد من أساتذتها حيث كان يدرّس التفسير، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتاب سيبويه، وألفية بن مالك، وكتاب المغني لابن هشام، وغيرهم من أصناف العلوم[9].

---

[1] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، دار الصادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1997م، ج2، ص48.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص9.

[3] نفسه، ص12.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص572 ـ 573.

[5] سبقت ترجمته، ص120.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص248.

[7] التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص209. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص573.

[8] نفسه، ص209.

[9] مُحَمَّد مرتاض، المرجع السابق، ص171.

ب ـ شيوخه: أخذ عن الأئمة أبو عبد الله بن مرزوق (الحفيد)، وقاسم العقباني، وأبي الفضل بن الإمام، والإمام الأصولي مُحَمَّد بن النّجار[1]، والولي إبراهيم التازي[2]، والإمام ابن العباس التلمساني[3]، والحسن بن مخلوف مخلوف الشهير بأبركان، وغيرهم[4].

ج ـ تلاميذه: تتلمذ عن الإمام التنسي كثير من الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد علماء أجلاّء منهم: أبو عبد الله بن الصعد التلمساني، وابن مرزوق السبط[5]، وأبو العباس الصغير لازمه وانتفع به.

وأبو القاسم الزواوي، وأبو العباس بن داود الأندلسي، وأحمد البرنسي الشهير بزروق، وغيرهم[6].

د ـ آثاره: خلف التنسي مؤلفات نذكر منها: "تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيّان"،[7] وكتاب "راح الأرواح فيما قاله أبو حمّو وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح"[8].

---

[1] **مُحَمَّد بن النّجار:** هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن النّجار التلمساني، أصولي من أهل تلمسان، أخذ عنه الإمام التنسي، والقلصادي، والقلصادي، كانت له مشاركة في العلوم النقليّة والعقليّة. توفي سنة 846هـ/1442م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص221.

[2] **ابراهيم التازي:** هو أبوسالم إبراهيم بن مُحَمَّد بن علي التازي، نزيل وهران، الولي الصالح، ولد بتازي قال عنه ابن الصعد في النجم الثاقب: "كان سيدي إبراهيم من الأولياء الزاهدين والعبّاد الصالحين، إمامًا في علوم القرآن، مقدّمًا في علم اللسان، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، إمامًا من أئمة المسلمين". وهو شاعر فحل في التصوّف والزهد. توفي سنة 866هـ/1462م. ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص59 ومايليها.

[3] **ابن العباس التلمساني:** هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن العباس بن مُحَمَّد بن عيسى العبادي، التلمساني، فقيه ونحوي من أكابر علماء تلمسان، كان مفتي الحاضرة، وله مؤلفات منها: "شرح جمل الخونجي"، تحقيق المقال وتسهيل المنال"، من شيوخ الونشريسي، توفي بالطاعون سنة 871هـ/1467م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص223.

[4] مُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص385.

[5] **ابن مرزوق السبط:** هو مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أبي يحيى بن مرزوق ، العجيسي، التلمساني، سبط ابن مرزوق الحفيد، فقيه مالكي، مالكي، محدث، من أهل تلمسان، قال عنه ابن العباس التلمساني "هو آخر علماء قطرنا، الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الحائز قصب السبق فيه، وقد قرأت عليه...". كان حيّاً سنة 920هـ/1514م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص258.

[6] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص573. مُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص385.

[7] صدّر التنسيّ هذا الكتاب بمقدمة مُسْجَعَةٍ جميلة، أهداه إلى السلطان الحاكم عندئذ، وهو أبو عبد الله بن أبي تاشفين بن أبي حمو الزياني. وقد عبّر فيها التنسي عن شرف بني زيان بالربط بين نسلهم ونسل الإمام علي ﷺ والسيدة فاطمة الزهراء. التنسي، المصدر السابق، ص ص105 ـ 106 ـ 107 ـ 108. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص72.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص248. هذا الكتاب يُظْهِرُ لنا أنّ التنسي كان من عشّاق الأدب، وخاصة الشعر ومن المولعين بتدوينه، بتدوينه، كما يدل عنوانه، كان يضم شعر السلطان أبي حمو والمدائح التي قيلت فيه وما خطر ببال المؤلف من النكت والأمثال والطرائف. فكان من الموضوعات التي تقدم إلى مجالس السلاطين للتسلية والترفيه والظرف وللدلالة على الذكاء والحفظ. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص71

وكتاب "الطراز في شرح الخراز"[1]، وجواب مطوّل عن مسألة يهود "توات"[2]. وذكر التنبكتي في نيل الابتهاج آثارا أخرى منها: أن له تعليقًا على فرعي ابن الحاجب[3]، وغيره. وذكر السّخاوي أنّه صنّف كتابا تكلم فيه عن عن إسلام أبي طالب[4]، ولكن يصعب العثور على هذه المؤلفات، بل قد يكون مستحيلا.

هـ ـ وفاته: قضى العلاّمة أبي عبد الله مُحَّد بن عبد الجليل التنسي التلمساني، جُلَّ حياته بتلمسان، إلى أن فارق الحياة، والتحق بالرفيق الأعلى في جمادى الأولى من سنة 899هـ/1494م[5]، ولم تذكر المصادر أين توفي، ولكن يُرَجح أن يكون في تلمسان، لأنّه لم يغادرها[6]. والعجيب في الأمر أنّ ذكر الإمام التنسي يكاد يكون منسيّاً في عهد دولة بني زيّان، وإلاّ فبماذا يُفَسَّرُ بعدم وجود معلومة واحدة تدلُّ على مكان وفاته؟ أو حتى مكان قبره؟ مع العلم أنّ المجتمع التلمساني كان يُعطي أهمية كبرى للأولياء، والعلماء، في حياتهم، وحتى بعد مماتهم ببناءِ الأضرحة والقباب حول قبورهم، وربما كان بعضهم لم يرتق إلى مكانة التنسي بين علماء تلمسان.

رابعا ـ بيت المغيلي:

1 ـ تعريفه: نَسَبُ هذا البيت يرجع إلى قبيلة مغيلة[7]، التي تنتمي إلى بني فاتن، وهي بطن من بطون زناتة، قائدها يدعى أبو قرّة المغيلي الذي كان في مقدمة القبائل الثائرة على ولاّة القيروان في القرن الثاني

---

[1] هو شرحٌ على أرجوزة في ضبط القرآن للعلاّمة مُحَّد بن ابراهيم الشريشي نَظَمَها سنة 703هـ/1303م المسمّاة "مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن"، التي مطلعها: الحمد لله العظيم المنى ومرسلِ الرسلَ بأهدى السنى. وأول بيت قام التنسي بشرحه هو قول الخرّاز: هذا تمام نظم رسم الخط وها أنا أتبعه بالضبط. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص ص25 ـ 26.

[2] التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص210. حول نازلة يهود توات ينظر: الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج2، ص ص 214 –217.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص573.

[4] السّخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص120.

[5] الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص112. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص573. كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص210. ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج2، ص143. وينظر أيضا: التنسي، المصدر السابق، ص11. ابن مريم، المصدر السابق، ص249. الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص88. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص322.

[6] هذا كلامُ مُحقّقِ كتاب نظم الدر والعقيان محمود بوعيّاد. التنسي، المصدر السابق، ص13.

[7] جاء في كتاب جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي: " المغيل هو ما نبت في مكان غيل، والغَيْل: الماء الْجَارِي بَين الْحِجَارَة فِي بطن وادٍ وَغَيره، وَالْجمع أغيال. والغِيل: الشّجر الملتفّ". ينظر: أبو بكر مُحَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، **جمهرة اللّغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، 1987م، ج2، ص962.

الهجري الثامن الميلادي، وقد كانت تقطن مصب نهر الشلف بالقرب من مازونة في عهد بني عبد الواد[1].

وذكر الإدريسي في نزهة المشتاق أرض مغيلة فقال: « ومدينة مغيلة كانت قبل هذا الوقت متحضّرة كثيرة التّجارات، متّصلة العمارات، وهي في فحص أفيحَ، كثيرَ الأعشابِ والخضرِ والنواويرِ والأشجارِ والثّمارِ، ... ومكانُها حسنٌ، وهواؤها معتدل»[2].

2 ـ علماؤه:

• مُحَمَّد المغيلي (ت909هـ/1503م):

أ ـ مولده ونشأته:

هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد المغيلي، التلمساني، مفسر، فقيه، ولد بتلمسان ونشأ بها، ولا نعرف بالضبط متى ولد، ولكن يُرَجَّحُ أنّه في مطلع القرنين، التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي[3]. وصفه التنبكتي بقوله: «خَاتِمَة المحقِّقِين الإمام العالم العلاّمةُ الفهّامةُ، القُدوة الصّالح السُّنيُّ، أحدُ الأذكياء ممن له بسطةٌ في الفهم والتّقدم»[4].

حفظ المغيلي القرآن في صغره كعادة كل أبناء المسلمين، وعكف على دراسة العلوم العربيّة والإسلاميّة، واللغويّة، والنقليّة، والعقليّة، على شيوخ أجلاّء من علماء تلمسان، وغيرها[5]. وقد كان عبد الكريم والد صاحب صاحب الترجمة قد اشتهر بالعلم والصّلاح، وأمُّه عُرِّفَ عنها أنَّها مُحِبَّةً للفقراء والمساكين. كما يُعتبر مُحَمَّد المغيلي، العالم رقم عشرين في سلالة المغيليين التي تبتدئ بإلياس المغيلي الذي اعتنق الإسلام، وكان له شرف المشاركة مع طارق بن زيّاد في فتح الأندلس[6].

تميّز عصر المغيلي بأحداثٍ، وتقلباتٍ، واضطرباتٍ سياسيّة خطيرة داخليّاً وخارجيّاً، ففي الداخل كان هناك صراعٌ على السّلطة بين أمراء بني زيّان، وبين الأعراش والقبائل المجاورة لتلمسان، وأمّا في الخارج فقد

[1] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص155. لمزيد من المعلومات حول قبيلة مغيلة وبطون زناتة ينظر: علي ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السّنيّة في تأريخ الدولة المرينيّة**، نشره الشيخ مُحَمَّد بن أبي الشنب، طبع بمطبعة كربونل في ساحة الدولة، د.ط، الجزائر، 1339هـ/1920م، ص ص10 ـ 11.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج1، ص244.

[3] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص143.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص576.

[5] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص144.

[6] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص346.

كثرت غارات الأوروبيّين المسحيّين، خاصّة الإسبان، والبرتغاليّين، على موانئ المغرب المغرب الإسلامي بصفة عامّة[1]. والبارز في حياة المغيلي هو مناوأته لليهود وهدمه كنائسهم في توات بصحراء الجزائر[2].

ب ـ رحلته:

تاقت نفس الإمام إلى الهجرة خارج تلمسان، بعدما رأى خروج الأمراء عن الجّادة الإسلاميّة، واستسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود، وانصارى من الاسبان، وغيرهم، فغادرها نحو السودان الغربي، ووصل إلى منطقة توات سنة 884هـ/1479م، واستقر لبعض الوقت عند أبناء يعقوب[3] بتمنطيط، وانتقل بعدها إلى منطقة بوعلي التي يوجد بها ضريحه ومقامه[4]، وكانت حينها المنطقة ممالك صحراوية، يُسيطرُ عليها كبار التُّجار، والأثرياء، ورجال الجاليّة اليهوديّة الطاغيّة بمالها، وثرائها[5].

وقد أورد التنبكتي رحلة الشيخ المغيلي إلى عمق الصحراء فقال: " ثم دخل بلاد أهر(أو آهير)[6]، ودخل بلاد تِكْدة[7]، واجتمع بصاحبها، وأقرأ أهلها، وانتفعوا به، ثم دخل بلاد كانو[8]، وكشن[9]، من بلاد السودان واجتمع واجتمع بصاحب كانو، وكتب له رسالة في أمور السّلطنة يحضُّه على اتّباع الشّرع وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، وقرّر لهم أحكام الشّرع وقواعده. ثمّ رحل لبلاد التكرور[10]، فوصل إلى بلدة كاغو[11]، واجتمع بسلطانها

---

[1] نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص62. ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص143.

[2] الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص216.

[3] Jocob oliel, **Les juifs au sahara-le touat au moyen age**, cnrs, editions, P.106.

[4] محمّد بن الطيب المشهور (بابن بابا حيدة)، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، حققه فرج محمود فرج، وقد ألحقه بكتابه **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 2007م، ص31.

[5] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص ص144 ـ 146.

[6] **آهير(أو أهر)**: بلاد واسعة تقع شمال بلاد الهوس، وهي أرض ممتدّة، كان يقطنها التوارك، وبعض فلول صنهاجة، وبقايا السودان. أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص84.

[7] **تكدة**: بلدة تقع في الجهة الجنوبيّة الغربيّة لمملكة آهير. محمّد بل، **تاريخ الإسلام في شمال نيجيريا وجهاد عثمان بن فودى وهو الكتاب المسمى إنفاق الميسور في تأريخ بلاد التكرور**، تحقيق عبد المنعم ضيفي عثمان عبد النعيم، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، مصر، 2011م، ص64 ـ 74.

[6] **كانو أو** kano: منطقة تجاريّة مهمّة في بلاد الهوس، وهي ملتقى القوافل القادمة من المغرب ومصر. نفسه، ص ص 189 ـ193.

[9] **كشن**: أو كاتسينا، تقع غرب جنوب السودان، وتنتمي إلى بلاد تكرور في شمال نيجيريا الحالية. نفسه، ص ص47 ـ 67 ـ 68.

[10] **تكرور**: مدينة في بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل، كثيرة التّجارة، وإليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز، ويخرجون منها بالتبر والخدم. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص134. ينظر: محمّد بن ناصر العبودي، **سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور**، مكتبة فهد الوطنية، الطبعة الأولى، مالي، 1420هـ/1999م، ص239.

[11] **كاغو**: المعروفة بإمارة كوكو، أو مدينة غاو، قال عنها الحميري: "مدينة مشهورة الذكر في بلاد السودان كبيرة، على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها". الحميري، المصدر السابق، ص502. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص105.

آسكيا (أو الأسقيا) مُحَّد الحاج[1]، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألّف له تأليفًا أجابه فيه عن مسائل"[2]. ثم عاد إلى توات سنة 909هـ/1503م بعد مقتل ابنه"الشيخ عبد الجبار" من قبل قبل اليهود[3]، ولم يغادرها حتى وافته المنيّة بها[4].

إنّ المقام لايسعني أن أورد جميع رحلة الشيخ كما هو معلوم، ولكن اقتصرت في رحلته على بلاد توات والسودان، لما فيهما من أهمية كبرى، فبلاد توات خاض فيها معركة ضد اليهود إثر هيمنتهم على المنطقة[5]، وبلاد السودان رحل إليها ناشراً للإسلام وتعاليمه. مع العلم أنّ العلاّمة كانت له عدّة رحلات بداية من مدينة بجاية والجزائر طلباً للعلم، ثمّ مدينة فاس مرتين، بالإضافة إلى الحجاز، مرورا بمصر والإسكندرية[6].

ج ـ شيوخه: استفاد المغيلي من جميع علوم عصره، نظرا لتنوّع مشيخته، فقد أخذ من علماء أجلاّء على غرار تلمسان، وبجاية، والجزائر، وعلى رأسهم: الشيخ يحيى بن يدير[7]، والشيخ عبد الرحمن الثعالبي[8]، والإمام مُحَّد بن بن يوسف السنوسي[9]، وغيرهم[10].

---

[1] هو سلطان مملكة غاو السونغاي آسكيا مُحَّد الحاج، حكم المملكة من 898 ـ 934هـ/1493 ـ 1528م، وقام بتنظيمها من الناحية الإدارية والعسكرية. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص153.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص577.

[3] نفسه، ص577. عن نازلة اليهود ينظر: الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج2، ص212. ينظر: عبد القادر بوعقاد، **الحركة الفقهية في في المغرب الأوسط بين القرنين 7 و9هـ/ 13 و15م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص تاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بشاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر–2– أبو القاسم سعد الله، 1435–1436هـ/2014–2015م، ص ص 1041–1048.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص255.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص ص53 ـ 54 .

[6] أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، **شرح التبيان في علم البيان**، تحقيق أبو أزهر بلخير هانم، وزارة الثقافة الجزائرية، د.ط، الجزائر، 2012م، ص ص23 ـ 24 ـ 25.

[7] **يحيى بن يدير:** هو أبو زكريا يحيى بن يدير بن عتيق التدلسيّ، الفقيه العالم العلامة قاضي توات، أخذ عن الإمام ابن زاغو وغيره، وعنه الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم الغيلي وتوفي بقسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال عاشر صفر عام سبعة وسبعين وثمانمائة. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص637. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص192.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص256.

[9] سبقت ترجمته، ص128.

[10] مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص395.

د ـ تلاميذه: تتلمذ عن العلاّمة أبي عبد الله مُحَّد بن عبد الكريم بن مُحَّد المغيلي التلمساني، مجموعة من الطلبة والمريدين منهم: الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمي[1]، ومُحَّد بن عبد الجبّار الفيجيجي[2]، والفقيه أَيِّدَ أحمد[3]، وغيرهم[4].

هـ ـ آثاره: خلّف المغيلي من ورائه إنتاجاً فكريّاً غزيراً في ميدان التأليف، ولا يزال الكثير منه مخطوطا، يحتفظ به علماء السودان الغربي، نذكر منه: "البدر المنير في علوم التفسير"، و"مصباح الأرواح في أصول الفلاح" كتاب عجيب في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي، وشرح مختصر خليل سماه "مغني النبيل في شرح مختصر خليل"، اختصر فيه جدًّا، وصل فيه للقسم بين الزوجات، بل قيل إنه شرح ثلاثة أرباع المختصر[5]، وحاشية عليه سماها "إكليل مغني النبيل"، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب فبحث فيه مع ابن عبد السلام وخليل[6].

كما له تأليف في المنهيّات[7]، ومختصر "تلخيص المفتاح"، وكتاب "مفتاح النظر في علم الحديث"، فيه أبحاث مع النووي في تقريبه[8]، و"شرح جمل الخونجي" في المنطق"، وله كتاب "صون المنطق والكلام

---

[1] **الأنصمي:** هو العاقب بن عبد الله الانصمني يحيى بن يدير، المسّوفي، من أهل أكدس من بلاد السودان، وصفه التنبكتيّ بقوله:"فقيه، نبيه، ذكيُّ، الفهم، حاد الذّهن، وقّاد الخاطر، مشتغل بالعلم، في لسانه حدّة، له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل". أحد تلاميذ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، كان حيّاً سنة950هـ. ينظر: التنبكتي، نيل البتهاج، المصدر السابق، ص353.

[2] **الفيجيجي:** هو عبد الجبّار بن أحمد بن موسى، الفجيجي، ولد بفجيج ونشأ بها، ورجّح الدكتور بن علي مُحَّد بوزيّان أنّ مولده كان مابين 810هـ/1407م وسنة820هـ/1417م، أحد تلميذ ابن مرزوق الحفيد، والشيخ أحمد زروق. له تفسير للقرآن، وفهرسة لشيوخه. توفي سنة 920هـ/1514م. ينظر: مُحَّد بوزيّان بن علي، "الإمام عبد الجبار الفيكيكي مؤسس الصرح الثقافي بفكيك"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، المغرب، العدد254، ربيع الثاني ـ جمادى الأولى1406هـ/ يناير ـ فبراير1986م، ص87.

[3] **أيّد أحمد:** هو مُحَّد أيّد أحمد التاذختي، اشتهر بلقب أيّد أحمد، أي ابن أحمد بِلُغَة بلاد الهوسا، فقيه، عالم، متفنن، في العلوم، قرأ عل جدّه الحاج أحمد بن عمر التنبكتي، وتتلمذ على يد مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي بمنطقة تكده، ورحل إلى المشرق فالتقى العديد من الشيوخ أمثال: شيخ الإسلام زكريا، وبرهان الدين القلقشندي، والنويري، وغيرهم، ولما رجع إلى السودان وُلِّيّ قضاء كاتسينا. وتوفي 936هـ/1529م. ينظر: أصف أحمد فولارن، "من أعلام الإسلام في نيجيريا"، **مجلة الفيص**ل، دار الفيصل الثقافية، السعودية، السنة24، العدد 280، شوال 1420هـ/ يناير ـ فبراير 2000م. ص ص75 ـ 76.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص256.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص577 ـ 578.

[6] التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص214. ينظر: نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص64.

[7] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص578. وجاء في كفاية المحتاج لفظة المنسيّات، المصدر السابق، ج2، ص214. أمّا في أعلام الفكر ليحيى بوعزيز فقد أورد لفظة المنبّهات، ج2، ص156.

[8] ابن مريم، المرجع السابق، ص255. يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص156.

عن فن المنطق والكلام"[1] ومنظومة فيه سمّاها "مِنَحُ الوهّاب"، وضع ثلاثة شروح عليها[2]، وله أيضًا كتاب "تنبيه الغافلين عن مكر الملبّسين بدعوى مقامات العارفين"[3]، و"فهرسة مروياته"، وعدّة قصائد كالميمية على وزن البردة في مدحه صلى الله عليه وسلم[4]، وغيرها[5].

و ـ وفاته: بعد مقتل ابن العلاّمة أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد المغيلي، التلمساني، من قِبَل اليهود، استقرّ الشيخ بزاويته ب "قصر بوعلي"، الذي يبعد عن "زاوية كنته" بخمسة عشر كيلومترا، في منطقة توات، معلِّماً، ومؤَلِّفاً، حتى وافته المنيّة سنة 909هـ/1503م[6]. أمّا صاحب كتاب كشف الظنون فقد ذكر أنّه مات سنة 910هـ/1504م، ووافقه في ذلك البغداديّ في هدية العارفين[7].

خامسا ـ بيت الونشريسي:

1ـ تعريفه: يرجع أصول هذا البيت إلى سلسلة جبلية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر الحالية)، تمتد من الغرب حتى واد الشلف، وصولا إلى مدينة الجزائر، وأصل تسمية الونشريسي نسبة لها[8].

2 ـ علماؤه:

- **أحمد الونشريسي (834 ـ 914هـ/ 1430 ـ 1509م):**

أ ـ مولده ونشأته: هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، ولد بتلمسان، ونشأ بها[9]، وذكر نجيب بلمبارك قوله: "ولد عام 1430م بمدينة العلم والعلماء تلمسان، وبها

---

[1] آدم عبد الله الألوري، **الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا**، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، الطبعة الثانية، مصر، 1974م، ص74.

[2] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص169. ينظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص308. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص119.

[3] مُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص395. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص349.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص578. وينظر أيضا: التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص214. والزركلي، المرجع السابق، ج6، ص216. مُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص ص395 ـ 396.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص256.

[6] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص577. ابن مريم، المصدر السابق، ص255. ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج2، ص285. الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص216. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص573. عمر كحالة، المرجع السابق، ج10، ص191. مُحَمَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص396. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص168.

[7] حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص845. وينظر أيضا: البغدادي، هدية العارفين، المرجع السابق، ج2، ص224.

[8] وجاء في كتاب "تاريخ الجزائر العام" لفظ وانشريس. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص327.

[9] الكتاني، سلوة الأنفاس، المرجع السابق، ج2، ص172.

وبها نشأ وترعرع في وسط عائلة علم ودين، أدخله والده المدرسة القرآنية بمسقط رأسه كما هي عادة وقتها، ليتلقى مبادئ اللغة العربية ويحفظ ماتيسر من القرآن[1].

ووصفه التنبكتي في نيل الابتهاج أنّه حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة[2]. وجاء في فهرس الفهارس نقلاً عن ابن غازي أنّه قال: « لو أن رجلاً حلف بالطلاق أنّه أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه، لم تطلق عليه زوجته لكثرة حفظه وتبحره»[3]. وأبدع صاحب سلوة الأنفاس في وصف الونشريسي بألفاظ عدّة فقال على سبيل المثال: « الحافظ المُحَصِّلُ الشهير ـ إمام المغرب والمشرق ـ كبار العلماء الراسخين ـ كثير الاطّلاع والحفظ ...»[4].

ب ـ رحلته: لما اعتلى حكم تلمسانَ السلطانُ أبو عبد الله مُحَّد بن أبي زيّان مُحَّد بن ثابت المتوكل[5]، حدثت للعلاّمة احمد بن يحي الونشريسي حادثة مع هذا الأخير المعروف بأبي تاشفين، حيث أراد هذا السلطان أن يُضيّق عليه، وكان الإمام لا يخاف في الله لومة لائمٍ، ذلك أن سلطانَ تلمسان قد غضب منه سنة 874 "ولا أدري ما سبب هذا الغضب"[6] ولكن الكتبَ تتحدث عن آثاره عليه فقط، فقد نُهِبَت دارُ الونشريسي، وهُدِّدَت حياته فلم يسعفه إلا الفرارَ إلى المغرب الأقصى، فاستوطن مدينة فاس، وسكن بجوار القرويين، ووجد من سلطانها الأمن والاعتبار. وتولى هناك تدريس "المدوّنة"، وفرعي بن الحاجب، وغيرهما من أمّات الفقه المالكي، وكان مشاركا في فنونٍ من العلم[7].

---

[1] نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص59.

[2] التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص135. ينظر: وابن مريم، المصدر السابق، ص53.

[3] عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المرجع السابق، ج2، ص1122.

[4] الكتاني، سلوة الأنفاس، المرجع السابق، ج2، ص172.

[5] **المتوكل**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن أبي زيّان مُحَّد بن ثابت المتوكل، تولى حكم بني زيّان مابين سنتي 866 ـ 890هـ/1462 ـ 1485م. وصفه التنسي فقال: " تاج الأملاك، وبدر الأفلاك، منيّر الأحلاك... توفي سنة 890هـ/1462م. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص ص255 ـ 272.

[6] ذكر شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله قوله: "ويظهر أن هذا السلطان، وهو مُحَّد بن أبي ثابت المعروف بالمتوكل كان معتلَ المزاج، شكّاكاً فيمن حوله، فقد أُخْبِرَ عبد الباسط بن خليل في رحلته أن هذا السلطان قد عَزَلَ أيضا مُحَّد القصّار، خطيبُ جامع البيطار بوهران دون سبب، اللّهم إلا ما بلغه من أنّ الشيخ كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص124.

[7] الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص172. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص124.

ج ـ شيوخه: تتلمذ الشيخ الونشريسي على عدد من أهل العلم، فقد أخذه عن مُحَّد بن العباس التلمساني[1]، وأبي الفضل العقباني[2]، وولده أبي سالم[3]، وحفيده الإمام العلاّمة مُحَّد بن أحمد العقباني، وأبي عبد الله الجلاّب وابن مرزوق الكفيف، وابن زكري، وغيرهم من الشيوخ التلمسانيين[4].

د ـ تلاميذه:

كان للشيخ مجموعة من التلاميذ منهم على سبيل المثال: ابنه عبد الواحد الونشريسي[5]، وأبو زكرياء زكرياء السُّوسي[6]، وعبد السميع(أو عبد السميح) المصمودي[7]، وابن هارون المضفري[8].

---

[1] سبقت ترجمته، ص132.

[2] **أبـو الفضـل العقبـاني:** هـو قاسم بـن سعيد بـن مُحَّد بـن مُحَّد، العقبـاني، التلمسـاني، يكـنى بأبي القاسـم، وأبي الفضـل، ولـد بتلمسـان سـنة 768هـ/1368م، قاض، وحافظ، ومحدّث، من كبار فقهاء المالكية في عصره، بلغ درجة الاجتهاد، وعُيّن مفتي المدينة، واشتغل بالتدريس إلى أن مات، وله مؤلفات منها: تعليق على ابن الحاجب، وأرجوزة في التصوّف. توفي سنة 854هـ/1450م. ينظر: التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص365.

[3] **أبو سالم العقباني:** هو أبو سالم ابراهيم بن قاسم بن سعيد بن مُحَّد، العقباني، التلمساني، قاضٍ، ومحدّثٌ، ولد بتلمسان سنة 808هـ/1406م ونشأ بها، عيّن مفتيها، وهو من شيوخ الونشريسي، وله فتاوى أوردها صاحب الدرر المكنونة. توفي سنة 880هـ/1475م. ابن مريم، المصدر السابق، ص57.

[4] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص53. وينظر: الكتاني، سلوة الأنفاس، المرجع السابق، ج2، ص172. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، السابق، ص135. ابن القاضي، جدوة الاقتباس، المصدر السابق، ج1، ص156. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص53. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص379.

[5] **عبـد الواحـد:** هـو أبـو مُحَّد عبـد الواحـد بـن أحمـد بـن يحيى الونشريسـي، فقيـه مـن فقهـاء المالكيـة، بـرع في النحـو والأدب، ولـد بفـاس سـنة 885هـ/1481م، أ خذ العلم عن أبيه وابن غازي، وابن الحبّاك، كان قاضي فاس مدّة ثمانية عشر عاما، له نظم كثيرة منها شرح على ابن الحاجب. مات مقتولا قتله بعض اللصوص بفاس سنة 955هـ/1549م. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج3، ص139. الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص249.

[6] **أبو زكريا:** هو أبو زكريا يحيى بن مخلوف السوسي، الشيخ الفقيه الأستاذ الصالح المتفنن الرحلة، أخذ عن أحمد الونشريسي وابن غازي غازي والفقيه عبد اللّه بن جلال بن حفاظ توضيح خليل، وعن شيوخ بجاية وغيرهم، وعنه عبد الواحد الونشريسي، وتوفي عام سبعة وعشرين وتسعمائة. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص638.

[7] **عبد السميح:** في كل النسخ والصحيح من الإسم عبد السميع، وقد أثبته صاحب نيل الإبتهاج ص135، وجذوة الإقتباس، ج1، ص157 وهو عبد السميع بن مُحَّد الكنفيسي، الجزولي، كان الشيخ أحمد الونشريسي أحد شيوخة. توفي سنة940هـ/1533م. ينظر: مُحَّد المختار السوسي، **خلال جزولة**، دار الكتب العلميّة، د.ط، بيروت، لبنان، 1971، ج2، ص128. وجاء في شجرة النور الزكيّة اسم عبد المسيح، ج1، ص397.

[8] لم أقف على ترجمته.

والحسن بن عثمان التاملي[1]، ومُحَمَّد الغرديس الثغلبي[2]، ومُحَمَّد بن عبد الجبار الورتد غيري[3]، وغيرهم.

هـ ـ آثاره: من مؤلفاته "إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك"، و "المعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب" فيه عدّة طبعات، و "القواعد" في فقه المالكية[4]، و "المنهج الفائق، والمنهل الرائق في أحكام أحكام الوثائق "، و "نوازل المعيار"[5]، و "اضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك "، وتعليق وتعليق على ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة اسفار، وكتاب "الولايات في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية"مع ترجمة فرنسية، وله اختصارات، منها "المختصر من أحكام البرزلي"[6]، و"الفروق"في مسائل الفقه[7]، الفقه[7]، وفهرسة جمع فيها شيوخه[8]، وغير ذلك من التصانيف.

و ـ وفاته: توفي العلاّمة أبو العباس أحمد بن يحيى بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي بفاس بعد مرض عضال ألمَّ به سنة 914هـ/1509م. ومن المفارقات العجيبة أنّها نفس السنة التى أخذ فيها النصارى مدينة وهران[9]، وزاد ابن مريم أنّ عمره قد ناهز الثمانين سنة.

---

[1] **التاملي**: هو أبو عليّ الحسن بن عثمان التاملي، فقيه، حافظ، مشارك متفنّن. انتفع به ببلاد جزولة خلق كثير، أخذ عنه: أبو عبد الله المهدى، وغيره من الأعيان، وأخذ هو عن أبي العباس أحمد الونشريسى، وعن أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن غازى وغيرهما. توفي سنة 932هـ/1526م بالسّوس الأقصى. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج1، ص240.

[2] **مُحَمَّد الغرديس**: هو مُحَمَّد الغرديس، الثغلبي، ولد سنة 947هـ/1541م، أحد تلاميذ الونشريسي أبي العباس، قال عنه المقّري في روضة الآس: الكاتب الرئيس الماجد، السرّي الناظم الناثر، لقيته بها (أي بفاس) واسع الحرمة، متين الجاه، وهو نادرة أهل زمانه، وواحد وقته وأوانه، بيتهم بفاس بيت ثروة وأصالة، لهم بفاس أكثر من خمسمائة عام". توفي سنة 1021هـ/1613م. ينظر: المقّري، روضة الآس، المصدر السابق، ص ص183 ـ 187.

[3] ينظر: الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص172.

[4] الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج1، ص269.

[5] ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج1، ص92.

[6] الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج1، ص269.

[7] عمر كحالة، المرجع السابق، مج2، ص205.

[8] الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص173.

[9] ابن القاضي، جذوة الإقتباس، المصدر السابق، ج1، ص157. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج1، ص92. الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص173. التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص136. وينظر أيضا: البغدادي، المرجع السابق، ج1، ص138. إسماعيل بن مُحَمَّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: مُحَمَّد شرف الدّين بالتقايا رئيس أمور الدّين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.س، ج3، ص113.

أخبره بذلك مفتي فاس مُحَّد بن القاسم القصّار الفاسي[1].

رأيتُ نُجُوم الأرض تبكي حزينةً على فَقْدِ مَنْ كان قُطبَ زَمَـــا نِهِ

فقُلتُ و مَنْ هَذَا؟ فقالَتْ مُجيبةً على الونشريسي وحيـــدَ أَوَانـــِهِ

إليهِ انتَهَتْ في الفِقْهِ كلَّ رِيَاسَةٍ ومَعرفَةِ زينـــــــب بحُسنِ بَيَانِهِ[2]

بالإضافة إلى بيت أولاد الإمام[3]، الذي استقدمهما أبو حمو موسى الأول لتلمسان قادمين من مدينة مدينة برشك، وزاد يحي بن خلدون في التعريف بهذا البيت قوله: «أخبرني ثقاته أنّ جدّهما كان من أولياء الله الأبرار، وكانت له أريضة يعمرها بالخضر لمعاشه»[4].

أمّا بالنسبة لآخر أئمة هذا البيت، والذي عاصر فترة الانحطاط والسقوط، هو الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي الفضل،وقد ذكر هذا التنبكتي نقلا عن أبي العباس الونشريسي عند ترجمته لعلماء بيت أولاد الإمام فقال: « لم يبق لهما الآن عقبٌ بتلمسان إلا صاحبنا وتلميذنا الخَيِّرُ الفَاضِلِ أبو العباس أحمد بن أبي الفضل»[5].

واللافت للانتباه في هذا المبحث، أنّ البيوتات العلميّة الصغرى لا تقلُّ أهمية عن الكبرى، إلاّ فيما يخصُّ الكثرة والقلّة، والتأليفات وعددها. كما كان لفقهاء هذه الأسر (أي البيوتات الصغرى) الحظّ الوافر في إثراء الحياة الفكريّة في تلمسان الزيّانيّة، وغيرها من حواضر العالم الإسلامي، وهذا إن دلّ فإنّما يدلُّ على عمق الفهم والإدراك للعلوم بشتى أنواعها، فقد توارثوا العلم أبًا عن جدٍّ. والظاهر من دراستنا لتراجمهم أنّهم كانوا يمتلكون بنية فكريّة واسعة، فكانت تشكّلُ مادة دسمة في عقل الفقيه التلمساني، جسّدوها في تنوُّع العلوم التي حازوها، بالإضافة إلى المكانة المرموقة بين أفراد المجتمع، وحتى السّلاطين

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص54. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص59. وينظر: عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص380. نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص ص343 ـ 344. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص269. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص123.

[2] رزيوي زينب، المرجع السابق، ص218.

[3] ينظر أصل هذا البيت، ص114. "مليكة عدالة، فقهاء بيت ابن الإمام ومكانتهم العلميّة في تلمسان الزّيّانيّة"، **مجلة عصور الجديدة**، المجلد العاشر، العدد الأول، وهران، مارس 1441هـ/2020م، ص ص154– 167.

[4] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص248. ابن مريم، المصدر السابق، ص127.

أنفسهم، فاستطاعوا تكوين ميلاد مجتمع جديد على حدّ قول مالك بن نبي، بتكوين مدرسةٍ تَخَرَّجَ منها العديدُ من الطلبة، الذين أصبحوا فيما بعد شيوخاً، وعلماءَ، يَدين لهم العالم الإسلاميّ بأسره.

وخلاصة هذا الفصل تؤكد أنّ جميع البيوتات العلميّة بتلمسان، في درجةٍ واحدة بالنسبة للمسار العلمي والثقافي، ولا عبرة بالتصنيف المذكور، فقد ساهمت جميعها في اعتلاء تلمسان مصّاف الحواضر العلميّة في المغرب الإسلامي على وجه الخصوص.

إنّ أوّل ما يلاحظ بتلمسان في الفترة الزّيّانيّة، هو انصراف أغلب الفقهاء إلى العلوم الدينيّة، دون أن يغفلوا العلوم الأخرى كالريّاضيّات، وعلم الفلك، والطبّ، أو غير ذلك من العلوم الطبيعيّة، بل وحتى العلوم اللسانيّة من لغة وأدب التي كانت تحصيل حاصل للعلوم الدينية. ثمّ إنّ اتجاه العلماء أنذاك في دراسة هذه الأخيرة تأثر إلى حدٍّ بعيد بالإصلاح الدينيّ الذي دعا إليه الموحّدون، والذي كان يؤكد ضرورة الرجوع إلى الأصلين (الكتاب والسّنّة) فأغلب علماء الفترة المنوطة بالدراسة يولون علوم القرآن والحديث أهمية كبرى، ويُخصّصون لها معظم انتاجهم.

وباستقرائي لمصادر فقهاء تلمسان وجدتُ أنّهم كانوا جمهرة في العُدَّة والعدد خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وتراجعوا في القرن العاشر، وبدأ نجمهم في الأفول. والملاحظ من كل هذا، أنَّهم كانوا متعدّدي التخصص والاتجاه، فهم مابين فقهاء شعراء، وفلاسفةً أدباء، ومؤرخين حكماء، ومدرّسين أجلاّء.

كما امتازت تلمسان في العهد الزّيّاني بازدهار العلوم بشكل لافت للانتباه، ولم يكن هذا التطوّر في اتجاه دينيّ محض على حساب العلوم العقلية، فكان كثيرٌ من العلماء المذكورين نموذجاً للعالم الكامل المتّزن، المالِكِ لِنَاصِيَةِ العلوم والمعارف التي أدركتها الإنسانيّة في ذلك الزمان.

كما أنَّ عدد فقهاء تلمسان في العهد الزّيّاني لا يعدُّ ولا يُحصى، ورغم اختلاف البنيّات الفكرية فيما بينهم، إلاّ أنّهم استطاعوا تشكيل شبكة علميّة لا يَخْرِمُ قواعدَها الاختلافُ الفكري، وكمثال لذلك ما يُفْهمُ من تأييد الشيخ مُحَّد بن يوسف السّنوسي، والحافظ التنسي، للشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي في قضية يهود توات، إلاّ لأنّهم رأو ما رآه المغيلي من أنّ اليهود عاثوا في المنطقة فسادا، وتحكّموا في السّاسة من خلال نفوذهم، فحاربهم المغيليّ لخروجهم عن جادّة الصواب، وليس كما يزعم البعض أنّه من مُنطَلَقٍ عرقيٍّ، يُكرّسُ كُره اليهود وعداوتهم، فأصبحت بهم تلمسان صرحاً علميّاً، ومركزاً مشعّاً، تضاهي مكانتها الحواضر العلميّة بالقطر الإسلامي.



الفصل الثالث

التأسيسات المنهجيّة لتشكل البنية الفكرية عند فقهاء تلمسان

- المبحث الأول: المناهج التعليميّة
- المبحث الثاني ـ مناهج التّكوين الفقهي
- المبحث الثالث: معالم البنية الفكريّة عند فقهاء تلمسان

وقبل أن نبدأ في هذا الفصل، يجب علينا أن نُعرّف بمصطلحي الفقه والبنية الفكريّة.

الفقه في اللغة: "الفهم والفطنة"[1]، ثمّ غلب على علم الدين، فَخُصّ به[2]، وعلى هذا المعنى ورد قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ**﴾ [سورة التوبة: 122]، وقوله ﷺ«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[3].

أمّا في الاصطلاح: " هو العلم بالأحكام الشرعية العَمَلِية من أدلتها التفصيلية"، والمراد بالحكم هو النسبة التامة الخبرية التي العلم بها تصديق وبغيرها تصوّر، وبهذا يكون الفقه عبارة عن التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العمل تصديقا حاصلا من الأدلة التفصيلية التي نُصِبَت في الشرع على تلك القضايا، وهي الأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس[4]، وفيما يخصّ تعريف البنية الفكرية (الفقهية) فهي عبارة عن "مجموعة من التصوّرات والرُؤى، التي من خلالها يُصدرُ الفقيه أحكاماً شرعيّة، منوطة بقواعدَ مبرمجة في التشريع الإسلامي"[5].

إنّ تكوين البنية الفكرية للفقيه، تترتبط ارتباطا وثيقا بعدة عوامل أساسيّة منها: المناهج التعليميّة التي كانت سائدة في تلك الفترة، بإضافة إلى الطرق المعتمدة في تكوين المنهج الصحيح للفقيه، وهذان العاملان يؤديان إلى ظهور عدّة معالم للفقيه، يُصَنَّفُ على حَسَبِهَا، وباختلاف التخصّصات وتنوعِها، تختلف مناهج التعليم والتكوين.

ومنه تُطرح الكثير من الإشكالات من أهمها: **فيما تمثلت أنماط وتنظيمات التعليم الفقهي في العهد الزّيّاني؟ و ماهي آثاره على البنية الفكريّة للفقيه؟**

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرّحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص346.

[2] أبو الفضل ابن منظور مُحَّد بن مكرم، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، ودار الصادر، 1423هـ/1311م، بيروت، مج13، ص522.

[3] أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي، **المنتقى شرح الموطأ**، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، مصر، 1332هـ، ج7، ص208.

[4] أبو الطيب مُحَّد صديق خان بن حسن البخاري، **أبجد العلوم المسمّى الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت،1423هـ- 2002م، ص458.

[5] طه جابر فياض العلواني، **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأميريكية،1987م، ص4. وينظر: زيد المنديلي، **البنية الفكرية وإشكالية التنميّة**، السبت 26/ مارس/ 2016، 23:28، https://www.alwatan.com.sa/article/295593

المبحث الأول: المناهج التعليميّة

امتازت طريقة التعليم بتلمسان باعتمادها بالدرجة الأولى على البحث والتفكير، وعدم الاكتفاء بالحفظ والتلقين، فكان لذلك أثرٌ محمودٌ في شحد الأذهان، وتكوين بنية فكرية في عقل جيل صالح من كبار العلماء الذين ساهموا مساهمة كبرى في تقدُّم الحركة العلميّة الإسلاميّة في العصر الزّيّاني في شتى المجالات.

إلى جانب هذا لم يهتم بنو زيان بإنشاء المراكز التعليميّة فقط، بل أعطوا عناية بالغة للتّعليم و رِجاله، لأنّه يُعدُّ من العوامل الأساسيّة المساهمة في الحركة العلميّة في أي مِصْرٍ من الأمصار. كما يُعتبر مِرآة عاكسةً للإزدهار الثقافي و العلمي، وسوف أسلط الضوء على نظام التّعليم الّذي كان متّبعًا في جميع المؤسسات التعليمية في الدولة الزيانيّة، من خلال إبراز سنده، و مراحله، و نظامه السنوي، وغير ذلك.

أولا ـ اتصال السند: عرفت أوضاع التعليم في الغرب الإسلامي تباينًا واضحًا، فاِنقسمت إلى من حافظ على سند تعليمه كتونس و تلمسان، و من اِنقطع سند تعليمه كالأندلس و فاس، هذا ما أثّر على الحركة التعليمية. وذكر ابن خلدون قضية اتصال سند التعليم مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية العمران والصنائع فقال:«اعلم أنّ سند تعليم العلم لهذا العهد (عهد الدول الثلاثة) قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه، وتناقص الدول فيه، وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها، ذلك أنّ القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس، واستبحر عمرانها، وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة، وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة. فلمّا خربتا انقطع التعليم عن المغرب إلاّ قليلا كان في دولة الموحّدين بمراكش»[1].

لقد تأثرت مناهج التعليم في العهد الزّيّاني برافدين مهمين، كان لهما الأثر البالغ في اتصال السند، وهما: رافد المشرق، ورافد الأندلس.

1 ـ رافد المشرق: كان المشرق وجهة لكثير من طلاّب العلم المغاربة، الذين رحلوا إليه طلبا للعلم وزيادة في المشيخة وللاستفادة من طرق تدريسه[2]. كما حافظت تلمسان على سند تعليمها، عن طريق عالمها

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، تحقيق وتعليق عبد الله مُحَّد درويش، الطبعة الأولى، دار البلخي، دمشق، 2004م، ج3، ص166.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص224.

أبي موسى عيسى بن الإمام الّذي تتلمذ على مشايخ تونس، والّتي كان سند التعليم فيها متّصلا بالمشرق. ولما كان المقّري يورِدُ الكلام عن التعليم وصناعته واتصال سنده بالمشرق، ذكر الكثير من علماء تونس منهم الإمام المازري[1]، الذي تلقّاها عن الشيخ اللّخمي[2]، وتلقّاها اللّخمي عن حُذّاق القرويّين، حتى وصل إلى ابن عبد السلام التونسي، إلى تلميذه ابن عرفة[3]. وأخذه من مشيخة تونس الشيخ ابن الإمام التلمساني، ونَجَب من طلبة ابن الإمام تلميذه الإمام أبو عبد الله الشريف، شارح الجمل، وانتهت طريقته لولده أبي يحي[4] المفسر العالم. واستقرت أيضاً طريقة ابن الإمام، في تلميذه سعيد بن محمّد العقباني، وانتهى ذلك إلى ولده الشيخ أبي الفضل قاسم العقباني[5].

وذكر ابن خلدون أنّه بعد سقوط دولة الموحدين بمراكش، ارتحل إلى المشرق من افريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون[6] في أواسط المائة السابعة، فأدرك تلامذة الإمام ابن الخطيب[7] فأخذ عنهم، ولُقِّن تعليمهم، وبرع في العقليّات والنقليّات، ورجع إلى تونس بالمغرب الأدنى بعلم كثير وتعليم حسن[8].

[1] **المازري**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن عمر بن مُحَمَّد، المازري، فقيه من فقهاء المالكية، ولد بالمهدية بافريقية، له عدّة مؤلفات منها: كتاب المعلم بفوائد شرح مسلم، ومصنف كتاب إيضاح المحصول في الأصول، وغير ذلك. توفي في ربيع الأول، سنة ست وثلاثين وخمس مائة، وله ثلاث وثمانون سنة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج20، ص105.

[2] **اللّخمي**: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن ابن أبي الرجال مُحَمَّد بن عبد الرحمن اللخمي، المغربي، الإفريقي، ثم الأندلسي، أكثر مشيخته من العلماء القرويّين، له تصانيف كثيرة منها: تفسير القرآن لم يكمله، وكتاب شرح أسماء الله الحسنى، توفي بمراكش، في سنة ست وثلاثين وخمس مائة. ينظر: نفسه، مج20، ص ص72 ـ 73.

[3] سبقت ترجمته، ص99.

[4] **أبو يحيى**: هو عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أحمد بن الشريف التلمساني، المشهور بأبي يحي الشريف، ولد سبعة وخمسين وسبعمائة، من كبار علماء بيت الشريف، توفي في رجب من سنة 826هـ/1423م. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص253.

[5] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص ص24 ـ 25.

[6] **الزيتوني**: هو تقي الدّين أبو القاسم بن أبي بكر بن مسافر، الشهير بابن زيتون، ولد سنة 621هـ/1224م، فقيه تونسي، من شيوخه الرعيني. توفي سنة 691هـ/1292م. ينظر: الغبريني، المصدر، ص97. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص52.

[7] **ابن الخطيب**: هو أبو عبد الله، مُحَمَّد بن عمر بن حسين، القرشي، الطّبرستاني الأصل، الملقب بفخر الدّين الرازي، الشافعي المذهب، المفسّر المعروف، صاحب التصانيف الكثيرة، من كبار علماء عصره. ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة 606هـ/1209م. ينظر: ابن عماد، المصدر السابق، ج7، ص ص40 ـ 41. ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص ص248 ـ 249.

[8] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص ص166 ـ 167.

ومن زواوة[1] ارتحل في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدّين المشذّالي، وأدرك تلاميذ ابن الحاجب، وأخذ عنهم، ولُقّن تعليمهم، وقرأ مع شهاب الدّين القرافي[2] في مجالس واحدة، وحذق في المعقول والمنقول، ورجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد، ونزل بجاية، واتصل سندُ تعليمه في طلبتها، الذين ارتحل بعضهم إلى تلمسان وتوطّنوا بها، وكان لهم الأثر البالغ في بثّ طريقته التعليميّة بها[3].

والضابط في إدراك التعليم الحسن واتصال السند، هو المنزلة التي يصل العالم إليها من حيث سعة معرفته، والاجتهاد فيها، وما يخلّفه من صناعةٍ للعلماء (التدريس)، والتآليف التي تخدم هذه الصناعة. وقد نقل المقّري عن ابن خلدون هذه الفكرة حيث قال: "ولمن ذكرنا من أهل المائة الثامنة انتهت طريقة التعليم، وملكة التلقي، يعني بذلك الشريف والعقباني رحمهما الله تعالى، قال: لكونهما ألّفا التصانيف البديعة، وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع"[4].

2 ـ رافد الأندلس: ذكر ابن خلدون أنّ مذهب أهل المغرب ومن تبعهم من قرى البربر في الصبيان هو الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المُدارسة بالرسم ومسائله، ولا يخلطون ذلك بسواه شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه، أو ينقطع دونه، فهذا مذهبهم في ولدانهم إلى أن يُجاوزوا حدّ البلوغ إلى الشبيبة[5].

أمّا أهل الأندلس فكانوا لا يقتصرون في تعليم الصبيان القرآن والكتابة على رسم المصحف، بل يخلطون تعليمهم للولدان رواية الشعر، والترسل، وأخذهم بقوانين العربيّة وحفظها، وتجويد الخط والكتاب[6].

لقد استقطبت تلمسان الكثير من العلماء المهاجرين من بلاد الأندلس بعد أنِ استطال العدوّ عليها، منهم: أبو عبد الله بن الأزرق، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل، ولحق به جمع من

---

[1] **زواوة**: قبيلَة كَبِيرَة بِظَاهِر بجاية من أَعمال أفريقية ذَات بطُون وأفخا. ينظر: السّخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص205

[2] **القرافي**: هو أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، شهاب الدين الصنهاجي، القرافي، من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة، أصله من قرافة محل قبر الإمام الشافعي، له مصنّفات عديدة منها: أنوار البروق في أنواء الفروق. توفي سنة 684هـ/1283م بمصر. ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج1، ص ص94 ـ 95.

[3] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص167.

[4] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص25.

[5] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص353.

[6] شمس الدين أبو عبد الله مُحَّد بن علي بن مُحَّد الأصبحي الأندلسي، الغرناطي ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق دكتور علي سامي، وزارة الإعلام، الطبعة الأولى، العراق، ج2، ص ص365 ـ 367.

فقهاء الأندلس، وقد ذكر المقّري هذا بقوله: " لمّا رأوا (أي العلماء) استطالة العدو عليها، وأنّه آخِذُها لا محالة، قَوّضوا رحالهم عنها، فنزلوا بتلمسان المحروسة"[1]، وهؤلاء بدورهم أثَّروا تأثيراً بالغا في طريقة التعليم، وأصبح أهل المغرب الإسلامي يخلطون في تعليم الصبيان القرآن الحديث، ومدارسة قوانين العلوم، وتلقين بعض مسائلها،[2]، وبهذا اتصل سند تعليم القرآن برافد الأندلس، وهو مذهب أهل افريقيّة في تعليم الصبيان أيضا[3].

ذكر أبو القاسم سعد الله في موسوعته أنّ اتصال السند لم يقتصر على طريقة تعليم الصبيان فحسب، بل تعدّاه إلى جميع ميادين العلوم الأخرى، حتى وصل إلى المؤسسات التعليمية العليا، التي كانت بمثابة التعليم العالي فقال: «أما التعليم العالي فقد كان يُعطى في المساجد، والزوايا، ودور العلماء، ومَجالس المناظرة، وكان يُعهد به إلى كبار العلماء، وبالإضافة إلى هذه الأماكن العامّة، كانت السُّلطة تُعَيِّن للمدارس كبار العلماء الأندلسيين، وغيرهم، وتُجري عليهم المرتّبات»[4]. فأصبحوا يَبُثُّون طريقتهم، وتنتفع تلمسان بعلومهم.

لقد تجمع في تلمسان إذن سندان أساسيان، كانت تغترف منهما العلوم: سند المشرق، وسند الأندلس، بحيث ساهما مساهمة فعّالة في توطيد المعارف بشتى مجالاتها، ولكلّ منهما طريقته ومناهجه، غير أنّ الهدف واحد، ويتمثل في استمرارية العلوم وبقائها. وما يدل على ذلك هو أنّ تلمسان لم تعرف العلوم النظريّة إلاّ بعد أن اتصل سندها بالمشرق عبر افريقيّة عن طريق ابن الإمام أبو موسى عيسى، فأصبحت تلمسان منبعا من منابع العلوم النظريّة ببلاد المغرب قاطبة[5].

ثانيا ـ مراحل التعليم:

يبدوا أنّ الدولة الزّيّانيّة كغيرها من دول الغرب الإسلامي، لم تكن تملك نظاما تعليميًّا خاصّاً بها، فيما يتعلق بمراحل التعليم، وإلزامية المرور به لكلّ دارس أو طالب علم، ذلك أنّ كلّ مدرسة، بل وكلّ عالم أو مُدَرّسٍ يُدرّسُ ما يشاء وبالطريقة التي يريد، وقد أنكر عليهم ابن خلدون هذه الطريقة بحكم تشتيت الذهن وعدم الاستعاب والإدراك، فقد قال في الفصل الثامن والثلاثين من مقدمته: " ومن

---

[1] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص71.

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص354. ينظر أيضا: عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص227.

[3] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص354.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص47. عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص ص 227 ـ 228.

[5] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص26. عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص228.

المذاهب الجميلة، والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلّم علمان معاً، فإنّه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر، فيستغلقان معاً ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة"[1].

و قد قسم الباحثون والمؤرخون مراحل التعليم في المغرب إلى ثلاث مراحل:

1 ـ المرحلة الأولى: تُعتبر بمثابة التعليم الابتدائي، تبدأ هذه المرحلة بقراءة وحفظ القرآن الكريم، وتنتهي بتمكُّن التلميذ من استظهار كتاب الله تعالى من حفظه قراءةً تامّة، وبالقراءات المشهورة[2]. قال ابن خلدون: « وبعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي، قرأته عليه بالقراءات السّبع المشهورة»[3].

ولمّا صار القرآن أصلَ التعليم الذي يَنْبَنِي عليه ما يُحصِّل الطفلُ منَ المَلَكات، صار في المرحلة الأولى من مراحل التعليم، وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشدُّ رُسوخاً، وهو أصلٌ لـمَا بعده، لأنّ السّابق الأول للقلوب كالأساس للمَلَكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه[4].

وأورد المغراوي في كتابه جامع جوامع الاختصار: أنّ أفضل سنٍّ يدخل فيه الطفلُ للكتّاب هو سنُّ السابعة، وهو نفس السنّ الذي أمر به النبي ﷺ لأداء الصلوات المكتوبة، وفيه يُعَلَّمون مبادئ العقيدة والايمان، ومعرفة الحلال من الحرام[5]. وكان يتعلم في الكتّاب الذكور والإناث، ولكنّ تعليم الإناث كان يقتصر على حفظ القرآن وبعض المتون فقط. وأضاف فيلالي أنّ العمر المذكور سابقاً كان يبدأُ فيه التعليم للأطفال عند الشّعوب القديمة (الفرس والرومان)[6].

لقد تكلم الفقهاء كثيراً عن هذه المرحلة، خاصّة فيما يخصّ أسلوب التعليم والعقاب، وغيرهما من القضايا، وقد أجازوا معاقبة الطفل الذي يخالف أوامر معلِّمه، غير أنّ هذا الأخير يجب عليه مراعاة التدرج في العقاب، من التنبيه، إلى التفريغ، إلى الضرب، شريطة أن لا يبالغ المعلِّم في ذلك، حتى لا

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص348.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص260.

[3] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، 1413هـ/1992م، ج7، ص457.

[5] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص353. وينظر أيضا: فضيلة بوعياد، الحركة الثقافية خلال العهد الزّيّاني . "تلمسان في القرنين السادس والسابع للهجرة"، **مجلة الآداب واللّغات**، العدد الرابع والعشرون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017م، ص269.

[5] أحمد بن أبي جمعة المغراوي، **جامع جوامع الاختصار والتّبيان فيما يعرض للمعلّمين وآباء الصبيان**، تحقيق وتعليق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، د.س، ص47.

[6] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص344.

يترتب على ذلك من انعكاسات، ذكرها ابن خلدون بقوله: « ضيّق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاهُ إلى الكسل، وحُمِلَ على الكذب والخُبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعَلَّمَه المكرَ والخديعةَ لذلك، وصارت له هذه عادةً وخُلُقا»[1].

وجاء على لسان صاحب إحياء علوم الدّين في السياق قوله: " والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب محمودة"[2].

وخلافاً لأبي حامد كان رأي الإمام مُحَّد بن يوسف السنوسي الذي كان ينتقدُ المعلِّمين الذين يضربون الصبيان، ووصفهم بسوء الخلق وفساد القلب[3].

ومن أحسن مذاهب مناهج التعليم في هذه المرحلة ما ذكره ابن خلدون عن هارون الرشيد لمُعَلِّمِ ولده خلف الأحمر[4]، قال خلف: "بعث إليّ الرّشيد في تأديب ولده مُحَّد الأمين فقال: يا أحمر إنّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجةَ نفسه وثمرةَ قلبه، فَصَيِّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعَرِّفهُ الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلِّمه السُنن، وبصّره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلاّ في أوقاته، وخُذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القُوّاد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرَّنَّ عليك ساعةً إلاّ وانت مغتنمٌ فائدة تفيدُه إيّاها، من غير أن تُحزِنْهُ فتُميتَ ذهنه، ولا تَمْعَن في مُسامحته فيستحلي الفراغَ ويَألَفُه، وقوّمه ما استطعت بالرفق والمُلاينة، فإن أباهُما فعليك بالشِّدّةِ والغلظة"[5].

ذكر المغراوي أنّ أحد الأمراء بعث بأبنائه لمؤدِّبٍ وقال له في كتاب « بسم الله، أمّا بعد، فلتكن أوَّل ما تؤدب نفسك، فإنّ عيني مُتعلِّقة بهم، وأعينُهم مُتعلِّقَة بك، فالحسنُ عندهم ما استحسنتَه، والقبيح عندهم ما استقبحته، وعلِّمهم كتاب الله، ولا تُكرههم عليه فَيَمَلُّوه، ولا تُخرِجهم من فنٍّ إلى فنٍّ حتى يُحْكِمُوه، فإنَّ ازدحام العلوم مقلّلةٌ للفُهُوم، وعلّمهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، وكن لهم

---

[1] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص356.

[2] أبو حامد مُحَّد بن مُحَّد الغزالي الطوسي، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، د.ط، بيروت، د.ت، مج4، ص157.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص344.

[4] **خلف الأحمر**: هو أبو محرز خلف بن حيّان الأحمر، من علماء البصرة في اللغة والنحو والشعر. توفي 180ه/797م. ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموّي، **معجم الأدباء يسمّى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت،1414 ه/1993م، ج3، ص1254.

[5] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ص ص356 ـ 357.

كالطّبيب الذي يضعُ الدَّواء في موضع الدّاء، وهدّدهم، واضربهم دوني (أي أمامي)، يزدادوا بذلك صلاحاً. والسلام»[1].

يتبيّنُ من خلال النصّين السابقين أنّ هذه المرحلة كانت خاصّةً بالصِّبية الصغار، حيث يتمُ تعليمهم القرآن، واللغة العربيّة، وبعض الشعر والحديث، في الكُتّاب. والخلاصة من هذه المرحلة أنّ التربيّة الإسلاميّة لم تُحدّد سنّاً لبداية التعليم فيها، وتركت ذلك إلى استعدّادات الطفل وإمكانيّاته العقليّة، فإن أَكْمَل هذه المرحلة انتقل إلى ما بعدها.

2 ـ المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي يكون فيها الطالب قد أكمل حفظ القرآن، وأَلَمَّ بمبادئ الكتابة واللُّغة العربيّة، والقراءات في بعض المتون والعلوم، والمؤسسات التي تُعنى بهذه المرحلة هي المساجد والمدارس[2].

يبدأ الطالب في هذه المرحلة بدراسة مجموعة من العلوم المتعلّقة بالعلوم النّقليّة وبعض العقليّة كالحديث، والفقه، واللّغة العربيّة، والنّحو، والحساب، وغيرها، ويتولى تدريس هذه العلوم شيوخ من الدرجة الوسطى يفيدون الطلاّب في المسائل الأساسيّة لكلّ علم[3].

تتميّز الدراسة في هذه المرحلة بحريّة اختيار الطالب للمواد التي يريد التكوين فيها، ولا تقيّدُه المقرّرات الدراسة السنويّة، ويتتلمذ على الأستاذ الذي يثق فيه وفي كفائته، وكان الأساتذة بدورهم يحترمون ميولات الطلاّب، ومثال ذلك الشريف التلمساني الذي مذهبه في هذا هو ترك الاختيار للطالب في المواد التي يريد دراستها، قال التنبكتي: «يترك كلَّ أحدٍ وما يميلُ إليه من العلوم، ويرى الكلَّ من أبواب العادة، ويقول: من رُزِقَ في بابٍ فليلازمه»[4]. إلاّ أنّ حرية الطالب لم تكن مطلقة، بل كانت في بعض الأحيان يُحدِّدها الأولياء والأساتذة. وقد أوصى الفقيه القاضي عيسى بن عمران قاضي مراكش عندما كتب لابنه الذي تركه في فاس فقال له: « إنّ العلم لايُنال براحة الجسم، فادرس تَرْأَسْ، واحفَظ واقْرَأ تَرْقى، ومهما رَكَنْتَ إلى الدّعَة كنت من أهل الضَّعة، وما رأيتَ النّاسَ مجتمعين على حَمْدِه فاجتَلِبْه، وما رأيتَهم مجتمعين على ذمّه فاجتنبه، والأعدلُ الأقسط أن تسلُك السّبيل الوسط»[5]. هذه الوصيّة توحي أنّ القاضي ينصح

---

[1] المغراوي، المصدر السابق، ص ص39 ـ 40.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص347.

[3] حاجيات،المرجع السابق، ص26. ينظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص469.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص435.

[5] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ج1، ص503.

ينصح ابنه ويوجّهه إلى أنّ ما يجتمع الناس على حُسْنِه وحمده فاتّبِعه، وقصده في هذا عام، ومنه أنّ ما اجتمع عليه الطلبة في الدراسة فتلك أحسنُ العلوم وأنفعُها.

تحدّدُ المقرّرات الدراسية في هذه المرحلة على حسب صعوبتها أو سهولتها، والملاحظ أنّ معظم الطلبة يختارون دراسة الفقه، فقد فاقت عنايتهم بالفقه أيَّ علمٍ آخر، وأصبح مختصر خليل هو المدوّنة الجديدة في بلاد المغرب بأكمله[1].

وزاد القاضي عيّاض[2] عن أحد مشائخه لـمّا كان يُحدِّثُهُ عن شيوخه وما قرأه عليهم، فلمّا أكمل كلامَه قال له: «وإنْ لم تُطِق احتمال هذه المشّاق كلِّها فعليك بالفقه الذي يمكنك تَعَلُّمَهُ وأنت في بيتك، قارٌّ ساكن، لا تحتاج إلى بُعدِ الأسفار، ووطء الدّيار، وركوب البّحار، وهو مع ذا ثمرة الحديث كلِّه»[3]. وأما دراسة الحديث فإنّها تستغرق سنوات عدّة، إذا ما قورنت بالمدّة التي يستغرقها دراسة الفقه، وتتطلب الرحلة في جمع الأسانيد، ودراسة النحو، واللُّغة، وعلم أصول الفقه والكلام، بشكل واسع أكثر ممّا يتطلبه الفقه. ثمّ بعد ذلك ينتقلون إلى علوم أخرى كالفرائض، والحساب، والفلك، والمنطق، والتاريخ، وغيرهم من العلوم الطبيعيّة والعقليّة[4].

والملخص من هذه المرحلة أنّها تميّزت بالدراسة الشاملة لمختلف العلوم والفنون، وتناولِ بعضِ كُتُبِهَا بالدّراسة، ثم الغوص فيها ببطء. وذكر الونشريسي أنّهم كانوا يقتصرون على بيان صورةِ كلِّ مسألة بعمومها. وأضاف أنّ هذا النهج في التعليم ضمن هذه المرحلة هو أنفع للطالب، سيما من كان مبتدئاً في هذا الشأن[5]، حتى تأتي المحطّة الأخيرة التي بموجبها استيعاب قدر كبير من العلوم المقرّرة في التعليم.

---

[1] الحسن السائح، **الحضارة الإسلاميّة في المغرب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الدرا البيضاء، المملكة المغربية، 1406هـ/1986م، ص259.

[2] **القاضي عياض**: هو أبو الفَضْل عِيَاضُ بن مُحَّد بن عِيَاض بن موسى بن عِيَاض، اليَحْصُبِيُّ، سَبْتِيٌّ بَسْطيُّ الأصل، ولد بسبتة سنة561هـ، وكان محدِّثًا راويةً، فقيهًا حافظًا، من بيتِ علم وجَلالة، فاضل الخُلُق، سَكنَ مالَقةَ، وتوفي بها سنة 630هـ. ينظر: أبو عبد الله المراكشي، الذيل، المصدر السابق، دار الغرب الإسلامي، تحقيق وتعليق عليه إحسان عباس، مُحَّد بن شريفة، بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، تونس، 2012م، ج5، ص ص114-115.

[3] أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، "**الغُنْيَة**" فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت،1402 هـ/1982 م، ص72.

[4] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص348 ـ 349.

[5] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ج7، ص353.

3 ـ المرحلة الثالثة: وهي ما تسمى في عصرنا الحاضر بالتعليم العالي إن صحّ التعبير، فيتناول فيها الطّلاّب الذين رأو من أنفسهم المقدرة على فهم الدروس التي يلقيها كبار الأساتذة، لأنّها أوسع وأدّقُّ من سابقتها في الشرح والزيادة في المسائل العلميّة التي لا منتهى لها[1]. كما يتناولون كلّ تخصُّص بفروعه، فتتِّمّ دراسة القرآن وتفسيره، وعلم القراءات، والحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، وأصول الدّين، والسّيرة، والتصوّف، والتوحيد، وإلى جانب ذلك يدرُسون مجموعة من العلوم العقليّة مثل: المنطق، والحساب، والفلك، والهندسة، وغيرها[2]، وتُدرَّسُ جميع هذه العلوم في الجامع الأعظم بتلمسان، الذي كان بمثابة الزيتونة بتونس، والقروييّن بفاس، والأزهر بالقاهرة[3].

كانت هذه العلوم تُلقى من قِبَلِ شيوخ وأساتذة، كلٌّ في تخصُّصه، وهذه المرحلة تُعدُّ المرحلة الأخيرة في التعليم، فترى طلاّبَ العلم يرتحلون إليها من بلد لبلد. وقد ذكر عبد الجليل قريان أنّ في هذه المرحلة تُعادُ دراسة كثير من الكتب التي درّست في المرحلة الثانيّة، وأعطى مثالا لذلك حيث قال: " أعاد بن خلدون دراسة الموطأ ثلاث مرّات، والأمّات الست (البخاري، ومسلم، وابن ماجة، والترمذيّ، وأبو دوود، والنّسائيّ) مرتين، ممّا يُعطي انطباعاً بأنّ هذه المرحلة هي مرحلة الغوص في أعماق الموّاد، ومحاولة الوصول إلى المفاهيم الغامضة وتحريرها، والنظر بعمق في مختلف القضايا المطروحة في الموّاد"[4].

إنّ ما يُميِّز هذه المرحلة من التعليم هو النضج العقليّ للطالب بعد تخرّجه منها، ويبدوا أنّها المرحلة الأخيرة في التعليم، بحيث يصبح مؤهلا للتدريس، أو التأليف، أو القيام بالبحوث الفردية، ويجتهد في المسائل الفقهيّة، واقتفاء العلماء بعد ذلك[5]

كما وافقت مراحل التعليم الحاليّة المراحل التي ذكرها ابن خلدون في الفصل الثامن والثلاثين من المقدّمة حيث قال: « اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيداً إذا كان على التّدْريج شيئاً فشيئاً، وقليلاً قليلاً، يُلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب، ويُقرِّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويُراعي في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يَرِدُ عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفنِّ، وعند ذلك يَحصُل له مَلَكَةٌ في ذلك العلم، إلاّ أنّها جزئيّة وضعيفة، وغايتها أنّها هيّأته لفهم الفنّ وتحصل

[1] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص220.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص260.

[3] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص473.

[4] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص261. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص138.

[5] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص261.

مسائله»[1]. هذا ما يخصُّ التعليم في المرحلة الأولى، أمّا بالنسبة للثانيّة والثالثة فقد قال: « ثمّ يرجع إلى الفنّ ثانيّة فيرفعه في التلقين على تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشروح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفنّ فتَجودُ ملكتُه. ثمّ يرجع به وقد شدا[2]، فلا يترك عويصاً، ولا مبهماً، ولا مغلقاً إلاّ وضّحه وفتح له مُقفَلَهُ، فيخلصُ من الفنِّ وقد استولى على مَلَكَتِهِ. هذا وجه التعليم المفيد.، وهو كما رأيتُ إنّما يحصلُ في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقلّ من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسّر عليه»[3].

والملاحظ من هذه المراحل أنّ المرحلة الثانية هي التي تبدأ فيها تشكيل نواة البنية الفكرية للفقيه، بحيث هو الذي يختار المواد التي يريد التكوين فيها، ومنها يتخصّص في علم من العلوم، الذي يصنع له بنية فكريّة تتماشى مع ذلك العلم المدروس، فَتَنْتُجُ بنيّات مختلفة، بأساس واحد هو حفظ القرآن، والتّفقه في الدّين الذي يُعدُّ ثمرة كلّ العلوم.

ثالثا ـ النظام الزمني للتعليم: لم يكن البرنامج الزمنيّ للدراسة معروفَ المعالم في تلمسان عهد الدولة الزّيّانيّة، غير أنّنا نستلهمه من نظام المدرسة اليعقوبيّة، خاصّة في زمن تدريس الشيخ أحمد بن زاغوا، وقد قسّمتُ هذا النظام إلى قسمين: النظام الأسبوعيّ خاصّ بطلاّب الكُتَّاب، والنظام السّنويّ خاص بطلاّب المدارس.

1 ـ النظام الأسبوعيّ: ذكر المغراوي أنّ أيام التعليم خمسة أيّام: تبدأ من يوم السبت إلى صبيحة يوم الخميس، ويوم الجمعة هو عطلة أسبوعيّة[4]، وقسّم اليوم فترات زمنيّة كلُّ فترة وما يُدرّسُ فيها فمثلا: الفترة الصباحيّة تمتدّ من بعد صلاة الصبح حتى وقت الضحى، وفيها دراسة القرآن من كتابة الألواح، وتصحيحها، وتعاهدها بالقراءة للتثبيت[5]. ثم تأتي الفترة ما بين الضحى وصلاة الظهر، و فيها يُعلَّم

[1] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص347.

[2] يقال شدا يشدو من العلم شذوا إذا أخذ منه طرفاً. ينظر: أبو العباس أحمد بن مُحَّد بن الوليد التميمي المصري، **المقصور والممدود**، تحقيق بولس برونله مطبعة ليدن، 1900م، ص69.

[3] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص347. ينظر: الملحق رقم– 7–

[4] المغراوي، المصدر السابق، ص50.

[5] نفسه، ص51.

الصبيّ الكتابة والتلقين[1]، فينصرف الأطفال إلى بيوتهم لتناول الغذاء، ثم يعودون بعد صلاة الظهر إلى العصر، ويُسَرَّحون في بقيّة النهار[2].

وزاد المغراوي فترة أخرى هي الفترة الليليّة، وفيها تُعطى بعض العلوم كالعربيّة، والنّحو، والحساب، والشّعر، وقواعد علم الفرائض، والتاريخ، وغير ذلك، على حسب المنهج المتّبع في التعليم[3]. وأمّا العطلة الأسبوعيّة فتبدأ عشيّة يوم الخميس بشرط محوِ الألواح، وكتابتها، وتمحيصها، وتجويدها[4]، كما توجد عطلة استثنائيّة واحدة فقط وهي أثناء ختم أحد الطلبة القرآن تعظيماً واجلالاً لهذا الأمر الجلل، الذي يُصبح فيه الطفل من حفظة كتاب الله[5]، لكنّ المغراوي قال أنّ هذه العطلة مُحْدثةٌ ولا يجوز للمعلم أخذها أخذها إلاّ أن يشترطه على الآباء[6].

أمّا في نظام المدرسة فقد أورد لنا صاحب البستان في ترجمته لعبد الله ابن الشّريف التلمساني قوله: « فلمّا رجعت الدولة الزّيّانيّة رجع إلى الإقراء بمدرسته على رسمه السابق، فأقرأ فيها الأحكام الصغرى لعبد الحقّ، والكتاب بعده من صلاة الصبح حتى قُرب الزوال... وإذا تشاحّ الطلبة لضيق الوقت قسّموا الوقت بالرمليّة، حتى لم يكن في المغرب أكثر اجتهاداً منه»[7].

والمهمُّ في هذا النظام هو وجوب إعطاء قدرٍ كافٍ من الرّاحة لأجلِ استعاب الطالب ما قرأهُ، ويُهَيِّأ ذهنه إلى ما سيأتي من العلوم سائر اليوم. وذكر الدكتور عبد الرحمن النقيب في كتاب أدبيات الطفولة عندما كان يُعطي النّصائح للمعلِّمين وكيفيّة التدريس فقال:« وأن لا يُلْجِأهُ إلى التَعلُّم دائماً وإلاّ كان متسبِّباً في موت قلبه، وإبطال ذكائه، وتنغيص عيشه، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»[8].

2 ـ النظام السنّوي: من خلال النصوص التاريخية المتوفرة لدينا، يتّضح لنا أنّ هناك نظاماً سنوياً يكون في جميع فصول السنة، ونستقرئ من ثناياه أنّ بعض العلوم كانت تُدرّس في الصيف مثل العلوم العقليّة[9]،

[1] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص465.

[2] المغراوي، المصدر السابق، ص51.

[3] المغراوي، المصدر السابق، ص48.

[4] نفسه، ص53.

[5] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص218.

[6] المغراوي، المصدر السابق، ص53.

[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص119.

[8] عبد الرحمن النّقيب وآخرون، **أدبيّات الطفولة في الفكر الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1433هـ/2012م، ج1، ص87.

العقليّة[1]، وفي الشّتاء النقليّة، وما يؤكد هذا قول ابن مريم في الإمام عبد الله بن الشريف التلمساني:" وكان يُكثر النّقل، وتحقيق الفقه تحقيقاً بالغاً عدّة أعوام، وفي الصّيف يُقرأُ العلوم العقليّة من الأصول، والبيّان، والعربيّة، وسائر العلوم، يقطع جميع نهاره في ذلك لا يَفتُر عنه غالباً إلاّ في أوقات الصّلاة"[2].

وأمّا القلصادي الذي مكث بتلمسان مدّة وأخذ عن شيوخها من أمثال: مُحَّد بن مرزوق الحفيد، وعيسى الرتيمي[3]، ومُحَّد الشريف[4]، ويوسف الزيدوري[5]، وأحمد بن زاغو الذي دَرَسَ عليه في المدرسة اليعقوبيّة وقال لـمّا ترجم له:" ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبيّة التفسير، والحديث، والفقه في أزمنة الشّتاء، والأصول، والعربيّة، والبيان، والحساب، والفرائض، والهندسة، في زمن الصّيف، ويوم الخميس والجمعة لقراءة التصوُّف وتصحيح تآليفه"[6].

وعند ترجمة صاحب البستان للإمام ابن عرفة الورغمي التونسي ذكر أنّ تلميذه البرزلي قال: " أدركناه (أي ابن عرفة) يُقرئ في الصّيف الأصلين، والمنطق، والفرائض، والحساب، والقراءات في آخر عمره"[7].

والملاحظ في نظام التدريس السّنوي أنّه لا ينقطع طِوال فصول السّنة الأربعة، فقال الونشريسي: " فإذا انصرم هذا الفصل (أي فصل الشّتاء) شرعوا في إقراء الطلبة، والمبالغة في نصيحتهم قدر الإمكان"[8]، غير أنّ فَصْلَيِّ الشّتاء والصّيف يكونان أكثر إجتهادا وتحصيلاً للعلوم، وهذا راجع للميزات

---

[1] عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص264.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص119.

[3] **عيسى الرتيمي**: هو أبو مهدي عيسى الرُّتَيْمي، الشّهير بأمزيان، وصفه القلصادي بالفقيه الصّدر، العَلَم في الفرائض والعدد، فريد دهره في فنّه، من مشايخه سعيد العقباني. توفي سنة891هـ/1486م ودفن بالقرب من ضريح سيدي الحلوي. ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص ص98 ـ 99.

[4] **مُحَّد الشريف**: هو أبو عبد الله مُحَّد الشريف، التلمساني، يعرف بحمو الشّريف، قال عنه القلصادي: " شيخنا الإمام الصّدر، العلم الحسيب الأصيل، قرأتُ عليه تلخيص المفتاح،. توفي سنة 847هـ/1443 ـ 1444م. ينظر: نفسه، ص ص99 ـ 100. والتنبكي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص131.

[5] **يوسف الزيدوري**: هو يوسف بن اسماعيل، الشّهير بالزيدوري، كان عالماً في الريّاضيّات، وأحدُ شيوخ القلصادي قرأ عليه تلخيص ابن البناء، وبعض الجبر والمقابلة. توفي سنة 845هـ/1441م. ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص ص100 ـ 101. ابن مريم، المصدر السابق، ص305. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص.630.

[6] القلصادي، المصدر السابق، ص104. ابن مريم، المصدر السابق، ص43.

[7] نفسه، ص193.

[8] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج7، ص353.

التي يمتازان بها، ففصل الشّتاء في تلمسان يكون باردا جدّاً، وهذا يجعل تجارة البرانس[1] منتشرة بشكل واسع على حدِّ قول عبد الجليل قريان نقلاً عن ابن مرزوق في المجموع، ممّا يجعل الطلبة لا يغادرون المؤسسات التعليميّة، وهذا بدوره أدعى للتحصيل والإستفادة، علماً أنّ البرد يزيل الإسترخاء الذي تحدثه الحرارة[2]، فيكون عقل الطالب منصّبا في فهم المسائل وتحقيق المباحث والنّظر فيها[3].

أمّا في فصل الصّيف فيكتنف الطلاب بعض الخمول، وهذا بسبب الحرارة التي تُسبب الضجر والملل في التحصيل، ممّا يدفع طلبة العلم إلى قلّة النّشاط، وعدم الإهتمام بالعلم والتعمّق فيه، عكس ما كانوا عليه في فصل الشّتاء من اجتهاد، وهو مايبرّرُ برمجة القائمين على مجال التربيّة والتعليم في عصرنا العطلة الصيفيّة، التي تُعدّ أطول العطل في العام الدراسي، وبالنسبة لباقي فصول السّنة غير الصّيف والشّتاء، فكانت تُدرّسُ فيها باقي العلوم بصورة سطحيّة، وقد ذكر الونشريسي هذا بقوله: «وعادتهم في سائر فصول السّنة غير فصل الشّتاء أن تَرِد عليهم كثرة المسائل، ويقتصرون على بيان سورة كلّ مسألة مع نقل ما لابدّ منه عليها من المباحث والأقوال، وحلِّ ما يُعرض في ذلك من نظر وإشكال»[4].

وخلاصة هذا النص أنّ الطلبة ربما يستوعبون دقيق المسائل في هذه الفصول، أكثر ممّا يستوعبونه في فصل الشّتاء، لما يحصل لهم من فهم وإدراك للعلوم. وربما كان لهم فصل الشّتاء عرقلة وحاجزا لما ينالونه في غيره من الفصول، وبهذا تَعرف أنّ جلَّ منفعة الطلبة بالمدرِّس إنّما هو في غير فصل الشّتاء[5]. ومنه تكون العلوم والمسائل المدروسة في الفصول الأخرى هم ما يتأهلون به لفهم ما يُلقي إليهم المدرِّسُ في فصل الشتاء من دقيق المسائل والنقل الغريب لها[6].

[1] جمع برنس، ويسمونها في تلمسان "الغفارة". ينظر: مُحَّد بن مرزوق التلمساني، **المجموع**، نسخة مصورة عن مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ورقة 78 وهذا نقلاً عن عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص266.

[2] نفسه، ص ص265 ـ 266.

[3] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج7، ص353.

[4] نفسه، ج7، ص353.

[5] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج7، ص353.

[6] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج7، ص353. وقد عشت سنين في طلب العلم في مدرسة سيدي الشيخ ابن الكبير ورأيت أنّ فهم المسائل ودقيقها يكون في فصل الصيف غير فصل الشتاء بالتحديد وهذا راجع لنقص الطلبة في الصيف فيتسنى لطالب سؤال الشيخ في جميع الأمور، كما كنا لا ندرس علم الفرائض إلا فيه أو حلقات دروس خاصّة لفهمه وإدراكه.

أمّا بالنسبة للعطل المعروفة لدى الطلبة فهي في أيام العيدين فقط، قال المغراوي: « لا بأس أن يُؤذن لهم في عيد الفطر بيومين إلى ثلاثة، وفي الأضحى إلى خمسة"[1]، عند انتهاء الطلبة من انتهال العلوم في فصل الشّتاء، أُعْطُوا بعض الراحة التي هي واجبة في طلب العلم كما سبق وأن أسلفنا، وأشار لها الونشريسي بقوله: » فإذا انصرم هذا الفصل (أي الشّتاء) أجمُّوا أنفسهم بعض الإجمام«[2]، وهو ما يشبه في عصرنا الحاضر العطلة المدرسيّة الربيعيّة إن صحّ التعبير، وهذا لِمَا لَقَوْهُ من عَنَتِ طلب العلم الذي يُسبّب الإرهاق الذّهني والبدنيّ للدَّارِس والمُدرِّسِ على حدٍّ سواء، واللافت للإنتباه أنّ هذا النّظام السنوي لم تكن له ضوابط وقواعد تُنظّمه كما هو الحال في عصرنا، إذ أنّه كان يَمْشي على التّقليد، حسب ما يحتاجه الطلبة والمعلِّمون من جهة، وحسب ما تُحتّمه الأوضاع السياسيّة لحاضرة تلمسان من جهة أخرى.

وما نستخلصه من مناهج التعليم بفروعها، أنّ السلاطين الزّيّانيّين كانوا يتدخلون أحيانا في نظام المدارس، كمنع تدريس بعض العلوم التي تخالف المذهب المالكي الذي كان المعتمد في المغرب الأوسط آنذاك[3]، ممّا أثَّر تأثيراً مباشر وغير مباشر في صناعة البنية الفكريّة للفقيه، وهذا ما كان ظاهرا من العلوم المدرّسة في تلمسان، فقد حازت العلوم النقليّة شطري العلوم، بينما كان الشطر الباقي موزّعا للعلوم الأخرى كالعلوم العقليّة (الرياضيّات . والمنطق ...). ومنه نستنتج أنّ البنية الفكرية للفقيه التلمساني، كانت محصورة في العلوم النّقليّة بالدرجة الأولى، ثمّ تليها العلوم العقليّة بدرجة أقل، وهذا ماتُبيّنه مراتب البنيّات لدى فقهاء ذلك العصر.

المبحث الثاني: مناهج التّكوين الفقهي

لقد تنوعت مناهج التكوين الفقهي في المؤسسات التعليميّة بتلمسان، خاصّة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين حالها حال مناهج التعليم، وكان رَحَاهَا يدور حول عناصر هامّة مثل: المواد المدرّسة للطلبة، وطريقة تدريسها، بالإضافة إلى المناقشات العلمية التي كانت سائدة في هذا العهد، وتُكلّلُ بعدها بإجازة علميّة للطالب تتويجا لمجهوده الدّراسي، وتُثْبِت أنّه تضلّع في علم من العلوم، وتُفوّض له ممارسة التّدريس، أو التّأليف، أو غيرهما... .

---

[1] المغراوي، المصدر السابق، ص53.

[2] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ج7، ص353.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص348-349.

أولا ـ المادّة التعليمية: كانت المادّة التعليميّة في العهد الزّيّاني واسعة النّطاق، بحيث كانت تُشكّل لبنّة الحركة العلميّة بتلمسان، وكانت العلوم النّقليّة والعقليّة الأكثر تداولاً في مواد التدريس، لِمَا تُوَفِّرُه من المعرفة، و يكتسبُ الفقيه بنية فكرية على أساسها. وقد قسّم ابن خلدون هذه العلوم بقوله: " اعلم أنّ العلوم بين أهل العمران على صنفين: علوم مقصودة بالذّات، كالشّرعيّات من التفسير، والحديث، والفقه، وعلم الكلام، وكالطّبيعيّات والإلهيّات من الفلسفة والعلوم هي وسيلة آليّة لهذه العلوم كالعربيّة، والحساب، وغيرهما للشّرعيّات كالمنطق للفلسفة، وربما كان آلةً لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين»[1]. والمفهوم من هذا النّص أنّ العلوم المقصودة بالذّات هي العلوم النّقليّة، وأمّا العلوم الآليّة فيُقصد بها العلوم العقليّة. والسؤال المطروح هنا هو: **ماهي الموّاد المقرّرة في مناهج تكوين الفقيه؟ وماهي تأثيرها على البنيّته الفكريّة للفقيه؟**

1 ـ العلوم النّقليّة: «إنّ العلوم النّقليّة كلّها مختصة بالملّة الإسلاميّة وأهلِهاحيث إنّها جملة الشرائع المنزّلة من الله تعالى على صاحب الشريعة المبَلِّغ لها[2]، والسبب في أنّ هذه العلوم نالت حصة الأسد في التّدريس، هو أَن الْملَّة فِي أولهَا لم يكن فِيهَا علم وَلَا صناعَة لسذاجتها وبداوتها، وأحكامُ شريعتِها كَانَت لرجال ينقلونها فِي صُدُورهمْ، وَقد عَرفُوا مآخذها من الْكتاب وَالسّنة، تلقوها عَن الشَّارِع وأصحابه، وَالْقَوْمُ يَوْمئِذٍ عرب لم يعرفوا أَمر التَّعْلِيم والتّدوين، وَلَو دعتهم إليه حَاجَةٌ لجرى الْأَمر على ذَلِك من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ، وَسُمُّوا الحاملين لذَلِك بالقرّاء الَّذين كَانُوا يقرأون الْكتاب، وَلَيْسوا بأميّين كباقي الْعَرَب[3]. ولمّا جاءت الدولة العباسيّة وبالضبط فِي دولة الرشيد، احْتِيجَ إِلَى وضع التفاسير القرآنية وَتَقْيِيد الحَدِيث مَخَافَة ضيَاعه إِلَى معرفَة الأسانيد، وتعديل الرّوَاة، ثمَّ كثر اسْتِخْرَاج أحكام الْوَاقِعَات من الْكتاب وَالسّنة فَصَارَت الْعُلُوم الشَّرْعِيَّة ملكات فِي الاستنباط والتنظير»[4].

وقد أورد ابن خلدون أصناف العلوم النّقليّة التي كانت متداولة في المؤسسات التعليميّة في العهد الزّيّاني في الفصل العاشر الذي عنونه بأصناف العلوم المتداولة في العمران فقال: بأنّ مواد هذه العلوم كثيرة، لأنّ المكَلَّف يجب أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من

---

[1] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص351.
[2] نفسه، ج2، ص172.
[3] ابن الأزرق، المصدر السابق، ج2، ص374.
[4] نفسه، ج2، ص374.

الكتاب والسنّة بالنّص، أو بالإجماع، أو بالإلحاق. ثم شرّع يُعرّفُ في هذه العلوم فقال: «فلا بدّ من النظر في الكتاب، ببيان ألفاظه أولا، وهذا علم التفسير، ثمّ بإسناد نقله وروايته إلى النبي ﷺ الذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القرّاء في قراءته، وهذا علم القراءات، ثمّ بإسناد السّنّة إلى أصحابها والكلام في الروّاة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم، وعدالتهم، ليقع الوثوق بأخبارهم، ويعمل ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه علوم الحديث»[1]. ثمّ أكمل كلامه حول علم الفقه، وأصوله، وعلم الكلام، فقال بأنّ الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين (من حرام، وحلال، ومباح، ومندوب)، واستنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني، يفيدنا بكيفيّة الاستنباط، فهذا أصول الفقه، وأمّا علم الكلام فهو الحجّة العقليّة لعقائد الدّين، والإيمان بالذّات والصفات، والأسماء، وغيرها من الجنّة، والنار، وعذاب القبر...وغيرها[2].

وزاد ابن خلدون عددًا من العلوم التي لا يتمّ فهم العلوم السابق إلاّ بها فقال:" ثمّ النّظر في القرآن والحديث لا بدّ أن تتقدمه العلوم اللسانيّة لأنّه متوقف عليها، وهي أصناف فمنها: علم اللّغة، وعلم النّحو، وعلم البيان، وعلم الأدب"[3].

كما أتبع في الباب الثالث عشر علم الفرائض ضمن المواد الفقهيّة وقال عنه: « وهو فنٌّ شريف لجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول به إلى الحقوق في الوِراثات بوجوه صحيحة يقينيّة...وللعلماء من أهل الأمصار بها عناية»[4]. كما ضمّ إلى العلوم النقليّة كلاًّ من علمي التّصوّف في الباب الثامن عشر وقال عنه: « هذا العلم من علوم الشّريعة الحادثة في الأمّة، وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصحابة والتّابعين...»[5]، وعلم تعبير الرؤى في الباب التاسع عشر قال: » هذا العلم من العلوم الشّرعيّة ، وهو حادث في الملّة عندما صارت العلوم صنائع وكتب النّاس فيها...»[6].

وسيأتي الكلام على فروع العلوم النقليّة مفصّلا في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

[1] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص371.

[2] نفسه، ج2، ص ص171 ـ 172. ينظر: عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص231.

[3] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص172.

[4] نفسه، ج2، ص197.

[5] نفسه، ج2، ص225. ينظر: عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص232.

[6] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص244.

وقد كان للدكتورة بوبة مجاني محاضرة بمدينة حلب ضمن فعّاليّات المؤتمر الثالث والعشرين لتاريخ العلوم عند العرب فكان من قولها: «ولمّا دالت دولة الموحدين، وانقسم المغرب الإسلاميّ إلى دوله الثّلاث، خلا الجوُّ للمذهب المالكي، وسيطرة سيطرة كاملة، وكان سببا في توحيد المناهج وازدهار العلوم»[1]. وهذه بعض العلوم النقلية التي كانت متداولة التدريس بتلمسان:

أ ـ علم الفرائض أو المواريث:

➢ **تعريفه ـ لغة:** يطلق لفظ ميراث على معنيين، أحدهما: البقاء، وثانيهما: انتقال الشيء من قوم إلى آخرين، والفرائض جمع فريضة بمعنى مفروضة، وهى الشي الموجب والمقطوع[2].

ـ **إصطلاحا:** هو علم بقواعد فقهيّة وحسابيّة، بها يعرف نصيب كل وارث من التركة[3].

وعرّفه ابن خلدون بأنّه علمٌ مخصّصٌ في معرفة الوراثة وتصحيح سهام الفريضة ممّا تصحّ، باعتبار فروضها الأصول أو المناسخات[4]. وهو باب من أبواب الفقه، وصنّفوه فنّا منفردا من العلوم النقليّة[5].

➢ **أهميّته:**

ذكر النبي ﷺ هذا العلم في الحديث الذي رواه عبد الله ابْن مَسْعُود رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ أنه قال: «تعلمُوا الْفَرَائِض وعلِّموها النَّاس، فَإِنِّي امْرُؤ مَقْبُوض، وَإِن الْعلم سيقبضُ حَتَّى يخْتَلف الإثنان فِي الْفَرِيضَة فَلَا يجدان من يفصل بَينهمَا» رَوَاهُ أَحْمد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَالْحَاكِم[1].

---

[1] بوبة مجاني، **مخطوطتان من التراث الفلكي التلمساني تعودان إلى العصر الزّيّاني**، محاضرة ألقيت في "المؤتمر الثالث والعشرون لتاريخ العلوم عند العرب"، جامعة حلب، شعبان 1422هـ ـ أكتوبر 2002م، ص ص2 ـ 3. نقلا عن عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص243

[2] مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، **تلخيص فقة الفرائض**، دار الوطن للنشر، د.ط، الرياض، 1423هـ، ص4.

[3] مُحَمَّد خيري، **علم الفرائض والمواريث في الشريعة الإسلامية والقانون السوري**، لا يوجد دار النشر، د.ط، 1398هـ/1978م، ص6.

[4] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص197.

[5] نفسه، ج2، ص197.

تدهور هذا العلم بعد سقوط الدولة الزّيّانيّة، لضعف علم الفرائض بمرور الزمن، وكان ذلك نتيجة ضعف العناية بالحساب والرياضيّات عموما[2].

وتجدر الإشارة إلى أن أهمية هذا العلم قد جعلت بعض المختصّين في التكنولوجيا الحديثة يضعون برنامجًا خاصًا يسجلون فيه أنصبة المواريث في جداول على أشرطة الكمبيوتر[3].

ب ـ علم التصوف:

➢ **تعريفه ـ لغة:** هو لفظ مشتق من الصوف[4]، وقيل هي كلمة مأخوذة من الصّفوة[5].

ـ اصطلاحا: لقد كثرت التعريفات في علم التصوف لعل أهمها تعريف ابن خلدون في مقدمته حيث قال: « هو العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرفِ الدنيا وزينتها، والزُهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذَّةٍ ومالٍ وجاه، والانفراد عن الخلق في الخُلوة للعبادة"[6]. وزاد في كتابه شفاء السائل فقال:« التصوف رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده، مقدماً الاهتمام بأفعال القلوب، مراقبا خفاياها، حريصا بذلك على النّجاة»[7].

أمّا الجُنَيْد[8] فَقَالَ عَن التصوف " هو تصفية الْقلب عَن مُوَافقَة الْبَريَّة، ومفارقة الْأَخْلَاق الطبيعية، وإخماد الصِّفَات البشرية ومجانبة الدَّوَاعِي النفسانية ومنازلة الصِّفَات الروحانية والتعلق بالعلوم الْحَقِيقِيَّة"[1].

---

[1] بدر الدين أبو محمّد محمود بن أحمد الحنفى العينى، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، د.ت، مج23، ص131.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص87.

[3] أحمد بن يوسف بن محمّد الأهدل، **إعانة الطالب في بداية علم الفرئض**، مراجعة وتقديم الدكتور هاشم محمّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1427 هـ/ 2007 م،ص11.

[4] إحسان إلهي ظهير الباكستاني، **التَّصَوُّفُ المنشَأ وَالمَصَادر**، إدارة ترجمان السُنّة، الطبعة الأولى، لاهور، باكستان، 1406 هـ/ 1986م، ص29.

[5] نفسه، ص31.

[6] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص225.

[7] عبد الرحمن بن خلدون، **شفاء السّائل وتهذيب المسائل**، تحقيق محمّد مطيع الحافظ، دار الفكر، د.ط، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996. ص54.

[8] **الجنيد:** هو أبو القاسم الجنيد بن محمّد بن الجنيد النهاوندي، البغداديّ، إسم والده الخزاز، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، شيخ الصوفية في عصره، من أهل المعرفة والصلاح، له رسائل عدّة منها "دواء الأرواح". توفي سنة 297هـ/910م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج14، ص ص66 ـ 67. الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص141.

➢ **أنواعه:** هناك نوعان من التّصوف، الأول هو التصوف العملي أو الزهد: وهو الذي ينقطع مريده عن الحياة الدنيا، ويستمد هذا النوع أصوله من التعاليم الإسلاميّة. وأمّا الثاني فيُسمى التصوّف الفلسفيّ: والمتمثل في الشطحات، والرقصات، وألوان البخور والمزامير[2].

وذكر الشيخ ابن عاشر[3] في منظومته المعروفة بالمرشد المعين أنّ المتصوِّف الحقيقيّ يجب أن يكون له شيخ يُرشده ويوجّهه حيث قال[4]:

يَصْحَبُ شيخاً عَارِفَ المسالك   يَقِيه في طَرِيقِهِ المهالِكْ

يُــــــذْكِــــرُه اللّـــــهَ إذا رآهُ   ويُوصِلُ العبدَ إلَى مَــولاَهُ

ج ـ العلوم اللسانيّة:

➢ **ـ علم اللغة:**

➢ **مفهومه:** ذكر كبرى زاده في كتابه مفتاح السعادة أنّ علم اللغة هو "علم يبحث في المدلولات الباطنيّة للمفردات، وهيئاتها الدقيقة، وتركيبها بألفاظ فصيحة دقيقة، لفهم المعنى منها"[5].

➢ **أهميته:** لا شك أنّ اللّغة العربية هي أمتنُ اللّغات، وأوضحها بيانا، وأذلقُها لسانا، وأمدُها رُواقا، وأعذَبها مذاقا، ومنه اختارها الله تعالى لتكون لغة كتابه، وسكان جنته، وأضاف القلقشنديّ قوله "وقد انقادت اللّغات كلّها للغة العرب، فأقبلتِ الأمم إليها يتعلّمونها، ... ولامِرْيَة في أنّ اللّغة هي رأس مال الكاتب، وأسُّ كلامه، وكنز إنفاقه"[6]

---

[1] أبـو بكـر مُحّد بـن أبي إسـحاق الكـلاباذي، **التعـرف لمـذهب أهـل التّصـوُّف**، دار الكتـب العلميـة، الطبعـة الأولى، بـيروت، 1352هـ/1933م، ص25. وطبعة مكتبة الخونجي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص ص6-8. حول علم التصوف وانتشاره في المغرب ينظر: علال الفاسي،" التَّصوُّف الإسلامي في المغرب"، **مجلة الثقافة المغربية**، العدد الأول، مارس- أفريل، المغرب، 1970م، ص45.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص384. عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1978م، ص55.

[3] **ابن عاشر**: هو عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري، فقيه من أهل المغرب، ولد بالأندلس سنة 990هـ/1582م، ثمّ هاجر إلى فاس، له تصانيف عدّة منها "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين". توفي بفاس سنة 1040هـ/1631م. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص175.

[4] أبو مُحّد عبد الواحد ابن عاشر، **المرشد المعين على الضروري من علوم الدّين**، مكتبة القاهرة للطباعة، مصر، د.س، ص24.

[5] كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص100.

[6] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص ص148 ـ 150.

د ـ علم الصرف والنحو أو (العلوم العربيّة): النحو في اللغة: عرّفه ابن منظور فقال: "هو القصد والطريق". وذكر أيضا أنّه " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[1].

أمّا في الإصطلاح فقال هو: "علم متعلّق بقواعد اللغة العربيّة، سواء كان ذلك من ناحية المفردات، أو التركيب"[2].

وعلم الصرف هو "علم بالأصول تُعرف بها أحوال أبنية الكَلِمِ قبل تركيبها"[3]. فهما علمان متلازمان لاينفك أحدهما على الآخر

هـ ـ علم البيان: **لغة**: الكشف، والإيضاح، والظهُّور. إصطلاحا: "أصولٌ وقواعدُ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضُها عن بعض، في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى"[4]

والملاحظ من ذكر العلوم النقليّة وموادّها المدرّسة في المؤسسات التعليميّة، نرى أنّ المذهب المالكي هو المعتمد في دولة بني زيّان، وقد كان السّلاطين يولونه رعاية خاصة، لما يحقّقه من وحدة مجتمع بلاد المغرب الأوسط، فساهموا مساهمة كبيرة في توسيعه وامتداده عبر طول أراضي الدولة الزّيّانيّة وعرضها، ومنه كانوا يحثّون المدرّسين على الوحدة المذهبيّة في تعليم طلبة العلم، خاصة في حاضرة الدولة تلمسان.

ومجمل القول في العلوم النقليّة بشكل عام، والدينيّة بشكل خاص، أنّ صيتها قد ذاع بشكل واسع في دولة بني زيّان، وشكلت ثلثي العلوم المتدولة في تلك الفترة، فنالت حظّا كبيرا من الاهتمام، ولا أدلّ على ذلك ما ذكره ابن خلدون حيث قال: « ثمّ إنّ هذه العلوم الشرعيّة النّقليّة قد نفقت أسواقها في هذه الملّة بما لايزيد عليه، وانتهت فيها مدارك النّاظرين إلى الغاية التي لافوقها، وهَذبت الاصطلاحات، ورتبتِ الفنون، فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق»[5].

2 ـ العلوم العقليّة: وأمّا العلوم العقليّة التي هي طبيعية لا ينفك إنسان منها فهي غير مختصّة بملّة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلِّهم، ويستوون في مداركها ومباحثها منذ كان عمران الخليقة، وتسمى أيضا

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ج15، ص309. ج1، ص589.

[2] غانم قدوري الحَمَد، **أبحاث في العربيّة الفصحى**، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عَمّان، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، 1426هـ/2005م، ص46.

[3] جرجي شاهين عطية، **سُلَّمُ اللِّسان في الصرف والنّحو والبيان**، دار ريحاني للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت، د.س، ص3.

[6] أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت 1362هـ)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصُّمَيلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.س، ص216

[5] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص172.

علوم الفلسفة والحكمة[1] لهذا أولى الزيّانيّون اهتماما كبيرا بهذه العلوم، ورعوها بنفس رعايتهم للعلوم النقليّة، خاصّة تلك التي تُكمّلُها وتخدمها، لأنّ الناس لا يستغنون عنها في قوام أمور حياتهم. وكان فقهاء تلمسان يميلون إلى العلوم العقلية ويدرسون النّحو، والبيان، والفلك، وغيرها، كوسائل لفهم القرآن والحديث، ومشاكل الناس[2]، وقد قسم شيخ المؤرخين الجزائريين العلوم العقليّة إلى قسمين: علوم عقليّة ضروريّة، والأخرى مكتسبة، أما الضرورية التي لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت، كعلم الإنسان بأن الشّخص الواحد لا يكون في مكانين، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً، موجوداً معدوماً معاً، فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطوراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم، ولا من أين حصل له، وإلى علوم مكتسبة وهي المستفادة بالتّعلم والاستدلال وكلاّ من القسمين قد يسمى عقلاً. وقد قسم النويري العقل إلى قسمين فقال: العقل عقلان، عقل تفرّد الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فاذا اجتمعا، قوّى كلّ واحد منهما صاحبه، تقوية النار في الظّلمة للبصر. قال الإمام علي ﷺ[3]:

رَأَيْتُ العَقْـلَ عَقَلَيْـنِ   فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعُ
ولاَ يَنْـفَـعُ مَسْمُـوعٌ   إذاَ لَمْ يَكُ مَطْبُوعُ
كَمَا لاَ تَنْفَعُ الشَّمْسُ   وَضَوْءُ العَيْنِ مَمْنُوعُ

فالأول هو المراد بقوله ﷺ لعلي «ما خَلَقَ اللهُ خلقاً أكرمَ عليه منَ العَقْلِ»[4]، والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعلي ﷺ «إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى خَالِقِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْبِرّ فَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْعَقْلِ تَسْبِقْهُمْ بِالدَّرَجَاتِ وَالزُّلْفَى عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ»[1].

---

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص248.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص492.

[3] أحمد بن عبد الوهاب بن مُحَّد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1423هـ، ج3، ص234.

[4] إسناده ضعيف، رواه الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي أمامة الباهلي، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله بن مُحَّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، د.ط، القاهرة، د.ت، مج7، ص190. وينظر: جمال الدين، مُحَّد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، حيد آباد، الهند، 1387 هـ /1967م، مج3، ص ص648 . 649.

وقسم صاحب كتاب إحياء علوم الدين العلوم العقليّة إلى قسمين: دنيويّة وأخرويّة: فالدنيوية كعلم الطب، والحساب، والهندسة، والنجوم، وغيرها. والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال، والعلم بالله تعالى، وبصفاته، وأفعاله، وغيرها[2]

تحدثت المصادر عن تدريس العلوم العقليّة بتلمسان خلال العهد الزّيّاني في جميع أطواره، فانتشرت في مرحلة نشوء الدولة بعض اصناف هذه العلوم مثل: المنطق، والهندسة، والهيئة، والحساب، وغيرها، فقد كانا ابنا الإمام يدرّسان المنطق[3]. أمّا صاحب كتاب نفح الطيب فأورد أنّ جدّه تتلمذ على يد «أبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذّالي الذي فرّ من بجاية، فأرسل إليه أبو تاشفين، وأنزله من التقريب والإحسان بالمحلِّ المكين، فدرّس بتلمسان الحديث، والفقه، والأصلين، والنّحو، والمنطق، والجدل، والفرائض»[4].

وذكر ابن خلدون أصناف هذه العلوم فقال إنّها مشتملة على أربعة علوم: الأول علم المنطق[5]، والثاني العلم الطبيعي[6]، والثالث الذي يُسمّى بعلم الإلهي[7]، والرابع علم التعاليم[8] وينقسم هذا الأخير إلى أربعة علوم: علم الهندسة[9]، وعلم الأرتماطيقي[1]، وعلم الموسيقى[2]، وعلم الهيئة[3]، ثم رتّبها ترتيبا على حسب رأيه، فجعل علم

---

[3] أخرجه أبو نعيم بإسناد ضعيف من حديث عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ عن علي ﷺ. ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار السعادة للنشر والتوزيع، مصر، 1394هـ - 1974م، مج1، ص18.

[2] أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، مج3، ص18.

[3] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص ص243 ـ 244.

[4] المقرّي، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص223.

[5] **علم المنطق**: وهو قوانين يُعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعَرِّفة للماهيّات، والحجج المفيدة للتصديقات. ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص262.

[6] **العلم الطبيعي**: وهو علم ينظر في المحسوسات من الأجسام كالمعادن، والنباتات، والحيوانات، والأجسام الفلكيّة، والحركات الطبيعيّة، وغير ذلك. نفسه، ج2، ص248.

[7] **العلم الإلهي**: هو علم ينظر في الأمور التي وراء الطبيعيّة من الروحانيّات. نفسه، ج2، ص248.

[8] **علم التعاليم**: هو علم ينظر في المقادير بأنواعها، وتتفرعه منه عدّة أقسام. نفسه، ج2، ص248.

[9] **علم الهندسة**: هو علم ينظر في مقادير الأشياء، إمّا متّصلة كالخط، والسطح، والجسم، وإمّا منفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتيّة مثاله: أنّ كل خطّين متوازين لا يلتقيان ولو طالا، وغير ذلك. نفسه، ج2، ص257.

علم المنطق في مقدمتهم، وبعده علم التعاليم، فالأرتماطيقي، ثمّ الهندسة، ثمّ الهيئة، ثم الموسيقى، ثمّ الطبيعيّات، ثم الإلهيات[4]. ولا أدري على ما اعتمد ابن خلدون في هذا الترتيب، إن كان على حسب الأهميّة فلماذا قدّم الموسيقى على الطبيعيات، والإلهيات؟

اشتهر في تدريس العلوم العقليّة في عهد أبي حمو موسى الثاني العلامة الشريف التلمساني الذي وصفه ابن مريم بقوله: « وكان من أعلم الناس بالعربية وأجمعهم لعلومها ... إماماً في العلوم العقليّة كلِّها منطقاً، وحساباً، وتنجيماً، وهندسة، وموسيقى، وطبّاً، وتشريحاً، وفلاحة...»[5].

وأمّا يحي بن خلدون فقد أشار إلى أهميّة تدريس الهندسة والحساب في العهد الزّياني الذي ترأسهما قاضي الجماعة بتلمسان سعيد العقباني[6]. وعند ترجمة التنبكتي للشيخ منصور الزّواوي[7] ذكر أنّ له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقليّة والنقليّة، واطلاع وتقييدٌ ونظرٌ في الأصول، والمنطق، والكلام، ودعوى في الحساب، والهندسة، والآلات[8].

وبحلول منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي كانت مجموعة كبيرة من العلوم العقليّة ضمن مواد التدريس بالمؤسسات التعليميّة التلمسانية، وهذا ما ذكره القلصادي في السنين التي قضاها في تلمسان حيث درس على الشيخ يوسف الزيدوري كتاب تلخيص ابن البناء غيرة مرّة، وكذلك الحوفي

---

[1] أرْثميتيك ARITHMETIGUE وعرّبت هذه الكلمة إلى الأرتماطيق أو الأرتماطيقي، ويسمى بالعلوم العدديّة، وهو علم العدد أوالحساب. ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص248. وزاد عبد الجليل قربان في هذا العلم وأدرج تحته كلاًّ من علم الحساب، والجبر والمقابلة، والمعاملات، وعلم الفرائض التي هو من ضمن العلوم النقليّة. عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص233.

[2] **علم الموسيقى**: وهو معرفة نسب الأصوات والنّغم بعضها من بعض، وتقديرها بالعدد، وثمرته معرفة تلاحين الغناء. ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص248.

[3] **علم الهيئة**: وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثّابتة، والمتحركة، والمتحيّزة. عن طريق أشكال وأوضاع الأفلاك. نفسه، ج2، ص260.

[4] نفسه، ج2، ص ص248 . 249.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

[6] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص123.

[7] **منصور الزّواوي**: هو أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، من أهل زواوة، نشأ في بجاية سنة 710هـ/1311 م وأخذ عن أشياخها. رحل إلى الاندلس سنة 753 هـ، فاشتغل بالتدريس وتصدر للفتيا، ثم امتحن بقضية شرعية، فترك الاندلس (سنة 765هـ) واستقر بتلمسان يقرىء ويدرس. توفي بعد 770هـ / بعد 1368م.ينظر: ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص292.
محمّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص336.

[8] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص611.

بطرقتي (التصحيح والكسور)، وبعض الأصول والمقدمات من الجبر، والمقابلة لابن البناء، وجمل الخونجي في المنطق، ودرس على الشيخ مُحَمَّد الدّهان[1] أرجوزة ابن سينا في الطّبّ، وأرجوزة ابن الرّقام على الإسطرلاب[2]. وتحدث صاحب كتاب الضوء اللامع أنّ أبا الفضل المشذّالي كان شيخ المنقول والمعقول، وذكر له علوما كثيرة في العقليّات منها: المنطق، والجدل، الحساب، والفرائض، والهندسة، والجبر والمقابلة وَغَيرهَا من أَنْوَاعه، و علم الهيئة، وجر الأثقال، والميقات بأنواعه من فنون الأسطرلابات[3]، والهيئة، والأرتماطيقي والموسيقى، والطِلَّسمات[4]، وَمَا شاكلها وَعلم المرايا، والمناظر، وَعلم الأوفاق، وعلم الطِبّ، وغيرها[5]، علماً أنّ أبا الفضل كان قد درّس في تلمسان مابين سنة (840هـ/1436م) و (844هـ/1440م)[6].

وهذه بعض العلوم العقلية التي كانت متداولة بتلمسان في العهد الزياني:

أ ـ علم الفلسفة:

➢ **تعريفه – لغة**: ذكر الخوارزميّ في كتابه مفاتيح العلوم أنّ أصل الكلمة يوناني ومعناها "فيلا سوفيا"، ويقصد بها "محبة الحكمة"، وهي مشتقة من كلمة فيلسوف الذي هو دارس الحكمة[7].

– **اصطلاحا**: "هو علم حقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح[1]. وعرّفه ابن خلدون "بأنّه إدراك الموجودات الحسيّة وغير الحسيّة بالنظر الفكري والأدلة العقليّة، مع تصحيح العقائد الإيمانيّة بالنظر فيها، لأنّها من مدارك العقل"[2].

[1] **مُحَمَّد الدّهان**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد الدّهان، طبيب تونسي، درس عليه القلصادي بتونس. توفي سنة 853هـ/1448م. ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص117.

[2] نفسه، ص ص101 ـ 117.

[3] **ويسمى علم الإسطرلاب**: هو آلة يستعملها الفلكيون ليقيموا بها ارتفاع الكواكب. ينظر: عبدلي، التاريخ السياسي، المرجع السابق، السابق، ص345.

[4] **الطِلّسْمات**: هو علم ينظر في كيفيّة استعدادات تقتدر النّفوس البشريّة بها على التأثيرات في عالم العناصر، إمّا بغير معين، أو بمعين من الأمور السماويّة. ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص273.

[5] السّخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج9، ص ص181 ـ 182.

[6] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص249.

[7] أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف الخوارزميّ، **مفاتيح العلوم**، دار المنيرية للطباعة، مطبعة الشرق، د.ط، مصر، 1938م، ص79. ص79.

➢ **مكانته:** لم يحظ علم الفلسفة بالمغرب عامّة بمكانة مثلما حظيت بها العلوم الأخرى، فقد كان منبوذا عند الخاصّة قبل العامّة، وقد كانو يُسَمُّون المشتغل بهذا العلم "زنديق"، وكان مصيره إمّا أن يُحرق، أو يُرجم قبل أن يصل أمره للسلطان. كما كانت كتب هذا العلم تحرق إن وجدت، وذكر المقرّي في نفح الطيب قوله: " وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم..."[3].

تعتبر العلوم العقليّة بأقسامها من أهم العلوم التي اعتنى بها علماء تلمسان بعد العلوم النقليّة، وقد أطلق عليها الفيلسوف ابن خلدون إسم "**علوم الفلسفة والحكمة**"[4]. كما عرفت هذه العلوم نهضة وتطورا ملحوظين بتلمسان ساهما فيهما تشجيع السلاطين الزّيّانيّن، وأرسى دعائمها علماء الأندلس الوافدين للحاضرة، حينما أثرو بها مؤسسات التعليم دراسة وبحثا، فنبغ فيها مجموعة من التلمسانيّين ذاع صيتهم حتى خارج حدود الدولة.

ب ـ العلوم الاجتماعية:

➢ **ـ علم التاريخ:**

- **تعريفه: لغة:** الإعلام بالوقت. يقال أرخت الكتاب وورخته، أي بيّنت وقت كتابته[5].

إصطلاحا: " هو فن يبحث في موضوعات الإنسان والزمان، من حيث المولد، والوفاة، والأحداث، والمسائل وأحوالها الجزئية"[6]. أمّا عبد الله العروي فقد عرّف التاريخ "أنّه مجموعة العوارض والطوارق التي كانت تُستحق أن تُحفظ"[7].

- **مكانته بتلمسان:** تطورت الكتابة التاريخيّة بتلمسان خلال العهد الزّيّاني تطورا يتلائم مع المكانة العلميّة التي كانت تتمتع بها المدينة، فنبغت في عهدهم مجموعة من المؤرخين من أمثال يحي بن خلدون صاحب كتاب بغية الروّاد، وابن مرزوق الخطيب صاحب كتاب المسند الحسن، والحافظ التنسي الذي

---

[1] نفسه، ص79.

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص320.

[3] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص221.

[4] ابن خلدون، المقدمة المصدر السابق، ج2، ص248.

[5] شمس الدّين السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التأريخ**، ترجمه صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، 1407 هـ ـ 1986م، ص16.

[6] نفسه، ص19.

[7] عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص35.

كتب نظم الدر والعقيان، وهذه كلّها كتب تناولوا فيها أقسام علم التاريخ، كالسير والتراجم، وتاريخ الدولة الزيّانيّة وأحوالها[1].

والملاحظة أنّهم تميّزوا بأسلوب فنيّ، يعتني بالتأليف في العبارة، وذكر الحادثة في ثوبٍ من الصياغة التاريخيّة، يعيش من خلالها القارئ المشاهد رؤيا العين.

ج ـ علم السياسة:

- **تعريفه: لغة:** مصدره ساس ويسوس، يقال ساس الرجلُ القومَ أي تسيَّدَهم[2].

إصطلاحا: "هو علم يُعرف منه أنواع الريّاسات والسياسات والاجتماعات المدنيّة وأحوالها، وما ينبغي عليه الملك والسلطنة في نفسه، وحال أعوانه، وأمر رعاياه، وعمارة المدن"[3]. وهذا التعريف يدخل فيه أنواع السياسات، سياسة السائس لنفسه، ثمّ لخاصته، ومن ثمّ يصلح أن يسوس رعيته.

- **أهميته:** لقد كان لعلم السياسة أهمية كبرى في حياة السلاطين الزيّانيّين، ولا أدلّ على ذلك الكتاب الذي ألّفه السلطان أبو حمو موسى الثاني "واسطة السلوك في سياسة الملوك" ومحتواه هو وصايا حكمية وسياسية، علميّة وتعليميّة، تتعلق بنظام الحكم، لكي يستفيد منه ابنه وولي عهده أبو تاشفين[4].

د ـ العلوم الطبيعيّة:

➢ **ـ علم الطبّ:**

- **مفهومه:** هو "علم يُبحث فيه في بدن الانسان، من جهة ما يُصح ويُمرض، لحفظ الصحة وإزالة المرض"[5]. وعرّفه ابن سينا بأنّه: " لم يتعرف مِنْهُ أَحْوَال بدن الْإِنْسَان من جِهَة مَا يَصح وَيَزُول عَن الصِّحَّة ليحفظ الصِّحَّة حَاصِلَة ويستردها زائلة"[6].

---

[1] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص467.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص ص107 ـ 108.

[3] كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص386.

[4] أبو حمو موسى بن يوسف بن زيّان، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، المعهد الهندي اكسفورد، د.ط، الهند، ماي، 1880م، ص ص4 ـ 5.

[5] كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص303. ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص268.

[6] أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، **القانون في الطب**، تحقيق وضع حواشيه محمّد أمين الضناوي، دار التراث، القاهرة، 1993م، ج1، ص13. وينظر أيضا: علي التهانوي، المرجع السابق، ج2، ص1124.

- **أهميته:** شرّف علم الطبّ المشتغل به، وكفاه فخرا وشرفا، وهو في درجة واحدة مع علم الفقه، قال الشافعيّ ﷺ: "العلم علمان: علم الطبّ للأبدان، وعلم الفقه للأديان".

وجاء عن الإمام عليّ كرّم الله وجهه: "العلوم خمسة: الفقه للأديان، والطبّ للأبدان، والهندسة للبنيان، والنّحو للسان، والنجوم للزمان"[1].

أمّا بالنسبة للحاضرة تلمسان في هذا العصر المدروس فقد انتهت رياسة علم الطبّ في تلمسان إلى صمويل بن يهودا المالقي، الذي تتلمذ على يديه الطبيب المصري الرحّالة عبد الباسط بن خليل سنة 869هـ/1464م[2].

➢ **ـ علم الصيدلة:**

- **مفهومه: المدلول العام:** "هي مهنة علميّة، يتم من خلالها تحضير الأدوية". وبعبارة أخرى "هو فن دراسة مفردات الأدوية من نبات وحيوان، ومعدن، وغيرها، مع معرفة صفاته، وخصائصه، وطرق الحفاظ عليه". أمّا **مدلولها عند العرب** فهي: "معرفة العقاقير المفردة بأجناسها، وأنواعها، وصورها المختارة لها، وخلط المركبات من الأدوية بحسب مايريده المتطبب"[3].

- **أهميته:** ذكر داود الأنطاكي في نزهة الأبدان أنّ الصيدلة هي القسم العملي من علم الطبّ، حيث قسّمه إلى قسمين هما: قسم علمي وقسم عملي، وما يهمنا هو القسم العملي حيث قال في هذا المعنى وأمّا العمل، والمراد هنا كيفيّة المباشَرَة، فينقسم إلى معرفة الدواء، كعمل المعاجين والأدهان، ومعرفة الغذاء، وإلى عمل اليد، كالفصد، والكي، وجبر الكسر ، وغيرها[4]. وذكر سعدي شخوم في مقاله الصناعة الصيدليّة بالدولة الزيانيّة أنّ علم الصيدلة لم يكن متداولا بكثرة في تلمسان، حيث كان أهلها يتداوون بالطبّ الروحاني، "التبرك بالأولياء"، ولم يعرف التطور إلاّ في العهد السيطرة المرينية على المغرب الأوسط[5].

---

[1] كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص303.

[2] زكي مُحَّد حسن، المرجع السابق، ص ص124 ـ 125.

[3] مُحَّد كامل حسين، **الموجز في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب**، المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، د.س، ص ص269 ـ 271.

[4] داود بن عمر الأنطاكي، **نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان**، تحقيق وتعليق مُحَّد ياسر زكور، إشراف علي القيم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، دمشق، 2007م، ص103.

[5] سعدي شخوم، المقال السابق، ص ص518 ـ 520.

نستنتج من العلوم المتداولة بتلمسان أنّها انقسمت إلى قسمين رئيسيين هما: العلوم النقليّة، والعلوم العقليّة، وكانا لهما إسهام كبير في صناعة البنية الفكرية للفقيه التلمساني، والتي امتازت بالتنوع والجديّة في التدريس والتأليف، حتى وسعت جميع القطر الاسلاميّ.

لا أجدّ جملة شافية كافية لِتعلُّم العلمين معاً إلاّ ماذكره الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدّين وهو ينصح الطلاّب لتعلم العلوم النقليّة والعقليّة على حدٍّ سواء فقال: « فإيّاك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعاً بين الأصلين، فإن العلوم العقليّة كالأغذيّة، والعلوم الشّرعيّة كالأدويّة، والشّخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء»[1].

وخلاصة هذا القول أنّ العلوم الطبيعيّة مثل (الطبّ - والصيدلة...) لم تكن متداولة بكثرة في المدارس الزّيّانيّة إلاّ بداية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وهذا ما أكدّه الدكتور زكي محمّد حسن حينما تكلم عن المتطبب المصري عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري وذكر أنّه لقي بتلمسان سنة (869هـ/1464م) الطبيب اليهودي موسى بن صموئيل بن سهودا الإسرائيلي[2] المالقي الأندلسي، اليهودي المتطبب، ووصفه «بأنّه طبيب ماهر، ولم أسمع بذمّيّ ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم، وفي علم الوقت والميقات»[3]. وممّا ساعد تداول علم الطب والصيدلة هو ظهور أطباء ومتطبّبين من أمثال: محمّد بن يوسف السّنوسي صاحب كتاب "برء العيون الرّمدة في شرح المعدة بيت الداء والدواء"[4]، وأبي اسحاق إبراهيم بن أحمد الثغري[5]، وغيرهما، بالإضافة إلى علوم أخرى كعلم الكيمياء. وكان حديث محمّد بن مرزوق الخطيب مع العلاّمة علي بن محمّد بن مسعود[6]

---

[1] أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، مج3، ص17.

[2] **موسى بن صموئيل**: هو موسى بن صموئيل بن سهودا، طبيب يهودي من يهود الأندلس، ولد بمالقة قبل العشرين وثمانمائة، أخذ هذا العلم عن أبيه، وغيره، رحل إلى تلمسان بعد أن تغلب النصارى على الأندلس، وانتهت إليه رياسته في الطب بها. ينظر: محمّد حسن زكي، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، القاهرة، مصر، 2012م، ص125.

[3] نفسه، ص124.

[4] سعدي شخوم، **الصناعة الصيدليّة بالدولة الزّيّانيّة من خلال مؤلفات إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني**، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخيّة، جامعة سيدي بلعباس، العدد الرابع، جوان ، 2013م، ص518.

[5] **إبراهيم الثغري**: هو أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد الثغري، ألّف معجما صغيرا في الطب، رتبه على حروف المعجم. ونحن لا نعرف كثيرا عن حياة الثغري، إلاّ ما أورده ابن مريم أنّه من تلاميذ أبي عبد الله الشريف التلمساني، عاصر الأخوين ابن خلدون. توفي في أوائل القرن التاسع الهجري. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص166. ينظر أيضا: وأبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص111 - 112.

[6] **ابن مسعود**: هو علي بن محمّد بن مسعود، الخزاعيّ، التلمسانيّ، أبوه يُلقبُ بذي الوزارتين محمّد بن مسعود، تلمسانيّ المولد، أندلسيّ الأصل، فقيه، وكاتب، وهو القائل لما كبا بموسى بن أبي عنان المرينيّ فرسه بالشّماعين: مولاي لا ذنب للشقراء إن عثرت ومن يَلُمها لعمري فهو

حول المارستان[1] وضرورة بنائه[2] يدلُّ على تأخر تلمسان عن باقي أمصار المغرب الإسلامي في هذا الباب[3]. فتكون هذه العلوم شبه معدومة قبل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي إلاّ في حالات نادرة، لأنّ الشّاذ يُحفظ ولا يُقاس عليه، وقد كان أهل تلمسان قبل هذا يتداوون بالطبِّ الروحاني المتمثل في التّبرك بالصّالحين والأولياء وكراماتهم. وما يؤكد أنّ ظهور الحركة الطبيّة خاصّة غيرُ بارزة في الحاضرة الزّيّانيّة آنذاك، هو أنّ السلطان أبا حمو الثاني كان قد أُصيب بمرض، واستنكف عن علاجه بالتّورع والصّبر[4]، ولم تكن هذه العلوم متداولة بكثرة بالمغرب الأوسط مقارنة بالعلوم الأخرى إلاّ في زمن السّيطرة المرينيّة على تلمسان، ونَقْل العلوم لها، عن طريق فاس، قَادِمةً من عدوة الأندلس[5].

ثانيا ـ المقرّرات الدّراسيّة:

لقد شاعت مجموعة كبيرة من الكتب المقرّرة في مناهج التعليم خلال العهد الزّيّاني، وكانت موزعة على جميع أصناف العلوم المذكورة سابقاً. وهذه بعض النماذج من المقرّرات الدراسيّة التي لايمكنني ذكرها بالكليّة، لذااقتصرت على الأصناف العامة فقط، حسب تصنيف علومها:

أ ـ مقرّرات العلوم النقليّة:

ظالمها ـ وهَالها ما اعتراها من مهابتكم من ذلك لم تثبت قوائمها. توفي بفاس. ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ج2، ص489.

[1] **المارستان:** وأصل الكلمة هي البيمارستان، لفظ فارسي مركب من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل، و(ستان) بمعنى مكان أو دار، فهي إذن دار المرضى، ثم اختُصِرت في الاستعمال فصارت مارستان. أحمد عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص8. وطبعة دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ص ص3- 4.

[2] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص337.

[3] Mostéfa khiati, **La médecine en Algerie au moyen-àge (9eme- 17 eme siécle),** houma P_84..éditions,algerie, 2013

[4] سعدي شخوم، المرجع السابق، ص519.

[5] نفسه، ص520.

➢ **علم القراءات: "كتاب التيسير في القراءات السبع"** لصاحبه أبي عمرو عثمان القرطبي الدّاني(ت444هـ/1052م)[1]، وكتابه المسمّى "**المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**"، وهو كتاب في علم رسم القرآن، باعتبار هذا العلم هو جزء من علم القراءات[2]. ثمّ جاء بعده الإمام أبو القاسم أحمد ابن فيرُّة الشاطبي (ت590هـ/1193م)[3] فعمد إلى تهذيب ما دوّنه الدّاني في كتابه "**التيسير**" وتلخيصه، فنظّم ذلك كلّه في قصيدة سمّاها "**حرز الأماني ووجه التّهاني في القراءات السبع المثاني**" المعروفة "**بالشّاطبيّة**"، وهي مكوّنة من ألف ومائة وثلاثة وسبعين بيتا، والتي كانت متداولة بكثرة في العهد الزّيّاني، بل امتدّ اعتمادها إلى عصرنا هذا. كما نظم الشاطبيّ قصيدة سمّاها "**عقليّة أتراب القصائد في أسمى المقاصد**" المشهورة "**بالرّائيّة**"[4]، وهي عبارة نَظْمِ كتاب أبي عمرو الدّاني المسمّى "**المقنع**" ليسهل حفظه ودراسته[5].

➢ **علم التفسير**: أمّا علم التفسير فمن أشهر كتبه المقرّرة للتدريس في العهد الزّيّاني نذكر: "**المحرّر الوجيز في شرح كتاب الله العزيز**"[6] لأبي محمّد بن عطية[7]، لخّص فيه جميع التفاسير التي كانت

---

[1] **القرطبي**: هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القرطبي، المفسِّر. ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري ما بين 600 – 610هـ، وعاش بها، ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفِّي سنة 671هـ. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **طبقات المفسرين العشرين**، تحقيق علي محمّد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1396هـ، ص92.

[2] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص ص173 ـ 174.

[3] **أبو محمّد الشاطبي**: هو أبو محمّد القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ الشاطبي، إمام القراء، ولد بشاطبة (في الأندلس) سنة 538هـ/1144م، كان ضريرا ، عالما بالحديث، والتفسير، واللغة، هاجر لمصر وتوفي بها سنة 590هـ/1194م. ابن العماد، المصدر السابق، مج6، ص494. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص180.

[4] سعيد اعراب، **القرّاء والقراءات بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ص36.

[5] محمّد المنّوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، منشورت كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، مطبعة النجاح الجديدة، جامعة محمّد الخامس، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، الرباط، 1420هـ/2000م، ص270. وينظر أيضا: زينب رزيوي، **العلوم والمعارف الثقافيّة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و 9هـ/13 و 15م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، جامعة بلعباس، 1436 ـ 1437هـ/2015 ـ 2016م، ص185.

[6] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص176.

[7] **ابن عطية**: هو أبو محمّد عبد الحق بن غَالب بن عبد الرَّحْمَن بن عَطِيَّة الْمحَاربي، من أهل غرناطة، ، أحد الْقُضَاة بالبلاد الأندلسية، وبيته بَيت علم، وَفضل، وكرم، ونبل. كَانَ فَقِيها، نبيها، عَارِفًا بِالْأَحْكَامِ والحَدِيث وَالتَّفْسِير، أديباً بارعاً، شَاعِرًا، لغوياً ضابطاً، مُقَيّدا،

كانت في بلاد المغرب آنذاك، وهو من أهمّ كتب التفسير المتداولة في المغرب والأندلس، ويُعدّ مرجعاً أساسيا في نسبة آراء المالكية، لأنّ صاحبه مالكيّ المذهب[1]. ثمّ جاء القرطبي بكتابه المسمّى "**الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنته من السّنّة وآي الفرقان**"[2]، وتفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي (ت745هـ/1345م)[3]، وكانت قبل هذا بعض كتب التفسير هي السائدة في التعليم كتفسير الزمخشري "**الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**" لأبي القاسم عمر، الزمخشري(ت538هـ/1144م)[4]، وهو من أهل الإعتزال. وغير ذلك من التفاسير المشرقيّة التي كانت تُدرّسُ في المغرب كتفسير الثعلبي النسابوريّ[5].

➢ **علم الفقه:** أمّا بالنسبة لكتب الفقه المقرّرة للتّدريس فنجدّ العديد منها، وقد ذكر القلقشندي في صبح الأعشى عددا من هذه الكتب: ككتاب "**التهذيب**" و"**مختصر المدوّنة**" لأبي سعيد ابن البراذعي[6]،

ولي الْقَضَاء بِمَدِينَة المرية فِي شهر الْمحرم عَام 529. مولده سنة 481. وَتُوفِّي فِي الْخَامِس وَالْعِشْرين لرمضان سنة 541 بِمَدِينَة لورقة. أبو الحسن النباهي، المصدر السابق، ص109.

[1] مُحَّد المختار مُحَّد المامي، **المذهب المالكي مَدَارسُه ومؤلفاته ـ خصائصه وسِماتُه**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، العين، دولة الإمارات العربية المتّحدة، 1422هـ/2002م، ص131.

[2] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص176.

[3] **أبو حيان**: هو أثير الدين الأندلسي مُحَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي، ولد بغرناطة سنة 654هـ،محدّث ومفسر وجامع للعلوم، من مؤلفاته "البحر المحيط في التفسير"، توفي سنة 745هـ. الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج7، ص152.

[4] **الزمخشري**: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن مُحَّد بن عمر، العلامة الزمخشري، الخوارزمي، ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر، قرية من قرى خوارزم، النّحوي، اللّغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسّر، يلقب بجار الله، لأنه جاور بمكة زماناً، له تفسير "الكشّاف"، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. السيوطي، طبقات المفسرين، المصدر السابق، ص ص120 ـ 121.

[5] **الثعلبيّ**: هو أبو إسحاق الثعلبي أو الثعالبيّ، أحمد بن مُحَّد بن إبراهيم، النيسابوريّ، قال عنه الذهبي " الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، أحد أوعية العلم. له كتاب "التفسير الكبير" ، وكتاب "العرائس" في قصص الأنبياء. ، مات في المحرم سنة سبع وعشرين وأربع مائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج17، ص ص435 ـ 437. ابن العماد، المصدر السابق، مج5، ص127. J.JL BARGES – **Tlemcen , ancienne capitale du royaume de ce nom**, Paris ,1859

[6] **ابن البراذعي**: خلف بن أبي القاسم مُحَّد، الأزدي، أبو سعيد ابن البراذعي: فقيه، من كبار المالكية. ولد وتعلم في القيروان، وتجنبه فقهاؤها، لاتصاله بسلاطينها. له كتاب "التهذيب" في اختصار المدوّنة. توفي 372هـ/983م. ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج2، ص311.

و"**الرسالة**" لأبي زيد القيرواني (ت346هـ/957م)[1]، و"**مختصر خليل**" لخليل بن إسحاق (ت776هـ/1374م)[2]. و كتاب "**التلقين**" للقاضي عبد الوهاب[3]، و"**الموطأ**" الذي يُعدُّ أصل الدروس في الفقه للإمام مالك بن أنس (ت179هـ/795م). وكتاب "**التبصرة**" لأبي الحسن اللخمي (ت498هـ/1105م)، وغير هذا من كتب الفقه[4].

- **علم أصول الفقه:** من الكتب التي تمّ تداولها في المؤسسات التعليميّة في الدولة الزّيّانيّة نذكر: كتاب "**منهاج الوصول إلى علم الأصول**" للإمام عبد الله بن عمر البيضاوي (ت806هـ/1404م)، وكتاب المختصر الذي يسمّى "**المحصول**" للإمام فخر الدّين الرازي (606هـ/1210م)، و"**البرهان**" لأبي المعالي الجويني إمام الحرمين (478هـ/1056م)، و"**مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**" للشريف التلمساني (ت771هـ/1396م)، و"**جامع الجوامع**" للإمام السّبكي (ت756هـ/1373م)، وغيرهم.[5]

- **علم الحديث:** كانت المراكز التعليميّة التابعة للدولة الزّيّانيّة تعجّ بمؤلفات الحديث والتي نذكر بعضا منها: "**الموطأ**" للإمام مالك بن أنس (ت179هـ/795م)، ويعتبر العمدة في أحكام الفقه المالكي الذي كان المذهب السائد في بلاد المغرب الإسلامي، "**صحيح البخاري**"، للإمام مُحَّد بن إسماعيل

---

[1] **ابن أبي زيد:** هو أبو محمَّد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني النفري، عالم أهل المغرب وإمام المالكية في وقته، ولُقِّب بـ "مالكٍ الصغير"، توفي رحمه الله سنة 386هـ/996م. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص216. ابن العماد، المصدر السابق، مج4، ص477.

[2] **خليل ابن إسحاق:** هو خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي: فقيه مالكي، من أهل مصر، تعلم في القاهرة، وولي الإفتاء على مذهب مالك. له المختصر في الفقه، يعرف بمختصر خليل . توفي سنة 776هـ/1374م. ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ج2، ص315.

[3] **القاضي عبد الوهاب:** هو الإمام، العلامة، شيخ المالكية، أبو مُحَّد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن حسين بن هارون ابن أمير العرب مالك بن طوق التغلبي، العراقي، صنف في المذهب كتاب (التلقين) ، وهو من أجود المختصرات، توفي سنة 422هـ/1031م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج17، ص ص430 ـ 431 ـ 432.

[4] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص473. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص205 ـ 206. نور الدين مجدوبي، المقررات الفقهية الفقهية والنحوية:" الحضور والتأثير في الدرس التعليمي بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8و9 الهجريين/14و15 الميلاديين"، **مجلة عصور الجديدة**، المجلد التاسع، العدد الثالث، ت.ن 2019/09/12م، ص ص154– 171.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص205 ـ 206. وينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص472. مختار حساني، المرجع السابق، ص294.

البخاري (ت256هـ/870م)[1]، ثمّ "صحيح مسلم" للإمام مسلم بن حجاج القشيري (261هـ/875م)، وهذا الكتاب مع صحيح البخاري يعدّان أصحّ كتابان بعد كتاب الله تعالى، وكتاب "**المقدّمة**" لأبي عمرو بن الصلاح (ت643هـ/1245م)، وهو كتاب من المتأخرين في علم الحديث، وله شروح واختصارات، منها شرح النووي في كتابه "**الإرشاد والتقريب**"[2]، وكتاب "**المعلم بفوائد مسلم**" للإمام المازري (536هـ/1141م)، وأكمله القاضي عياض وسمّاه "**إكمال المعلم**"[3]. و"**المنتقى**" للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ/1081م)[4]،وغير ذلك من المختصرات والشروح في هذا العلم[5].

➢ **علم النحو:**

تداولت الكتب النّحوية في الدولة الزّيّانيّة بكثرة، منها على سبيل المثال: "**كتاب النّحو**" لإمام النحو أبي بشر عمر بن عثمان المكنّى بسيبويه (ت180هـ/796م)[6]، و**الألفية**" و "**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**" لابن مالك الأندلسي (ت672هـ/1274م)[7]، و" **لمقدّمة الآجُرُّوميّة في علم العربيّة**" لأبي عبد الله محمّد الصنهاجي المعروف بابن آجروم (ت723هـ/1323م)[8]، و"**الكافية**" لأبي عمر عثمان المشهور بابن الحاجب[9]، كما أنّ هناك العديد من العلوم ومقرّراتها مثل: علم الكلام فقد كانت تدرّس فيه "**المرشدة**"[10] لابن تومرت (524هـ/1130م)[1] التي كانت معتمدة في التّدريس بتلمسان خلال العهد

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص179. وذكر التنسي أنّ أبا زيان بن أبي حمو نسخ نسخة من صحيح البخاري بيده، وحفظها في خزانته التي بالجامع الأعظم بتلمسان المحروسة. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص211.

[2] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص180.

[3] نفسه، ج2، ص182.

[4] رزيوي زينب، المرجع السابق، ص201.

[5] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص471. وينظر أيضا: مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص ص292 ـ 293.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص117.

[7] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص171.

[8] مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص ص296 ـ 297.

[9] رزيوي زينب، المرجع السابق، ص244. مجدوبي نورالدّين، المقال السابق، ص163 وما بعدها.

[10] **المُرْشِدة**: هي رسالة في مسائل العقيدة التومرتيّة التي كانت تخلو من الاستدلال والبراهين، وهي في علم توحيد الله في ذاته، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله. أبو عبد الله محمَّد بن تومرت، **أعزُّ ما يُطلب**، تقديم وتحقيق، عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، د.ط، الجزائر، 2007م، ص226.

الزّيّاني[2]، و"**كتاب الشامل**" للجويني إمام الحرمين[3]. وأمّا كتب علم التصوف فنذكر منها: كتاب "**إحياء علوم الدّين**" لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)[4]، وكتاب "الحكم" لابن عطاء الله السكندري (709هـ/1309م)[5]، و"**الرسالة القشيرية**" لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (465هـ/1073م)[6].

ب ـ مقرّرات العلوم العقليّة: كانت كتب العلوم العقليّة المدروسة في تلمسان كثيرة ومتعدّدة، لا تقلّ أهميّة عن كتب العلوم النقليّة، إلاّ من حيث الكثرة والقلّة، ومن بين هذه المؤلفات التي تُدرّس بالمساجد والمدارس والمؤسسات التعليميّة في الدولة الزّيّانيّة نذكر منها على حسب التصنيف للعلوم، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

➢ **العلوم العدديّة أو علوم الأرتماطيقي**: من أهم الكتب التي تناولت علم الأرتماطيقي: كتاب "**تلخيص أعمال الحساب**" لابن البناء المركشي (ت721هـ/1321م)، في جزئه الأول يوجد فيه مسائل عدّة فيما يخصّ صحيح الأعداد، والكسور[7]، والجذور، و في جزئه الثاني تناول فيه استخراج الأعداد المجهولة، والجبر والمقابلة وعليه تتركز أكثر دراسات الحساب والجبر[8]، ثمّ شرحه بكتاب سمّاه "**رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب**" قال عنه ابن خلدون:" وهو كتاب جليل القدر أدركنا المشيخة تُعظّمه وهو كتاب جدير بذالك"[9]، و"**أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة**" لعبد الله بن مُحَّد بن حجاج الفاسي المعروف بابن الياسمين (ت601هـ/1204م)[10]، و"**نظم تلخيص أعمال الحساب**" لابن مرزوق الحفيد (ت841هـ/ 1438م)، و"**نظم تلخيص أعمال الحساب**" لعبد الواحد الونشريسي (ت919هـ/1513م)[11]، وكتاب "**حط النقاب عن وجوه**

---

[1] **ابن تومرت:** هو أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن تومرت البربري، المصمودي، مؤسس الكيان السياسي للدولة الموحدية، ولد بمنطقة السوس الأقصى سنة 471 أو 474هـ، رحل إلى الاندلس 501هـ، ثمّ ولى إلى العراق، وبعد رجوعه مرّ على تلمسان وأخذ معه عبد المؤمن بن علي الذي صار الخليفة من بعده، توفي بعد معركة البحيرة سنة 524هـ/1030م. ابن خلكان، المصدر السابق، مج5، ص ص45-47. الذهبي، العبر، المصدر السابق، ج2، ص422.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص247.

[3] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ص213.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص206.

[5] القلصادي، المصدر السابق، ص ص103 ـ 107.

[6] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص253.

[7] القلصادي، المصدر السابق، ص101.

[8] المنوني، المرجع السابق، ص331.

[9] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص254.

[10] ابن مريم، المصدر السابق، ص246.

[11] المنوني، المرجع السابق، ص333.

أعمال الحساب" لابن قنفد القسنطيني (ت810هـ/1407- 1408م)[1]، والقصيدة التلمسانيّة المعروفة باسم "**تبصرة البادي الشادي**"لأبي إسحاق ابراهيم بن أبي بكر التلمساني (ت697هـ/1297م) ، قال عنها المنوني لم يصنّف في فنّها أحسن منها[2]، وهذا العلم له أقسام كثيرة، ومؤلفات عديدة لا يمكن حصرها[3].

➢ **علم المنطق**: م أهم الكتب في هذا المجال كتاب "**النص**" لأرسطو، وهو مشتمل على ثمانيّة كتب: أربعة منها في صور القياس، وأربعة في مادته[4]، وذكر ابن مريم أنّ الإمام السنوسي كان يُدرّس "**كتاب الجمل**" و"**مختصر الجمل**" لأفضل الدّين للخونجي (ت646هـ/1248م)، والإيساغوجي والتي تُسمّى "**الرسالة الأثيرية**" لأثير الدّين الأبهري (ت636هـ/1264م)[5]، توجد نسخة منه بتركيا بمكتبة راغب باشا، باشا، تحت رقم 905 نُسخت سنة 1164هـ[6]وكتاب "**مختصر في علم المنطق**" لمحمد بن يوسف السنوسي، وكتاب "**الألباب في ردّ الفكر إلى الصواب وما يتذكر أولوا الألباب**" للإمام مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي[7].

➢ **علم الهندسة**: أمّا في مجال الهندسة فكان المعتمد فيها كتاب أوقليدس المسمّى ب "**كتاب الأصول**" أو "**الأركان**"، وهو مبدأ العلوم الهندسيّة على الإطلاق، كما أنّه أبسط ما وُضع للمتعلمين، ثمّ كتاب "**الحيّل العلميّة**" أو ما يُعرف "**بحيل بني موسى**" لبني موسى بن شاكر، وفيه بعض الصناعات الغريبة، والحيّل المستطرفة كلّ عجيبة، وهي صعبة البراهين الهندسية[8]، بالإضافة إلى مؤلفات ابن الهيثم[9]، وغير ذلك من الكتب المقرّرة في هذا العلم[10].

---

1 نفسه، ص335.

2 فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص270 ـ 271.

3 القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص477.

4 ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص263.

5 ابن مريم، المصدر السابق، ص ص246 ـ 255 . وينظر أيضا: القلصادي، المصدر السابق، ص101. فيلالي، المرجع، ج2، ص ص476 ـ 478 .

6 فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص491.

7 مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص397.

8 علي بن عبد الله الدفاع وجلال شوقي، **أعلام الفيزياء في الإسلام**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م، ص102.

9 ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص ص 257 ـ 258 ـ 259.

10 القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص ص475 ـ 476.

➢ **علم الهيئة:** نذكر من أهم هذه الكتب كتاب "**المَجْسِطي**" المنسوب لبطليموس، وشَرَحَه ابن سينا، وخصّص له جزءا في كتابه الشّفاء، ولخصّه ابن رشد، وابن السّمح، وابن الصَّلْت، وغيرهم[1].

وكتاب "**بغية الطلاّب في علوم الإسطرلاب**"[2] للحبّاك التلمساني (ت867هـ/1463م)، وكتاب "**عمدة ذوي الألباب ونزهة الحساب في شرح بغية الطلاّب في علم الإسطرلاب**" للإمام السنوسي[3]، وأرجوزة ابن الرّقام في الإسطرلاب[4]، وكتاب "**منهاج الطالب لتعديل الكواكب**" لابن البناء، وهو كتاب يتناول يتناول القوانين العددية لحساب حركة الكواكب[5]، وكثيرة هي المؤلفات في علم الهيئة التي كانت في العهد الزّيّاني[6].

➢ **علم الطب والصيدلة:** من بين الكتب المشهورة والتي اعتمد عليها طلبة تلمسان وفقهاؤها في مجال الطب والصيدلة كتاب" **القانون**" لابن سينا (428هـ/1037م)، قال عنه القلقشندي في صبح الأعشى: « وهو الذي أخرج الطّبّ من التّلفيق إلى التهذيب والترتيب، وهو أجمعُ الكتبِ وأبلَغُها لفظا، وأحسنها تصنيفاً»[7]، و"**كتاب المنصوري**" لأبي بكر مُحَّد بن زكريا الرازي (ت313هـ/925م)[8].

---

1 ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص261.

2 مخطوط بالمكتبة الوطنية(الجزائر) تحت رقم 1458، رجز به 170 بيتا، مطلعه:

بِحَمْدِكَ اللَّهُمَ نَظْمِي أَبْتَدِي   مُصَلِيًا عَلَى الرَّسُولِ أَحْمَدِ

وَأَرْتَجِـي أَنْ تَجْـزِلَـنْ ثَوَابِي   عَـلَى نِظَامِ بُغْيَةَ الطُّلَّابِ

3 فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص475 ـ 476.

4 وذكر القلصادي أنّه تتلمذ على يد مُحَّد الدّهان التونسي وقرأ عليه هذه الأرجوزة. وكانت تونس معروفة آنذاك بالمنجّمين من أمثال أبي إسحاق في أوّل المائة السابعة. القلصادي، المصدر السابق، ص117. ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص261.

5 نفسه، ج2، ص261.

6 القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص ص 476 ـ 477.

7 القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص ص473 ـ 474. وينظر أيضا: ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص268. القلصادي، المصدر السابق، ص117. علي عبد الله الدفاع، **إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة**، درا الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1405هـ/1985م، ص312.

2 واختلف المؤرخين في تاريخ وفاته وذكروا أنها كانت سنهة 311هـ أو سنة 320هـ حتى نشر روسكا RUSKA مقالا على البيروني ـ وهو الذي وضع فهرست مؤلفات الرازي ـ عنوانه: "البيروني كمصدر لحياة الرازي وكتبه" وأثبت أنّ وفاته كانت في 5 شعبان سنة 313هـ الموافق ل 25 أكتوبر 925م. ينظر: أبي داود سليمان بن حسّان الأندلسي المعروف بابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة، د.ط، القاهرة، 1375هـ/1955م، ص77.

وكتابه المسمّى "**الطّبّ الملوكي**" الذي بعثه إلى علي بن وهشوذان[1] صاحب طبرستان[2]، وكتاب "**الموجز في الطب**" لابن النّفيس علاء الدين أبي الحسن علي (ت687 هـ/1288م)، وهو موجز لكتاب "**القانون**" في الطّب لابن سينا يتألّف من أربعة أقسام[3]، وكتاب "**تقويم الدوية فيما اشتهر من العشاب والعقاقير والأغذية**"[4] ليوحنا بن بختيشوع (ت731 هـ/1330م)، وغير ذلك من كتب الطّبّ والصيدلة التي كانت كانت تدرّس في المؤسسات التعليميّة الزّيّانيّة[5].

وفي ختام هذا العنصر يؤسفني أنني اقتصرت على بعض النماذج من المؤلفات المقرّرة في التعليم عهد دولة بني زيّان، ولم أذكر بعض العلوم ومقرّراتها خشية الإطالة، وضيق صفحات الدراسة، كعلم الفرائض، وعلم السيّر، والعلوم اللسانيّة، والعلوم الاجتماعية، وما ينوب عنها في العلوم النقليّة، وبعض العلوم الطبيعية، وعلم الإلهيات، وغيرها بالنسبة للعلوم العقليّة، التي سأستدركها في الفصل الأخير من هذه الدراسة، غير أنّ ما ذكرته ربما قد يفي بالغرض والتوضيح والإحصاء الجزئيّ للمقرّرات الدراسيّة التي أدّت دوراً هامّاً في صناعة البنية الفكرية للفقيه، وتخصص كل فقيه في علم من العلوم، فحاز به الرُّتب، وتقلّد به المناصب، وأصبح بعد ذلك صيت علماء تلمسان يملأ الأقطار شرقا وغربا.

ثالثا ـ طرق التّدريس: إنّ طرق التدريس لم تكن بارزة الملامح في العهد الزّياني، ويرجع هذا إلى اختلافها من مرحلة لأخرى، ومن شيخ لآخر، غير أنّهم كانوا يتبعون الطرق التقليدية التي كانت سائدة في المشرق والأندلس من جهة، ومن جهة أخرى كانوا يجهلون العديد من الأساليب التعليميّة التي تفيد الطالب في

---

[1] **علي بن وهشوذان**: هو أحد أمراء الأطروش الذين أحيو الدولة العلوية في طبرستان و بلاد الديلم، بعدما تغلبوا على الديلميين فيها. توفي بعد 377هـ، ينظر: الصفدي، المصدر السابق، مج12، ص128.

[2] **طَبَرِستان**: Tabrstan بفتح أوله وثانيه، من بلاد خراسان، سميت بذلك لأن الشجر كان حولها شيئاً كثيراً، فلم يصل إليها جنود كسرى حتى قطعوه بالفأس، والطَّبَرُ بالفارسية الفأس، واستان الشجر. وطبرستان بلد عظيم، يقع قرب جبال تسمى اليوم سلسلة جبال "ألبرز" ،كثير الحصون والأعمال، منيع بالأودية، وأهله أشراف العجم وأبناء ملوكهم، وهم أحسن الناس وجوهاً، وهم علم وأدب وفقه، وله بلدان كثيرة منها: دهستان، وجرجان، واستراباذ، وغير ذلك. ينظر: الحِميريّ، المصدر السابق، ص383. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص13.

[3] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص473. رزيوي زينب، المرجع السابق، ص328.

[4] يوجد مخطوط تحت رقم 9598، ومكتوب بخط مغربي، تاريخ الفراغ من كتابة النسخة، 4 ربيع الأول عام 1124هـ، وهو مايفيد شهرة الكتاب وتداوله نقلا عن عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص254.

[5] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص ص268 ـ 269. وينظر: مُحَّد عبد الرحمن، **الجامع في تاريخ العلوم عند العرب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت، 1908هـ/1988م، ص266.

الاستيعاب والاستحضار الذهني، الذي من خلالهما يفهم الدرس ويُحصِّلُه، ونفس الأمر كان سائدا في بلدان المغرب الإسلامي[1]، وهذا ما أكدّه ابن خلدون بقوله: « وقد شهدنا الكثير من المعلِّمين لهذا العهد الذي أدركناه يجهلون طرق التعليم وإفادته، ويُحضرون للمتعلِّم في أول تعليمه المسائل المُقْفَلَة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلِّها، ويحسبونه ذلك مِراناً على التعليم وصواباً فيه»[2]. ويمكنني أن أذكر بعض الطرق المعتمدة في التّدريس داخل المؤسسات التعليميّة الزّيّانيّة:

أ ـ طريقة التلقين: وتستعمل هذه الطريقة في المرحلة الأولى من التعليم خاصة (أي في الكتّاب)، حين يريد الطلاّب كتابة ألواحهم، فيشكلون حلقة نصف دائرية، قعودا على الحصير[3]، متربعين حول المعلِّم[4]، فيملي على الطالب الأول آية ثمّ يتركه لكي يكتبها، وينتقل إلى الثاني فيملي عليه آيته ويتركه، ثمّ يلتفت إلى الثالث والرابع، وهكذا كلٌّ بدوره، لأنّ غالبا ما يكونون متفاوتين في السّور والأحزاب، وكان كل تلميذ يمسك لوحته بيديه إمّا من جانبيها، وإمّا من خيط مثّبت في أعلى وسطها، وهو في جلسته يتحرك بجسمه ورأسه أماما وخلفا، وأحيانا يمينا وشمالا، وهو يقرأ الآيات المكتوبة بصوت عال، ويشترك جميع التلاميذ في ذلك إلى أن تَحدثَ جلبة وضجيج، وتختلط الأصوات، فلا تعود تسمع آيات القرآن، وإنما مجموعة من الأصوات المدوّية المبعثرة، التي تتمازج فيها آيات القرآن[5]، وبعد الانتهاء من الطلبة كلِّهم يرجع إلى الطالب الأول مُتّبِعاً نفس الطريقة، إلى أن يكمل جميع الطلاّب الكتابة، فيتعقبُ بعد ذلك الألواح بإعادة تلقين الآيات لصاحب اللوح، حتى يُتقن قرآءتها[6]. وذكر فيلالي أنّ الشيخ يمكنه استعمال استعمال هذه الطريقة في المرحلة الثانية، وهذا بقراءة الشيخ نفسه من كتاب بلفظه فَيَسْمَعُه الطلاّب، ويُسمعهم علماً موثوقا وبصحته[7].

---

[1] رشيد خالدي، المرجع السابق، ص49.

[2] ابن خلدون المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص347.

[3] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص221.

[4] أبو عبد الله مُحَّد بن سُحنون بن سعيد بن عبد السلام التنوخيّ، **كتاب آداب المعلّمين**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تعليق مُحَّد العروسي المطوي، الشركة التونسيّة لفنون الرسم، طبعة جديدة، تونس، 1392هـ/1972م، ص55.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص339.

[6] لخضر العبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص 478.

[7] فيلالي، المرجع السابق، ج2، 353.

ب ـ القراءة من كتاب: ويكون من الكتب المقرّرة في التدريس حسب التخصص، ويُسمّى "**بالمصنَّف**"، وصورتها أن يجلس الشيخ على كرسيٍّ، والطلبة على الحصير، وقد أورد التنسي أنّ أبا حمو موسى الثاني حضر إقراء أبي عبد الله الشريف التلمساني داخل المدرسة اليعقوبية جالسا على الحصير[1]، فيبدأ الشيخ في أول درسه بالبسملة والحمد والثناء على الله تعالى، مصلّياً على النبي ﷺ، ثم يبدأ أحد الطلبة بقراءة الكتاب المعيّن للدّرس[2]، ويكون هذا الطالب من أنجب طلاّب الحلقة أو المجلس[3] ويشرحه الشيخ فقرة بفقرة، مدوّنين ما يسمعونه منه من أجوبة وتأويلات، وتنبيهات حول صعوبته[4]، وقد لا ينهي المدرس المسألة الواحدة من الكتاب المدروس في نفس الجلسة، بل تكون في عدّة جلسات، فما بالك بالكتاب كلِّه، ويختم درسه في العادة بإملاء خلاصات على الطلاب فينسخونها بحذق وعناية، فيصبح الطلاّب في هذه الحالة حريصين على ألا تفوتهم شاردة ولا واردة من درس شيخهم[5]. وهذه الطريقة كانت معروفة بتلمسان في العهد الزّيّاني ذكرها القلصاديّ في رحلته حين ترجم لمشايخه ببلاد الأندلس، وبالضبط إبراهيم بن فتّوح[6] فقال: «وحضرت عليه بالمدرسة قراءة كتب متعدّدة في علوم شتى»[7].

استمرت طريقة التلقين المعتمد آنذك بتلمسان حى وقتنا الحالي فممّا شهدتُ وتعلمتُ به في زاوية شيخي مُحَّد ابن الكبير[8] عليه رحمة الله هذه الطريقة، حيث يمسك الطالب بكتاب معيّن، وأحيانا كان معظم الطلبة يحفظون تلك الكتب مثل: كتاب مختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وألفيّة بن

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص180.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج1، 227. الحسين أسكان، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1ـ 9هـ / 7ـ 15م)**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغيّة، مركز الدراسات التاريخيّة والبيئية، د.ط، الرباط، 2004م، ص112.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص253.

[4] نفسه، ج1، ص227. لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص222.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص345.

[6] **إبراهيم بن فتّوح**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن فتّوح العُقَيليّ، عالم من علماء الأندلس، وأحد شيوخ القلصادي، كانت له مشاركة في في العلوم وتحقيقها. توفي رحمه الله سنة 867هـ/1463م. ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص ص166 ـ 168.

[7] نفسه، ص167.

[8] **مُحَّد ابن الكبير**: هو العلامة الفقيه، الزاهد، سيدي أبو عبد الله مُحَّد بن سيدي مُحَّد عبد الله بن مُحَّد بن عبد الكبير، أحد أعلام الجزائر وأقطابها في العلم، ولد سنة 1329هـ/1911م، بقرية الغمارة وهي قرية من قرى بودة، درس في تمنطيط على سيدي أحمد الديدي، ثم فتح زاويته بتميمون ثم بأدرار، وهي موجودة إلى الآن. توفي سنة1421هـ/2000م. ينظر: مولاي التهامي غيتاوي، **الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي مُحَّد بن الكبير**، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص10.

مالك، وغيرها من الكتب، ويقرأ منه فقرة بفقرة، ويشرحها الشيخ شرحا وافيّا، وعندما يُكْمِلُ الشّرح يتلفظ بقول "نعم" وهذه الكلمةُ إيعازٌ للطالب بإكمال القراءة، وهكذا حتى ينتهي من الدرس الذي كان له وقت محدّد[1].

ج ـ الحوار والمناقشة: لم تكن هذه الطريقة في إلقاء الدروس شائعة في بلاد المغرب الإسلامي، وإنّما أدخلها الإمامان العارفان أبو موسى عيسى ابن الإمام، وأبو علي ناصر الدّين المشذّالي في آواخر المائة السابعة، حين رجعا من تونس[2]. وهذ الطريقة لها إيجابياتها في تحصيل العلوم[3]، وفضّلها بن خلدون على على الطريقة التي كانت متّبَعَة بفاس، والتي كانت تعتمد على التّلقي والحفظ[4]، وتعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل والتفكير والحفظ، واستغلال الجدل في البحث والمناظرة في جميع المسائل العلمية[5]، يكون فيها الطالب أكثر حيوية وديناميكية، ويقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات عن طريق طرح الأسئلة، والاستفسارات والمناظرات[6]، ومناقشة المسألة وتبادل الآراء حولها، وهذا ما يمكّن الطالب من الوصول إلى جواب كافٍ صحيح يقبله الأستاذ[7]. وأما دور هذا الأخير هو الإشراف، والتوجيه، وإدارة الحوار[8]. وهذا العمل عوّد الطالب على المناقشة، والحوار في المسائل العلميّة، وغرس حب الإطلاع والبحث والتعمق[9]. وذكر ابن مريم في ترجمة لأبي عبد الله الشريف وثناء شيخه

---

[1] حول طريقة التدريس في مدرسة الشيخ ابن الكبير ينظر: مُحَّد عبد الحق البكراوي، **المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي مُحَّد بن الكبير**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلاميّة تخصص فقه وأصول، إشراف أ.د سعيد فكرة، كلية العلوم الإسلاميّة، جامعة باتنة1، 2016- 2017م، ص ص107-109.

[2] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص167.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص353.

[4] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص ص167 ـ 168.

[5] حول آلية المناظرة وأهميتها في الفقه ينظر: علياء هاشم ذنون مُحَّد المشهداني، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة في التاريخ الاسلامي، إشراف الأستاذ المساعد مزاحم علاوي الشاهري، ، كلية التربية، جامعة الموصل، محرم 1424هـ- آذار 2003م، ص ص 126-129.

[6] رزيوي زينب، المرجع السابق، ص137.

[7] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص ص482 ـ 483.

[8] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص353.

[9] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص223.

الآبلي عليه قال: «وكان الطلبة إذا قرؤوا على الشيخ الآبلي، وأشكلت مسألة أو ظهر بحث دقيق، يقول إنتظروا به أبا عبد الله الشريف»[1].

وذكر ابن خلدون حينما تكلم على تحصيل الملكة في طلب العلم، أنّ هذه الطريقة في تحصيلها هي أيسر الطرق فقال: « وأيسر طرق هذه الملكة فتقُ اللسان بالمُحاورة والمناظرة في المسائل العلميّة، فهو الذي يُقرِّبُ شأنها، ويُحصِّلُ مرامها» وأضاف قائلا: « فتَجِد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلميّة سكوتاً لا ينطقون ولا يفاضون،... تجدُ ملكته قاصرة في علمه إن فاوض، أو ناظر، أو علَّم»[2]

لقد وفّرت لنا بعض النصوص التاريخية ملازمة طلبة العلوم بتلمسان هذه المناظرات والمحاورات داخل المؤسسات التعليمية، من مساجد، ومدارس وغيرها، حتى صارت بمرور الزمن عادة شائعة عند طلبة تلمسان دون غيرهم، على غرار طلبة فاس الذين كانوا أصحاب همّة عالية في الحفظ، والنقل دون البحث والمناقشة[3]. وجاء في البستان أنّ الشريف التلمساني لما دخل فاس وحضر مجلس الشيخ الصالح عبد المؤمن المجناتي رأى فيه وجها بديعا وقال له: ما ذكرته من عندك أم من كتاب نقلته، فقال له لم أنقله من كتاب، فسأله الشيخ عن بلده فقال له أنا من تلمسان وجئت للقراءة على الشيخ الآبلي[4].

كما اعتمد طلبة تلمسان في مناظراتهم على البحث والتفكير، ومقارعة الحجة بالحجة، والشجاعة في طرح آرائهم، وقد كان الشريف التلمساني حجّةً في تلمسان وغيرها[5]، وأورد ابن مريم أنّه رحمه الله كان كان في جمع من طلبةِ العلم الفاسيين يختبرونه في الحفظ وصحة نقله، فاعترفوا له بالحفظ والثبات والتحقيق وحُجَةِ الإقناع في الفتوى[6]، وكان يرى أنّ البحث في المسائل بالمحاورة أنفع للطلبة، فإذا طال بحثهم أمرهم بالتقيّيد في المسألة ثمّ يفصل بينهم[7].

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص170.
[2] ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص167.
[3] عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص270.
[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص171.170.
[5] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص223. ينظر: عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص271.
[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص119.
[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص174.

كانت هذه الطريقة عاملا أساسيا للشيوخ والأساتذة لجمع المسائل الصعبة والخلافيّة، ويتسنى من العمل بها التمكّن من المادّة المدروسة، وتُسمّى في عصرنا الحالي بالطريقة الحواريّة[1]. فكان أثرها محمودا في تكوين أجيال صالحة من الفقهاء ساهموا مساهمة فعالة في ازدهار الحركة الفكرية بتلمسان خلال العهد الزّيّاني.

د ـ الكتابة على اللوح أو الورق: تكون هذه الطريقة خاصة بالعلوم العقليّة، وبالضبط في العلوم العددية، وقد ذكرها المنّوني في القسم التاسع الذي تحدث فيه عن الدّراسات الرياضيّة فقال: «أمّا الطريقة التي يسير عليها المدرِّسون للمواد العدديّة: فكانت تعتمد الكتابة في اللّوح، أو الورق لإثبات التمارين الحسابية»[2]. ويستعمل الأساتذة هذه الطريقة لصعوبة الاستيعاب بالقراءة وحدها، كالطّبّ، والفلك، والهندسة، والحساب، وغيرها[3]، إذ يتعيّن على المُدرِّس أن يُبيِّن للطلبة الأشكال ومعاينتها، وحساب الأعداد ورؤيتها، كي يسهل عليه الإدراك، والتحصيل، لذلك فإنّ القراءة من الكتب، أو المحاورة، لايمكنهما أن يفيا بالغرض من غير عرض الأشكال، والأعداد، وتبيين المسائل فيها، فيكتب الطالب في لوحة، أو ورقة، والأستاذ يشرح تلك المكتوبات، وهذا أدعى لفهم الطلاّب، وتمكّنهم من المادة المدروسة.

هـ ـ طريقة المشافهة: أو ما يُصطلحُ عليه بمنهجية تعليم النخبة، وهو أن يجلس شخصٌ أمام شخصٍ آخر أرفع منه درجة، في فنٍّ من فنون المعرفة، دون مراعاة السّن، ولا المكانة، ليأخذ منه بالمشافهة، وتُستعمل للخاصّة من الطلبة، من حيث قابليتهم في الرفع من مستوى كفاءتهم الفكرية، شريطة أن لا يكونوا كُثر، بحيث يستطيع المعلّمُ أن يُلقي أسرار علومه فيهم، وهذا ما حدث مع الشيخ الآبلي حين شافهه ابن البنّاء في قضايا التصوّف[4].

وقال الأستاذ ولي الله سيدي أبو العباس ابن العريف[5]:

من لم يُشَافِهِ عالماً بأصوله   فيقينُه في المشكِلَات ظُنُونُ[1]

---

[1] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص483.

[2] المنّوني، المرجع السابق، ص328.

[3] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص269.

[4] سيدي مُحَمّد نقادي، المرجع السابق، ص157 ـ 245.

[5] **ابن العريف**: هو أبو العباس أحمد بن مُحَمّد بن موسى الصنهاجي، الأندلسي، ولد سنة 481هـ/1088م، نسبته إلى ألمريّة، فقيه فاضل فاضل شهير بالصّلاح، له شعر ومشاركات في العلوم، من مصنّفاته: كتاب "محاسن المجالس"، توفي بمراكش سنة 526هـ/1141م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص215.

إنّ الملاحظ من طرق التدريس التي كانت معتمدة بتلمسان خلال العهد الزّيّاني، أنها تختلف اختلافا متباينا مع التي كانت سائدة بحاضرة فاس العاصمة العلميّة للمغرب الأقصى، وهذا بشهادة ابن خلدون نفسه، حيث ذكر أنّ أهل المغرب الأقصى كانت همّتهم في الحفظ فقط كما أسلفنا، بينما طلبة تلمسان كانت ألسُنُهم فتقةٌ بالمحاورة، والمناظرة، وهذا ما أكّده مُحَّد علي فركوس في تحقيقه لكتاب أبي عبد الله الشريف التلمساني "مفتاح الوصول" حين قال أنّ هذه المناظرات ظهرت جليّا في عهده[2]، وهو مايبرز عمق نظرة الفقيه التلمساني، ورسوخه في العلم، في دولة بني زيّان من جهة، ومن جهة ثانيّة بناء بنية فكرية جديدة تجعل عقل الفقيه يتّسع للمسائل واستنباطاتها، بعدما كان مقلّدا لمن سبقه من الفقهاء، فكان فقهاء تلمسان مميّزين عن غيرهم من جانب الوعي العقلي، الذي به ازدهر العلم وتطور في بلاد المغرب الأوسط.

تجدّدت طرق التّدريس في المغرب الأوسط بفضل الشيخ الآبلي، وانتقد هذا الأخير غياب الدافع الشخصي للدراسة، والمبالغة في الحفظ، والاعتماد المطلق على النصوص التي عُرِف بها المغاربة، وهذا ما جعله يتحفّظ على أساليب علماء عصره، الذين كانوا يعتبرون الطالب وعاء يملؤه الأستاذ بالمعلومات الغزيرة في شتى العلوم[3].

ومنه نستطيع قول أنّ المغرب الأوسط كان يتمتع بطرق تعليميّة خاصة به، على غرار ما كانت عليه عواصم المغارب الأخرى، كفاس، ومكناس، والقيروان، وحتى بالعواصم العلميّة المشرقيّة المعروفة.

رابعا ـ الإجازة العلميّة:

هي عبارة عن شهادة يتحصل عليها الطالب بعد إتمام دراسته، وهذا تتويجا لمجهوداته الدراسيّة، ولها مرادفات في العصر الوسيط كالبرنامج، أو الفهارس[4]. وذكر أبو سعيد بن لبٍّ[1] أنّ الإجازة في الرواية هي

---

[1] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص319.

[2] الشريف التلمساني، مفتاح الوصول، المصدر السابق، ص37.

[3] ناصر الدّين سعيدوني، **دراسات أندلسيّة مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، البصائر للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 2013م، ص104.

[4] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص355.

أصل الدّين والمنهج القويم، فقد روى الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه عزّ وجلّ. وفي هذا قيل[2]:

كتاب الله أفضلُ كـلّ قِيـلِ رواه محمدٌ عــن جبـرئيـــلِ
عن اللّوح المحيطِ بكلّ علمٍ من العلمِ الرّفيعِ عن الجليلِ

والإجازة في الأصل هو ضمان بعلم الطالب، وكفائته، وقدرته على نقل هذا العلم، ولقد بدأت مع علم الحديث، وهو العلم الذي تشدّد فيه المسلمون كثيرا بسبب ماناله من تحريف وتزييف، ومن هنا كانت الإجازة للدلالة على صحة نقل الناقل من المنقول عنه، ثمّ انتقلت بعد ذلك إلى باقي العلوم[3].

وقد ورد عن أبي القاسم سعد الله قوله:«جرت العادة أن لا تكون الإجازة إلا بعد القراءة على الشيخ المجيز وملازمته أياما وشهورا، بل أعواما في بعض الأحيان، ومناظرته في بعض المسائل، وقد يقرأ الطالب على الشيخ بعض مؤلفاته، أو بعض الكتب الأخرى، كصحيح البخاري، أو الكتب السّتة، وبعض التفسير ونحو ذلك»[4].

والظاهر أنّ الإجازة كانت سائدة عهد دولة بني زيّان، فقد أجاز أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الحق اليعفري التلمساني[5] الفقيه أبا عبد الله مُحَمَّد الخشني البجائي[6] حينما طلب منه ذلك[7]، بل امتدت حتى

[1] **ابن لبّ**: هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، التغلبي الغرناطي، ولد سنة 701هـ/1302م، نحوي، من الفقهاء العلماء، انتهت إليه رياسة الفتوى في الأندلس. ولي الخطابة بجامع غرناطة. له كتاب في "الألغاز النّحويّة". توفي 12 من ذي الحجة 782هـ/1381م. ينظر: المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص ص509 ـ 513. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص140.

[2] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ج11، ص15.

[3] مُحَمَّد عبد الحميد عيسى، **تاريخ التعليم في الأندلس**، إشراف لويس سواريث قرنانديث، تقديم عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، مصر، 1982م، ص414.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج2، ص40.

[5] **مُحَمَّد بن عبد الحق**: هو مُحَمَّد بن عبد الحق بن سليمان، أبو عبد الله، الكومي اليعفري، ولد سنة 536هـ/1141م، فقيه مالكي، من أهل تلمسان. ولي بها القضاء مرتين، من كتبه "المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" فقه. توفي بتلمسان سنة 625هـ/1228م. الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص186.

[6] **مُحَمَّد الخشني**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسين الخشني، فقيه مالكي جليل من أهل بجاية، ولد في النصف الأول من القرن السابع الهجري، له روايات، ومقروءات، وكان بارعا في الخط، ولكن لم أقف على سنة الولادة ولا سنة الوفاة. الغبريني، المصدر السابق، ص252.

[7] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص356.

أواخر عهدها متواترة جيلا بعد جيل، فقد أجاز الشيخ أحمد بن أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب العبادي التلمساني[1] بعض تلاميذه عندما ارتحل إلى فاس و مراكش للتدريس[2].

لقد كان الطلاّب يتحملون مشاق الرحلة إلى أماكن بعيدة قصد نيل هذه الإجازة، غير مكتفين بالإجازات التي أخذوها عن فقهاء بلدهم[3]. إنّ الإجازات العلمية تختلف باختلاف مانحيها وباختلاف الحاصلين عليها، فقد تكون إجازة عن كتاب يشهد من خلالها الأستاذ للطالب بدراسة هذا الكتاب وإتقانه، وتعطيه الحق في تدريسه إن أراد[4]، وقد تكون عن موضوع معين فقط، أو عن مادة من المواد[5]، وهي على نوعين: خاصّة وعامّة: فالخاصّة كما أوردنا في الفقرة التي سبقت، والعامّة هي كل ما درسه الطالب من فنون العلم ومعارفه، وقد ذكرها ابن مريم في البستان حينما طلب الفقيه أحمد بن عبد الله المناوي المعروف بابن الحاج (ت 930 هـ/ 1524 م)[6] من شيخه أحمد بن زكري الذي درّسه الأصول والفقه والعربية والبيان إجازة عامّة فقال: « إجازة مطلقة عامّة، وافية بالغرض المقصود تامّة، تحتوي على جميع أنواع العلم وفنونه...»[7].

وهناك نوع آخر من الإجازة تسمّى "إجازة الفتيا" ذكرها القلقشنديّ في صبح الأعشى فقال: « أما الإجازة بالفتيا، فقد جرت العادة أنه إذا تأهّل بعض أهل العلم للفتيا والتّدريس أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرّس، ويكتبَ له بذلك»[8]، كما اشترطوا في صحة الإجازة أن يكون الفرع مطابقا للأصل حتى

---

[1] **أحمد التلمسانيّ**: هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب العبادي، التلمساني، فقيه مالكي من أهل تلمسان، نشأ وتعلّم بها، انتقل إلى فاس سنة 968هـ بسبب فتنة وقعت بينه وبيت الأتراك، ثمّ رجع واستقرّ بمليانة ومات بها سنة 980هـ/1572م. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص65.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص273.

[3] لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص488.

[4] عبد الحميد عيسى، المرجع السابق، ص414.

[5] رزيوي زينب، المرجع السابق، ص138.

[6] **أحمد بن مُحَمَّد المناوي**: هو أحمد بن مُحَمَّد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي أصلا، الورنيدي مولدا، عُرف بابن الحاج، كان ماهراً في المنطق، وعلم البيان والعربيّة، وشاعراً أيضا. توفي سنة 930هـ/1524م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص8.

[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص19.

[8] القلقشندي، المصدر السابق، دار الكتب العلمية، بيروت، ج14، ص364

يكاد أن يكون هو، وأن يكون المُجيزُ عالما بما يُجيز به، ثقة في دينه وروايته، معروفاً بالعلم، وأن يكون المُجاز من أهل العلم، متّسِماً بسمة حتى لا يوضع العلم إلاّ عند أهله[1].

لم تكن الإجازة حكراً على من رحل للاستفادة منها، بل كانت تُمنح حتى بالمراسلة، ويسمّى هذا نوع من الإجازات ب "الإجازة بالمراسلة"، وتكون بين كبار العلماء، صِفَتُها أن يُرسِل العالم الراغب في الإجازة كتابا إلى العالم المُجيز، فيمنحه إيّاها[2]، بل وكانت تمنح للطلبة الذين يُرى فيهم القدرة على التدريس والفتوى، وحتى من قرأ أياما قليلة على شيخ من الشيوخ، وهذا ما أكّده البلوي لـمّا نـزل بجـايـة وبـقـي فيها شهراً يقـرأ على شيـخه أبي عبد الله مُحَّد بـن جعـفـر[3] الذي وصفـه بأنّه «إمـام هدى وعدالة، ووحيد معارف وجلالة»[4]، وأجازه بعد ذلك[5].

كما كان الكثير من الطلبة يتباهون بتحصيلهم للإجازة، ويخبرون على من أُجيزوا، مثال ذلك ما ذكره التنبكتي في ترجمته للشيخ عبد الرحمن الثعالبي فذكر أنّه أجيز بتونس من قِبَلِ شيخيه الأبِيّ[6]، وابن مرزوق الحفيد لـمّا قدِم إلى تونس، وفي مصر من شيخه ولي الدّين العراقي فقال: " وحضرت كثيرًا عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي[7] وأخذت عنه علومًا جمّة، معظمُها علم الحديث،

---

[1] أحمد شلبي، **تاريخ التربية الإسلاميّة**، دار الكشّاف للنّشر والطباعة والتوزيع، د.ط، مصر، 1954م، ص ص250 ـ 251. وينظر أيضا: عبد الحميد عيسى، المرجع السابق، ص415. فيلالي، المرجع السابق، ص356. لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص225.

[2] عبد الحميد عيسى، المرجع السابق، ص416. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج2، ص47.

[3] **مُحَّد بن جعفر**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن جعفرالبجائي، فقيه مالكي، وقاضي بجاية في زمنه، وهو أحد مشايخ خالد بن عيسى البلوي. توفي ببجاية سنة 736هـ/1335م. ينظر: أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع ضمن مجموعة كتب المكتبة الشاملة، دار الغرب الاسلامي، د.ط، بيروت، دس، ص ص5 ـ 6.

[4] أبو البقاء، المصدر السابق، ص6.

[5] ينظر: الملحق رقم– 8–

[6] **الأُبِيُّ**: هو مُحَّد بن خِلْفَةَ بن عمر الوشتاني، الشّهير بالأبِيّ، عالم بالحديث، من أهل تونس. نسبته إلى"آبَة" من قُرَاها، من مصنّفاته "إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم"، يتكون من سبعة أجزاء، توفي بتونس سنة 827هـ/1424م. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص487 وما يليها. الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص115.

[7] **ولي الدّين**: هو الولي أبوزعة أَحْمد بن عبد الرَّحِيم بن الْحُسَيْن الْكرْدِي الأَصْل، القاهري المنشأ، الرازياني يُعرف بِابْن الْعِرَاقِيّ، ولد سنة سنة 762هـ/1361م، ولي قضاء مصر سنة 824هـ، من مؤلفاته " تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل". توفي سنة 826هـ/1423م. السّخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص ص336 ـ 343. وينظر أيضا: أبو الفضل، المصدر السابق، ص ص184 ـ 186 ـ 187.

الحديث، وفتح لي فتحًا عظيمًا وأجازني"[1]. وذكر البلوي أنّه طلب الإجازة من شيخه ابن مرزوق الجدّ فيما قيّده من أسانيده، ومروياته، ومقروءاته، ومسموعاته فأجابه إلى ذلك[2].

وأمّا صفة الإجازة فهي على ضربين: شفوية ومكتوبة، الشّفويّة كأن يقول المُجيزُ للمُجاز خذ هذا الجزء فإنّه من حديثي، وأنا عالم بما فيه من العلم، فحدّث به عني، ويُسمّى هذا الضرب مناولة، أي ناوله إيّاه، وهو أعلى مراتب الإجازة[3]. وأمّا المكتوبة فمثالها ما ذكره السّخاوي يجيزُ كاتب كتابه الضوء اللامع، اللامع، وهو أَبُو فَارس عبد الْعَزِيز بن عمر بن مُحَمَّد بن فَهد الْهَاشِمِي[4] الْمَكِّيّ، الشَّافِعِي فقال: » الْحَمد لله قَرَأَهُ على كَاتبه المستغني بشريف أَوْصَافه عَن تكَرر التَّعْرِيف بِهِ وبأسلافه، زَاده الله تَعَالَى فضلا وأفضالا، وأعاذه من الْمَكْرُوه حَالا ومآلا، ورحم أُصُوله، وَضمّ شَمله بفروعه، وبلّغه فيهم مأموله، وسَمعه بِقِرَاءَة من سلف الْأَعْلَام بِذكرِهِ، بِحَيْثُ لم يكمل لغيره، كَانَ الله لَهُ، وزان بِهِ فِي الْأَحْوَال الْآتِيَة والمستقبلة، وانْتهى فِي أَوَائِل شعْبَان سنة تَارِيخه، وأجزتُ لَهما رِوَايَته عَنى مَعَ سَائِر مروياتي ومؤلفاتي"[5]. وذكر ابن مريم مريم هذا الصفة من الرواية حينما كتب ابن مرزوق الحفيد كتاباً يُجيزُ فيه تلميذه أبا الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني قائلا:« لقد صدق السيد أبو الفرج فيما ذكر من القراءة، والسّماع، والتّفقه، وقد أجزته في ذلك كلّه...»[6].

وذكر الدكتور أحمد شلبي أنّ الإجازة في علم الطّبّ خطرها عظيم، إذ قد تُزهق أرواح الناس بسبب جهل من يعايِنُهُ، ولذلك نجد في عهد مبكر اشتُرِط على من يرغبُ في الاشتغال بمهنة الطّبّ، أن يجتاز امتحاناً، ينال من خلاله شهادة تثبت أحقيّته في عمل الطّبّ، بإضافة إلى تحديد الأمراض التي يمكنه معالجتها[7].

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص259.

[2] أبو جعفر أحمد بن علي البلوي، الوادي، الآشي، **الثَبْتُ**، دراسة وتحقيق عبد الله العَمراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص315.

[3] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص251.

[4] **عبد العزيز بن عمر**: هو أبو فارس وأبو الخير عبد الْعَزِيز بن عمر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي الْخَيْر مُحَمَّد الْعِزّ، ولد بمكّة سنة 850هـ/1447م، ووالده بالقاهرة، كنّاه والده بكنية السّخاوي لأنّه صديقه، رحل إلى مصر سنة 870هـ، وتتلمذ على السّخاوي، وقرأ عليه ألفية الحديث، كان حيّا سنة 886هـ. السّخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص ص224 ـ 245.

[5] نفسه، ج12، ص168. وينظر: وأحمد شلبي، المرجع السابق، ص252.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص204 ـ 206.

[7] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص252.

ومجمل القول أنّ الإجازة العلميّة هي عبارة عن تتويج للطالب، ينال من خلاله المشيخة، أو الأستاذية، يدخل المُجاز بها مصّاف العلماء، والمدرّسين، ومن ثمّ يلِجُ مجال التّدريس، والفتوى، والتأليف. ولكن لا يمنع هذا أن نجد بعض المؤاخذات على مكانة الإجازة في العهد الزّيّاني المتأخر، فقد فقدت بريقها الأصلي، فبعدما كانت بمثابة كفاءة يكافؤ بها الطالب نظير مجهوداته، أصبحت بتقادم العهد لا تعني هذا، فلم يَعُد هناك تحقق لإدراك الأحقيّة لمن يُجازى، فقد كان العلماء لا يمنحون الإجازات لمن قرأ عليهم وأتقن فقط، بل كانوا ينظرون حتى في أخلاقهم وسلوكياتهم، وهذا جانب مهمٌ في منح الإجازة، كما أنها لم تعد بالمصداقيّة المعهودة، بحيث أصبحت تُمنح بالمراسلة، بالإضافة إلى أنها تُعطى في كل علم من العلوم، وهذا أضرّ بالتعليم من حيث المستوى، لأنّ أصحاب هذه الإجازات أصبحوا أساتذة، يتصدرون تعليمَ علومٍ وكتبٍ لم يَدْرُسُوهَا أصلا.

المبحث الثالث: معالم البنية الفكريّة عند فقهاء تلمسان:

كانت بنية الفقيه التلمساني واضحة المعالم، فقد حملت في طياتها بذور نهضة فكرية إصلاحيّة، فكسروا بها الحصار على الفكر الموحدي، الذي مارس ضغطا كبيرا على الفقهاء لاعتناق أفكارهم الجديدة، وإرغامهم مثلا على التخلي عن مذهب الإمام مالك، فبرزت هذه المعالم إيذانا منهم بتطور الحركة العلميّة في عهد بني زيان. **فما هي أبرز هذه المعالم؟ وكيف كانت تأثيراتها على البنية الفكرية؟**

أولا ـ الوحدة المذهبية: بدأت المذاهب الإسلاميّة تعرف طريقها إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الثاني الهجري الثامن عشر الميلادي، والمعروف تاريخيا أنّ المذهب الحنفي والأوزاعي بإضافة إلى المذهب الإباضي لهما أحقيّة السبق في الدخول، وظلت هذه المذاهب مسيطرة عليه، إلى أن بدأ طلاب أمصار

المغرب في الارتحال إلى المدينة المنورة قصد أخذ العلم عن عالمها الإمام مالك، ورجعوا بعدها إلى بلدانهم فنشروا علمه وفقهه بين الناس، وذلك بالتدريس والفتيا، وترسموا مذهبه في التأليف والاستنباط، وأصبحت مدرسة مالك من أقوى المدارس في المغرب والأندلس، وأشدّها تمسكا بآرائه إلى حدّ التعصب، فذاع صيتها بين المراكز العلميّة في العالم الإسلامي[1]، وخاصة تلمسان عاصمة الدولة الزيانيّة.

لما ظهر بنو زيان في مسرح الأحداث السياسيّة ببلاد المغرب الإسلامي، كان المذهب السائد هو المذهب المالكي، فقد أعطى سلاطين الدولة كامل الرعاية له، فأمروا بتدريس كتبه في المؤسسات التعليميّة، وهذا نزولا عند رغبة الفقهاء الذين حاربوا جهود الموحدين في طمسه، فدرّسوا كتاب الموطأ للإمام مالك (ت179هـ/745م)، ومدونة الإمام سحنون (ت240هـ/854م)[2].

يذكر المنوني الذي أرّخ لهذه الفترة أنّ تقليد المذهب الظاهري انتهى بانتهاء دولة الموحدين، وأنّ أهل بلاد المغرب رجعوا إلى الأخذ بمذهب مالك، وبذلك تَجَدَدَ لهذا المذهب اعتباره، ولفقهائه حريتهم المذهبيّة تدريسا، وتأليفا، وفتوى، وقضاء، وتشبتهم بالأصول والفروع المذهبيّة[3]، فكان لهذا الإجراء الذي الذي اتخذه سلاطين بني زيان أثرٌ بالغ في إعادة إحياء المذهب المالكي بتلمسان، حالهم كحال ماصنعه السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني في المغرب الأقصى[4].

لقد أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرسمي في بلاد المغرب الأوسط مع مطلع المنتصف الأول من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي[5]، أي تزامنا مع قيام الدولة الزيانيّة، فكان الفقهاء يعيشون استقرارا مذهبيا مكّنهم بعد ذلك من صناعة حياة فكرية راقية، في ظل توازن بين السلطة السياسية بقيادة السلاطين، وسلطة فكريّة يقودها الفقهاء والعلماء، وبين هذه وتلك تقدمت دراسة الفقه تقدّما ملحوظا، وأعادوا للمجتمع الزيانيّ مذهبه الرسمي، وعملوا على إرساء دعائمه، فلم يجدو

---

[1] عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 1993م، ص ص15- 16.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص376 ـ 377.

[3] المنوني، المرجع السابق، ص293. ينظر: عبد الرحمن يوسف عثمان،" الأثر العقدي والسياسي في انقراض المذهب الفقهي بالغرب الإسلامي والأندلس"، **مجلة الشريعة والقانون**، المجلد السابع، العدد الأول، ماليزيا، ت.ن جوان2019، ص ص109- 123.

[1] المنوني، المرجع السابق، ص153.

[5] عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزيّاني (633-962هـ/1235-1554م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف لخضر عبدلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص ص116-120.

صعبا في فهمه، وتكيفوا مع متطلباته، بإعتبار طبيعة أهل المغرب بصفة عامة في حبّ البساطة، وعدم التعقيد، والمذهب المالكي من خصائصه الفقهية التوافق بين المذاهب[1].

والظاهر أنّ المذاهب الأخرى، لم تكن لها آذان صاغية من قِبل المجتمع الزيّاني، ولا سيما المذهب الشيعي، حيث ذكر ابن خلدون في تعريفه أن مُحَّد الآبلي لقي رئيسا من كربلاء من سلالة الحسين أراد أن ينشر دعوته فلمّا رأى عساكر يوسف بن يعقوب المريني سائرة، غلب عليه اليأس، واعتزم راجعا فصحبه الآبلي إلى الحج[2]. وهذا إن دلّ فإنّما يدل على أنّ المذهب المالكي كان يسري في المجتمع الزيّاني مجرى الدم، وأنّه لا سبيل إلى تغييره، من حيث أنّه مذهب السلاطين والعامّة على حدّ سواء.

ثانيا ـ التقليد:

التقليد في اللغة: مصدر "قلّد" وهو مأخوذ من القلادة، وهي ما يُحيط بالعنق ونحوه، أمّا في الاصطلاح: "هو أن يتّبع الإنسان غيره في حكم شرعيّ من غير اجتهاد في ذلك الحكم ولا دليل"[3].

نهج أهل المغرب الإسلامي طريقة التقليد في مذهب مالك، واقتدوا في ذلك بأهل الأندلس الذين تعصبوا للمذهب حتى ذَمَّه ابن حزم[4]. ذكر صاحب نيل الابتهاج عندما ترجم للإمام عيسى بن مُحَّد بن عبد الله بن الإمام أنّ أهل الأندلس كانوا يَعرضون الآيات والأحاديث على أصول مذهبهم، فإن وافقت رأي مذهبهم أخذو بها، وإلاّ طرحوها وأخذوا بقول صاحبهم[5]. ولعمري إن صحّ هذا فهي معصية عظمى قبل أن تكون تقليدا[6].

---

[1] مُحَّد المامي، المرجع السابق، ص ص448 ـ 489.

[2] ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص35.

[3] ناصر بن عبد الكريم العقل، **التقليد والتبعيّة وأثرهما في كيان الأمة الإسلاميّة**، إشراف مُحَّد عبد الله أبو الفتح البيانوني، جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلاميّة، د.ط، السعودية، 1393هـ، ص ص53 ـ 54. في تعريف التقليد وما يتعلق به ينظر: مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، دمشق، كفر بطنا، 1419هـ– 1999م، ج2، ص239.

[4] **ابن حزم:** هو أبو مُحَّد علي بن أحمد بن سعيد، القرطبي، المكنى بابن حزم، أديب وشاعر وفيلسوف، ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م، نبذ التقليد، توفي سنة 456هـ/1064م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج18، ص184 وما بعدها.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص294.

[6] ينظر فيما يخص أقوال العلماء في النهي عن التقييد: مُحَّد الشوكاني، **القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد**، تحقيق عبد الرحمن عبد الخالق، دار القلم، الطبعة الأولى، الكويت، 1396م، ص ص44 ـ 52.

وعلى ضوء ماذكرنا جاء رأي الونشريسي في المعيار حيث قال: « واعلم أنّ أصل التقليد هي المعصية التي هي كالطبع لهذا النوع لأنّه غلب عليه حبّ الخيال والوهم، وقلّ فيه العقل و الفهم، والمخالفة توجب صرف أكثر مدحه وذمه إلى الجنس»[1].

وعلى الرغم من هذا النص فإنّ الونشريسي لم يخرج في فتواه على مذهب الإمام مالك، واختيار القول القوي دون الضعيف، فهو إذا من المقلّدين الذين لا ينظرون في أدلة المخالف، غير أنّه لم يمنعه هذا من ترجيح بعض الخلافات الفقهيّة التي وردت في المعيار داخل المذهب، وبهذا يمكننا تصنيفه على أنّه مقلّد للمذهب باعتبار أصوله العامّة، ومجتهدٌ داخل المذهب بترجيحاته، وهذا يجعلنا نعرف قدرته كفقيه له القدرة على استنباط الأحكام.

إنّ التقليد كان متأصلا في بلاد المغرب، وهذا ما نُقِل عن أبي الحسن الطنجي[2] حينما جعل أولويات في فتوى المذهب فقال: «قول مالك في المدونة أولى من قول بن القاسم فيها، وقول بن القاسم فيها أولى من قول غيره فيها، لأنّه أعلم بمذهب مالك، فإن لم يوجد فبقول غيره فيها، وهكذا على حسب الرواية والترتيب»[3]. وهذا أكبر دليل في تقليد أهل المغرب للمذهب السائد فيه، حيث لم يخرجوا على المذهب ولو نزل القول في الفتوى، ولو خرج على مذهب المدونة، التي هي المعتمدة في أصول مالك عند أهل المغرب.

وأمّا المقري (الجد) فقد نبذ التقليد ممّا رآه من أهل المغرب فيه، حيث لم يسمع منهم إلاّ ما نقلوه لا ما نبع من أنفسهم[4]، وضرب مثالا عن العزّ بن عبد السلام[5] الذي كان يقول بالرأي، ويُفتي بمذهب

---

[1] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج2، ص483.

[2] **الطنجي**: هو أبو الحسن بن زنباع الصنهاجي أديب طبيب فقيه، تولى القضاء طنجة زمن المرابطين، وهو من أهلها نسبه إليها القلقشندي في صبح الأعشى، عاش في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس، وكان من صدور الرجال في عصره، وتولى رفيع المناصب، وبلغ أعلى المراتب، ويكفي أن يكون من رجال القلائد لمعرفة مكانته الأدبية، وام أقف على سنة الوفاة ولا الميلاد. ينظر: شوقي ضيف، المرجع السابق، ج10، ص 401 وما يليها.

[3] شوقي ضيف، المرجع السابق، ج12، ص ص22 ـ 23.

[4] حول انتقاد التّقليد وشيوعه وسلبياته ينظر: مُحَّد الكتاني،" ابن الخطيب والمذاهب الفكرية في عصره"، **مجلة كلية الآداب**، العدد الثاني، السنة الثانية، جامعة سيدي مُحَّد بن عبد الله، تطوان، المغرب، 1408هـ/1987م، ص44.وينظر: محمود بوعياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1402هـ/1982م، ص57.

[5] **العزّ بن عبد السلام**: هو عزُّ الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز، سلطان العلماء وبائع الأمراء، ولد سنة577هـ/1181م بدمشق بدمشق عهد الناصر صلاح الدين، كان بارعا في الفقه والعربيّة، ثمّ انتقل إلى في عهد قطز أمير المماليك سنة 638هـ، له مصنفات

الشافعيّ حين يُسأل، ويقول للسائل: لم تسألني عن مذهبي؟[1]. وفي هذا القول علامة إلى التقليد في الفتوى وفي نفس الوقت عدم ترك الاجتهاد فيها[2]، وهذا هو أصحُّ المذاهب، خاصة في عصرنا الذي اختلفت فيه الأماكن والأزمان، وهما عنصران مهمّان في إصدار الفتاوى والأحكام.

كان عصر المقريّ (الجد) من أزهى عصور الدولة الزيّانيّة من حيث تطور الحياة الفكرية، إلاّ أنّ التقليد قد غلب عليه، لكثرة النقول والروايات، وطمس الاجتهاد والرأي، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون حيث قال: «وأهل المغرب جميعا مقلّدون لمالك ﷺ»[3].

والحاصل من كل هذا أنّ فقهاء المغرب قلّدوا مذهب مالك، إلاّ في القليل من غيره، لأنّ أهله اختصّوا بمذهبه، ولم تكن رحلتهم إلاّ للحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، وإمامها مالك. وذكر ابن خلدون أنّ البداوة كانت غالبةً على أهل المغرب حالها حال أهل الحجاز، ولم يعيشوا حضارة أهل العراق، وعليه فإنّ المذهب لم يزل غضاًّ عندهم، ولم تُنقّحه الحضارة وتُهذّبه، مثلما حصل مع المذاهب الأخرى[4].

ثالثا ـ الاجتهاد: لا شك أنّ تعريف الاجتهاد في اللغة: هو افتعال من جهد يجهد، إذا تعب، وفي **الإصطلاح:** "درك الوُسع في طلب الحكم بالاعتبار والنظر"[5].

عدّة من تفسير، وفقه، وغيرها، توفي سنة660هـ/1262م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج1، ص314 وما يليها. ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص235 وما يليها.

[1] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج2، ص483.

[2] إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 2هـ/ 51 م**، دار النشر المغربية، الطبعة الثانية، المغرب، د.ت، ج4، ص ص515-519.

[3] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص192

[4] ابن خلدون، ج2، ص ص191 ـ 192.

[5] علي بن عقيل بن مُحَّد بن عقيل البغدادي،**كتاب الجدل (على طريقة الفقهاء)**، نشرته الثقافة الدينية، المركز الاسلامي للطباعة، د.ط، الجيزة، مصر، د.ت، ص15. للتعريف بالاجتهاد ينظر: أبو الوليد مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، **الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفى**، تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي، تصدير: مُحَّد علال سيناصر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى بيروت، لبنان، 1994 م، ص137. وينظر أيضا: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، **الكليّات "معجم في المصطلحات والفروق الغويّة"**، وضع فهارسه عدنان درويش و مُحَّد المضري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ص44.

من هذا المنطلق نُدرك أنّ الاجتهاد هو من ألقاب العلماء، والمراد به على حدّ تعريف القلقشندي له هو: "استنباط الأحكام الشرعيّة من الكتاب، والسنّة، والاجماع، والقياس"[1].

إنّ الاجتهاد في أي علم من العلوم يُمثل مدى تطور هذا العلم أو ضدّه بصفة خاصّة، وبصفة عامّة يمثل مدى سيرورة عقل المجتهد وقوة بنيته الفكرية التي من خلالها يتمّ معرفة الحكم الشرعيّة لأيّ نازلة فقهيةّ.

لقد نهج بعض فقهاء تلمسان منهج الاجتهاد، خاصة في المسائل الفقهيّة التي لم تكن مفصّلة في كتب الفروع، فيرجعون إلى الأصول فيشرحونها شرحا وافيا، ثمّ يرجحون المسألة على ما استنبطوه من الأحكام في لمسألة، وبهذا خالفوا منهج فقهاء المرابطين الذين كانوا يعتمدون على اجتهاد من سبقهم من الفقهاء، ولم يتركوا للعقل حريّته الفكريّة التي تمكِّنُه من التعامل مع المسائل بنصوص الوحي[2]، وكان هذا الاتّجاه مرسوما في أذهان فقهاء تلمسان كأبي موسى عيسى بن الإمام، والشريف التلمساني، والمقري (الجد)، وغيرهم.

وجاء في فتوى المعيار للونشريسي أنّ أبا موسى عيسى بن مُحَّد بن الإمام سَئل هل ابن القاسم مجتهد مطلقا، أم مقلد لمالك ﷺ؟ فأجاب بإجابة من شطرين، شطرها الأول أنّه مقلّد لمالك لا مجتهد مطلقا[3]، وشطرها الثاني أنّه مجتهد في مذهبه، متمكن من الاستنباط على أصوله وقواعده المعتبرة عنده[4].

يتبيّن ممّا جاء أنّ الاجتهاد عند أبي موسى عيسى هو على نوعين: مجتهد بالإطلاق وهو الاجتهاد الذي تبنى عليه الأحكام باعتبار الأدلة التفصيليّة من الكتاب والسنّة، واجماع العلماء...[5] والاجتهاد في

---

[1] القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص26. حول لفظ الاجتهاد ومعناه العام: ينظر: أبو مُحَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق أحمد مُحَّد شاكر، تقديم الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، 1403هـ/1983م، مج8، ص ص133 ـ 141.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص378.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص442 .

[4] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج11، ص ص373 ـ 374.

[5] حول رتبة المجتهد المطلق ينظر: أبو عبد الله مُحَّد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي، **شرح التلقين**، تحقيق سماحة الشيخ محمَّد محمَّد المختار السّلامي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 2008م، مج1، ص ص 94–97. ينظر: عبد السلام العسري، "مراتب المجتهدين في الفقه الإسلامي وخصوصيات المذهب المالكي في تلك المراتب"، **مجلة القرويين**، العدد1، جامعة القرويين، مراكش، المملكة المغربية، 1989م، ص ص151 ـ 158.

المذهب هو ترجيح الراجح من أقوال الائمة والفقهاء[1]. وقد ضرب ابن مريم مثالا على هذا بتلاميذ الإمام مالك كابن القاسم وأشهب والشافعي.

كلّهم قرؤو عليه، وانتفعوا به أتمّ الانتفاع، أمّا الشافعي[2] فكان يُسئل عن المسألة فينظر فيها بالنظر، ويذهب فيها بما أدّاه إليه اجتهاده، فهذا ارتقى إلى درجة الاجتهاد المطلق، وأمّا ابن القاسم عندما يُسئل كان يقول: سمعت مالكا يقول فيها كذا، فإن لم يسمع منه شيئا قال لم أسمع منه شيئا ولكن بلغني عنه كذا...[3].

عمل ابنا الإمام أبو موسى عيسى وأبو زيد عبد الرحمن على تنقيح بعض مسائل الفقه من خلال نصوص الشرع والأخذ بكتب الأصول، دون التعصب لمذهب معيّن، خاصّة وأنّهما كانا مالكيين فقد قال عنهما صاحب البستان نقلا عن المقّري: "وكان أبو زيد وأخوه موسى يذهبان إلى الاجتهاد ويتركان التقليد"[4].

وأمّا المقّري (الجد) الذي يُعتبر من خيرة فقهاء المالكية بتلمسان خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، فقد كان أول من أصّل للفقه المقارن بين فروع المذاهب الأربعة[5]، وله نقاشات فيه واجتهادات مثل المسألة التي وقعت بينه وبين قاضي بيت المقدس، حول من جاوز الميقات من أصحاب المغرب فهل يحرم من ميقات آخر أو يرجع لميقاته؟ فغلبه برجوعه إلى القياس[6]، إذ هو فرع من فروع استنباط الأحكام الشرعيّة كما هو مبيّن في التعريف.

---

[1] حول مسألة المجتهد في المذهب وأمثلة عن ذلك ينظر: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة الطبعة الأولى، المحمدية، المغرب، د.ت، مج1، ص ص50 ـ 58.

[2] **الشافعي**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعيّ، المطَّلِبِيّ، القرشيّ، هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، ولد 150هـ/767م بغزة، له ديوان شعر أيضا، توفي سنة 204هـ/820م. إسماعيل أبو الفداء، **طبقات الشافعيين**، تحقيق أحمد عمر هاشم، ومُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1413هـ/1993م، مقدمة الكتاب، فصل في ذكر مولده ومنشئه وهمته العليّة في حال صغره وصباه.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص179.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص124.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص379.

[6] حول هذه المسألة ينظر: المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص217.

وأورد التنبكتي أنّ المجتهد في نظر الشريف التلمساني على نوعين: الأول: مجتهد مطلق وهو من اطلع على قواعد الشرع، وأحاط بمداركها ووجوه النظر فيها، فهو يبحث عن حكم نازلة بنظره في دلالتها. والثاني: مجتهد في مذهب معين، وهو من اطلع على قواعد إمامه وأحاط بأصوله ومآخذه، وعرف وجوه النظر فيها ونسبته إليها، كالمجتهد المطلق في قواعد الشريعة كابن القاسم وأشهب في المذهب[1]. وقال عنه فيلالي: " يُعدّ من جمهور العلماء الذين اكتملت لهم آلات الاجتهاد"[2]. ولا أدل على ذلك عنوان كتابيه "**مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**" و كتاب "**مثارات الغلط في الأدلة**"[3].

و أمّا سعيد العقباني فقد وصفه القلصادي بأنّه: « المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان»[4]. وقال وقال عنه ابن مريم: « وحصّلَ العلوم حتى وصل درجة الاجتهاد، وله اختيارات خارجة عن المذهب، نازعه في كثير منها الإمام ابن مرزوق الحفيد»[5].

يبدو من خلال كلّ هذا أنّ الاجتهاد خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين بتلمسان لم يتعد حدود المذهب السائد، ولم يكن من السهل على الفقهاء أن يبلغوا درجة الاجتهاد المطلق، والتحرر من أصوله وفروعه، وقد وصف ابن خلدون هذه الحالة بقوله: « ومدَّعي الاجتهاد لهذا العهد مردود منكوص على عقبه، مهجور تقليده»[6].

والحاصل من الحركة الاجتهادية خلال العهد الزيّاني أنّها كادت تكون منعدمة، لِمَا طغى على الحياة العلميّة من نقول وروايات، وحتى هذه الأخيرة شابها الكثير من التلاعب[7]، فلو قارنا عدد الفقهاء المجتهدين بغيرهم من المقلِّدين، لكانت نسبة ضئيلة جدّا، فقد كانت معظم جهود العلماء منصبّة في اجترار العلوم السابقة، سواء أكانت نقولا أم اجتهادات.

رابعا ـ الحسُّ النقدي الجدلي عند بعض فقهاء تلمسان:

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص441 ـ 442. حول تقسيمات الشريف التلمساني لقسمي الاجتهاد ينظر: ابن عاشور محمّد الفاضل، **المحاضرات المغربيات**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدرا التونسية للنشر، د.ط، تونس، 1394هـ/1974م، ص75.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص382.

[3] الشريف التلمساني، مفتاح الوصول، المصدر السابق، ص ص8 ـ 9.

[4] القلصادي، المصدر السابق، ص106.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص147.

[6] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص189.

[7] نفسه، ج2، ص189.

لقد كان الحسُّ النقديّ الجدل عند بعض فقهاء تلمسان بمثابة مناقشات ومراجعات، لا تعدو أن تكون بهذا الوصف فقط، تَصُبُّ في معظمها حول مسائل العقيدة والفقه، من خلال المراسلات والجلسات والمساجلات التي كانت على سبيل المثال بين الشيخ السنوسي والشيخ مُحَمَّد بن عبدالكريم المغيلي، وكانت وجهة نظر هذا الأخير تنبيه السنوسي إلى ضرورة تبسيط مسائل العقيدة، وكان زميلهما بمدرسة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الشيخ أبي عبد الله الزواوي قد كتب رسائل في العقيدة وأرسلها إلى السنوسي كي ينقحها ويُصحِّحها[1].

وكان ابن خميس قد انعزل عن الناس، فزاد ولعه بدراسة المؤلفات والكتب، ومعاينة ما فيها بحس نقديٍّ ومنهجية دقيقة، و بين الفينة والاخرى يجالس الفقهاء لزيادة علم، أو مراجعة مسائل، أو يفيدهم بمستجدات وصل إليها[2]، كما كان فقهاء تلمسان يحرصون كلّ الحرص على تبادل الآراء، وإبداء الرأي، فيم يتمُّ تأليفه من مختلف العلوم، أو إثارة قضايا فقهيّة وفكريّة، وحتى نثريّة وشعريّة[3].

ذكر ابن مريم نصا عندما ترجم لشخصية الشريف التلمساني فقال: «وكان علماء الاندلس أعرف الناس بقدره وأكثرهم تعظيما له، حتى إنّ العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة والتآليف البديعة كلّما ألّف تأليفا بعثه إليه وعرضه عليه، وطلب منه أن يكتب عليه بخطه»[4].

وزاد في هذا أنّ أبا سعيد بنَ لبٍّ شيخ علماء الأندلس كان كلّما أَشكلت عليه مسألة كتبها إليه وطلب منه بيانها وتوضيحها مُقِرًا له بالفضل والعلم[5].

رأى هؤلاء الفقهاء فيما بينهم وإن اختلفت تخصّصاتهم، وجوب مراعاة الفارق العام بين العصور في مسألة طرح القضايا والمسائل، خاصة التي كانت عبارة عن مؤلفات ألّفها أصحابها، وطرحوا فيها أفكارهم، أو بعض الأحكام الشرعيّة تقليدا لغيرهم، واصرارهم على منهج واحد يَصلح لجميع الأزمنة والأمكنة، هذا هو قصور العقل بعينه من حيث بنيّته الفكرية، إذ لا يمكن حصر فكرة واحدة، ثمّ

[1] سعيد عيادي، **موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكريّة في العالمين العربي والاسلامي**، وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلاميّة، د.ط، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص208.

[2] نفسه، ص100.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص412.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص175.

[5] نفسه، ص175.

تعميمها على جميع المراحل، فيفسد المعنى الحقيقيّ من حيث الطرح أولا، وثانيا من حيث التأليف الذي يعتبر بهذه الصورة عمليّة اجترار فقط.

وذكر ابن خلدون مثالا حول هذه المسألة كانت بين ابن أبي حجلة ولسان الدين بن الخطيب، فقد ألّف هذا الاخير كتابا سمّاه "**روضة التعريف بالحب الشريف**"، وهو كتاب قلّ نظيره في كتب التصوّف، تحدث فيه عن المذاهب الصوفيّة، والمحبة الحقيقيّة لله، عارض فيه كتاب ابن أبي حجلة المسمّى "**ديوان الصبابة**" وهو كتاب في العشق، قُدِّم للسلطان كهدية[1].

كما طلب من ابن خلدون في رسالة له أن ينتهج منهجه في التعريف بهذا الحبّ، وختم بقوله: «والسلام الكريم عودا على بدءٍ، ورحمة الله وبركاته، من المحِبِّ المتشوِّق، الذَّاكر الدَّاعي، ابن الخطيب»[2].

والملاحظة من هذا المعْلَم أنّ هذه المناقشات والمراجعات لم تكن في جوهرها، إلاّ ما شذَّ منها، وهذا راجع إلى المستوى العلمي المتقارب بين هؤلاء الفقهاء، بالاضافة إلى نقاشهم العلمي المتأسّس على مناهج وقواعد معرفيّة، وهدفهم من كل هذا هو حفظ العلم والعلماء، وصون العامّة من الانزلاق في مسائل العقيدة، وغيرها[3].

كما أنّ من مظاهر الحسّ النقدي الذي انبرى له فقهاء تلمسان تلك المراجعات في بعض الاصول الاجتهادية في المذهب المالكي كأصل مراعاة الخلاف وهذا لرفع الحرج والمشقّة، ومخالفة المشهور في المذهب وهذا لأجل المصالح العامّة، وخاصّة في ... والعرف[4] إن جاز به الاستدلال كقاعدة "المعروف عُرفا كالمشروط شرطا"، وغيرها من المراجعات التي زادت من أهميّة النقد وأهدافه.

إنّ هذه الفضاءات العلميّة الأخوية بين الفقهاء كانت هادفة ومثمرة، حيث أنّها سبيل لإثبات الحقائق، واعمال العقل من الناحية العقليّة النظريّة، خاصّة في عصر الشيخ السنوسي الذي كان عصرا حيويّا، على الرغم من تزامنه مع الانهيار الحضاري الكامل، وأفول السلطان السياسي للمسلمين في بلاد الأندلس، وتفكك الدول بالمغرب، وكان آخرها دولة بني زيّان[5].

خامسا ـ أهمية الزمن العلمي عند فقها تلمسان:

---

[1] ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص128.

[2] نفسه، ص130.

[3] عيادي، المرجع السابق، ص208.

[4] علي التهانوي، المرجع السابق، ج2، ص1179.

[5] عبادي، المرجع السابق، ص208.

كما هو معلوم أنّ الزمن زمنان، زمن فيزيائي وهو على سبيل المثال تعاقب الليل والنهار، واختلاف فصول السنة، وغير ذلك، وهو زمن لا يتغير أبدا، وزمن اجتماعي متمثل في نبض الانسان وحيويته، ومسايرة الحركة الاجتماعية بمختلف تياراتها وانجذاباتها، والزمن العلمي جزء منه، ويسير الزمن الفيزيائيّ على وِفْقِه[1].

لقد كان الزمن العلمي بالنسبة لفقهاء تلمسان مقدّسا، وقد تسارع على نفس الوتيرة التي بدأ بها، إلاّ في بعض فترات الصراع السياسي، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى عاملين اثنين:

أ ـ البيئة الاجتماعية: كانت البيئة الاجتماعيّة التي نشأ فيها فقهاء تلمسان بيئة مساعدة على طلب العلم وتحصيله، ولا أدلّ على ذلك مساعدة الأسر لأبنائها، لمعرفتهم بضرورة التعلُّم، ولم أجد مثالا خيرا من أمّ الشيخ ابن زكري لـمّا طلب منها شيخه ابن زاغوا أن يشتغل بطلب العلم وتَرِكِ الخياطة وتَكَفَّل بدفع الأجرة التي كان يتحصل عليها في كلّ شهر لأمّه، فأجابته إلى ذلك[2].

ب ـ البيئة العلميّة: وأمّا البيئة العلميّة فيكفينا فيها وصفه القلصادي عند ارتحاله إلى تلمسان فقال: "وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعُبّاد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلِّمين والمعلِّمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجدِّ والاجتهاد فيه مرتقيّة"[3].

إنّ الزمن العلمي لدى الفقيه هو درك الوُسع في طلب العلم وكسب الشرف، وبه يبلغ المعالي، ولقد رأى الشيخ السنوسيّ أنّ أحسن مُقَارَبَةٍ لفهم الزمن العلمي، هو ذلك الانحطاط الحضاري المُرَوِّع، والذي تسبب في مسح معالم المجتمع الاسلامي خاصة في بلاد الأندلس والمغرب، وحاصله عدم الاهتمام بهذا الزمن، إذ أنّ العمليّة تلازميّة بين التّطور الحضاري وافراغ الوُسع في طلبه. وزاد السنوسي أنّ هذا الزمن متعلق بصلاح وفساد الأمّة من حيث سلوكها وأخلاقها، وأورد ما حصل لمهاجري الأندلس من اعتداءات وظلم وسلب ونهب من قِوَى النصارى الذين تغلبوا على بلادهم، فغابت قِيَمُ النخوة والرُّجولة، وغيرها، وأذاقوا إخوانهم غُصَّة الاخوان، بعد غُصَّة المسيحيّين الاسبان[4].

سادسا ـ الموسوعيّة العلميّة:

---

[1] نفسه، ص168.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص39.

[3] القلصادي، المصدر السابق، ص95.

[4] عيادي، المرجع السابق، ص ص169 ـ 170.

من خلال ترجمتنا لبعض فقهاء تلمسان خلال العهد الزيّاني، نجد أنّ أغلبهم كانوا موسوعة علميّة بأتمّ معناها، فقد اجتمعت فيهم ما تفرّق في غيرهم، وهذا ما أكدته تطور الحياة الفكريّة بتلمسان، فأصبحت المدينة مركزا مشعّا، وحاضرة من حواضر العالم الإسلامي.

لقد أصبح الفقيه التلمسانيّ نموذجا يُحتدى به من حيث أنّه فقيه موسوعيّ، والموسوعيّة هذه باعتبارين اثنين: الموسوعيّة في التأليف ـ والموسوعيّة في التخصّص.

امتاز بعض فقهاء تلمسان بكثرة التآليف وتنوع تخصّصاتها، خاصّة في القرنيين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين، وكانت دليلا على فاعليّة النظام التعليمي، في تكوين أجيال من العلماء، كان لهم صدى في جميع الحواضر الإسلاميّة[1]، ولإبراز هذا المَعْلَم لابدّ من إعطاء أوصاف بعض هؤلاء الفقهاء:

لقد وصف ابن مريم الشريف التلمساني بأجمل وصف يُنبِئ على موسوعيته في العلوم حيث قال: « فارس المعقول والمنقول صاحب الفروع والأصول»[2]. وذكر الونشريسي في المعيار أنّ فقيه مصر وافريقية أبا زكرياء يحي بن موسى المهداوي أرسل إليه بعض الاشكالات و الأسئلة في المنطق والفلسفة وعلم الكلام فأجابه عليها[3]. وهذا دليل على تضلعه في العلوم واتساع وُسع عقله فيها، بالإضافة إلى تنوع مؤلفاته رغم قلتها، ففي المنطق "كشرح جمل الخونجي"، وأصول الفقه ككتابه "مفتاح الوصول"[4]، "فانتهت إليه إمامة المالكية في المغرب، وضربت إليه اباط الابل شرقا وغربا، فهو عَلَم علمائها، ورافع لوائها"[5]. كل هذا وغيره يؤكد المستوى العلمي الذي وصل إليه الشريف التلمساني، وموسوعيته العلميّة التي فقات حدود تلمسان الزيّانيّة.

---

[1] حول التآليف التلمسانية ينظر: فؤاد بن أحمد عطاء الله، "مؤلفات علماء تلمسان في علوم القرآن والفقه والعربية دراسة بيبليوغرافية"، **مجلة التراث**، المجلد التاسع، العدد3-32، كلية الشريعة والقانون، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية ت.ن 2019/12/15، ص ص88-110.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص165.

[3] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج12، ص163.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص437.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص166 ـ 167.

ذكر السيوطي والزركلي عندما ترجما لابن أبي حجلة أنّ له أكثر من ثمانين مُؤلَّفاً، كان معظمُها في العلوم النقليّة من فقه، وحديث، وأدب، وغيرها[1].

وكان ابن مرزوق الحفيد بحرا لا ساحل له على حدّ قول يحيي بوعزيز وهذا لكثرة السفرات واللقاءات والجلوس للعلماء والتي سمحت له بالتبحر في العلوم والمعارف، وكاد يتفوق على جدّه ابن مرزوق الحفيد[2]. ولقد وصفه أحمد المقّري في كتابه نفح الطيب وصفا جميلا يدل دلالة واضحة على موسوعيّته في المعارف والعلوم حيث قال: « عالم الدنيا أبو عبد الله مُحَّد بن مرزوق الشهير بالحفيد فهو البحر الإمام المشهور، الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النَّظَار، ...الزاهد العابد ...المجتهد الأبرع، الفقيه الأصولي، المفسر المحدّث، الحافظ المسند، الرَاوِيَة الأستاذ، المقرئ المجود، النحوي اللغوي، البياني العروضي...، وآخر النظار الفحول، شيخ المشايخ، صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة، والأبحاث الغريبة، والفوائد الغزيرة»[3].

أمّا الإمام السنوسيّ الذي كان متخصّصا في العقيدة فقد قال عنه ابن القاضي: «صاحب العقائد التي لم يأت أحد بمثلها من المتأخرين»[4]، كانت له وقفات لافتة ونظريات جديدة في علم المنطق حينما شرح جمل الخونجي، و الايساغوجي[5]، بالاضافة إلى علوم الفقه وعلوم البيان والبديع التي أخذها عن شيخه الإمام مُحَّد بن العباس[6].

كما أثرى مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي الحياة الفكرية الزيّانيّة بكتب في علوم التفسير والفقه والمنطق اليونانيّ الذي كان يؤمن به وخالفه فيه الرحالة المصريّ جلال الدين السيوطي[7]، وجرت بينهما محاورات،

---

[1] السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص572. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص269.

[2] يحيي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص53.

[3] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص420.

[4] ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص142.

[5] ابن القاضي، ج2، ص142. الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج7، ص154.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص238.

[7] **السيوطي**: هو أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي، لُقب بجلال الدين، عالم مصري ولد بالقاهرة في رجب سنة 849هـ/1445م، واسع العلم والمعرفة، متفنن في العلوم والمعارف، له زهاء ستين مصنّفا. توفي في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة911هـ/1505م. ينظر: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، د.ت، ص ص51 ـ 52.

محاورات، ومساجلات، ومراسلات طريفة حتى بالشعر، واعترف السيوطي بغزارة علمه حيث قال في قصيدة بعثها إلى المغيلي يرد عليه فيها كان مطلعها:

حَمِدْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ شُكْرا لِفَضْلِهِ   وأُهْدِي صَلَاةً لِلنَّبِيّ وَأَهْلِـهِ

إلى أن ختمها بقوله:

سَلاَمٌ علَى هَذَا الإمام[1] فَكَمْ لَـهُ   لَدَيّ ثَنَاءٌ واعْتِرَافٌ بفَضْلِهِ[2]

كما كان فرضيا وعدديا أخذهما عن شيخه أبي الحسن القلصادي حينما قَدِم إلى تلمسان[3]، وزاد على كل هذا أنّه كان فلكيّا بشرحه لنظم شيخه الحباك حول الاسطرلاب[4]. وذكر عبد الحق حميش في كتابه سير أعلام تلمسان أنّه كان طبيبا[5].

وحاصل القول في هذا المبحث أنّ تلمسان في العهد الزّيّاني امتازت بازدهار العلوم بشكل لافت للانتباه، ولم يكن هذا التطوّر مقتصرا على المجال الدينيّ، بل تعدّاه إلى جميع العلوم، فكان كثيرٌ من العلماء المذكورين محل تقدير وإعجاب من نظرائهم في العالم الاسلامي، ويرجع ذلك كلّه إلى إبراز المستوى العلمي التي وصلت إليه تلمسان وفقهاؤها، وهذا ناتج عن البنية الفكرية التي اتسعت مداركها بالمعالم الثقافية المتنوعة، وامتزجت بتلاقح العلوم والمعارف التي كانت محلّ الدراسة في العهد الزيّاني.

إنّ الحياة برمتها لا تقوم إلاّ بالعلوم المختلفة، من جهة أخرى لا تقوم هذه العلوم إلاّ بعلماء يقوّمونها، ويضعونها وفق مايستلزم مقتضى الحال من مناهج تعليمية وتكوينيّة بحسب المكان والزمان والتخصّص. والجدير بالذكر أنّ كثيراً من هؤلاء، كانوا ذوي بنية فكرية رسخوا معالمها في طلبتهم الذين كانوا خير خلف لخير سلف، استطاعوا من خلالها توليد إبداع فكريّ ومعرفيّ، ساعدهم في تطوير العلوم وترسيخها وتنويعها، حسب كلِّ تخصّص ومجالاته.

---

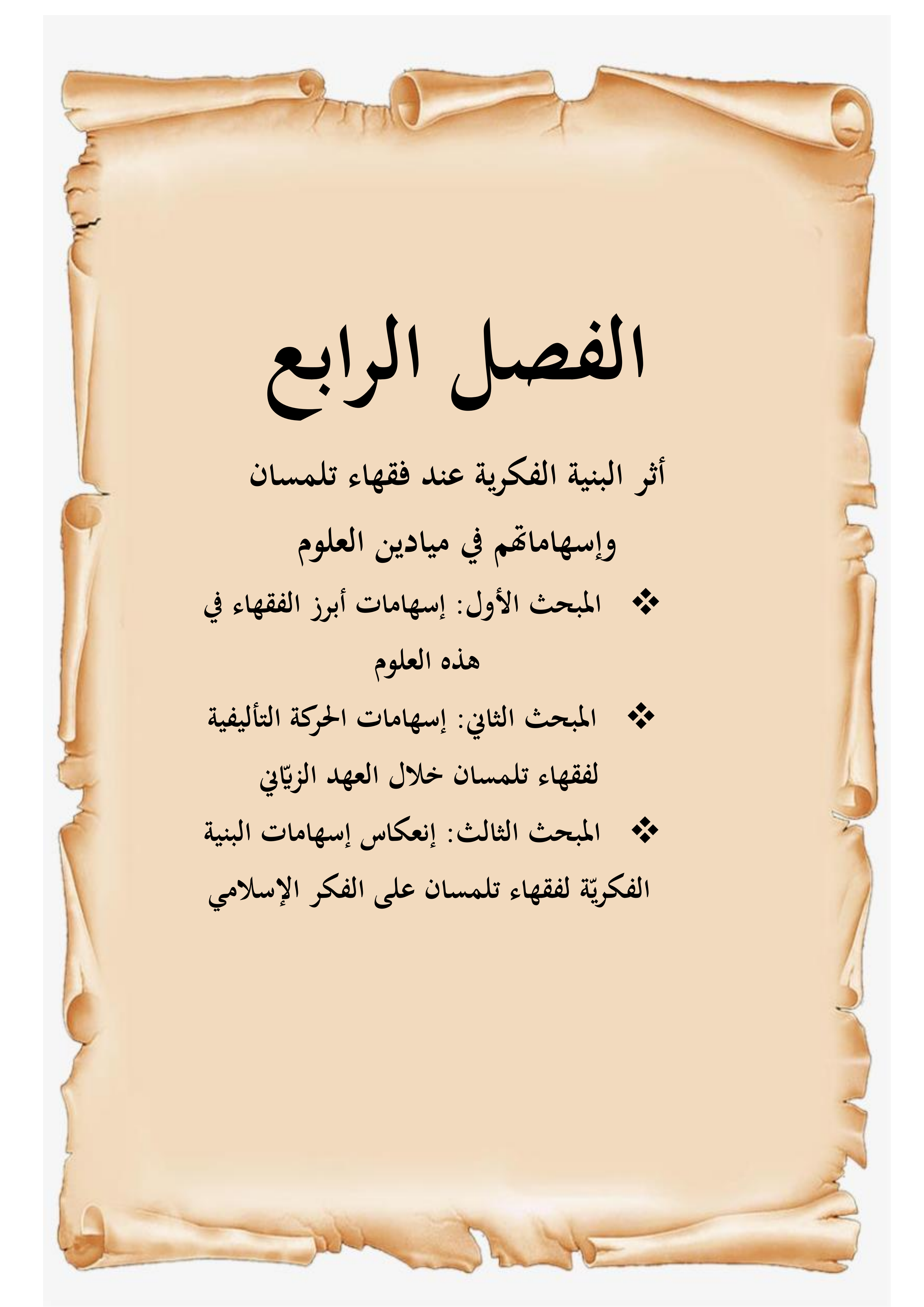
[1] يقصد به الإمام مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص256 ـ 257.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص564

[4] نفسه، ص564. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص177.

[5] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص134. وتعقيبا على هذا الوصف على حدّ علمي و تصفحي في ترجمة الشيخ السنوسي في المصادر والمراجع لم أقف على أحد ممن ترجموا له أنّه قال عنه طبيب والله أعلم.



الفصل الرابع

أثر البنية الفكرية عند فقهاء تلمسان وإسهاماتهم في ميادين العلوم

- ❖ المبحث الأول: إسهامات أبرز الفقهاء في هذه العلوم
- ❖ المبحث الثاني: إسهامات الحركة التأليفية لفقهاء تلمسان خلال العهد الزيّاني
- ❖ المبحث الثالث: إنعكاس إسهامات البنية الفكريّة لفقهاء تلمسان على الفكر الإسلامي

ساهم فقهاء تلمسان مساهمة فعّالة في الحياة الفكرية التلمسانيّة بشكل خاص، والبلاد الإسلاميّة على وجه العموم، فقد كانت المدينة مركز الثقافة والعلم والأدب في ذلك العهد، ولم تقتصر هذه الإسهامات في الإقراء والتدريس فحسب، بل تعدّتها إلى التآليف التي زخرت بها المكتبات في أقطار البلاد الإسلاميّة شرقا ومغربا.

إنّ الباحث في صدى تلمسان وإسهام علمائها في الفكر الإسلامي، يجب عليه أن يستعرض جميع مراحل هذه الدولة، بداية من المؤسس يغمراسن بن زيّان الذي كان قد استقدم العلماء وأحسن إليهم بالعطايا والهبات، مرورا بعهد السلطان أبي حمو الثاني، حيث أصبحت فيه تلمسان قبلةً للعلماء من الأندلس، والمغرب الأقصى، وإفريقيّة، وزاد بريقها في القرن التاسع عندما تدفق عليها جموع الطلبة من الأندلس. وقد ذكر القلصادي حينما ارتحل إلى تلمسان فقال: « ومازلت في ملازمته (أي شيخه علي اللّخمي)[1] أَريشُ وأَبرِي، إلى أن تشوّقت النَّفسُ إلى الخروج من الوطن، وتحرك الخاطر إلى النّقلة والارتحال إلى بَرِّ العدوة، والقصد تلمسان، وذلك لما كنت أسمع من ثناء الشيخ عليها وتشوُّقه إليها»[2]، وصولا إلى القرنين العاشر والحادي عشر حيث كثرت الفتن وتكالب النصارى عليها، إلاّ أنّ ذلك المصباح المشعّ لم يفقد نوره، فقد ظهر فيه العديد من الفقهاء من أمثال المقّري، والونشريسي، وابن مرزوق السبط، ومُحَّد شقرون[3]، وابن الوَقّاد[4] وغيرهم، ممن أثرو الحياة الفكريّة في التلمسان دراسة وتدريساً، وصاروا من روّاد الفكر في العالم الإسلامي.

---

[1] **عليّ اللّخمي**: هو أبو الحسن علي بن موسى بن عبيد الله اللّخمي، الشهير بالقرباقي، فقيه من سطّة، وعالم بأنساب العرب، عارف بالعربيّة وآدابها، أحد شيوخ القلصادي في الأندلس. توفي بالوباء سنة 844هـ/1440م بسطّة. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص333 ـ 334. القلصادي، المصدر السابق، ص ص87 ـ 90.

[2] نفسه، ص89.

[3] **مُحَّد شقرون**: مُحَّد شقرون بن هيبة الوجديجي التلمساني، ولد بحاضرة الزّيّانيّين سنة 908هـ/1503م، عُرِّف بمالك الصغير في وقته، مفتي تلمسان، وعالم في علم الفرائض، والمنطق، والبيان، رحل إلى فاس سنة967 في عهد السلطان السعدي الغالب بالله السعدي فولاّه إفتاء مراكش، له شرح أرجوزة أبي إسحاق التلمساني في الفرائض. توفي سنة 983هـ/1575م. ينظر: التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص599. ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص215.

[4] **ابن الوَقّاد**: هو مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد، الشهير بابن الوَقّاد، قاض من قضاة تلمسان في العهد الأخير، وعالم بالتفسير، والحديث، والشعر، رحل إلى المغرب الأقصى إبّان الاحتلال التركي لتلمسان، توفي بترودانت في السوس سنة 1001هـ/1593م. الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص ص350 ـ 351.

كما وفّرت لنا النصوص التاريخيّة عبارات الثناء والإعجاب الحقيقيّ من قِبَلِ علماء المشارقة والأندلسيين، على نظرائهم التلمسانيّين، فقد كانت تُشكّلُ مَعْلماً صعدوا من خلاله إلى مصاف العلماء، ليس في تلمسان وحسب، بل في جميع القطر الإسلامي، ومن ذلك ثناء العلامة القاضي جلال الدّين القزويني[1] على ابني الإمام فقال: "بمثلهما يفخرُ المغرب"[2].

ومن هنا نستطيع أن نصوغ إشكالات عدّة منها: **فيما تمثلت الإسهامات الفكريّة عند فقهاء تلمسان في العلوم؟ وماهي تداعيّاتها على الفكر الإسلامي؟**

---

[1] **القزويني**: محمّد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، ولد بالموصل سنة 666هـ/1268، قاضي دمشق سنة 724هـ، ثمّ قاضي مصر727هـ، له كتاب "تلخيص المفتاح" في علم البيان. توفي بدمشق سنة 739هـ/1338م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص192.

[2] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص220.

المبحث الأول: إسهامات أبرز الفقهاء في العلوم

بلغت العلوم شأوا عظيما من التقدم والازدهار في عهد بني زيّان، ومن معالم هذا الشأو بروز عدد كبير من الفقهاء، ساهموا مساهمة فعّالة في تطورها وهذا من خلال إنتاجهم الفكري. وسأذكر بعض النماذج في كل علم، وهذا لأنّه لا يسعني إلاّ أن أذكر كلاّ بتخصّصه.

أولا ـ الإسهامات في العلوم الدينيّة:

ساهم أغلب فقهاء تلمسان في مجال العلوم الدينية التي كانت منتشرة بشكل واسع، ومن بين هؤلاء الفقهاء:

1 ـ أبو عبد الله مُحَّد بن العباس العبادي (871هـ/1379م): كانت لأبي عبد الله مساهمة في الحياة الفكرية بتلمسان، وذلك كمثال في علم التفسير، فقد ذكر ابن زكري أنّ شيخه ابن العباس فسر سورة الفتح من مطلع الضحى إلى الزوال[1]، وله عدة فتاوى في الفقه نقلها المازوني، والونشريسي في معياره[2].

2 ـ أحمد بن مُحَّد بن زكري (ت 899 هـ/ 1442 م): من إسهامات ابن زكري في هذه العلوم على سبيل المثال: "**بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب**"[3]، وكتابه "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" وهو حاشيته على تفسير البيضاوي[4]، فقد كانت له انتقادات حول المنهج الاعتزالي، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على القوة الذهنية، والتمحيص الدقيق للفقيه التلمساني، واهتمامه بعلم التفسير[5].

3 ـ ابن مرزوق الخطيب: لقد كانت مساهمة ابن مرزوق مساهمة كبرى، وذلك أنّه ألّف في كثير من الميادين فقد ألف كتابا في علم الحديث سمّاه "**برج الخفاء في شرح الشفاء**"، وهو شرح نفيس لكتاب

---

1 ابن مريم، المصدر السابق، ص40.

2 نفسه، ص223.

3 حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص249.

4 الرزيوي زينب، المرجع السابق، ص198.

5 مُحَّد الدراجي، "من إعلام المفسرين التلمسانيين في الماضي والحاضر"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3 ـ 4، أفريل ـ ماي، 2011م، ص39.

الشفا للقاضي عياض، لكنّه لم يكمله[1]، وألف بما يزيد عن ستة وعشرين مصنفا في علوم الدين عامّـة[2]،

و"**شرح الأحكام الصغرى**" لعبد الحق الإشبيلي[3].

4 ـ محمَّد بن يوسف السنوسي: قدّم نتاجا فكريا ساهم من خلاله في تطوير الحركة الفكرية بتلمسان، وبجميع أنحاء بلاد المغرب والمشرق على حدّ سواء، مثال ذلك: ما ألّفه في العقيدة كتابه "**عقيدة التوحيد**" تكلم فيها حول العقيدة الأشعرية.[4]

5 ـ سعيد العقباني: أمّا في الفقه فكانت للشيخ إسهامات، أصبحت مصادر ومراجع للطلاب والدارسين[5]، منها: "**شرح على أصول بن الحاجب**"، و"**شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين**"[6].

و ـ أحمد بن زاغو: قال عنه القلصادي أحسن الناس في التفسير، وقد قرأت عليه جملة من مؤلفاته منها: "**التذييل في ختم التفسير**"، و" **منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح**"، و"**شرح التلخيص**"[7].

5 ـ ابن مرزوق الحفيد: عُرف بإسهاماته الكثيرة وخاصّة في علم الفقه منها: "**روضة الأريب في شرح التهذيب**"، و"**المنزع النبيل في شرح مختصر خليل**"[8].

6 ـ محمَّد بن أحمد العقباني: هو محمَّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني، أحد كبار المالكية، رحل إلى المشرق، ثمّ حجّ وعاد إلى تلمسان، فوُلّي قضاء الجماعة فيها، له كتاب في الحسبة سمّاه "تحفة النّاظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"[9]، وألّفه بعد شيوع المناكر والبدع، ورغبة من السلطان

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص455..

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص449.

[3] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص45..

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص246.

[5] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص448.

[6] التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص217. ابن مريم، المصدر السابق، ص106.

[7] القلصادي، المصدر السابق، ص103. ينظر: عبد الوهاب كنزي،" الإنتاج العلمي عند سعيد العقباني التلمساني (ت1409م)"، **مجلة مجلة أفاق فكرية**، المجلد الخامس، العدد العاشر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، ت.ن 2019/05/29م، ص ص81- 94.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص205.

[9] البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص201.

الزيّاني مُحَّد الثالث المتوكل على الله (866 ـ 873هـ/1462 ـ 1468)[1]، وهو مقسّم إلى ثمانيّة أبواب، بدأ في الباب الأول بمشروعيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وختم بتعريف مصطلح الحسبة[2]، وهو من أحسن ما أُلِّف في الحسبة خلال العهد الزيّاني، فهو يعكس الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري الخامش عشر الميلادي[3].

والحاصل من إسهامات تلمسان في مجال العلوم الدينيّة لا يُعد ولا يحصى، ودلالة هذا، هو العزم الحقيقيّ في نشرها وتطويرها في تلمسان، وعبر مختلف مراكز الفكر في المغرب الاسلامي.

ثانيا ـ الإسهامات في العلوم العقليّة:

1 ـ إبن البناء: كانت له مصنفات كثيرة في علم الحساب، وعلى سبيل المثال: "**تلخيص أعمال الحساب**"، تناول فيه المسائل العددية من صحيحها، ومكسورها، وغير ذلك[4]، و كتاب "**رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب**"، وهو كتاب استدرك فيه ماكان مبهما من كتابه تلخيص الأعمال[5].

2 ـ مُحَّد بن أحمد (الشهير بالحباك): له إسهامات في علم الاسطرلاب ومنه أرجوزته المسمّاة " **بغية الطلاّب في علم الاسطرلاب**"، و "**شرح تلخيص ابن البنّاء**"، و"**رسالة الصفاري في الاسطرلاب**"[6].

3 ـ سعيد العقباني: له العديد من الإسهامات في الحياة الفكرية الزّيّانيّة مثل: "**شرح الحوفي**" في الفرائض، وشرح كتاب "**تلخيص الأعمال**" لابن البناء وعنوانه "**تلخيص في علم الحساب**"، وشرح لقصيدة "**ابن الياسمين في الجبر والمقابلة**"[7].

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص255.

[2] عبد الحميد حاجيات، "دور وظيفة الحسبة بالمغرب الأوسط في عهد بني زيّان" من خلال كتاب تحفة الناظر لأبي عبد الله مُحَّد العقباني المتوفى سنة 871هـ/1467م، **مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية**، المجلد الأول، العدد الثاني، جامعة أبي بكر بلقايد، ت.ن 2015/01/01/، ص ص11- 13.

[3] نصر الدّين بن داود، المرجع السابق، ص ص242 ـ 243.

[4] المنوني، المرجع السابق، ص331.

[5] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص470.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص219 ـ 220.

[7] ابن فرحون، المصدر السابق، ص394. ابن مريم، المصدر السابق، ص106.

4 ـ القلصادي: ترك القلصادي مصنفات متنوعة من منقول ومعقول، ساهمت بشكل كبير في ازدهار الحركة الفكرية بتلمسان، ومن معقولها على سبيل المثال: "**كشف الجلباب عن علم الحساب**"، و"**شرح الأرجوزة الياسمينية**"[1]، و"**شرح الإيساغوجي**" وكتابه "**قانون الحساب**"[2]، ومختصره المسمّى ب" **انكشاف الجلباب عن قانون الحساب**"[3].

5 ـ الشريف التلمساني: ذكر ابن مريم أنّه ألّف "**شرح جمل الخونجي**" وقال عنه: " من أجل كتب الفن، انتفع بع العلماء، وانكبوا عليه قراءة ونسخا"، وقال عن الشريف هو إمام في العلوم العقليّة[4].

ثالثا ـ الإسهامات في العلوم اللسانيّة:

1 ـ المقري الجد: كان للمقّري الجد شرح كبير في اللغة والنحو سمّاه "**لغة القصائد المغربي الخطيب**"[5]. **الخطيب**"[5]. وذكرت زينب الرزيوي أنّه كان يُدرّسُ بعض مختصرات اللغة والأدب مثل"فصيح الثعلب" في علم اللغة جُعلت للطلاّب[6].

2 ـ ابن مرزوق الحفيد: له العديد من مؤلفات اللغة والبيان والنحو، منها: شروحه الثلاثة على البردة، الأكبر المسمى "إظهار صدق المودة في شرح البردة" استوفي فيه غاية الاستيفاء ضمنه سبعة فنون في كل بيت، والأوسط والأصغر المسمى "بالاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب"[7]، بالإضافة إلى شرح ألفية ألفية بن مالك في النحو[8].

3 ـ مُحَّد السنوسي:: له مساهمة في العلوم اللسانيّة تمثلت على سبيل المثال في: "**الدر المنظوم**"، وهو كتاب في النحو شرح فيه متن الجروميّة أو الأجرومية لصاحبها ابن آجروم الفاسي[9].

---

[1] القلصادي، المصدر السابق، ص40 ـ 41. من مقدمة المحقق.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص142.

[3] القلصادي، المصدر السابق، ص41.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

[5] أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد المقّري التلمسانيّ، "**عمل من طبّ لمن حبّ**"، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص18.

[6] زينب الرزيوي، المرجع السابق، ص240.

[7] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص506.

[8] القلصادي، المصدر السابق، ص97.

[9] ابن مريم، المصدر السابق، ص247.

4 ـ **عبد الرحمان الثعالبي**: له إسهام كبير في إعراب القرآن مثل: كتابه "**تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن**"، " **والذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز**"[1].

5 ـ **محمّد المغيلي**: لقد كان للشيخ عدّة مؤلفات في العلوم اللسانيّة منها: "**شرح التبيان في علم البيان**"، وهو كتاب في تقريب قواعد اللغة للمبتدئين، ويسمى أيضا "مقدمة في العربيّة"[2].

رابعا ـ الإسهامات في العلوم الإجتماعيّة:

1 ـ **يحيى بن خلدون**: ألّف يحي كتابا يعتبر مصدرا من المصادر المهمّة في تاريخ الدولة الزيّانيّة والذي سمّاه "**بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**"، وألّفه بأمر من السلطان أبي حمو الثاني لغرض تخليد أمجاد ملوك الدولة العبد الوادية[3].

2 ـ **ابن مرزوق الخطيب**: ألّف كتابا في التاريخ عنونه ب " **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن**"، وقد بدأ في تأليفه عندما رجع من تونس إلى المغرب، وأراد أن يرضي به السلطان المريني أبا فارس، بعد أن سخط عليه، وذكر فيه مآثر أبيه أبي الحسن، ومن جهة أخرى تذكيره بالمكانة التي كان يحظى بها عند أبيه[4].

3 ـ **أبو عبد الله التنسي**: كانت للتنسي مساهمات في ميدان الاجتماعيات مثل: كتابه المسمّى ب" **نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيّان**"، وهو كتاب مقسم إلى قسمين: الأول مخصص لحياة التنسي وآثاره، والثاني في بيان شرف ملوك بني زيّان ومآثرهم، وقد كان سببُ تأليف هذا الكتاب هو ردّ بعض النِّعم التي أولاها السلطان محمّد المتوكل للتنسي حيث قال: " واستعملت في ذلك ما رجوتُ أن يكون نافقا من بضاعتي... عسى أن أقوم ببعض واجب حقّه عليّ"[5].

---

[1] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص ص259 ـ 260.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص256. إدريس بن خويا و فاطمة برماتي، "الشيخ سيدي بن عبد الكريم المغيلي من المهد إلى اللحد" **مجلة الذاكرة**، العدد السابع، قسم اللغة والأدب العربي، مخبر التراث اللغوي والأدبي للجنوب الجزائري، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، ماي، 2016م، ص ص9 ـ 26.

[3] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص53.

[4] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص58. ينظر: R. BLACHEE .- Quelques détals sur la vie privié du sulta mérinideAbu-l'Hassan , « Mémorial Henri Basset », Paris,1928 ,t. 1,83-89.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص35.

4 ـ أبو حمو موسى الثاني: له كتاب في السياسة والحكم سمّاه ب" **واسطة السلوك في سياسة الملوك"** قال عنه: " فرأينا أولى ما نُتحفُ به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة إن شاء الله تعالى من بعدنا، وصايا حُكميّة، وسياسة عمليّة وعلميّة، ممّا تَختَصّ به الملوك، وتنتظم بها أمورهم انتظام السلوك، ولذلك سميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في سياسة الملوك"[1].

بالإضافة إلى العديد من مؤلفات العلوم الإجتماعية مثل: كتابي ابن الصعد: " **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**"، و"**روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين**"، وهذا الأخير مخصّص في ذكر الأولياء الأربعة سيدي الهواري[2]، وابراهيم التازي، والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن[3]، وكتب الوفيات مثل "**وفيات الونشريسي**" الذي تناول فيه رجال الفقه، والحديث، والتفسير، وغيرهم، في المغرب والأندلس[4].

خامسا ـ الإسهامات في العلوم الطبيعية:

1 ـ أبو عبد مُحَّد التلاليسي: كان جرّاحا بارعا، فقد أجرى عملية جراحية للسلطان المريني أبي يعقوب، عندما أخاط له جرحا في بطنه، واتخذه السلطان أبو حمو موسى الثاني طبيبا للبلاط في عهده[5].

عهده[5].

2 ـ مُحَّد بن علي بن فشوش: كان طبيبا بتلمسان، ودرس عليه الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل، وأجازه في كثير من علوم الطبّ والصيدلة[6].

3 ـ مُحَّد السنوسي: كانت للشيخ السنوسي مشاركات في علوم الطبّ والصيدلة منها: "**شرح رجزا بن سينا في الطبّ**" ولكنّه لم يتمكن من إتمامه[7]، وكتابه الذي سمّاه ب"**شرح حديث المعدة بيت الداء**

---

[1] أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص3.

[2] حول تاريخ سيدي أبي مدين ينظر: عبد الحميد حاجيات، "سيدي مُحَّد الهواري شخصيته و تصوفه"، **مجلة الثقافة**، العدد88، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، جويلية ـ أوت، 1405ه/1985م، ص86.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص251 ـ 252.

[4] الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، من مقدمة المحقق، ص2.

[5] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص248 ـ 249.

[6] نفسه، ص249.

[7] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص572.

والحميّة رأس الدواء"[1]، وله كتاب "**مجريات في الطب**"، و" مقدمات الفوائد" يتكون من 144 ورقة في الطب[2].

ويبدو مما استعرضته من علوم، ومساهمة أصحابها الذين برعوا فيها، أنّ فقهاء تلمسان كان لهم دور هام في ازدهار العلوم المتداولة في تلمسان إبّان العهد الزيّاني، ذلك من خلال مصنفاتهم التي تنوعت في شتى المجالات كمّا وكيفا، لا سيما في العلوم الدينيّة، حيث نالت القسط الوافر من هذه التأليف. وهذه بعض الإحصائيات الحركة التأليفية إعتبارا بالجدول أدناه:

1 سعدي شخوم، المقال السابق، ص518.

2 فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص250.

المبحث الثاني: إسهامات الحركة التأليفية لفقهاء تلمسان خلال العهد الزيّاني:

إنّ المتتبع لحركة التأليف في العهد الزيّاني، يرى أنّها كانت نتاجا لتطور الحركة العلميّة آنذاك، فقد أسهمت بصورة مشعّة تدل على أنّها كانت نشطة في وتيرتها، ومتنوعة في تخصصاتها، ما بين مختصرات، وشروح، وإبداعات، وحواشي وتعاليق، وغيرها، وانقسمت هي بدورها إلى ما هو قويّ، فدل ذلك على عصر القوّة والازدهار في الحركة، وإلى ما هو ضعيف فعكس ذلك كان.

ولقد اعتبر ابن خلدون أنّ كثرة التأليف في العلوم تضرّ بتحصيلها[1]، ذلك أنّها تتعد في طرقها، وتختلف في مصطلحاتها، فيستلزم من المتعلم حفظ جميع هذه المؤلفات، وهو مالا يكمن تحصيله ولو أفنى عمره فيها[2]. وقد قَسَّمتُ هذه الدراسة إلى ثلاث مراحل: مرحلة النشوء، بعدها مرحلة التطور، ثم مرحلة الانحطاط، وقد انبنى حكمي على هذا التقسيم لاعتبارات عدّة منها: العدد (الكثرة والقلّة)، والتخصص، ونوعيّة التخصص (شروح، مختصرات، حواشي، والشيوع،...)، وغيرها.

ومنه الإشكالات التي تُطرح هي كالآتي: **ماهي أهم مراحل الحركة التأليفية؟ وكيف استطاع فقهاء تلمسان توظيف بنيتهم الفكرية من خلالها؟**

أولا ـ مرحلة النشوء (من النصف الثاني من القرن 7هـ/ إلى نهاية النصف الأول من القرن 8هـ):

1 ـ حالة التأليف:

كانت هذه المرحلة بمثابة بداية الحركة التأليفية لفقهاء تلمسان، حيث كانت فيها التأليف مشوبة بالضعف بسبب أنّها اعتمدت على النقل وكثرت التصحيف، فصار يُنقل من كتب المسخوطين مثل ما يُنقل من كتب المرضيّين، وترك فيها اعتبار السند، والتمحيص، وما إلى ذلك، وما زادها علّة انقطاع سندها[3]. والحاصل من وصف حالة التأليف في هذه المرحلة، هي تلك المؤلفات التي اعترتها النقول والغموض من حيث نقل المقول وغير المقول من أقوال العلماء، وفي هذا الصدد ذكر صاحب البستان نقلا عن المقّري الجد واصفا حالة التأليف في عصره قائلا: " ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، وقد نبّه عبد الحق في تعقيب التّهذيب على ما يَمنع من ذلك لو كان من يسمع، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع، ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف،

[1] حول تصنيف العلوم عند ابن خلدون ينظر: الملحق رقم–11–

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص344. ينظر: الملحق رقم –10–

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص479

وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تُنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها، لعدم تصحيحها، وقلة الكشف عنها. ولقد كان أهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسن اللّخمي لكونه لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه، وأكثر ما يُعتمد اليوم ما كان من هذا النمط"[1]. ووصف هذه التأليفات على حدّ قوله بنقول الجهلة وتقييداتهم، بل بمسوَّدات المسوخ[2].

وكان أبو عبد الله بن عرفة يصِّف هذه المرحلة وينصح المؤلفين بأنّ التأليف المفيدة هي التي تشتمل على فائدة زائدة، وإلاّ فذلك تضييع للوقت، وإلهاء الطالب على التحصيل، ونعني بالفائدة الزائدة على ما في الكتب السابقة عليه، وأما إذا لم يشتمل التأليف إلاّ على نَقْلَ ما في الكتب المتقدمة، فلا نفع منه، وأضاف حتى في الحلقات العلميّة إذا لم يزد الشيخ من عنده فائدة للطلبة فهذا دليل على أنّه لم يمتلك القدرة على فهم ما في هذه الكتب[3]، وذكر المقّري أنّ الفائدة من التأليف تكون لأغراض سبعة نظمها أحدهم في قوله[4]:

ألا فاعلمن أنَّ التأليف سبعــةٌ   لكلِّ لبيبٍ في النّصيحةِ خالصِ

فشرحٌ لإغلاقٍ وتصحيحُ مخطئٍ   وإبداعُ حَبرٍ مُقدَّمٍ غيرُ ناكــصِ

وترتيــبُ منثــور وجمــعُ مفــرّقٍ   وتقصيرُ تطــويلٍ وتتميمُ ناقصِ

وأمّا مقاصد التي ينبغي اعتمادها في التأليف عند ابن خلدون فهي أربعة: استنباط العلم بموضوعه، وتقويم أبواب وفروع هذا العلم، ثمّ مراقبة مسائله وتَتَبُّعِها، وأخيرا تمحيص مسائل ومباحث العلم المراد الكتابة فيه لإيصالها بحلّة يسهل استيعابها[5].

وقد ذاع صيت التأليفات النقليّة بفروعها في هذه الفترة وإن كانت قليلة، بالإضافة إلى الشروح والمختصرات على حسب بعض الدراسات، حيث ذكرت أنّ مؤلفات العلوم النقليّة كانت منتشرة،

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص217.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص415.

[3] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص ص33 ـ 34.

[4] نفسه، ج3، ص35.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص ص341 ـ 342.

خاصة من شروح ومختصرات فقد أُحصيت بعشرة من الكتب، مقارنة بالإبداعية التي وصلت إلى ثمانية مؤلفات، ولم يكن نصيب العلوم العقليّة إلاّ مؤلّفا واحد، وكان تأليفه في المنتصف الأول من القرن 8هـ[1].

ومع هذا تبقى هذه الإحصائية نسبية، لأنّه لا يمكن إحصاء جميع المؤلفات، بسبب العوامل السياسية، كالحروب والفتن التي قامت في تلك الحقبة، من أمثال الصراع المريني الزيّاني، أو الدينيّة، وتتمثل في الحقد والتعصب لطائفة دون أخرى، والأعجب من كلّ هذا أنّك تجد عالما يحرق كتبه أو يدفنها، مثل ما فعل الأديب والفيلسوف أبو حيان التوحيدي[2] بحجة أنّه لم ينل الاحترام والتقدير الذين كان يرجوهما.

2 ـ نماذج من مؤلفي هذه المرحلة: شارك عدد من فقهاء تلمسان في الحركة التأليفية في هذه المرحلة، بيد أنّ تآليفهم لم تكن بتلك الموسوعة العلميّة من حيث العدد ولا الجودة، ولكنها كانت بمثابة حجر الأساس للحركة التأليفية في العهد الزيّاني من هؤلاء الفقهاء على سبيل المثال:

أ ـ أبو إسحاق التنسي (ت670هـ/1272م):

هو ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام، المكنى أبو اسحاق، التنسي، المطماطي، عالم مالكي، من أهل تنس، استقدمه السلطان يغمراسن إلى تلمسان، وقد انتهت اليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب، ارتحل إلى تونس ودرَسَ على جماعة، وبعدها إلى المشرق فزار مصر والشام والحجاز، وأخذ على الشمس الأصبهاني، والقرافي، ومجموعة من كبار الفقهاء، ثم عاد واستقر بتلمسان ودرّس بها، وكان من تلاميذه أبو عبد الله بن الحاج صاحب المدخل[3].

وتشير بعض الدراسات أنّ أبا إسحاق التنسي كان من الأوائل الذين انبروا إلى التأليف في هذه المرحلة، إذ كتب العديد من الكتب منها، "**شرح تلقين عبد الوهاب**" متكوِّنٌ من عشرة أسفار ضاع في حصار تلمسان[4]، ولم يُعرف له تأليفٌ غيره، فكان المجموع مصنّفا واحدا[5].

---

[1] عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص305.

[2] **أبو حيان التوحيدي:** هو أبو حيان علي بن مُحَّد بن العباس، البغدادي، أديب وفيلسوف عربي، ولد سنة 310هـ/922م ببغداد، له مصنفات عديدة منها كتابه "**البصائر و الدخائر**". توفي سنة 414هـ/1023م. ينظر: الذهبي، السير، المصدر السابق، مج17، ص ص119 ـ 120.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص38 ـ 39. الحفناوي، ج2، المرجع السابق، ص ص15 ـ 16.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص67.

[5] نفسه، ص67. ينظر أيضا: الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص15.

ب ـ إبراهيم بن أبي بكر التلمساني: ذكر ابن فرحون أنّ ابراهيم بن أبي بكر ألّف منظومة في علم الفرائض قبل أن يتجاوز عمره عشرين سنة وقال عنها: " لم يؤلَّف في فنّها مثلها"[1]، بالإضافة إلى بعض الشعر[2]، كما له أكثر من عشرة مصنّفات في العلوم النقليّة متنوعة بين الإبداع، وأخرى في الشروح والمختصرات[3].

ج ـ مُحَّد ابن خميس (650 ـ 708هـ/1251 ـ 1309م): هو أبو عبد الله مُحَّد بن عمر بن مُحَّد الحجري، الرعينيّ، التلمساني، المعروف بابن خميس: شاعر، عالم بالعربية والأصلين، من أعيان تلمسان، ولاّه السلطان أبو سعيد يغمراسن ديوان الإنشاء وأمانة سرّه، دخل إلى الأندلس سنة 703هـ وتصدّر للإقراء فيها، فذاع صيته، وأصبح من جلساء الوزير أبي عبد الله بن الحكيم، قال عنه المقّري في أزهار الرياض: " كان رحمه الله من فحول الشعراء، وأعلام البلغاء"[4]، مات مقتولا سنة 708هـ بغرناطة وهو ابن نيّف وستين سنة[5].

كان ابن خميس مساهما في الحركة التأليفية في مرحلة النشوء، حيث كان له "ديوان شعر" جمعه بعد موته أبو عبد الله بن ابراهيم الحضرمي وسمّاه " **الدرّ النفيس من شعر ابن خميس**"، بالإضافة إلى كونه مشاركا في العقليات[6]، ولكن الدراسات قد تحدثت أنّ له مؤلفا واحدا في العلوم النقليّة في مجال الإبداع وبالضبط في البيان والبلاغة[7].

د ـ عبد الرحمن بن الإمام: (ت743هـ/1342م): هو أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَّد بن عبد الله، يلقب بابن الإمام، من برشك، أحد أبرز علماء عصره، وصفه صاحب الديباج بقوله: "شيخ المالكية بتلمسان"[8] ارتحل إلى تونس فأخذ عن علمائها، و عاد إلى مدينة الجزائر، ثمّ مليانة، فتلمسان، وابتنى

---

[1] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص275.

[2] حفناوي، المرجع السابق، ج1، ص10.

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص275. وينظر: البغدادي، هدية العارفين، المرجع السابق، ج1، ص13. عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص187. عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص297.

[4] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص302.

[5] ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص ص27 ـ 32. الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص314. مُحَّد مرتاض، المرجع السابق، ص39 وما بعدها.

[6] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص136.

[7] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5،ص 357 ـ 361. ينظر: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص ص301 ـ 302.

[8] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص245.

لهما السلطان مدرسة سماها باسمهما[1]، ولمّا سقطت تلمسان في يد أبي الحسن المريني سنة 737هـ أكرمه السلطان غاية الإكرام، بعدها ارتحل إلى المشرق، حيث اجتمع بكبار علمائها كالشيخ القونوي، ثمّ عاد إلى تلمسان، وتوفي بها، ونُقل إلى برشك حيث دفن هناك[2].

كان أبو زيد متفرغا للعلم دراسة وتدريسا، وهذا يدل عليه قلّة تآليفه، وقد ذكرت المصادر مصنّفا واحد في العلوم النقليّة متمثلا في شرحه المختصر الفرعي لابن الحاجب المسمّى "جامع الأمهات"[3].

لقد كانت مرحلة الضعف هي اللبنة التي أدت إلى ظهور الإسهام الحقيقي في مجال التأليف لدى فقهاء تلمسان، وذلك باستدراك الأخطاء التي كانت قد ملئت بها التصانيف، بالإضافة إلى ظهور المؤلفات الابداعية التي ساهمت مساهمة فعّالة في الفكر بجميع ميادينه.

ثانيا ـ مرحلة التطور (النصف الثاني من القرن8هـ/ إلى نهاية المنتصف الثاني من القرن9هـ):

بعد نهاية المرحلة الأولى من حركة التأليف في العهد الزيّاني، دخلت مرحلةٌ أخرى هي أكثر جديّةً إن صحّ التعبير، في روعة المصنّفات، وتنويعها، وكمّيتها، وهذا ناتج عن تطور الحركة العلميّة، والنشاط العلمي المطرد الذي عرفته حاضرة الزيّانيّين، بسبب توافد العديد من العلماء والطلبة، كما كانت هذه المرحلة هي ذروة الإسهام الفكري لفقهاء تلمسان، خاصّة في مجال التأليف بجميع تخصصاته حيث ساهم في نشاط حركة التأليف عاملان أساسيان هما:

1 ـ النزعة النقدية للحركة التأليفية عند فقهاء تلمسان:

كان فقهاء تلمسان في بداية الحركة يعيبون منهجية التأليف من خلال ما تُقدِّمه من إنتاج، وهذا لظهور بعض النقائص التي تُخلّ به، حيث وصفوه بمرحلة اللاوعي، واعتمدوا فيها الشروح والاختصار وهذا الأخير يصعب على المتعلم إدراكه، لما فيها من الألفاظ العويصة الصعبة الفهم "فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكُنها"[4].

وذكر صاحب المعيار أنّ حركة التأليف في المائة السابعة هي عملية اجترار لمن سبقهم من المصَّنِفِين ومؤلفاتهم حينما قال: " ثمّ كان أهل هذه المائة (أي السابعة) عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات،

[1] ينظر: العنصر الخاص بمدرسة ابني الإمام، ص ص79 ـ 80.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص245-247. ينظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص486. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص330.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص247 ـ 248. ينظر أيضا: ابن مريم، المصدر السابق، ص126.

[4] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص346.

وشقّ الشروح والأصول الكبار، فاقتصروا على حفظ ما قلّ لفظه ونزر حظه، وأفنوا أعمارهم في حلّ لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى ردّ ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح". وأضاف أنّ كثرة التآليف من البدع المحدثة التي أحدثها المنتسبون للعلم في العهد الزيّاني خلال هذه المائة[1].

كما جاء في نفح الطيب أنّ أبا عبد الله المقّري (الجد) قال: " سمعت شيخنا الآبلي يقول: "إنما أفسد العلم كثرة التآليف، وإنما أذهبه بنيان المدارس، وكان ينتصف له من المؤلفين والبَانِينَ وإنه لكما قال، غير أن في شرح ذلك طُولاً، وذلك أن التأليف نسخُ الرحلة التي هي أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم إلا النزر اليسير، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه، ثم صار يشتري أكبر ديوان بأبخس ثمن، فلا يقع منه أكثر من موقع ما عُوّضَ عنه، فلم يزل الأمر كذلك حتى نُسِيَ الأول بالآخر"[2]، ومع هذا كلِّه كان عصر المقّري الجد من أزهى عصور المغرب من الناحية العلمية[3].

وأضاف التنبكتي أنّ الشيخ الآبلي قال:" لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل، لأنا أتينا أكثر ممّا أتوا، يشير إلى افتراق هذه الأمة على أكثر مما افترقت عليه بنو إسرائيل"، وذلك لهؤلاء الناقلين الذين يغيرون الألفاظ والفتوى في كتب العلماء المشهورة[4].

أمّا ابن خلدون فكان يرى أنّ التأليف لا يكون إلاّ بعد تحقق شيئين اثنين، أولهما: أن يكون المُؤَلِّف له فكر يَحصُلُ من خلاله تصوُّرُ الحقائق، وثانيها: إثبات العوارض الذاتية لها أو نفيها عنها، وبهذين الأمرين تستقرُّ صورة علميّة في ذهن المؤلِّف وضميره، فيكون بيانها للآخر عن طريق المؤلَّف، غيرُ هذا فإنّ ابن خلدون يعتبر حركة التأليف مضرّة للنّاس في تحصيل العلوم والإفادة منها، فيقع القصور من الطلاّب دون التحصيل[5].

---

[1] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج2، ص480

[2] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص275.

[3] يحي بوعزيز،" الأوضاع السياسية والثقافية في عصر أحمد بن قنفد القسنطيني"، **مجلة سيرتا**، العدد الحادي عشر، جامعة قسنطينة، محرم 1418هـ، ماي 1998م، ص100.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص215 ـ 216.

[5] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص ص340 ـ 344.

2 ـ تشجيع السلاطين للحركة التأليفية في مرحلة التطور:

بعد استقراءنا لسير حركة التأليف في العهد الزيّاني خلال هذه الحقبة، نجد أنّ من أبرز العوامل التي ساعدت في تطور الحركة هم سلاطين الدولة، فقد كان لهم الفضل في تطور الحركة التأليفية، خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني، الذي جدّد ملك بني زيّان، وبَنِيهِ أبي زيان، والواثق، وعبد الواحد، فقد أعطى أبو حمو الثاني مكانة خاصة لفقهاء عصره، من أمثال أبي عبد الله مُحَّد بن يوسف الثغري الأديب المتفنن، وأبي عبد الله مُحَّد بن أحمد الشريف التلمساني، حيث بنى له المدرسة المشهورة بتلمسان وسمّاه "باليعقوبية" على اسم أبيه يعقوب[1]، ودرس فيها العديد من الفقهاء كابن خلدون، والفقيه مُحَّد بن علي المديوني، وابراهيم المصمودي...وغيرهم[2]. كما أنّ هذه المرحلة تعدُّ من المراحل التي أوصلت التأليف إلى ذروته، ونقصد به المنتصف الأخير من القرن التاسع الهجري، حيث كانت موسومة بسلطان عالم، نال من العلم حظاّ وافرا مكّنه بعد ذلك من دخول غمار التأليف[3]، من دون أن ننسى مساهمة الأندلسين القادمين إلى تلمسان والتي كان لها الفضل في ازدياد وتيرة التأليف في هذه المرحلة[4].

لقد كان عهد أبي حمو الثاني بمثابة اللّبنة التي أسست إلى مرحلة جديد نبغ فيها فقهاء أجلاّء، ساهموا في تطور الحركة التأليفية في هذه الفترة خصوصا، من أمثال سعيد العقباني، وابن زاغو، وغيرهم، ممن حملوا مشاعل التأليف للأجيال القادمة، وكوّنوا هم بدورهم تلاميذ كان لهم صيت كبير في مجال التأليف من أمثال ابن مرزوق الحفيد[5].

وبقيت الحال كما هي عليه في إمارة ابنه أبي زيّان مُحَّد الذي كان بدوره شغوفا بالعلم وأهله، وشجع الفقهاء على التأليف، وكان هو بدوره مؤلِّفا، حيث ألّف كتابا في التصوف وعلم النفس أسماه " كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمّارة"[6]، وقد اتصف بنظم الشعر، حيث بعث لأبي سعيد الملقب بالظاهر برقوق ملك مصر هدية جليلة ومعها قصيدة من نظمه، وهذا حينما بعث له

[1] التنسي، المصدر السابق، ص ص168 ـ 179.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص166.

[3] حاجيات، أبو حمو موسى الزيّاني، المرجع السابق، ص72.

[4] رشيد يماني،" المؤلفات الأندلسية المتداولة في تلمسان الزيّانية"، **مجلة أنتروبولوجية الأديان**، كلية الأدب واللغات، العدد الواحد والعشرون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 21 أفريل 2018م، ص ص97- 117.

[5] حاجيات، المرجع السابق، ص160.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص211.

بهدية محبة ووفاء[1]. ويمتاز عصر أبي زيّان بجنوح العلماء إلى التأليف، ورواج سوق العلم والأدب العربي، ووضع التصانيف الكثيرة، التي نرى تبعثرها في الفهارس والتراجم، والطبقات[2]

ومهما يكن من تشجيع السلاطين الزيّانيّين للتأليف، فإنّ اتصافهم بالعلم، وانتهاجهم منهج التأليف، جعلهم يعملون على تطوير هذه الحركة بشكل واسع، الذي يستلزم منه تطوير الحركة الفكرية خلال هذه الفترة، وهو مايدل عليه كثرة الفقهاء وتأليفهم في مرحلة التطور، والتي تُعدّ إسهاما نوعيّا في الحياة الفكرية الزيّانيّة خاصّة، والعالم الإسلامي على وجه العموم.

أمّا السلطان أبو عبد الله مُحَّد الملقب ب"الواثق"[3] الشهير بابن خولة كان يحب العلم ويعتني بأهله، ويعمل جاهدا على تنشيط العلماء، وحثّهم على البحث، والإنتاج الفكري من خلال التأليف[4].

ثمّ جاء عهد السلطان عبد الواحد بن أبي حمو الثاني، الذي اهتم بالعلم والتأليف، وقدّم أصحاب الفضل وأجزل لهم العطايا، حيث وصف التنسي عهده بقوله: " نفق في أيامه سوق الأدب"[5].

من خلال ماسبق يمكن القول أنّ الحركة التأليفية في هذه الفترة تطورت تطورا ملحوظا، بسبب السلاطين، الذين كانوا يعتنون بالعلم تحصيلا وتأليفا، إذ مهدوا للتأليف، وأرخو سبله، وشجعوا العلماء، واعتنوا بما قدّموه من إنتاج فكري، ساهم في ازدهار الحركة العلميّة في العهد الزيّاني خلال المرحلة المدروسة، كما تعتبر مرحلة التطور مرحلةَ بروز الاسهام الفكري بشكل كبير، أدى بوصول صدى تلمسان وفقهائها إلى جميع الحواضر الاسلاميّة، التي كانت تعجُّ بكبار الفقهاء في تلك الحقبة.

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص220.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص186.

[3] **الواثق**: هو أبو عبد الله مُحَّد الثالث، الملقب بالواثق، السلطان الثالث عشر لدولة بني زيّان، كان شغوفا بالعلم والفن، ويعمل على تنشيط الحركة الإنتاجية لفقهاء تلمسان، توفي سنة 813هـ/1411م. ينظر: نفسه، ج2، ص187.

[4] نفسه، ج2، ص187.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص236.

3 ـ نماذج من مؤلفي هذه المرحلة:

أ ـ المقّري (الجد): أُحصيت مؤلفات المقّري الجد أكثر من خمسة عشر مؤلَّفا حازت العلوم النقليّة أوفر الحظوظ، مثل "**شرح التسهيل**" لابن مالك، وكتاب "**اختصار المحصل**" في علم الكلام لم يكمله، و"**شرح لغة قصائد المغربي**" وواحد في العلوم العقليّة وهو " **شرح جمل الخونجي**"[1].

ب ـ أحمد ابن أبي حجلة[2]: ذكر المترجمون لهذا الفقيه أنّ له أكثر من ثمانين مصنّفا: منها" **مختصر قلائد العقيان**"، وهو كتاب في مجال علم الحديث، وله صلة بالفقه، والتفسير، والدراسات النبوية، وكتاب "**فواضل السَّمر في فضائل آل عمر**"، و"**ديوان الصبابة**"، وهو كتاب في العشق وأخبار أهله، وغيرها[3]، ولكنّي لم أقف إلاّ على سبعة عشر منها، ستة عشر منها في العلوم النّقليّة مفرقة مابين إبداع ومختصرات، ومعظمها في الأدب والدواوين، وواحد في العلوم العقليّة في تخصص الطبّ بعنوان "**الطبُّ المسنون في دفع الطاعون**"[4].

ج ـ مُحَّد بن مرزوق (الخطيب): كان ابن مرزوق من القلائل الذين أثروا هذه المرحلة بالمؤلفات والتي بلغت تسعة عشر مؤلَّفا[5]، جميعها في العلوم النّقليّة مفرّقة ما بين شروح مثل: "**شرح كتاب الشفا للقاضي عياض**" لم يكمله[6]، و"**شرح كتاب عمدة الأحكام**" لتقي الدّين الجمالي[7]، والعقيدة كتاب "**عقيدة التوحيد المخرجة من ظلمات التقليد**"[8]، وتاريخ مثل: " **المسند**"، وكتاب "**تحفة الطرف إلى**

---

[1] ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص154. الكتاني، سلوة الأنفاس، المرجع السابق، ج3، ص437. نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص313.

[2] **أبو حجلة**: هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، الملقب بشهاب الدين، ابن أبي حجلة، عالم من أهل تلمسان، ولد سنة 725هـ/1325م بزاوية جده ابن أبي حجلة بالمغرب، عالم بالشعر والأدب، هاجر إلى دمشق، وتولى بها مشيخة الصوفية، كان حنفية المذهب، وتوفي بالطاعون سنة 776هـ/1375م. ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج1، ص269

[3] نفسه، ج1، ص269.

[4] السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص572. ابن العماد، المصدر السابق، مج2، ص392. حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص974. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص269. نجيب بن لمبارك، المرجع السابق، ج2، ص46.

[5] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص43 ـ 44 ـ 45. ابن مريم، المصدر السابق، ص189. نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السارق، ص290. ينظر: يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص50 ـ 51. نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص33.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص189.

[7] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص455. ينظر أيضا: نجيب بن لمبارك، المرجع السابق، ج2، ص33.

[8] الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج3، ص328.

الملك الأشرف" يمدح فيه سلطان مصر الأشرف شعبان[1]، وأدب تمثل في كتابه "**ديوان الخطب والقصائد**" و "المفاتيح المرزوقية في شرح قصيدة الخزرجية"[2] لمحمد عبد الله الخزرجي الأندلسي[3]، و تعدّت تعدّت مؤلفاته فشملت حتى العلوم العقليّة بحيث ذكرت المصادر والمراجع أنّ له كتابا في "**التنجيم**"[4].

هـ ـ ابن مرزوق الحفيد: لقد برع ابن مرزوق بين فقهاء عصره من خلاله تآليفه التي كانت تدل على عمق فكر الرجل، واتّساع بنيته الفكرية، فقد أعطى لحركة التأليف دفعة قويّة في هذه المرحلة خاصّة، من حيث الجودة والتّنوع، وحتى الكميّة، فقد بلغت زُهاء أربعين مؤلّفا في شتى العلوم، أغلبها نقليّة، موزعة على عدّة تخصّصات ففي الفقه مثل كتابه "**المنزع النبيل في شرح مختصر خليل**"[5]، و في الحديث كتابي " **الروضة**" و"**الحديقة**" وهما رجزان في علم الحديث[6]، والكثير من الكتب النّحوية مثل "**إيضاح المسالك في ألفية ابن مالك**"، وأمّا العلوم العقليّة نذكر منها على سبيل "**نهاية الأمل في شرح الجمل**" في المنطق[7]، وغيرها[8]. كما أنّ هناك عدد لا يحصى من فقهاء هذه المرحلة الذين كانت لهم اليد اليد الطولى في الحركة التأليفية، وما آلت إليه من تطور وازدهار أمثال: عبد الرحمن ابن خلدون التي امتازت مؤلفاته بالتنوع من عبوم دينيّة، وتاريخ، ومنطق، وحساب[9]، والقلصادي الذي ترك أكثر من خمسين مصنّفا أكثرها في الفرائض والحساب[10]، ومُحَّد بن يوسف السنوسي، أكثر من أربعين مؤلّفا

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص50.

[2] الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص328.

[3] **عبد الله الخزرجي**: هو ضياء الدين عبد الله بن مُحَّد الخزرجي، عروضي أندلسي نزل بالاسكندرية ، له الرامزة في علمي العروض والقافية، وتسمى الخزرجية أيضا، مات قتيلا سنة 626هـ/ 1229م. ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص460.

[4] نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص290. يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ص51.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص211.

[6] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص506.

[7] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص49.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص210 ـ 211. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص506 ـ 507. يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص ص57 ـ 58.

[9] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص251.

[10] ابن مريم، المصدر السابق، ص141.

لاسيما في التفسير والحديث، والحساب والفرائض التي أخذها من شيخه القلصادي صاحب التخصص فيهما[1].

ثالثا ـ مرحلة الإنحطاط (القرن العاشر الهجري):

تزامنت هذه المرحلة من التقهقر العلمي مع فوضى سياسية عارمة بسبب الهجمات الصليبيّة على المغرب الأوسط، واحتلالهم لوهران وبجاية وغيرها من جهة، ومن جهة أخرى تدخل العثمانيّين وهبّتهم لنجدة المسلمين، سواء في تلمسان أو الأندلس التي وقع آخر معقل فيها بيد الإسبان سنة 897هـ/1492م[2].

وممّا يدلّ على هذه الفوضى، الصراع السُلْطَوي من قِبل الأسرة الحاكمة، حيث تداول على سُدّة الحكم في مدّة اثنين وستين سنة اثني عشر سلطانا، بداية من أبي عبد الله مُحَمَّد المعروف بالثابتي، إلى غاية السلطان مولاي الحسن الذي بايع الأتراك بدون شرط سنة 957هـ/1550م، وظل يعمل تحت إمرتهم خمس سنوات، حتى خلعه صالح رايس[3]، وألحق تلمسان بالجزائر، وأنهى بهذا ملك بني زيّان الذي دام ثلاثة قرون وتسعة وعشرين عاما[4].

كانت هذه الفوضى السياسية بمثابة القطرة التي أفاضت كأس تردي حركة التأليف الذي بدأت تظهر بوادره بتولي السلطان تاشفين بن المتوكل حكم بني زيّان الذي لم يدم غير أربعة أشهر، وخلعه أخوه أبو عبد الله مُحَمَّد الرابع، فأصبحت الأسرة الزيّانيّة لا همّ لها سوى العرش والسلطان[5]، بعدما كانوا هم حمّاة حمّاة العلم والعلماء، بتشجيعهم للحركة، ممّا أثّر سلبا على الإنتاج الفكري، الذي عرف تراجعا وتقهقرا ملحوظين بصورة جليّة، من حيث العدد، والجودة، وحتى في أحادية العلوم بشكل عام[6]، فنرى أنّ العلوم

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص564. ينظر ابن مريم، المصدر السابق، ص245.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص221.

[3] صالح رايس: عيّن بايلرباي على الجزائر في أفريل من سنة 1552 و استطاع توسيع الحدود الجزائرية وهذا بعد أن ضم تلمسان لملك الجزائر وبذلك سقطت الدولة الزيانية سنة 1554 م. ينظر: توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، ص337 وما يليها.عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص229.

[4] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص74ـ 79.

[5] نفسه، ج1، ص74.

[6] بوبة مجاني، **كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي**، العصر الزياني نموذجا، أعمال ملتقى دولي في التاريخ حول التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، يومي 23-24، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة،أفريل 2001م، ص150.

العلوم النقليّة انتشرت بشكل كبير رغم قلّتها مقارنة بمرحلة التطور، بينما لا تكاد تسمع بمصنّفات العلوم العقليّة إلاّ لعالمين أو ثلاثة على سبيل الاستثناء، وفي علم أصلُه نقلي، كعلم الحساب الذي هو علم متعلّق بعلم الفرائض مثلا، ومعظم هذه التصانيف(العقليّة والنقليّة) إمّا في الشروح أو المختصرات، أمّا الإبداع فقد أَفُل نجمه وزال، فرجعت العقول إلى سالف عهدها من النقول السابقة، وأُلْجِمَتِ المصنّفات الإبداعية، اللهم إلاّ لثُلَّةٍ من الفقهاء الذين عاصرو المرحلتين، كمحمد بن عبد الكريم المغيلي، و أحمد بن يحي الونشريسي، ومن على شاكلتهم، فانحذر مستوى الحركة التأليفية في هذه المرحلة، حالها حال الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها تلمسان في المنتصف الأول من القرن العاشر الهجري، فنتج عن كلّ هذا ضعف الإسهام الذي بلغ شأوه في مرحلة التطور، وبقي منه سمعته التي كانت قد تعدت حدود دولة بني زيّان، ومع ذلك كان لبعض الفقهاء مؤلفات لايمكن إغفالها ومن أهمهم:

1 ـ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي: كان الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي من الذين ذاع صيتهم في الحركة التأليفية في هذه المرحلة، وإن كان عاصر المرحلتين، إلاّ أن تآليفه كانت متنوعة بتنوع الأزمنة أيضا، فقد كانت خليطا مابين النقل والعقل بصفة متقاربة حسب ما ذكره يحي بوعزيز حينما عدّ لنا تصانيفه التي مايزال الكثير منها مخطوطا، ومحفوظا عند متشيّعيه في بلاد السودان[1].

كما كانت مؤلفاته في العلوم النقليّة مزيجا بين الشروح والمختصرات، والإبداعات، ففي الشروح مثلا كتابه "**شرح بيوع الآجال**" في المعاملات، و "**إيضاح السبيل**" وهو شرح أورد فيه ما جاء به الشيخ خليل في باب البيوع[2]. وأمّا بالنسبة للإبداعات فنذكر منها كتابه "**البدر المنير في علوم التفسير**"، **ومصباح الأرواح في أصول الفلاح**"، وهو كتاب عجيب أرسله للإمام السنوسي وابن غازي[3].

كما كان المغيلي بارعا في العلوم النقليّة وخاصة علم المنطق وهذا ما دلّت عليه كتبه، فعلى سبيل المثال كتابه "**شرح الجمل**" للخونجي[4]، ومقدمة فيه والموسومة ب " **لبُّ اللباب في ردّ الفكر إلى**

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص157.
[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص255.
[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص577.
[4] نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص308.

الصواب"، وهو إجابة الشيخ عن أسئلة منها: ماهو المنطق؟ وهل هو علم أو آلة؟ وكم هي أصوله...[1]، و منظومة في المنطق أيضا سمّاها "**منح الوهاب**"وثلاثة شروح عليها[2].

2 ـ أحمد الونشريسي: لا شك في أنّ عالما كالونشريسي الذي وُصف بأنّه أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه، وكانت مكتبة مُحَّد ابن الغرديس[3] تحت تصرفه، أن يُخلِّف إرثا فكريا، وثمارا يانعة نضجت خلال عمر ناهز الثمانين عاما ألّف فيه مؤلفات عدّة فاق عددها الخمسة والعشرين مؤلفا، مابين كتب، ورسائل صغيرة أَدْرج معظمها في المعيار، على حسب حمزة أبي فارس محقق كتاب عُدَّة البروق[4]، والتي كان أغلبها في الفقه ومسائله، ولعلّ أهم هذه الكتب كتابه المسمّى ب" **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**" وهو كتاب جمع فيه أجوبة المتقدمين والمتأخرين[5]، جمع فيه النوازل الفقهية في شكل أبواب، أثار فيه مسائل ثقافية واجتماعية واقتصادية، وتعليميّة، وغيرها، متكوّنٌ من اثني عشر مجلدا، وصار بعد ذلك مرجعا للمدرسة المالكية بالمغرب[6]. كما له كتاب بعنوان "**الولايات**" وهو كتاب تكلَّم فيه عن مناصب الحكومة الإسلاميّة و الخطط الشرعيّة، وقد قسّمها إلى سبع عشرة ولاية، طُبع بالمطبعة الجديدة بالرباط سنة 1937م، بترجمة فرنسية[7]. أمّا بالنسبة للعلوم العقليّة فلم أجد له مصنفا ولو واحد فيها، وهذا بسبب اشتغاله بالمنقول أكثر من المعقول.

---

[1] عبد الكريم المغيلي، "**لُبُّ اللباب في رد الفكر إلى الصواب**"، تحقيق أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، 2006، ص25.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص255. ينظر:" أحمد الحمدي، مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات** ، الجزائر، العدد 5، 2003م، ص 38.

[3] **ابن غرديس**: هو أبو عبدالله مُحَّد بن مُحَّد الغرديس التَّغلِبي القاضي، صاحب ثروة هائلة من الكتب المتوارَثة من العائلة العالِمة العريقة بفاس، استفاد منها الونشريسي، واتَّخذ منها مادة أساسية للاستزادة من العلوم، خاصة ما يتعلقُ منها بفتاوى المغربِ والأندلس، لازم الونشريس ابن غرديس إلى أن مات بالطاعون سنة 897هـ. ينظر: أحمد بن علي المنجور، **فهرس أحمد المنجور**، تحقيق مُحَّد حجّي، دار الغرب الإسلامي للتأليف والترجمة والنشر، طبعة 1976م، المغرب، الرباط، ص ص 51 ـ 52.

[4] أحمد الونشريسي، "**عُدّة البروق في جمع ما في المذهب من الجُموع والفُروق**"، دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ص44.

[5] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج1، ص1.

[6] سعيد كربوع، "كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي: المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا"، **مجلة كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية**، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، مارس، 2014، ص58.

[7] أحمد الونشريسي، عُدّة البروق، المصدر السابق، ص45.

إنّ أهم ما نستخلصه من الحركة التأليفية بمراحلها المذكور أنّ التآليف في الشروح والمختصرات كانت منتشرة بشكل واسع، خلال المراحل الثلاثة، إلاّ أنّها تناقصت في المرحلتين الأخيرتين بتطور مؤلفات الإبداع[1] التي انعدمت في فترة الصراع السياسي الأخير، وهذا يدل دليلا قاطعا على وجود خلل بَيّن في البنية الفكرية للفقيه التلمساني في تلك الحقبة التي تميّزت بالركود العقلي، والعلمي، كمّا ونوعاً، أدى إلى الانحطاط الفكري المبيّنِ خلال المراحل المدروسة.

كما أنّ الاهتمام بالعلوم النقليّة التي تعتمد على الشروح والمختصرات، حجبت الضوء على نظيراتها العقليّة التي تعتمد على الفكر والمشاهدة والتجربة، وكما تقول الحكمة "المشغول لا يُشغل"، فالعقل كان مشغولا بالنقول التي شلّت حركته، وقمعت حريته، فغاب العقل في فهم هذه النقول وترك ما سواها، فاستُعمل العقل لغير ما خُلِق له، من إبداع وتفكير واستنباط، وهذا ما أكدّته بعض الدراسات الإحصائية في مؤلفات تلمسان خلال العهد الزياني، وبهذا أصبحت حركة التأليف عرجاء، لا تعدو إلاّ أن تكون عملية اجترار لمن سبقهم من المؤلفين.

والخلاصة العامة أنّ إسهامات فقهاء تلمسان في الحركة التأليفية كان واضح المعالم من خلال مصنّفاتهم التي كانت منتشرة في الحواضر العلميّة المختلفة عبر ربوع العالم الاسلاميّ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نكون منصفين فالحياة الفكرية على مرّ الأزمان لا تقوم إلاّ باختلاف مشاربها، من نقليّة وعقليّة، وهذا ما لم تحدوا حَذْوَه الحياة الفكرية التلمسانيّة (بالموازاة) في العهد المدروس، حيث أصبحت تدور في حركة مفرغة، غيرُ ثابتة، كان قِوامها الأول العلوم النقليّة التي أعطت صورة واضحة المعالم لبنية الفقيه التلمساني من خلال الحركة التأليفية في ذلك الزمن.

[1] ينظر الملحقين رقم -12-13-

المبحث الثالث: إنعكاس إسهامات البنية الفكريّة لفقهاء تلمسان على الفكر الإسلامي

استطاع فقهاء تلمسان خلال العهد الزيّاني أن يُبرزوا إسهاماتهم المتعددة سواء في مجال التأليف، أو بواسطة المناصب التي تَقلدوها خارج حدود الحاضرة الزيّانيّة، وقد كان لهذا الإسهام الفكري دور فعّال في تطوّر الحياة الثقافيّة في جميع أنحاء العالم الإسلاميّ، ممّا أدى بهم إلى أن تكون لهم مكانة مرموقة ليس عند العّامة فحسب، بل وحتى عند السّاسة الذين ساسوا تلك البلاد خلال الفترة المدروسة. ومنه نطرح إشكالا هو كالآتي: **كيف استطاع الفقيه التلمسانيّ التأثير على العالم الإسلامي من الناحية الفكرية؟ وماهي مظاهر هذا الانعكاس؟**

أولا ـ مكانة فقهاء تلمسان في بعض الحواضر الإسلاميّة: إستطاع فقهاء تلمسان أن يتقلدوا مناصب هامة في بعض الحواضر العلمية شرقا ومغربا، وهذا إن دلّ فإنّما يدل على مكانتهم الفكرية التي من خلالها تقدّموا على أصحاب تلك الحواضر، فنذكر على سبيل المثال:

1 ـ خطة القضاء[1]: يطلق لفظ القضاء في اللُّغة على عدّة معان منها:

ـ الخلق والإيجاد: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت الآية 12].

ـ العمل: ومنه قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[سورة طه، الآية: 72].

أمّا في الاصطلاح الفقهي: "فهو بيان الحكم والإلزام به، وفصل الخصومات"[1].

---

[1] هي من أعظم الخطط وأشرفها، يتولاها قضاة يُعيّنهم السلطان حينما يراهم كفء، وكثيرا ما يكونون علماء وفقهاء، و تتفرع منها عدّة خطط مثل خطة الحسبة، وخطة المظالم، وخطة االشرطة... . فتيحة النبراوي، **تاريخ النظم والحضارة الإسلاميّة**، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1981م، ص ص104 ـ 105. ينظر: أبو الحسن علي بن مُحَّد بن حبيب الماوردي، **كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق أحمد مبارك البغدادي ، دار ابن تيمية، الطبعة الأولى، الكويت، 1409هـ/1989م، ص ص88 ـ 102 ـ 315.

لقد ذكر الشارع أنّ هناك شروطا في تولي منصب القضاء، وقد حدّدها الماوردي بسبعة شروط هي: الذكورة، والعقل، والحريّة، والإسلام، والعدالة، وسلامة السمع والبصر ليَصِحَ بهما إثبات الحقوق، وآخرها معرفة الأحكام الشرعيّة[2]. ومن خلال ترجمتنا لثلّة من فقهاء تلمسان خلال العهد لزياني، نجد أن عائلة العقباني حازت مرتبة السبق (باعتبار الأسر والتخصص) في خطة القضاء، فقد كانت مهنة القضاء حكرا عليها، وكادت تكون وراثية فيما بينهم[3]، إلاّ أنّ هناك من سبقهم إلى ذلك، وكان لهم تأثير على بعض الحواضر العلميّة، فنذكر منهم على سبيل المثال: علي بن عبد النور[4]، كان قاضي العسكر زمن استلاء أبي الحسن المريني على تلمسان خلفا لأخيه مُحَّد بن عبد النور[5]، ولمّا خلع أبو عنان أباه أبا الحسن عن سلطة المرينيين ولاّه قضاء مكناسة، فقام فيه يقضي إلى سنة 763هـ/1362م[6]، كما لايسعنا أن ننسى المقّري الجد الذي عزف عن مهنة القضاء رغم إلحاح السلطان عليه[7]

أمّا الفقيه ابن مرزوق الخطيب الذي لقِّب بفخر المغرب على المشرق، فقد تولى عدّة مناصب ومهام سواء في المغرب والمشرق، ومنها قضاء المالكيّة بالقاهرة، فقد كلّفه الملك الأشرف بهذا المنصب الذي لا يتولاه إلاّ من ظهرت كفائته ونجابته، وقد كان القضاء مخصّصا كلاّ على حسب مذهبه، ووفقا للمذاهب الأربعة الكبرى، واستمر ابن مرزوق الخطيب في هذه المهمة موفور الرتبة بالتكريم والتقدير والاحترام، إلى أن تُوفي سنة 781هـ[8].

---

[1] عبد الكريم بن مُحَّد اللاحم، **المطلع على دقائق زاد المستقنع "فقه القضاء والشهادات"**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية،1433هـ- 2012م، ج1، ص 7ـ 8.

[2] الماوردي، المصدر السابق، ص ص88ـ 89.

[3] (Ch) Brosselard**: Tombeaux des Familles EL Makari et EL OKbani**, Revue Africaine, n°30, 1860, p414.

[4] هو أبو الحسن علي بن عبد النور، أحد كبار علماء تلمسان، توفي بمكة سنة 764هـ. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص122ـ 153.

[5] هو أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن عبد النور، الأخ الأكبر لعلي بن عبد النور، توفي بتونس بوباء الطاعون سنة 749هـ. ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، 47.

[6] نفسه، ص47

[7] أبو الحسن المالقي النباهي، **المرقبة العليا أو"المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، دار الأفاق الجديدة، د.ط، بيروت، 1980م، ص169.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص186. ينظر أيضا: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص452. المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص414.

وعلى هذا قال سيد القضاة سعيد العقباني عن نفسه: " ولقد ابتُليت بالقضاء قريبا من خمسين سنة في بلاد مختلفة"[1]، تقلد الفقيه سعيد العقباني منصب القضاء في مدن كثيرة على غرار قضاء الجماعة بتلمسان، فَوُلِّي قضاء مراكش وسلا في عهد السلطان أبي عنان الذي كان أحد شيوخ العقباني[2]، ولُقِّب برئيس العقلاء لطريقته في القضاء، حيث تميّز بالمهارة والتفوُّق في المسائل القضائية، وأشار إلى ذلك يحي بن خلدون حينما قال: « فَحُمدت في جميعها سيره عدلا وجزالة...»[3].

2 ـ **الخطابة**[4]: لقد تقدم إلينا أنّ بيت المرازقة بيت خطباء بلغاء، فلا بأس من أن نقتصر على ذكر حال حال خطيب البيت المرزوقيّ مع الخطابة شرقا ومغربا، وهذا لتجنب الإطالة[5].

تصدّر ابن مرزوق للخطابة في سن مبكرة، حيث قدّمه شيخ زاوية "فوة"[6] بمصر أبو عبد الله المرشدي[7] لإلقاء خطبتي الجمعة وعمره لا يتجاوز التاسعة عشرة، فارتجل ابن مرزوق خطبتين واعظتين مؤثرتين أبكت جميع من حضر، وصل لحد تزاحم الناس عليه بعد الصلاة ما بين شاكر ومعجب ومهنيء[8]، كما خطب خطبة ارتجالية بمسجد الاسكندرية، ومن هنا تخصص في سائر حياته بالخطابة[1].

---

[1] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج6، ص44.

[2] يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص123. ابن مريم، المصدر السابق، ص106.

[3] يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص123. حول قضاء المقّري ينظر: رفاف شهر زاد، "أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) حياته وآثاره"، **مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، العدد الثامن، جامعة بشار الطاهري مُحَمَّد، بشار، ديسمبر 2018،ص ص57 ـ 79. فيما يخص القاضي وحكمه وأجرته ينظر: أبو المهلب هيثم بن سليمان القيسي (ت275هـ/888م)، **أدب القاضي والقضاء**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنشر، د.ط، تونس، 1970م،ص ص17–21.

[4] من فنون النثر الأدبي، وهي فنٌّ لساني يلقى على جمهور السامعين، وتُعرَّف أيضا بأنها: نوعٌ من أنواع الكلام يقع عن طريق المشافهة والمواجهة. ينظر: عبد العاطي مُحَمَّد شلبي، **الخطابة الإسلامية**، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006م، ص11. وينظر أيضا: علي التهانوي، المرجع السابق، ج1، ص ص750-751.

[5] إنّ ضيق صفحات الدراسة كانت عائقا لي في التبحر بين جميع عناصر البحث، وكما هو معلوم أنّ في مثل هذه البحوث يجب ذكر ذكر العام والخاص، وقد اقتصرت على دقيقها، ومعالجة الصميم.

[6] **زاوية فوة**: تقع بمكان يُسمى منية بني مرشد في بلاد الريف المصرية مابين القاهرة والاسكندرية. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ج1، ص19.

[7] **المرشدي**: هو مُحَمَّد بن عبد الله بن إِبْرَاهِيم المرشدى، المكنى أبو عبد الله، أحد كبار العبّاد والصوفيّة بمصر، ولد بعد سنة 670هـ، وتوفي في رمضان سنة 737هـ. ينظر: الشوكاني، البدر الطالع، المرجع السابق، ج2، ص ص188 ـ 190.

[8] فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص332 ـ 333.

وبعد قدوم ابن مرزوق من المشرق ولى وجهته نحو بلاد المغرب قاصدا تلمسان في 17رمضان من سنة 737هـ/1337م، فوجد السلطان المريني أبا الحسن مُحاصرا لها، واقتحمها بعد تسعة أيام من ذلك التاريخ، فدعاه السلطان، واستقبله بكلّ عز وحفاوة، فقربه وشمله اشتمالاً خلطه بنفسه، وعيّنه خطيبا لمسجد العباد وهو شاب فتي يافع، وفي هذا قال المقّري في نفح الطيب "وجعله مُفضى سِرِّه، وإمامَ جُمَعِه، وخطيبَ مِنْبَرِه، وأمينَ رسالته"[2].

ومن المنابر التي خطب عليها جامع الحمراء دار ملك السلطان أبي الحجاج[3]، وجامع غرناطة سنتي 753 ـ 754هـ/1353 ـ 1354م[4]. وفي سنة 765هـ/1364م توجه أبو عبد الله إلى تونس عاصمة الحفصيين فقوبل بترحاب كبير وفي هذا يقول: "إني قد وصلت إلى تونس المحروسة من شهر رمضان من سنة خمس وستين، فلقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده أمثالي، ووليت خطابة جامع ملكها"[5]، وبقي بتونس خطيبا بجامعها الأعظم حتى ولى بشطره إلى مصر سنة 772هـ/1370م[6].

اعتلى ابن مرزوق الخطيب عن مايزيد على أربعين منبرا عبر شتى أنحاء البلاد الإسلاميّة، وقد ذكر بعدما كان يُعدِّدُ في مآثره وحساته هذا القول: « أفلا يرعى لي ثمانية وأربعين منبراً في الإسلام شرقاً وغرباً وأندلساً...»[7].

3 ـ التّدريس: إنّ الأثر الذي خلفته سياسة السلاطين تُجاه العلم والعلماء مكّن هاته الأخيرة من الارتحال إلى الحواضر العلميّة، والالتحاق بالمدارس قصد الأخذ والعطاء، ولقد كان لفقهاء تلمسان دور هام في مجال التدريس، حيث تجمع حولهم عدد كبير من الطلبة للاستفادة من علومهم وتحصيلها، ومن هولاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر مُحَّد بن ابراهيم الآبلي الذي درس بتلمسان، وفاس، وغيرها من الحواضر حيث قفل راجعا بعلم غزير من المنقول والمعقول، ولما انتقل إلى فاس استدعاه علي بن مُحَّد بن

---

[1] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص24.

[2] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص391.

[3] هو أَبُو الحَجَّاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع ملوك بني الأحمر، ولد سنة 718هـ/1318م، وُلي حكم غرناطة بعد مقتل أخيه سنة 733هـ، قتل وهو يصلي صلاة العيد سنة 755هـ/1354م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص ص217 ـ 218.

[4] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص392.

[5] نفسه، ج4، ص408.

[6] نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص60.

[7] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص415. وينظر أيضا: فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص333.

تاروميت[1] فقرأ عليه مدّة من الزمن وحصّل، ومكث عنده وقتا تصدى فيه للتدريس، والتعليم، واجتمع حوله عدد كبير من الطلبة ببلاد هسكورة من المغرب الأقصى[2]. ثمّ اختصّه السلطان أبو الحسن ونظمه في جملة العلماء بمجلسه، وهو مع ذلك يُعَلِّم العلوم العقليّة، وينشرها بين أهل المغرب، " وألحق الأصاغر بالأكابر في التعليم"[3].

وذكر عبد الرحمان بن خلدون وهو يُعَدِّد مشايخه بتونس الشيخ الآبلي، حينما قدم إليها رفقة السلطان المذكور فقال:« لزمته، وأخذت عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكمية، والتّعليمية، وكان رحمه الله يشهد لي بالتّبريز في ذلك»[4].

أمّا بالنسبة لفقهاء تلمسان الذين تصدّروا التعليم ببلاد الحجاز فنذكر منهم ابني الإمام البرشكيين فقد ذكر التنسي في نظم الدّر، أنّهما بعدما «سافرا إلى المشرق فحصّلا علوما شتى نقلية وعقلية ورأسا بدمشق وكان لهما بالشام والحجاز ومصر صيت عظيم»[5]. كما أشار المقّري في ذكره لشيخيه أنّ مكانتهما كانت رفيعة ببيت المقدس فقال: «وبحسبك مما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أني لما حللت بيت المقدس...»، وأضاف أنّ بعض الأسئلة طُرحت عليهما بشأن ميقات الحج فأجابا عنها فوقع حب أهل البلد لهما بسبب ذلك[6].

والظاهر أنّ ابني الإمام كانا على مقام عظيم عند الطلبة المشارقة وعلمائهم، يسألونهم، ويستفتونهم، ويناظرونهم، "وناظرا تقي الدين بن تميمة، وظهرا عليه، وكان ذلك من أسباب محنته"[7].

وذكر ابن غازي صاحب كتاب الروض الهتون أنّ الفقيه الصالح مُحَّد بن الفتوح التلمساني[8] انتقل من بلده الأصلي تلمسان نحو فاس ثمّ إلى مكناسة، فأقام بها حتى مات، كما كان يُقرأ ألفية ابن مالك

[1] لم أجد له ترجمة.
[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص215.
[3] عبد الرحمان بن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص33.
[4] نفسه، ص33
[5] التنسي، المصدر السابق، ص139.
[6] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص217.
[7] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص216.
[8] هو أبو عبد الله بن عمر بن الفتوح التلمساني، عالم من أهل تلمسان، بها نشأ وتعلم، ثمّ انتقل إلى فاس، ومات بمكناسة سنة 818هـ/1415م. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص497 ـ 498.

بالمدرسة المتوكلية، وعُرضت عليه رياسة تدريس الفقه بمدرسة العطارين، وأُخبر من بعض فقهاء عصر بن الفتوح أنّه أول من أدخل مختصر خليل لبلاد المغرب الأقصى سنة 805هـ[1].

هذا ولا ننسى شأن شيخ المنقول والمعقول الشريف التلمساني الذي بلغ مبلغا كبيرا، درّس العلوم العقلية بمدينة فاس بعدما ارتحل مع أبي عنان إلى المغرب الأقصى، وذكر ابن مريم أنّ السلطان المريني جمع العلماء في بلاطه، فأمر المقّري (الجد) بتفسير بعض آيات القرآن فامتنع بوجود الشريف التلمساني وقال إنّ أبا عبد الله أعلم بذلك مني ولا يسعني الإقراء في حضرته، فسّرها أبو عبد الله فأدهش الحاضرين وأتى بما لم يُحط به، حتى قال السلطان: " إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره"[2].

من هنا يتّضح أنّ فقهاء تلمسان في العهد الزياني كان لهم صيت في تدريس العلوم شرقا ومغربا، فقد كان لهم العديد من الطلبة خارج تلمسان، ولعل منزلتهم قد عبّرت عنها المصادر بجميع عبارات الثناء والاعجاب منها: حجة الاسلام، علم الأعلام، شيخ العلماء...وغيرها.

4 ـ الفتوى[3]: عندما تُذكر الفتوى يتبادر إلى ذهن العارف بفقهاء الدولة الزيّانية الشريف التلمساني، فقد فقد كانت الفتاوى تأتيه من جميع القطر الاسلاميّ فيجيب عليها، وعُرِف قدره بين علماء مصر، وافريقية، والأندلس، والمغرب على حدّ سواء، فهرعوا إليه بأسئلتهم المختلفة، وذكر الونشريسي في المعيار أنّ فقيه مصر وافريقية أبا زكرياء يحي بن موسى المهداوي أرسل إليه بعض الاشكالات و الأسئلة في المنطق والفلسفة وعلم الكلام فأجابه عليها[4].

ذكر ابن مريم في ترجمته للعلامة الشريف التلمساني، أنّ العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة والتآليف البديعة، كلّما ألّف تأليفا بعثه إليه وعرضه عليه، وطلب منه أن يكتب

---

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني، المكناسي، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، طبعة 1952م، المامونية، الارباط، 1371هـ/1952م، ص ص22 ـ 23.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص171.

[3] في اللغة: يقال: أفتاه في المسألة يفتيه إذا أجابه، وفي الإصطلاح: عبارة عن حكم الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج15، ص147. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، حقّقه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1403هـ /1983م، ص92.

[4] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، مج12، ص163.

عليه بخطه"[1]، وزاد أنّ أبا سعيد بن لبٍّ شيخ علماء الأندلس كان كلّما أشكلت عليه مسألة كتبها إليه وطلب منه بيانها وتوضيحها مُقِرّا له بالفضل والعلم[2].

وقد انتشرت فتاوى الشيخ حتى بلغت أرجاء العالم الإسلامي، ووفد إليه العديد من طلبة العلم من المشرق والمغرب، وهو ما ذكره التنبكتي بقوله: « وضربت إليه آباط الإبل شرقا وغربا»[3].

وكان ابن مرزوق الحفيد تأتيه الأسئلة من علماء تونس والأندلس للإجابة عنها، بعد أن ذاع صيته في ربوع العالم الإسلامي، وهذا ما أكدته تصانيفه الخاصة بهذا الشأن منها: كتاب "اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة"، وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من عالم قفصة أبي يحيى ابن عقيبة[4]، وكذا كتاب "المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن السراج"، أجاب فيه الإمام ابن سراج الغرناطي[5] عن مسائل نحوية ومنطقية[6]، كما لا يمكنني غض الطرف عن المقّري الجدّ الذي وصف تلميذه تلميذه ابن الخطيب سيرته في القضاء، وعدله في إنفاذ الحكم، وصبره في تدقيق التحقيق، ورزانته في الإستماع إلى الخصوم[7].

أمّا بالنسبة لأبي العباس أحمد المقّري الذي ارتحل إلى فاس سنة 1013هـ/1604م، وأقام فيها حوالي خمسة عشر عاما، تولى فيها الخطابة، والفتوى، وغيرها من الوظائف الدينية في جامع القرويين[8].

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص175.

[2] نفسه، ص175.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص433.

[4] هو أبو يحيى أبو بكر بن عقيبة القفصي، تقيّها وعالمها، كان علامة بارعًا صالحًا، أخذ العلم عن ابن عرفة، وله أسئلة في فنون كتبها للإمام ابن مرزوق الحفي. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص635 .

[5] هو أبو القاسم مُحَّد بن سراج الأندلسي، قاضي الجماعة بغرناطة، توفي سنة 848هـ. التنبكتي، نفسه، ص526.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص210 ـ 211.

[7] حول طريقة قضاء المقّري الجدّ ينظر: فافة بكوش، **أبو عبد الله المقّري (ت759هـ) ورحلته العلميّة بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي لدول المغرب الإسلامي، إشراف عبد القادر جيلالي بلوفة، كلية العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة، قسم التاريخ وعلوم الآثار، شعبة التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432-1433هـ/2011- 2012م، ص136.

[8] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص168.

بعد أن تُوفي مفتي فاس الشيخ مُحَّد الهواري[1]، عُيِّن المقّري مفتيا لها، واستمر في هذا المنصب حتى سنة 1027هـ/1618م، ثمّ قرر مغادرة المدينة صوب أرض الحجاز[2]. كما شغل هذا المنصب بجامع الأزهر الأزهر حينما كان يتصدر التدريس به[3].

والملاحظ أنّ فقهاء تلمسان كانوا عمدة في الفتوى عبر جميع القطر الإسلامي، وهذا ممّا حازوه من المراتب العلمية[4]، لذلك لم يكن مانعا للتنبكتي أن يقول عن أبي اسحاق التنسي مثلا: "انتهت إليه رياسة رياسة التدريس و الفتوى..."[5].

5 ـ الدّعوة: إنّ المفهوم العام للدعوة هو تبليغ ما أمر الله به نبيّه مُحَّدا ﷺ وأمته من بعده، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ﴾ [المائدة:67].

يمكن ذكر مثال واحد كنموذج لفقهاء تلمسان في مجال الدّعوة، ألا وهو الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، الذي انقسمت دعوته إلى مرحلتين هامتين: الأولى هي القضاء على سيطرة اليهود النازحين من الأندلس وهيمنتهم على واحة توات، بتحكمهم في القادة، والسّاسة، وحتى العامة بفعل الثراء الفاحش، فوصل الأمر بهم إلى أن بنو بيعةً[6] في منطقة تمنطيط[7]، والتي كانت في هذا العهد مركز إشاع علميّ بمنطقة توات الكبرى[8] بالإضافة إلى بيعٍ في مناطق أخرى كأنهم في مملكة يهودية، وليس في أرض

---

[1] هو أبو عبد الله مُحَّد الهواري مفتي فاس وخطيب حضرتها، توفي سنة 1027هـ/1618م. أحمد أمين الحموي، المرجع السابق، ج3، ص97.

[2] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص45.

[3] نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص77.

[4] حفيظة بلميهوم، " الإمام ابن مرزوق الحفيد ومنهجه في الفتوى"، **مجلة البحوث العلميّة والدراسات الإسلاميّة**، المجلد السادس، العدد الأول، مخبر الشريعة، جامعة الجزائر1 يوسف بن خدة، ت.ن 2014/06/19م، ص ص92- 132.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص38.

[6] **بيعَةٌ**: مفرد بِيَعُ، وهو مكان عبادة اليهود، مصداقا لقوله تعالى: "ولولا دفاع الله النّاس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا". [الحج: 40]. ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص147.

[7] تقع جنوب ولاية أدرار، تبعد عليها حوالي مسافة 17 كلم.

[8] زينب سالمي، **الحركة العلميّة في إقليم توات خلال القرون 8- 10 هجرية**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف مبخوت بودواية، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432- 1433هـ/2011- 2012م، ص27.

إسلامية، فاعتبر المغيلي ذلك مساسا بالشعائر الدينية، فأول الإصلاح في مجال الدعوة أن هدم هو وأصحابه بِيعَ اليهود في أنحاء توات كلّها سنة 846هـ/1442م[1].

ثم ارتحل إلى فاس بعد ذلك ليشرح القضية لفقائها، ويوضح لهم الأسباب والأهداف من هذا العمل، فالتقى بسلطانها من الأسرة الوطاسية[2]، وجلس مع معارضيه في جلسة طويلة ساخنة، تمكنوا من من خلالها التأثير على السلطان، وتصوير الشيخ المغيلي لديه بأنّه رجل له طموحات سياسية، غير أنّ الشيخ دَافَعَ على رأيه بشدّة، وذكر لهم أنّه دعاهم إلى الإسلام قبل قتلهم فلم يجيبوا[3].

ومن أغرب الأمور التي كشف المغيليّ اللثام عنها، أنّه وجد يهوديا تنكر بصفة إمام فأمّ الناس أربعين سنة، فلمّا كُشِفَ أمره فرّ، فلحقه الشيخ وقضى عليه[4].

وأمّا المرحلة الثانية وهي الأهم في دعوة الفقيه المغيلي ونقصد رحلته إلى بلاد السودان الغربي الممتدة آنذاك من جنوبي موريتانيا إلى شمالي نيجيريا مرورا بمالي والنيجر[5]، وبالضبط في بلاد الهوسة التي عرفت حركة علمية مزدهرة، فاشتغل بالتّدريس، والوعظ والارشاد والدعوة بمساجدها، وانتشرت سمعته كداعية، ومصلح يقاوم البدع والخرافات، ويمّن صوب مدينة كانوا وطلب منه سلطانها أن يكتب له "**جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع النّاس عن الحرام**"، فأجابه إلى ذلك، وذكر له فيها كيفية حكم بلاده وشعبه وفق التعاليم الإسلامية، وكيف يقاوم العادات الوثنية السائدة في بلاد كانوا آنذاك، هي امتثالا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6].

كما جنّد عددا كبيرا من العلماء والتلاميذ ليعلموا النّاس، وينشروا الإسلام[7]، والمذهب المالكي[1]، ويقضوا على العادات الوثنية التي كانت منتشرة بشكل كبير بمدينة كاغو أو ما تسمى "بقاو" عاصمة

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج1، ص54.

[2] **الوطاسيون**: فرع صغير من بني مرين، ينتمون إلى قبيلة زناتة البربرية، نجح الشيخ محمّد الوطاسي في القضاء على دولة بني مرين سنة 1465م، وأقام دولته سنة 1471م. ينظر: عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ/ 16 م** ، ، دار الأمل، الجزائر، 2006م، ج1، ص64.

[3] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص150. ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص168.

[4] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص147.

[5] نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص63.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص254ـ 255 .

[7] ميهوب بن فارح، دور الفقهاء المغاربة في نشر العلوم الشّرعية في بلاد السودان الغربي "القرن 5- 6هـ/11- 16م"، **مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية**، العدد السابع عشر، جامعة الحاج لخضر باتنة1، ت.ن 2019/09/15م، ص ص169- 194.

مملكة الصنغاي والتي كانت تحت حكم الأسقيا مُحَّد الحاج الكبير[2].

إنّ تقلد هذه المناصب وغيرها في الحواضر العلمية للعالم الإسلامي لدليل قاطع على قوة البنية الفكرية للفقيه التلمساني، التي تتمخض عنها قوة الشخصية الدينية، التي أهلتهم لتقلد بعض المناصب السياسية كالحجابة، والسفارة، وغيرهما، مثل ابن مرزوق الخطيب الذي أرسله السلطان أبي الحسن كسفير إلى ألفونسو الرابع البرتغالي سنة 748هـ/1347م ليتفاوض معه لإطلاق سراح ابن السلطان الذي أسره البرتغال في معركة طريف سنة 741هـ/1340م، والفقيه عبدون بن مُحَّد الحباك[3] الذي كان حاجبا في عهد يغمراسن، وأبي زكرياء يحي بن خلدون[4] الذي كان كاتب إنشاء في عهد أبي حمو الأول[5]، وغيرهم ممن تقلدوا مناصب في دولة بني زيان بتلمسان داخليا وخارجيا.

ثانيا ـ مؤلفات فقهاء تلمسان خارج الدولة الزيّانية:

ساهم فقهاء تلمسان في إثراء الحياة الفكرية في الحواضر العلميّة شرقا وغربا، وحتى جنوب الصحراء، وذلك من خلال المصنّفات التي صنّفوها داخل هاته الحواضر، من علوم نقليّة، وعقليّة، وطبيعية، واجتماعية، وغيرها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على قوّة البنية الفكرية التي تمتع بها هؤلاء الفقهاء، حتى نافسوا فقهاء تلك الحواضر في مجال التأليف. إنطلاقا من هذا سنسرد بعض المصنّفات على اعتبار جغرافيٍّ، وهذا لتبيان مدى انتشار التأليف التلمسانية، التي من خلالها أظهرت غزارة ووسع عقل الفقيه التلمسانيّ، من حيث التأثير على الحياة الثقافية في جميع القطر الإسلامي.

1 ـ كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن: لأبي عبد الله مُحَّد بن مرزوق الشهير بالخطيب، وهو كتاب في التاريخ، ألّفه بعد أن كان مقيما بتونس، وكان حُكمُ المغرب

---

[1] سحر عنتر مُحَّد أحمد مرجان، **فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628–1000هـ/1230–1591م)**، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، بور سعيد، القاهرة، 2011/1432، ص ص61-67.

[2] الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص168. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص153.

[3] فقيه من فقهاء تلمسان في عهد أبي يحي يغمراسن بن زيان وحاجبه. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص125 ـ 205.

[4] هو أبو زكرياء يحي بن خلدون،الأخ الأصغر لعبد الرحمان بن خلدون، ولد بتونس 734هـ/1333م، وكان كاتب السلطان أبي حمو الأول، توفي سنة 780هـ/1379م. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، في قسم التحقيق، ص ص7 ـ 43.

[5] المقّري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص238.

أنذاك في قبضة السلطان أبي فارس ابن السلطان أبي الحسن، وانتهى من تأليفه سنة 772هـ/1370م[1]، وهو كتاب نفيس من الناحية التاريخية، حيث تناول فيه سيرة السلطان أبي الحسن المريني من جهة المحاسن، إضافة إلى تاريخ تلمسان والمغربين الأدنى والأقصى، والأحداث التي حصلت في هذه الفترة، وفيه جانب مهمٌّ عن المنشآت العمرانية، والمنجزات العسكرية والحضارية، و نبذة عن حياة الكاتب السياسيّة والدينيّة والفكريّة[2].

احتوى هذا الكتاب على خمسة وخمسين بابا لها عناوين، كلّها تقريبا تتناول خصال هذا السلطان ومآثره في جميع الميادين، تحت كل باب فصول داخلة ضمنا في العنوان الرئيسي للباب، ثمّ ختمه بخاتمة تضمنت هي الأخرى عدّة فصول، ذكر في بدايتها كيف التقى بالسلطان أبي الحسن في قرية العباد، وتقليده خطة الإمامة والخطابة والتدريس[3].

بعد أن توفي السلطان أبو الحسن وجد ابن مرزوق عنتا كبيرا في تونس، فجبرته هذه الظروف على أن يعود إلى المغرب، وإلى كتابة "المسند"[4] الذي أراد من خلاله أن يستميل به السلطان أبا فارس وذلك من خلال شيئين: أول هذين الشيئين هو أن يستميله من جهة إطنابه في مدح أبيه أبي الحسن، ومن جهة أخرى أراد أن يُذَكِّرَهُ بالمكانة والحُظْوَة التي كانت له أثناء حياة أبيه، ولكنه لم يُوفّق إلى مسعاه، ولم يعد إلى الحضرة المرينية[5].

2 ـ كتاب كشف الأستار عن علم حروف الغبار[6]: لأبي الحسن القلصادي نزيل تلمسان، ألّفه بتونس، بتونس، وهو كتاب في كيفية حساب الأعداد، وقد ذكر ابن غازي[7] في كتابه "مُنْيةُ الحِساب"

---

[1] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص57.

[2] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص50 .

[3] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص ص397 ـ 398. ينظر: فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص467.

[4] LEVI-PROVENCAL E.- **Un nouveau texte d'histoire mérinide : le « Musnad » d'Ibn Marzuk ,** « Hesperis ».1950. p11.

[5] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص58. حول ظروف التأليف ينظر نقلا عن المسند: M . shatzmiller. – **les circonstances de la composition du « musnad » d ibn marzuq.** « arabica ». 1975. p p 292 – 299

[6] ينظر الملحق رقم –14–

[7] **ابن غازي**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد علي بن غازي العثماني المكناسي، مؤرخ حاسب فقيه من المالكية، (قبيلة من كتامة بمكناسة الزيتون ولد بها سنة 841هـ/1437م، له عدّ مصنّفات منها: " عدَّة الطلاب في شرح منية الحساب". توفي سنة 919هـ/1513م. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص336.

كيفية الحساب بهذه الأرقام فقال[1]:

بَسِيطُ أَسْمَاءِ الجميعِ إثنَا عَشَرْ   منهَا تُرَكَّــبُ جميعُ مَا غَـبَـرْ
فَتِسْعَةٌ مِنْـهَـا هِيَ الآحَـــادُ   وعاشِـرا لِلـعَشَـــرَاتِ زَادُوا
والتَالِ للمِئِينَ والثـــانِي عَشَـرْ   آلَافُهَا ومِنْ هُنَا الطَيُّ انتَشَرْ

ومعنى هذه الأبيات أنّ الأرقام الغبارية[2] تتكون من اثني عشر رقما وهي كالآتي: «واحد–اثنان–ثلاثة–أربعة – خمسة –ستة – سبعة – ثمانية – تسعة – عشرة – مائة – ألف يتركب ما غبر أي ما بقي من الأسماء...»[3]. ويشتمل على مقدمة، وأربعة أجزاء في كلّ جزء ثمانية أبواب، ثمّ ختمه بخاتمة، يتكوّن من ثمان وعشرين ورقة، الجزء الأول تحدّث فيه عن العدد الصحيح من جمع وطرح وضرب وقسمة، والثاني يتضمن الكسور، والثالث للجدور وكيفية استخراجها، والرابع في استخراج العدد المجهول والأعداد المتناسبة، أمّا الخاتمة فقد جعلها للمتتاليات العددية والهندسية، وهو كتاب جليل في الرياضيات أُلّفت فيه شروح كثيرة منها: "عُدّة الطلاب في شرح منية الحساب" لابن غازي[4].

3 ـ كتاب أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: لأبي عبد الله مُحَّد رن عبد الكريم المغيلي، ألّفه ببلاد السودان الغربي ، وبالضبط بمملكة الصنغاي ببلاد كانو، مابين سنتي 1502م و1503م[5]، هذا الكتاب هو كتاب دعويّ إصلاحي قبل أن يكون كتابا فقهيّا، وسبب تأليف هذا الكتاب هو أنّ الأسقيا مُحَّد الأول اغتنم فرصة وجود المغيليّ ببلاده فطلب منه أن يكتب له رسالة ينصحه فيها، وهي عبارة عن أسئلة سبعة طرحها عليه لتبيان حكم الشرع الاسلاميّ بخصوصها[6]، هذا الكتاب هو عبارة عن مخطوط موجود في المكتبة الوطنية بالجزائر، وَجَدَه عبد القادر زبايدية وسط حزمة من كتب الفقه مكتوب عليها "أسئلة

[1] مُحَّد بن أحمد بن غازي، منية الحساب، مخطوط بالمكتبة المركزية للمخطوطات الاسلامية، مصر العربية، د.س، تحت رقم 933، ص16.

[2] **الغبارية**: هي مأخوذة من غبر بمعنى بقي، وعلى هذا تكون الحروف الغبارية مأخوذة من ما بقي من الأعداد مضافة إلى المائة والألف. نفسه، ص15.

[3] القلصادي، **كشف الأستار عن علم حروف الغبار**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم: 5951، الورقة 1.

[4] مُحَّد السويسي، "عالم رياضي أندلسي تونسي" القلصادي"، **مجلة للبحث العلمي**، جامعة تونس، العدد 9، 1979، ص47.

[5] مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974، ص6.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص255.

الأسقيا وإجابة المغيلي عليها"، وهو مخطوط متكوِّن من عشر صفحات، حقّقها الأستاذ زبايدية ووضع لها عنوان: "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، وتوجد نسخة من هذا المخطوط بباريس تحتوي على ثمان عشرة صفحة بخط مغربي سوداني[1].

بدأ هذه الرسالة بمقدمة ينصح فيها الأسقيا بكيفية التعامل مع الرعية وسياستهم، وذكر بعض النصوص فيها[2]، ثمّ بدأ بالإجابة عن الأسئلة، السؤال الأول كان حول الجهاد ومحاربة الوثنية التي كانت منتشرة في بلاده آنذاك[3]، والثاني حول كيفية التعامل مع الظَّلَمَة وأعوانهم وهل يجوز أخذ مالهم واسترقاء أولادهم وما إلى ذلك، أمّا السؤال الثالث ففي كيفية التعامل مع أهل الكفر في إمارته[4]، الرابع سأله عن جواز الإغارة على الامارات المجاورة الكافرة، وعلى شؤون الإمارة، والخامس حول جواز تنصيب عالما يقوم على زكاة الزروع والمواشي، وهل تجوز شهادة السلطان[5]، والسادس في أحكام الميراث، والسابع في التعامل مع السحرة والمشعوذين، كما سأله عن بعض أحكام فقه المعاملات[6]، وختمها بنصيحة عامّة للسلطان ورعيته[7].

تَكْمُن أهمية هذه الرسالة ي أنها وثيقة تاريخية عامّة لا يستطيع الباحث في تاريخ السودان الغربي الاستغناء عنها، لأنها مزيج دراسي معرفي اقتصاديّ، وسياسيّ، واجتماعي لبلاد الصنغاي في عهد الأساقي، كما أنّ منمظاه أهمية الرسالة هو أنّ الأسقيا محمّد كان صريحا في طرحه لأسئلته على المغيلي، والأهمية الب هو أنّ أجوبة المغيلي بدا عليها اطلاعه عشؤون بلاد السودان، وهو مافسّره تضمنها لأشياء جديدة لم تطرح في الأسئلة أصلا[8].

---

[1] المغيلي، أسئلة الأسقيا، المصدر السابق، ص ص5 ـ 7.
[2] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ص154.
[3] المغيلي، أسئلة الأسقيا، المصدر السابق، ص ص34-48.
[4] نفسه، ص ص 37 ـ 44.
[5] نفسه، ص ص 47 ـ 54.
[6] نفسه، ص ص 57 ـ 63.
[7] نفسه، ص ص67 ـ 68.
[8] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص155.

4 ـ كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب: ألّفه الفقيه التلمسانيّ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي بعد أن استوطن مدينة فاس، كتاب جمع فيه نوازل عصره وقبله، متكوّن من اثني عشر جزءا[1].

وقال عنه التنبكتي: « جمع فأوعى، وحصل فوعى»[2]، ولم يذكر الونشريسي متى بدأ تأليفه، غير أنه أنه ذكر تاريخ الانتهاء منه بقوله: « وكان الفراغ من تقييده مع مزاحمة الأشغال، وتغيّر الأحوال، يوم الثامن والعشرين لشوال عام واحد وتسعمائة»[3].

جمع الفقيه في هذا المؤَلَفِ أجوبة المتقدِمين من نوازل الفقه، ورتّبها على أبواب ليسهل أمرها واستيعابها للناظر فيها، وقد أثبت فيه أسماء المفتين، ونصوص الأسئلة، وتتكرر بعض هذه الفتاوى في بعض الأحيان بنص السؤال وجوابه وهذا إمّا أنه اشتمل على الفتوى المتكررة في الفقه، وإمّا أنّ المؤَلِفَ لم ينتبه على ورودها في مكان قد سبق، وهو معذور لسعة الكتاب وضخامته[4].

كما أنّ للمعيار جانب آخر قلّما يُلتَفَت إليه من القارئ، وهو الجانب الاجتماعيّ والتاريخيّ، فقد تضمن العديد من الإشارات حول العادات والتقاليد، وأنواع المأكول والملبوس، والعمران...وغيرها[5]،

الأمر الذي مكّن المعيار من أن يكون وثيقة تساعد المؤرخ والاجتماعيّ، مثلما تساعد الفقيه في معرفة النوازل[6].

وأمّا مكانته وأهميته فتتجلى في اهتمام الفقهاء به منذ زمن تأليفه إلى وقتنا الحالي، حتى لا تكاد تجد كتابا فقهيا أُلِّف في عصرنا إلاّ وفيه نقل منه، وإحالة عليه، وقد طبع المعيار لأول مرّة في المطبعة الحجرية بفاس سنة 1314هـ/1897م في اثني عشر مجلدا، وهذا بمراقبة فقهاء خطاطين ومصحّحين، كما

---

[1] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص380.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص135.

[3] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ج مقدمة الكتاب، ص- ز.

[4] نفسه، ج1، ص1. ومقدمة المحقق، ص ز.

[5] نفسه، ج7، ص31.

[6] **النوازل**: هي مدوّنة للفكر الفقهي، تجمع نصوصه في حيّز مضبوط، هو حيّز الفتوى، ومتطلّباتها المعرفية، والتطبيقية. ينظر: طاهر بن علي، **دور النوازل في الكتابة التاريخية – نوازل الأندلس في القرنيين 8 و9هـ/14 و15م –نموذجا–**، أطروحة مقدّمة للحصول على شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، إشراف د الحاج عيفة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص179.حول فقه النوازل وكتبه ينظر: عبد العزيز وصفي، فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة "أهميته وخصائصه ومميزاته"، **مجلة الشهاب**، المجلد الرابع، العدد الرابع، ربيع الثاني1440هـ/ ديسمبر2018م، ص ص227-296.

قام الأستاذ مختارات عمار بنشر بعض الفتاوى في مجلة الوثائق المغربية بباريس سنة 1908م بعد أن ترجمها إلى اللغة الفرنسية[1].

5 ـ روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: لأبي العباس أحمد المقّري، ألّفه في حدود (1011 ـ 1012هـ/1602 ـ 1603م) بمدينة فاس[2]، أراد أن يقدِّمه إلى السلطان السعدي المنصور أحمد الذهبي[3]، هذا الكتاب هو خليط مابين الأدب، والتاريخ، والسير والتراجم، واشتمل على قسمين: الأول يتضمن مقدمة وثلاثة أبواب، آخرها الباب الذي تحدث فيه عن مآثر أبي العباس المنصور الذهبي، أمّا القسم الثاني فهو ترجمة لأربعة وثلاثين اسما من أسماء الفقهاء والأدباء الذين التقى بهم في الحضرتين[4]. كما طُبع الكتاب لأول مرّة بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1946م 1946م بتحقيق من الأستاذ عبد الوهاب بن منصور[5].

أمّا في ما يخصّ العقائد فنجد أنّ المقّري قد ألّف كتابا فيها سمّاه "**إضاءة الدجنة بعقائد أهل السّنة**"، هذا الكتاب بدأ تأليفه أثناء زيارته للحجاز سنة 1629م ودرَّسَها بالحرمين الشريفين، وأتمّها بالقاهرة سنة 1630م[6]، « وكان إتمامي له في القاهرة »[7]، وقد كُتِب من هذه العقيدة قرابة الألف نسخة نسخة خاصّة من طلبة العلم بمصر، والشام، والحجاز، وبيت المقدس، وذهبت نسخ منها إلى المغرب[8]. وطبع لأول مرّة بمصر سنة 1303هـ/1886م، على هامش شرح العقيدة السنوسية للشيخ عليش[9].

---

[1] نفسه، مقدمة المحقق، ص ط ـ ي.

[2] المقّري، روضة الآس، المصدر السابق، مقدمة الكتاب، ص- يه.

[3] **أحمد المنصور الذهبي**: سابع سلاطين المغرب في العهد السعدي ووَاسِطَةُ عقدهم، يُعَدُّ حكمه الذي دام حوالي ست وعشرين عام من 986هـ/1578م إلى 1012هـ/1603م أزهى عهود المغرب والحكم السعدي رخاءا وعلما وعمرانا. مات بالطاعون سنة 1012هـ/1603م. إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1398هـ/1978م، ج2، ص ص296-298.

[4] المقّري، روضة الآس، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص- كا.

[5] عبد الحق حميش، المرجع السابق، ج2، ص361.

[6] يحى بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، 177.

[7] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص7.

[8] نفسه، ج1، ص8.

[9] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص177.

6 ـ كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لصاحبه أبي العباس أحمد المقّري، هو كتاب في الأدب، ألّفه بمصر[1]، وطبع المرّة الأولى بالقاهرة، وحققه وأعاد نشره الدكتور إحسان عباس خلال السبعينات[2]، وهو ثمرة زيارته التي قام بها لدمشق، وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول تكلم فيه عن تاريخ الأندلس وما صنع النصارى بها، والقسم الثاني ذكر فيه الفقيه لسان الدين ابن الخطيب وما كان من أحواله، وفي كلّ قسم من أقسامه ثمانية فصول، وقد فرغ من كتابته عشية يوم الأحد المسفر صباحها عن 27 رمضان سنة 1038 بالقاهرة ثم ألحق فيه كثيراً في السنة التالية بعدها، فيكون جميعه في آخر ذي الحجة الحرام تتمة سنة 1039.[3]

وسبب التأليف أنّه حدّث تلامذته فيها عن لسان الدين ومكانته السياسية والأدبية في الأندلس، فأثار في نفوسهم حب الاستطلاع إلى مزيد من البيان عنه، وكان أحمد أفندي شاهين المدرِّسُ بالجمقمقية[4]، أشدهم إلحاحاً في أن يكتب كتابا يتحدث فيه عن ابن الخطيب حتى يتسنى للمشارقة أن يتعرفوا عن شخصيته ومنزلته[5]، فاعتذر المقّري في بادئ الأمر، ولكن شاهين أصرّ فنزل المقري عند رغبته، رغبته، ووعده بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزيّة، وفي هذا الصدد قال: « إني شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب، وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الأسماع والقلوب، وسلكت في ترتيبه أحسن أسلوب، وعرضت في سوقه كل نفيس غريب من الغرب إلى الشرق مجلوب، تستحسن الأبصار ما عليه احتوى، وتعرف الأفكار أنه غير مجتبى»[6]، ثمّ توقف عن كتابته بعد أن كتب شطرا منه، منه، وسمّاه " **عُرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب**"، وعاود ابن شاهين الإلحاح عليه بعد أنِ اطلع على بعض ما جمعه المقري، فأحسّ بخيبة أمله لأنّ المقّري لم يدرج في فاتحة الكتاب المجموع ما دار بينهما من محاوره[7]، فرأى المقّري أن يجمع بين تاريخ الأندلس، وسيرة ابن الخطيب فصار الكتاب يسمى

[1] المقّري، روضة الآس، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص يه.
[2] نجيب بلمبارك، المرجع السابق، ج2، ص78.
[3] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص15.
[4] **المدرسة الجقمقية**: هي إحدى مدارس مدينة دمشق القديمة، تقع مواجهة للمدخل الشمالي للجامع الأموي، بناها حاكم دمشق سيف الدين جقمق الأرغنشاوي ت 824 هـ/1421م. ينظر: أبو المحاسن، المصدر السابق، ج13، ص159.
[5] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص174.
[6] المقّري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص99.
[7] نفسه، ج1، ص15.

"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، وكان أقصى منى أبي العباس أن يحمله هو إلى دمشق ليَطلع عليه أصدقاؤه الذين اقترحوا عليه التأليف، ولكنّ المنيّة وافته وهو لا يزال بمصر[1].

ومهما كان من الأمر، فإن عمل المقّري في نفح الطيب لا يفوته في بابه إلا عمل ابن خلدون في تاريخه، وإن كان ابن خلدون قد وضع المقدمة في نظرية علم الاجتماع والاقتصاد السياسي والعمران، فإنّ المقّري قد وضع في نفح الطيب مقدمة لا غنى عنها في حياة الأندلس وعلمائها وشعرائها، وقد صدق شكيب أرسلان في وصفه لنفح الطيب بأنّه "حقيبة أنباء، وقمطر حوادث، وخزانة آداب، وكشكول لطائف، وديوان أشعار"[2].

ومهما يكن من الأمر فإنّ الملاحظ من سرد مؤلفات فقهاء تلمسان خارج حدود دولة بني زيان، وهو تبيان مدى الانعكاس الفكري الذي خلّفته هذه الفئة في ربوع العالم الاسلامي من جهة، ومن جهة أخرى أنّها لاقت رواجا وإقبالا كبيرين، إمّا تدريسا مثلما حدث لكتاب "إضاءة الدجنة" الذي كان يُدرّس في الحرمين الشريفين، أو شروحا مثل ما ناله كتاب "كشف الأستار" في العلوم العدية للقلصادي، أو مصدرا فقهيا لا غنى للفقهاء عنه في النوازل نقلا منه وإحالة إليه مثل "المعيار"، إلى غير ذلك من أنواع الإقبال، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على مكانة الفقيه التلمسانيّ خارج المنظومة الفكرية التلمسانية، وتمكنه من إضفاء بنية فكرية جديدة، مضافة إلى البِنيات الفكرية المختلفة التي كانت تعجُّ بها الحواضر الإسلاميّة الأخرى.

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص177.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج2، ص222.



خاتمة

الخاتمة:

بعد جمعِنا للمادَّة من مصادرِها وتحليلِها إلى نتائج جاءت حصيلة هذا البحث التاريخي في هذه الدراسة كما يلي:

إنّ هذه الحركة الثقافية الزيّانية الواسعة لم تأت من فراغ، بل هي امتداد للحركة الثقافية الموحدية، حيث ترك الموحدون ميراثا فكريّا مكّن الزيّانيين من خلاله ان يرتقوا به وبحاضرتهم إلى مصاف الحواضر الإسلامية، على غرار فاس ومكناس بالمغرب الأقصى، والقيروان بالمغرب الأدنى، وبغداد بالعراق، وحتى قرطبة في زمانها بالأندلس، فكان هذا الإرث الفكريُّ الموحدي حجر الأساس لبناء حركة ثقافية واسعة بعلومها، متنوعة بمشاربها.

كما كانت البنية الفكرية عند الفقيه التلمسانيّ هوية علمية ومعرفية ومنصبّة في أغلبها على العلوم النقليّة، خاصّة ما تعلّق بالعلوم الدينيّة، و تأثروا بشكل كبير بالدعوة الموحدية، فأغلب علماء الفترة المنوطة بالدراسة يولون علوم القرآن والحديث أهمية كبرى، ويُخصّصون لها معظم انتاجهم، وقليلٌ منهم من نَبَغَ في العلوم العددية، أو الفلك، أو غير ذلك من العلوم الطبيعيّة، بل وحتى العلوم اللسانيّة من لغة وأدب.

لقد استطاعت البنية الفكرية الفقهية التلمسانية توليد ابداع فكريّ ومعرفيّ، ساعدهم في تطوير العلوم وترسيخها وتنويعها، حسب كلِّ تخصّص ومجالاته، فكان الفقيه التلمسانيّ نموذجاً للعالِم الكامل المتّزن، المالِكِ لِنَاصِيَةِ العلوم والمعارف التي أدركتها الإنسانيّة في ذلك الزمان.

مع هذا كلِّه ورغم اختلاف البنيّات الفكرية عند فقهاء تلمسان، إلاّ أنّهم استطاعوا تشكيل شبكة علميّة لا يَخْرِمُ قواعدَها الاختلافُ الفكري، وكمثال لذلك تأيّيد الشيخ مُحَّد بن يوسف السّنوسي، والحافظ التنسي، للشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي في قضية يهود توات، لمّا رأيا ما رآه المغيلي من أنّ اليهود عاثوا في المنطقة فسادا.

كما أنّ الملاحظ بخصوص مناهج التّدريس الفقهيّ وطرقه التي كانت معتمدة بالمؤسسات التعليمية بتلمسان خلال العهد الزّيّاني، أنّهاكانت تختلف اختلافا متباينا عن التي كانت سائدة بالحاضرة فاس العاصمة العلميّة للمغرب الأقصى، وهذا بشهادة بن خلدون نفسه، حيث ذكر أنّ أهل المغرب الأقصى كانت همّتهم في الحفظ، بينما طلبة تلمسان، كانت ألسُنُهم فَتِقَةٌ بالمحاورة، والمناظرة، وهو مايبرز عمق نظرة الفقيه التلمساني، ورسوخه في العلم، في دولة بني زيّان من جهة، ومن جهة ثانيّة بناء بنية فكرية

جديدة تجعل عقل الفقيه يتّسع للمسائل واستنباطاتها، بعدما كان مُقَلِّدًا لمن سبقه من الفقهاء، فكان فقهاء تلمسان مُمَيَّزين عن غيرهم من جانب الوعي العقلي، الذي به ازدهر العلم وتطوّر في بلاد المغرب الأوسط.

وممّا يؤاخذ على مناهج التعليم الفقهي في المؤسسات التعليمية، أنّ بعض السلاطين الزّيّانيّين كانوا يتدخلون أحيانا في نظام المدارس، كمنع تدريس بعض العلوم التي تُخالِف المذهب المالكي الذي كان المذهبَ المعتمدَ في المغرب الأوسط آنذاك،وهو ما أثَّر تأثيراً مباشراً وغير مباشرٍ في صناعة البنية الفكريّة للفقيه، وهذا ما كان ظاهرا من العلوم المدرّسة في تلمسان، فقد حازت العلوم النقليّة شطري العلوم، بينما كان الشطر الباقي موزّعا على العلوم للعلوم الأخرى كالعلوم العقليّة (الرياضيّات ـ والمنطق ...). ومنه يمكن القول أنّ البنية الفكرية للفقيه التلمساني، كانت محصورةً في العلوم النّقليّة بالدرجة الأولى، ثمّ تليها العلوم العقليّة بدرجة أقل.

لقد كانت بنية الفقيه التلمساني واضحةَ المعالم، حيث حملت في طياتها بذور نهضة فكرية إصلاحيّة،إذ كُسِر بها الحصار على الفكر الموحدي، الذي مارس ضغطا كبيرا على الفقهاء لاعتناق أفكارهم الجديدة، فبرزت هذه المعالم إيذانا منهم بتطور الحركة العلميّة في عهد بني زيان، وأهمُّ ميزاته هي الموسوعيّة العلمية للفقيه التلمسانيّ الذي ذكرنا أنّه نموذج للفقيه المتزن.

كما ساهم فقهاء تلمسان مساهمة فعّالة في الحياة الفكرية التلمسانيّة بشكل خاص، والبلاد الإسلاميّة على وجه العموم، فقد كانت المدينة مركز الثقافة والعلم والأدب في ذلك العهد، ولم تقتصر هذه الإسهاماتعلى الإقراء والتّدريس فحسب، بل تَعَدَّتْها إلى التآليف التي زخرت بها المكتبات في أقطار البلاد الإسلاميّة شرقا وغربا، كما ساهمت إسهاما كبيرا تَمَثَلَ في صناعة بنية فكريّة امتازت بالتّنوع والجديّة في جميع مجال الفكر.

إنّ ممايعاب على فقهاء تلمسان في العهد الزيّاني هو أنّ تآليفهم تدور في حركة واحدة كان قِوامها الأول العلوم النقليّة التي أعطت صورة واضحة المعالم لبنية الفقيه التلمساني.

إنّ انعكاس اسهامات البنية الفكريّة لم تقتصر على مجال واحد فقط، بل استطاع فقهاء تلمسان أن يُبرزوا إسهاماتهم المتعدّدة بالموازاة مع التأليف بواسطة المناصب التي تَقلدوها خارج حدود الحاضرة الزيّانيّة، فقد كانوا مابين خطباء، ومدرّسِين، ودعاة...، وهذه المناصب إن دلّت على شيئ فإنّما تدلّ على القوّة الدينية التي تتمخض عنها قوّة البنية الفكريّة، وقد كان لهذا الإسهام الفكري دورٌ فعّالٌ في

تطوُّر الحياة الثقافيّة في جميع العالم الإسلاميّ، ممّا أدّى بهم إلى أن تكون لهم مكانة مرموقة ليس عند العّامة فحسب، بل وحتى عند السّاسة الذين ساسوا تلك البلاد خلال الفترة المدروسة. أمّا بالنسبة للتآليف التي ألّفوها خارج حدود الدولة الزيّانية فقد لاقت رواجا وإقبالا كبيرين، إمّا تدريسا، أو باعتبارها مصدرا فقهيا لا غنى للفقهاء عنه، إلى غير ذلك من أنواع الإقبال، وهذا راجع إلى مكانة الفقيه التلمسانيّ خارج المنظومة الفكريّة التلمسانية، وتَمَكُّنِهِ من إضفاء بنية فكريّة جديدة مُضَافَةٍ إلى البِنيات الفكريّة المختلفة التي كانت تعجُّ بها الحواضر الإسلاميّة الأخرى والتي مازالت آثارها إلى اليوم.

الآفاق والتوصيات

يتفتَّح البحث على آفاق وتوصيات قابلة للدِّراسة تُعين الباحثين على التطرّق إليها لاحقاً منها:

- تتوجه الدراسات التاريخية الحديثة إلى تاريخ الذهنيات الفقهية، وفقهاء تلمسان الذين يمثلون نماذج رائعة في هذا المجال سواء على الفرد والمجتمع، وهي بحاجة إلى دراسة معمّقة، يتمُّ من خلالها تحليل دقيق لذهنيّة الفقيه التلمسانيّ.
- لم تحظ المؤلفات التلمسانية بالدراسة الكافية، من حيث الشروح أو حتى تحقيق مخطوطاتها، من أجل معرفة بنية العقل الفقهي عند فقهاء تلمسان، فالمغرب الأوسط حاضرة من حواضر العلم في الفترة الوسيطية، لذا يجب على الطلبة الباحثين الاعتناء بهذا المجال.
- ندعوا الطلبة الباحثين في الدراسات العليا أن يعتنوا بموروثنا الثقافيّ عبر دراسته وتحليله تحليلا تاريخيا، خاصة الموروث الذّهني الفقهي.
- دراسة مُوسَّعة ودقيقة لملامح الحركة التأليفية في العهد الزياني، مع ذكر أهم مميزاتها وخصائصها.



الملاحــق

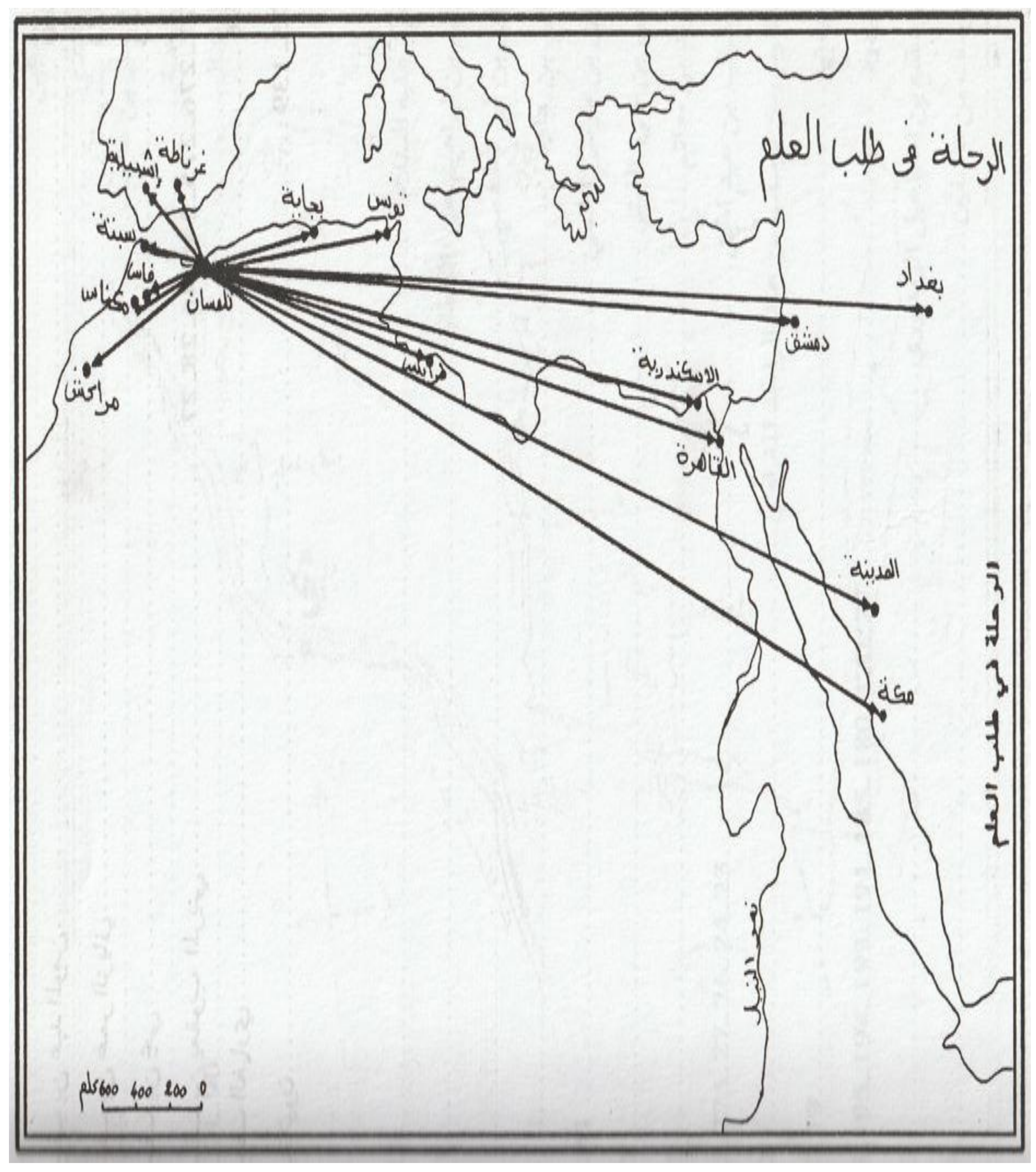
الملحق 01

يغمراسن يستدعي العالم أبا إسحاق التنسي إلى تلمسان

"ولم يزل السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان يحضه للورود على حضرة تلمسان وهو يتمنع، إلا أنه كان يَرد زائرا، ويقيم الأشهر يُدرّس فيها ثم ينصرف إلى تنس؛ فلما كان من شأن مغراوة ما كان، وحدث من الفتنة في تلك النواحي ما حدث، وصل من شهر إلى تلمسان المحوطة بعد أن نظر في سكنى وهران فلم توافقه، فاجتمع إليه صلحاء تلمسان وفقهاؤها، ورغبوا منه المقام بها، واتصل الخبر بالسلطان فجاء إليه وهو بحانوت أبي زيد ابن أبي العيش، وكانت مجمع العلماء، حذاء الجامع الأعظم، وهي التي تسامت الباب الأوسط من أبواب الجامع من جهة الغرب، وفيها كان يجلس الإمام أبو زكريا يحيى بن عصفور المتقدم ذكره، وهي في القديم ملك لأولاد ابن حسين، وكانوا أئمة الجامع في القديم، وعدول البلد، ولم تزل تلك الحانوت مجتمع الفقهاء والصلحاء، ويدّعيها بنوا أبي العيش، وهي لهم هبة من بني ابن حسين، وقد انقرضت بيتهم، والله أعلم، بعد أن كان لهم عقب يتحرفون بصناعة الخرط وشبهه، فوقف عليه السلطان هنالك، ودخل معه إلى المسجد، وقال له: "جئتك راغبا منك أن تقيم ببلدنا لتحيي بها العلم". واجتمع إليه الفقهاء بحضرة السلطان فعزموا عليه، فقال لهم: "بسم الله". فعرض عليه السلطان المترل والإعانة، فقال لهم: "إنما أقيم ببلدكم بشرط ألا تحملوا عليَّ شيئا من هذا، وأن تتركني بحالي". ثم قال لهم: "انظروا لي دارا اشتريتها بمالي". فنظروا له دارا بزربية ابن الذيب بالسبطريين في ظهر السجن الكائن بالسرّاجين، وبعث لأهله فجاؤوا إليه، فأقام مستوطنا بتلمسان، رحمه الله عز وجل هو وأخوه وأخته".

ابن مرزوق: المجموع، ورقة 77

الملحق 02



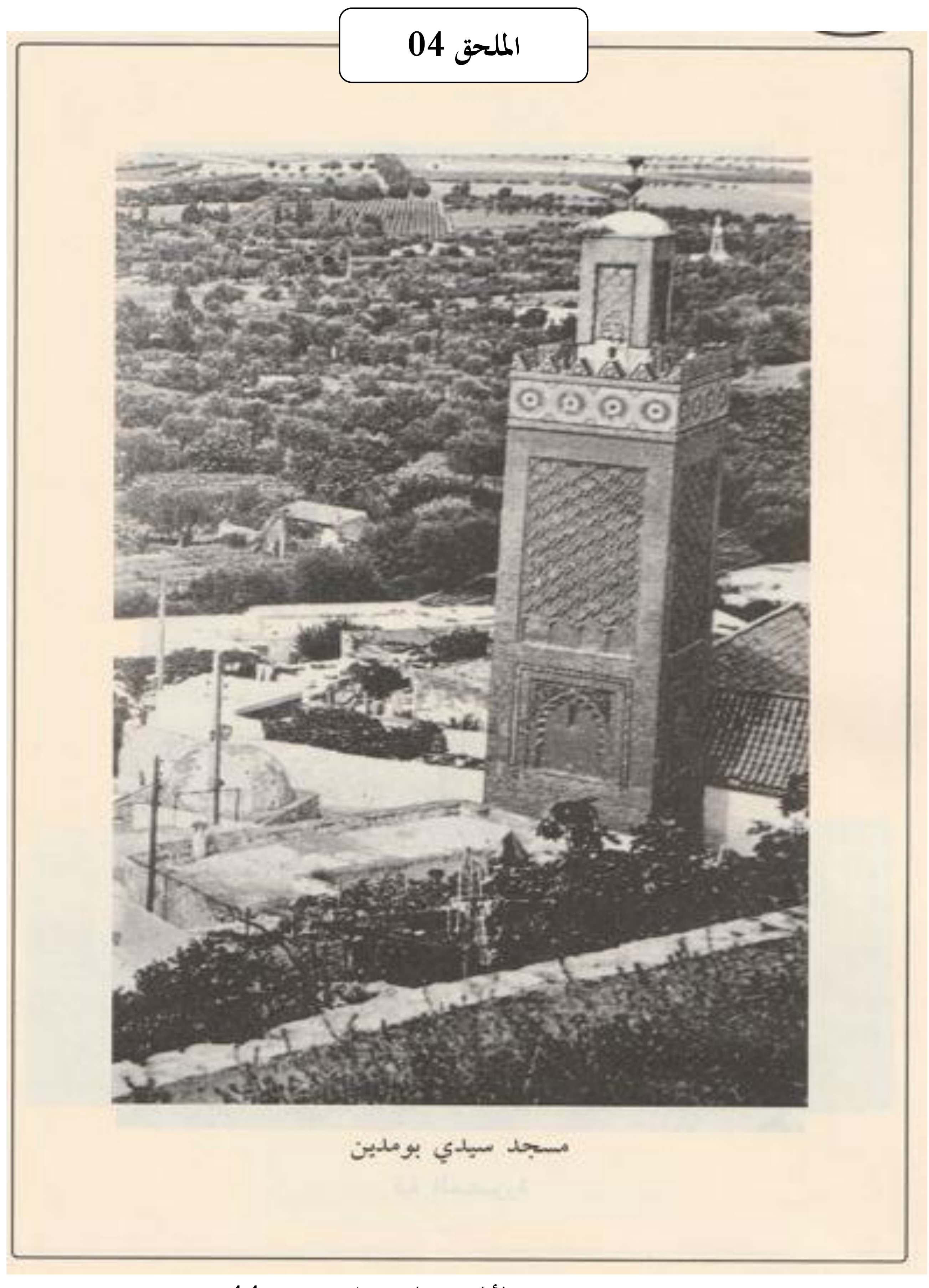
عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص626

الملحق 03



مناظرة بين سعيد العقباني وأبي العباس القباب
حول درهم الإعانة من مخطوط نوازل ابن مرزوق

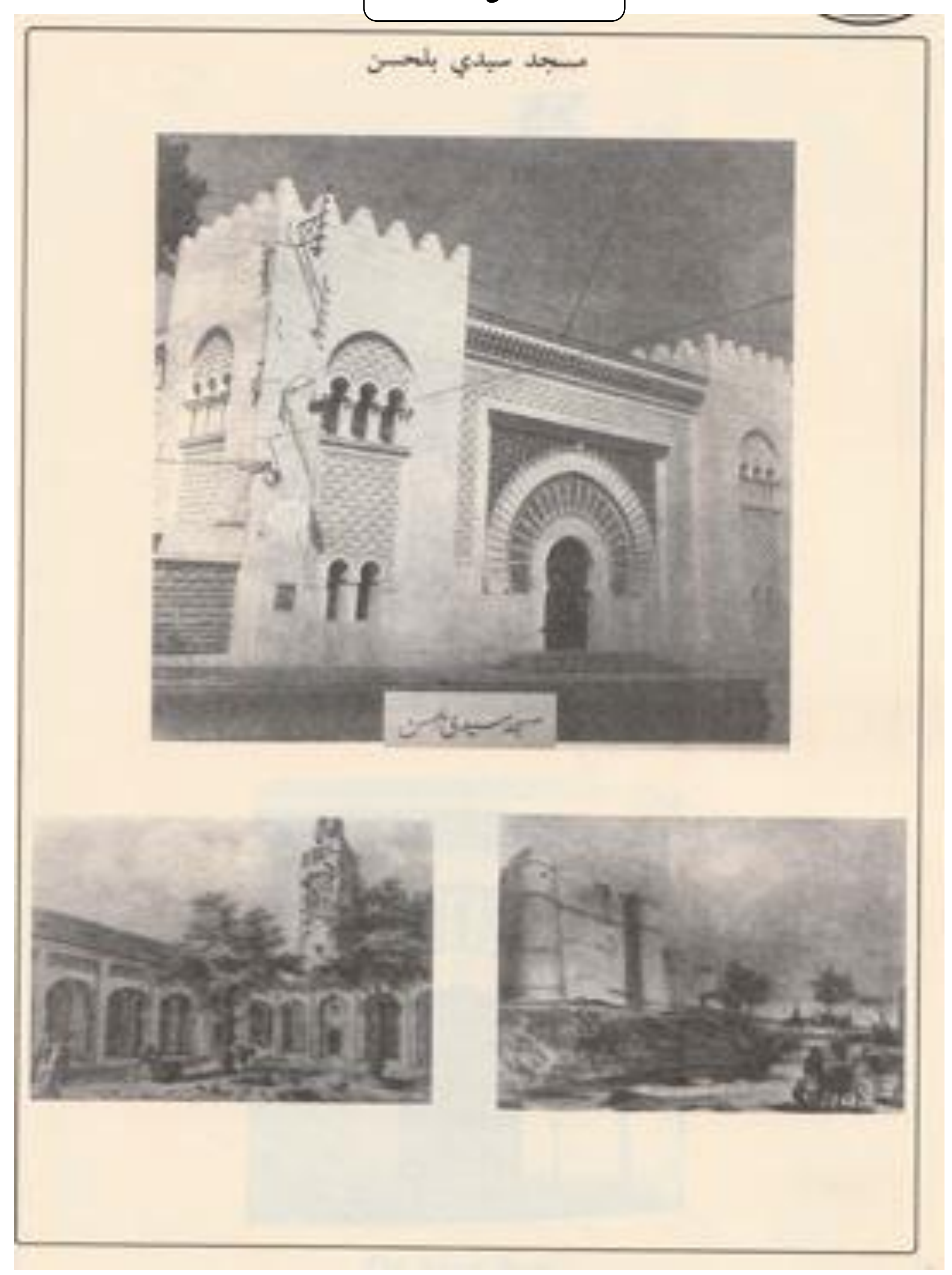
ابن عزوز، عقد الألماس، المرجع السابق، ص262



مسجد سيدي بومدين

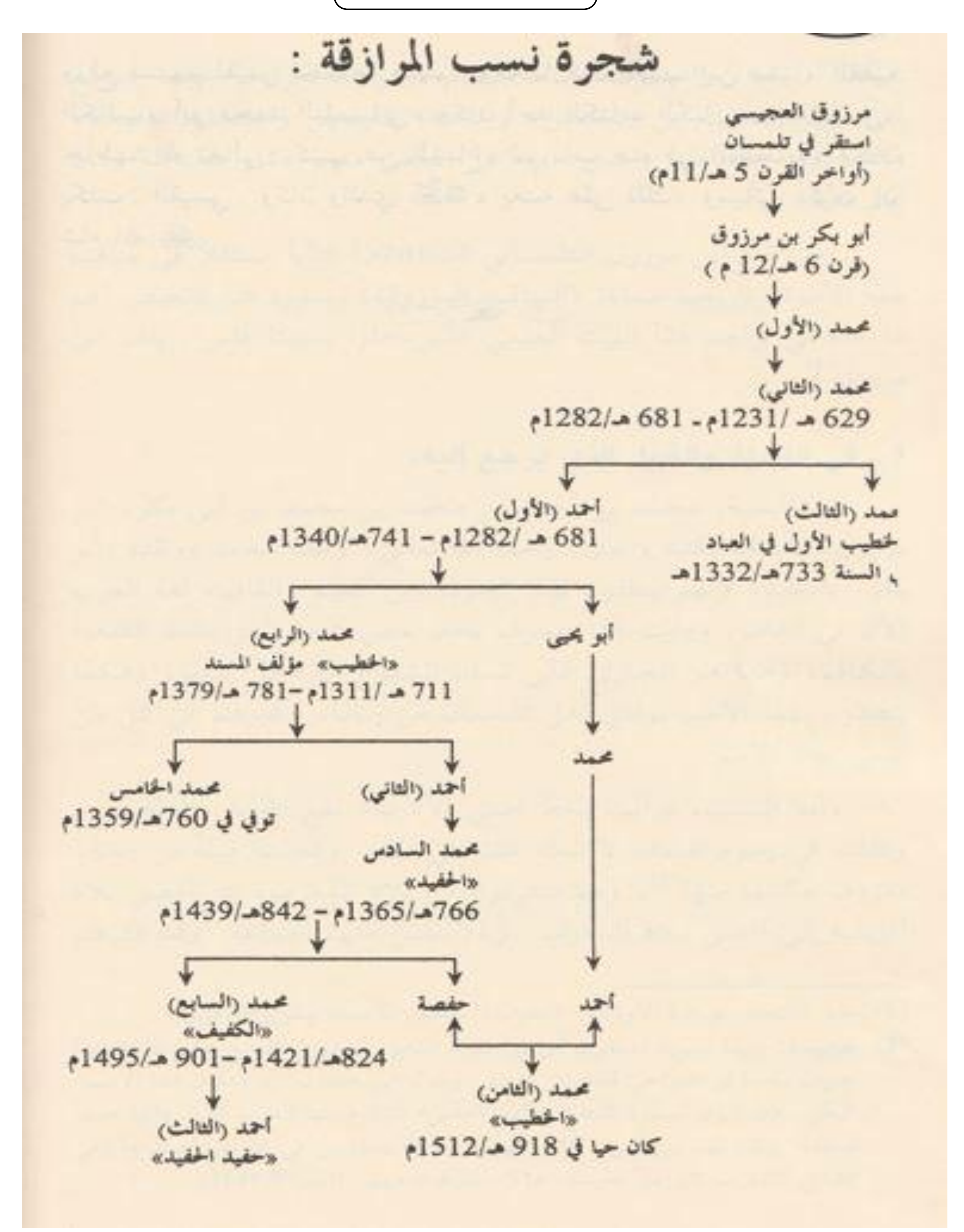
ابن عزوز، عقد الألماس، المرجع السابق، ص44

الملحق 05



ابن عزوز، عقد الألماس، المرجع السابق، ص42

الملحق06



ابن عزوز، عقد الألماس، المرجع السابق، ص92

الملحق 07

التدرج في التعليم عند ابن خلدون

"اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج، شيئا فشيئا، وقليلا قليلا، يلقى عليه أولا مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب، ويُقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله، واستعداده لقبول ما يورد إليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفنّ وتحصيل مسائله.

ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته.

ثم يرجع به وقد شدا، فلا يترك عويصا ولا مبهما، ولا منغلقا إلا وضّحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفنّ وقد استولى على ملكته.

هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه. وقد شاهدنا كثيرا من المعلّمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفاداته، ويحضرون للمتعلم أوّل تعليمه المسائل المقفلة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلّها، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه، ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله، فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها، وقبل أن يستعد لفهمها، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا.

ويكون المتعلّم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال، وبالأمثال الحسية، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا، بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه، حتى تتم الملكة في الاستعداد، ثم في التحصيل، و يحيط هو بمسائل الفن. وإذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي، وبعيد عن الاستعداد له كَلّ ذهنه عنها، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه، وانحرف عن قبوله، وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم. **المقدمة، ص 618- 619**

ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص347

الملحق 08

[28/ب] /محمد بن عبد الله بن عبد الجليل بن عبد الله المغراوي الأمويّ سيدي محمد التنسيّ، أبقى الله بركته ونفع به[1]

□ **نصّ إجازة العلاّمة التنسيّ بخط يده[2]:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ما دام ملك الله.

قرأ عليّ الفقيه النبيل المشارك المتفنّن أبو العباس أحمد بن عليّ بن داود الأندلسي جُلّ ما في هذا الجزء من قصائد شيخنا الفقيه العارف الصوفي أبي إسحق إبراهيم بن محمد اللُّنتي[3] التازي، أفاض الله علينا

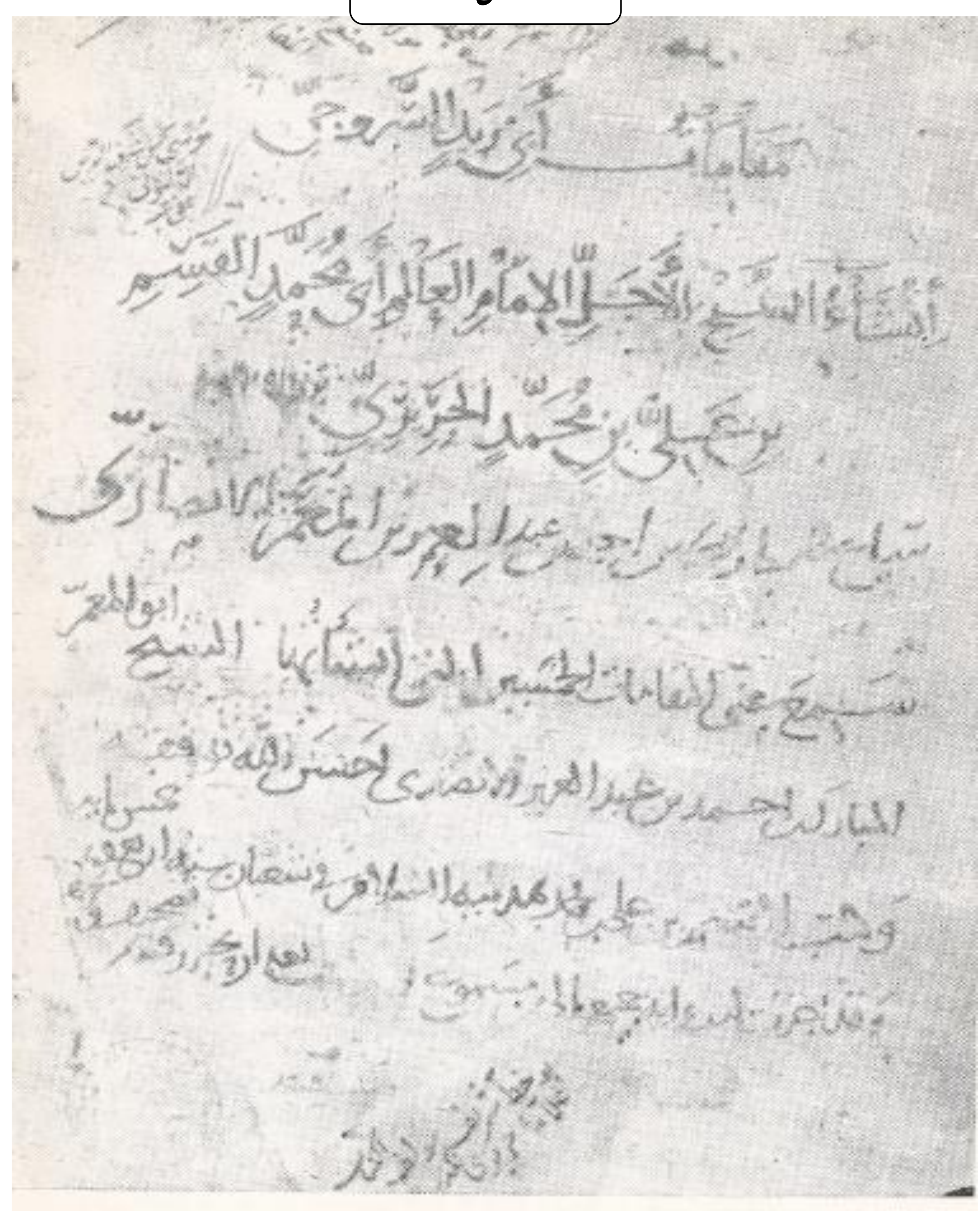
عنيّ من مروياتي، ومنظوم لي ومنثور، وما تلقيته من فوائد شيوخي، رضي الله عنهم.

وأجزته في جميع ما يتعاطاه من العلوم إجازة تامة، لما صحّ عندي من أهليته لذلك، نفعه الله ونفع به، وكان لنا وليّاً وحافظاً، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله تعلى، الراغب إليه في صَلاح حاله: محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسيّ[1] أخذ الله بيده، وكفاه هَمَّ الدنيا وتباعات[2] الآخرة. في أواخر شعبان من سنة خمس وتسعين وثمانمائة (أواسط يوليه 1490)، عرفنا الله خيره، آمين.

البلوي، الثبت، المصدر السابق، ص318

الملحق 09



مقامات أبي زيد السروجي

إنشاء الشيخ الأجل الإمام العالم أبي محمد القسم

بن علي بن محمد الحريري

إجازة علميّة بخط الحريري صاحب المقامات

أحمد شلبي، تاريخ التربيّة الإسلاميّة، المصدر السابق، ص249

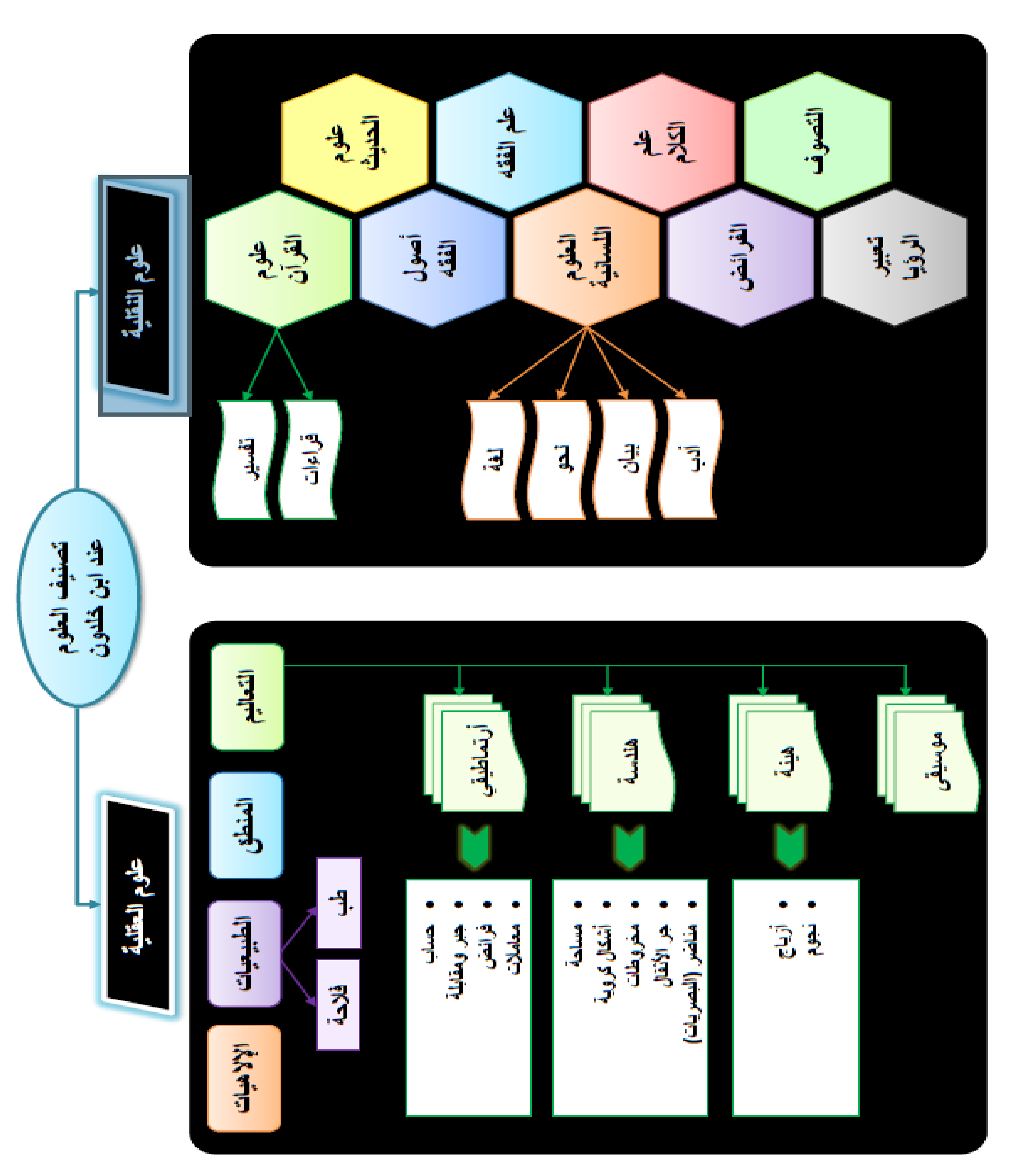
الملحق 10

رأي ابن خلدون في كثرة التآليف

يتحدث ابن خلدون "في أن أكثر التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل: "اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته، كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلّم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلّم له مَنصبُ التحصيل، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلّها أو أكثرها، ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور ولابد دون رتبة التحصيل؛ ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب "المدّونة" مثلا، وما كتب عليها من الشروحات الفقهية، مثل كتاب ابن يونس، واللخمي، وابن بشير، والتنبيهات، والمقدمات، والبيان، والتحصيل على العتبية؛ وكذلك كتاب "ابن الحاجب" وما كتب عليه. ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية، والبغدادية والمصرية، وطرق المتأخرين عنهم، والإحاطة بذلك كله، وحينئذ يسلّم له منصب الفتيا، وهي كلها متكررة والمعنى واحد، والمتعلم مطالب باستحضار جميعها، وتمييز ما بينها، والعمر ينقضى في واحد منها. ولو اقتصر المعلّمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير، وكان التعليم سهلا، ومأخذه قريبا، ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها، ولا تحويلها. ويمثل أيضا علم العربية من كتاب "سيبويه"، وجميع ما كتب عليه، وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسين من بعدهم، وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب، وابن مالك، وجميع ما كتب في ذلك، وكيف يطالب به المتعلّمُ وينقضي عمره دونه ولا يطمع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر..."

ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ج2، ص344

الملحق 11



عبد الجليل قريان، المرجع السابق،ص235.

الملحق 12

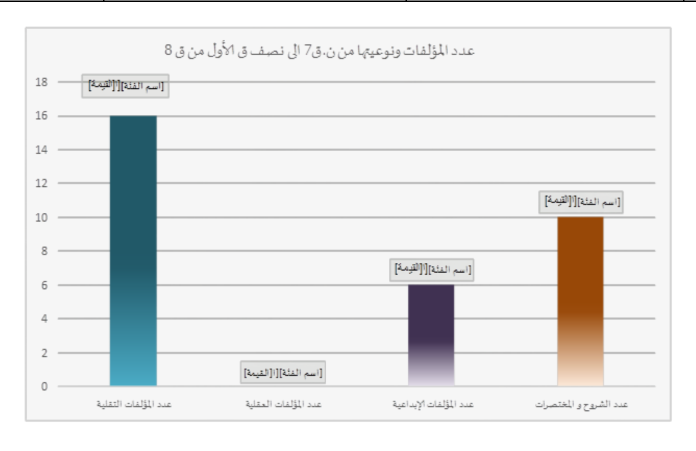
الرقم	اسم المؤلف	سنة الوفاة (هـ)	عدد المؤلفات الإجمالي	عدد المؤلفات النقلية	عدد المؤلفات العقلية	عدد المؤلفات الإبداعية	عدد الشروح والمختصرات
01	ابراهيم بن يخلف التنسي	670هـ- 1272 م	01: (10 اسفار ضاع في الحصار)	01	00	00	01
02	ابراهيم بن أبي بكر التلمساني	690هـ - 1277 م	06، ألف في الفرائض وهو أبن 20 سنة	06	00	03	03
03	مُحَمَّد بن أبي زيد الخزرجي التلمساني	نهاية القرن 7هـ- 13 م	05	05	00	02	03
04	مُحَمَّد بن عمر ابن خميس التلمساني	708هـ - 1309 م	01	01	00	01	00
05	مُحَمَّد بن منصور بن هدية	736هـ - 1335 م	02	01	00	00	01
06	مُحَمَّد بن أحمد بن علي	745 هـ	01	01	00	00	01
07	عبد الرحمن بن الإمام أبي زيد	749 هـ	01	01	00	00	01
08	مُحَمَّد بن مُحَمَّد(المقري)	759هـ	17	16	01	11	06
09	أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد بن ابي حجلة	776 هـ	26	25	01	؟	؟
10	مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد ابن مرزوق الخطيب	781 هـ	19	18	01	10	9
11	ابن خلدون عبد الرحمن	808 هـ- 1406 م	10	08	02	06	04
12	سعيد بن مُحَمَّد العقباني التلمساني	811 هـ	09	06	03	01	08
13	ابن مرزوق الحفيد	845 هـ - 1441م	36	30	06	15	21
14	مُحَمَّد بن أحمد بن أبي	867 هـ	06	01	05	03	03

	يحي التلمساني الحباك						
15	علي بن مُحَمَّد بن علي القرشي القلصادي	891 هـ -1486 م	55	38	17	15	40
16	مُحَمَّد بن يوسف السنوسي	895هـ - 1489 م	47	35	12	12	35
17	أحمد بن مُحَمَّد بن زكري	900هـ	04	03	00	02	01
18	مُحَمَّد بن احمد بن ابي الفضل بن سعيد بن صعد التلمساني	901 هـ -1496 م	03	03	00	02	01
19	مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني	909 هـ	25	19	06	10	15
20	مُحَمَّد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني	910هـ -1505م	02	02	00	01	01
21	محمج بن عبد الرحمن بن ابي العيش الخزرجي	911 هـ - 1505 م	03	03	00	01	02
22	أحمد بن يحي الونشريسي صاحب المعيار	914هـ	07	07	00	02	05
23	محمج بن علي بن ابي الشريف التلمساني	كان حيا سنة 918 هـ - 1512 م	01	01	00	00	01
24	مُحَمَّد بن محمج بن العباس التلمساني أبي عبد الله	كان حيا سنة 920 هـ	03	03	00	00	03
25	شقرون بن مُحَمَّد بن احمد بن أبي جمعة المغراوي	927 هـ	01	01	00	00	01

عبد الجليل قريان، المرجع السابق،ص297-

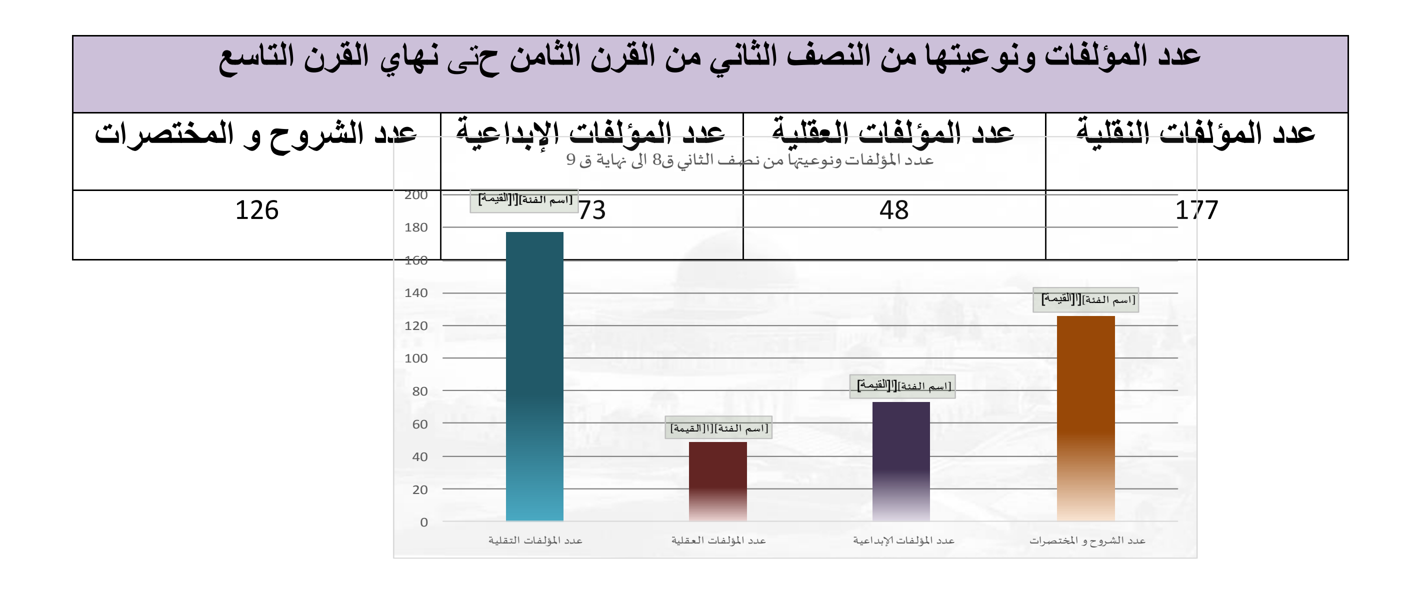
الملحق 13

عدد المؤلفات ونوعيتها من النصف الثاني من القرن السابع الى نهاية النصف الأول من القرن الثامن			
عدد المؤلفات النقلية	عدد المؤلفات العقلية	عدد المؤلفات الإبداعية	عدد الشروح و المختصرات
16	0	6	10



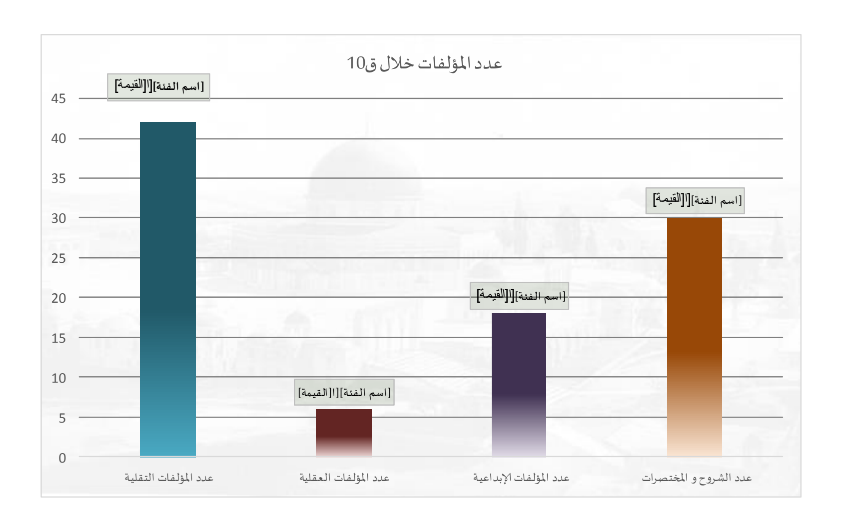
أعمدة بيانية من إنجاز الباحث إستنادا لما اطلعت عليه من المصادر والمراجع نلاحظ في هذه الفترة تزايد كبير في عدد المؤلفات النقليّة وأكثرها كان في الشروح والمختصرات مع إنعدام تام في المؤلفات العقليّة

عدد المؤلفات ونوعيتها من النصف الثاني من القرن الثامن حتى نهاي القرن التاسع			
عدد المؤلفات النقلية	عدد المؤلفات العقلية	عدد المؤلفات الإبداعية	عدد الشروح و المختصرات
177	48	73	126



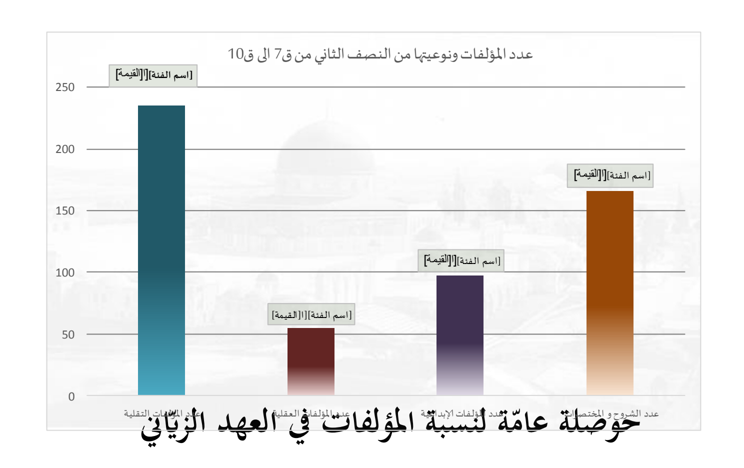
أعمدة بيانية من إنجاز الباحث إستنادا لما اطلعت عليه من المصادر والمراجع في هذه الفترة نرى إنتعاشا ملحوظا في المؤلفات العقليّة مقارنة بالفترة السابقة مع بقاء الهيمنة لفئة الشروح والمختصرات على حساب الإبداعي

عدد المؤلفات ونوعيتها خلال القرن العاشر			
عدد المؤلفات النقلية	عدد المؤلفات العقلية	عدد المؤلفات الإبداعية	عدد الشروح و المختصرات
42	6	18	30



أعمدة بيانية من إنجاز الباحث إستنادا لما اطلعت عليه من المصادر والمراجع نلاحظ في القرن العاشر تناقصا كبيرا في عدد المؤلفات العقليّة

عدد المؤلفات ونوعيتها من النصف الثاني من القرن السابع إلى القرن العاشر			
عدد المؤلفات النقلية	عدد المؤلفات العقلية	عدد المؤلفات الإبداعية	عدد الشروح و المختصرات
235	**54**	**97**	**166**



حوصلة عامّة لنسبة المؤلفات في العهد الزياني

الملحق 14

الورقة الأولى من مخطوطة كشف الأستار عن علم حروف الغبار للقلصادي (ت891هـ)

الورقة الأخيرة من مخطوطة كشف الأستار عن علم حروف الغبار للقلصادي (ت891هـ)



الفهارس العامة

فهرس الآيات والأحاديث	
الاسم	الصفحة
قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَولَا نَفرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ﴾ [سورة التوبة: 122]	183
لقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالاَتِهِ﴾ [المائدة:67]	279
قول الله تعالى: ﴿وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتى نَبْعَثَ رَسُولَا ﴾ [سورة الإسراء الآية15]	60
قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [سورة طه، الآية: 72]	272
قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت الآية 12]	272
قال ﷺ «إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى خَالِقِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ فَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْعَقْلِ تَسْبِقْهُمْ بِالدَّرَجَاتِ وَالزُّلْفَى عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ»	206
قال ﷺ «تعلمُوا الْفَرَائِض وعلِّموها النَّاس، فَإِنِّي امْرُؤ مَقْبُوض، وَإِن الْعلم سيقبضُ حَتَّى يخْتَلف الإثنان فِي الْفَرِيضَة فَلَا يجدان من يفصل بَينهمَا»	202
قال ﷺ «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاَثًا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَة»	86
قال ﷺ «ما خَلَقَ اللهُ خلقاً أكرمَ عليه منَ العَقْلِ»	206
قال ﷺ «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلاّ لخيرٍ يتعلمه أو يُعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله»	91
قال ﷺ «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»	183
الأعلام المترجم لهم	

محمد السّنوسي	165	ابن عمران	50	أبو سعيد عثمان	33
ابن القاضي	135	ابن غازي	156	أبو عبد الله	95
ابن الوَقّاد	249	ابن غرديس	270	أبو عبد الله محمد	47
إبراهيم التلمساني	49	ابن قنفد	146	محمد التنسي	169
إبراهيم الثغري	213	ابن لبّ	228	أبو عمران المشذّالي	49
ابراهيم التازي	170	ابن مرزوق السبط	170	أبو عنان	35
ابن الياسمين	159	ابن مسعود	213	أبو قرّة	25
أبو يعزى	65	أبو يحيى	164	أبو محمد عبد الله الشريف الحسني التلمساني	97
أبو يعقوب يوسف	58	الأنصمي	175	الحكم المستنصر	109
أحمد التلمسانيّ	230	البرزلي	146	الخليفة المأمون	109
أحمد العقباني	162	البوسعيدي	140	الدلائي	139
أحمد المنصور الذهبي	286	التادلي	65	الدّماميني	151
أحمد بن عمران	74	التَّنسي	32	الرعيني	115
أحمد بن محمد المناوي	230	الثعالبي	149	يحي بن يدير	174
أحمد زروق	167	الثعلبيّ	216	يوسف الزيدوري	196
إدريس بن عبد الله	45	أحمد الجزائريّ	167	يوسف بن يعقوب المريني	34

أبو يعزى	65	الجنيد	203	نصر الزّواوي	165
الآبلي	46	الجويني	61	هارون الرشيد	108
الأُبِيُّ	231	الحبّاك	166	منصور الزواوي	27
السنوسي	51	الحسن بن مخلوف	105	موسى بن صموئيل	213
السهروردي	106	السطّيّ	83	مُحَّد بن النّجار	170
السيوطي	246	السلطان أبو سعيد	77	مُحَّد بن جعفر	231
أبو محمد الشاطبي	214	السلطان الأشرف	147	مُحَّد بن عبد الحق	229
الشافعي	239	الزمخشري	216	مُحَّد شقرون	249
الشريف التلمساني	48	الزيتوني	186	مُحَّد العقباني	161
مُحَّد التالوتي	166	مُحَّد ابن الكبير	224	مُحَّد الغرديس	179
محمد الخشني	229	مُحَّد الآشي	51	مُحَّد القلشاني	149
محمد الدّهان	208	عليّ اللّخمي	249	مُحَّد القلعي	166
محمد الشريف	146	علي بن عمران	139	مُحَّد المشذّالي	152
محمد التالوتي	166	عيسى الرتيمي	196	مُحَّد المغيلي	166
كلثوم بن عيا	23	أحمد الونشريسي	176	مُحَّد بن أحمد الشريف	105
سيدي الهواري	107	زيدان بن زيان	42	مُحَّد بن الإمام	53
عبد الباسط اللمطي	81	ست الفقهاء	146	مُحَّد بن العباس	155

عبد الحق التلمساني	67	سحنون	59	النويري	151
عبد العزيز بن عمر	232	سعيد العقباني	85	الندرومي	47
عبد الله التونسي	49	سليمان بن عبد الله	24	النفزي	127
عبد الله الخزرجي	267	مُحَّد الشريف	196	المكّودي	149
عبد المؤمن بن علي	58	مُحَّد شقرون	249	المرشدي	274
عبد الواحد	178	حنظلة بن صفوان	24	المشذّالي	53
القرافي	187	خلف الأحمر	190	الغزالي	61
القرطبي	214	خليل ابن إسحاق	216	الفاسي	139
القزويني	145	دعبل بن عليّ الخزاعي	98	الفشتالي	85
محمد المغيلي	166	العزّ بن عبد السلام	237	الفيجيجي	175
القصّار	139	العبدري	26	الفيروز أبادي	150
القلصادي	51	الطنجي	236	القاسم الزّواوي	16
القونويُّ	127	المازري	186	القاضي عبد الوهاب	216
اللّخمي	186	المتوكل	177	القباب	85
الواثق	265	أيّد أحمد	175	بن حمّاد	67
ميّارة	140	أبو إسحاق الشاطبي	146	محمد المقّري (الجد)	266
محمد بن مرزوق (الخطيب)	143	سعيد العقباني	85	سعيد المقّري	134



قائمة المصادر و المراجع

المصادر و المراجع

أولا: المصادر

ـ القراءن الكريم برواية ورش عن نافع

ـ المخطوطات:

1. القلصادي، **كشف الأستار عن علم حروف الغبار**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم: 5951.

ـ المصادر العامة:

1. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت 774هـ/1346م): **البداية والنهاية**، دار الفكر، د.ط، 1407 هـ - 1986 م، مج13، مج14.
2. ابن أبي دينار مُحَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني أبو عبد الله (ت 1110هـ/1698م): **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، الطبعة الأولى، 1286هـ/1869م.
3. إبن الأبّار عبد الله مُحَّد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/1260م): **التكلمة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، د.ط، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1.
4. (ـــــ): **تحفة القادم**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، لبنان، 1406هـ/1986م.
5. ابن الأحمر إسماعيل أبو الوليد (ت 725هـ/1325م): **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، بور سعيد، 1421هـ/2001م.
6. الإدريسي مُحَّد الشريف أبو عبد الله (ت 559هـ/1166م): **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق: مُحَّد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
7. ابن الأزرق الغرناطي سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، أبو عبد الله محمد بن علي بن مُحَّد الأصبحي الأندلسي، شمس الدين أبو القاسم (ت 896هـ/1491م): **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق دكتور علي سامي، وزارة الإعلام، الطبعة الأولى، العراق، ج2.
8. الآشي الوادي أحمد بن علي البلوي، أبو جعفر (ت938هـ/1532م) **الثَبْتُ**، دراسة وتحقيق عبد الله العَمراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.
9. الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم (ت 430هـ/1039م): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار السعادة للنشر والتوزيع، مصر، 1394هـ - 1974م، مج1.

10. الإصطخري إبراهيم بن مُحَمَّد الفارسي الكرخي أبو إسحاق (ت346هـ/ 957م): **المسالك والممالك**، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1413هـ/1992م.

11. ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس (668هـ/1269م): **عيون الأنبّاء في طبقات الأطبّاء**، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الإحياء د.ط، بيروت، د.ت.

12. الأنطاكي داود بن عمر (ت 1008هـ/1599م): **نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان**، تحقيق وتعليقك مُحَمَّد ياسر زكور، إشراف علي القيم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، دمشق، 2007م.

13. الباجي سليمان بن خلف أبو الوليد (ت 474هـ/1082م): **وصية الشيخ الحافظ أبو الوليد الباجي الأندلسي لولديه**، تحقيق: عبد اللطيف الجلالي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، بيروت، 2002م.

14. الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الأندلسي، أبو الوليد **المنتقى شرح الموطأ**، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، مصر، 1332هـ، ج7.

15. ابن بطوطة شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الله الطنجي اللوّاتي أبو عبد الله (ت 779هـ/1377م): **رحلة ابن بطوطة المسمّاة تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، المغرب، 1417هـ/1997، ج4.

16. البغدادي عبد القاهر بن الطاهر(ت 429هـ/1037م): **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النجية منهم**، تحقيق: لجنة إحياء الترات العربي، منشورات دار الافاق الجديدة، د.ط، بيروت، د.ت.

17. البغدادي علي بن عقيل بن مُحَمَّد بن عقيل أبو الوفاء (ت 513هـ/1119م): **كتاب الجدل (على طريقة الفقهاء)**، نشرته الثقافة الدينية، المركز الاسلامي للطباعة، د.ط، الجيزة، مصر، د.ت.

18. البغدادي، المرجع السابق، ج1، ص136. مُحَمَّد بن عزوز، المرجع السابق، قسم زهرة الريحان، ص667.

19. البكري بن عبد العزيز بن مُحَمَّد الأندلسي أبو عبيد الله (ت487هـ - 1094م): **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، د.ط، بيروت، 1992م، ج2.

20. البلوي خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد أبو البقاء (ت 767هـ/1366م): **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع ضمن مجموعة كتب المكتبة الشاملة، دار الغرب الاسلامي، د.ط، بيروت، دت.

21. التجّاني عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد أبو مُحَمَّد (ت675هـ/1277م): **رحلة التجّاني**، الدار العربية للكتاب، د.ط، ليبيا، تونس، 1981م.

22. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تعليق مُحَمَّد العروسي المطوي، الشركة التونسيّة لفنون الرسم، طبعة جديدة، تونس، 1392هـ/1972م.

23. التميمي مُحَمَّد بن الوليد بن مُحَمَّد المصري أبو العباس أحمد (ت149هـ/766م): **المقصور والممدود**، تحقيق بولس برونله مطبعة ليدن، 1900م.

24. التنبكتي أحمد بابا بن أحمد أبو العباس (ت1036هـ/1626م): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، الطبعة الثانية، طرابلس، ليبيا، 2000م.

25. (ـــــــ): **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج**، دراسة وتحقيق: مُحَمَّد مُطِيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د.ط، المغرب، 1421هـ/2000م، ج1.

26. التنسي محمد بن عبد الله أبو عبد الله (ت899هـ/1494م): **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيّان**، (ت899هـ/1494م)، تحقيق الجزء الأول، محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/1985م.

27. ابن تومرت محمد أبو عبد الله (ت 524هـ/1030م): **أعز مايطلب**، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

28. -(ـــــــــ):تقديم وتحقيق، عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، د.ط، الجزائر، 2007م.

29. الجرجاني علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ/1413م): **كتاب التعريفات**، حقّقه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

30. ابن جرير محمد الطبري أبو جعفر (ت 310هـ/923م): **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 1417هـ/1997م، مج4.

31. الجزنائي علي أبو الحسن(ت ق9هـ/15م): **جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، المغرب، 1411هـ/1991م.

32. ابن جلجل الأندلسي أبي داود سليمان بن حسّان (ت بعد 377هـ/ وبعد 987): **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة، د.ط، القاهرة، 1375هـ/1955م.

33. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ/1657م): **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، درا إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ج2.

34. ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي أبو مُحَمَّد (ت 456هـ/1064م): **رسالة البيان عن حقيقة الإيمان ضمن رسائل ابن حزم الظاهري**، تحقيق : إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1987م، مج3.

35. الحموي أحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن مُحَمَّد المحبي الأصل، الدمشقي(ت1111هـ/1700م): خلاصة **الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت، ج1، ج3.
36. الحموّي الرومي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله (ت626هـ/1229م): **معجم الأدباء يسمّى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت،1414 هـ/1993م، مج3،
37. الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله(ت 626هـ-228م): **معجم البلدان**، دار الصادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1997م، ج2.
38. الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله: **معجم البلدان**، دار الصادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1997م، ج2،
39. الحميرى مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم أبو عبد الله(ت 900هـ/1495م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، بيروت،1980 م، ج1.
40. ابن حوقل مُحَمَّد النصيبي أبو قاسم (ت. بعد 367هـ - 977م): **صورة الأرض**، الطبعة الثانية، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م ج1.
41. ابن الخطيب لسان الدين، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة، د.ت.
42. ابن الخطيب مُحَمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني لسان الدين أبو عبد الله (ت 776 هـ/ 1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: مُحَمَّد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ، الطبعة الثانية، القاهرة، 1393هـ/1973م، ج1.

ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1424هـ/2003م، ج3.

43. ابن الخطيب، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق: مُحَمَّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003.
44. ابن خلدون عبد الرحمان بن مُحَمَّد أبو زيد (808هـ/1406م): **رحلة ابن خلدون**، عارضها بأصولها و على حواشيها مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.
45. (______): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن.
    - الطبعة الأولى،1417هـ/ 1997م، ج7.

- الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م، ج7.
46. (ــــــــــ): **شفاء السّائل وتهذيب المسائل**، تحقيق مُحَّد مطيع الحافظ، دار الفكر، د.ط، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996.
47. (ــــــــــ): **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د.ط، لبنان، 1979م.
48. (ــــــــــ): **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1968م.
- طبعة بولاق، القاهرة، 1284هـ، ج7.
49. ابن خلدون يحي بن مُحَّد أبو زكرياء(ت780هـ/1379م): **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ ـ 1980م، ج1.
50. ابن خلكان أحمد مُحَّد بن أبي بكر (ت681هـ/1282): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، د.ط، بيروت، 1972م، مج2، مج4، مج5. ــــــــــ خليل شحادة، مراجعة سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ج7.
51. الخوارزميّ مُحَّد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله (ت387هـ/997م): **مفاتيح العلوم**، دار المنيرية للطباعة، مطبعة الشرق، د.ط، مصر، 1938م.
52. دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، 1413هـ/1992م، ج6، ج7.
53. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ، 1419هـ/1998م.
54. الذّهبي شمس الدين مُحَّد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله (ت 748هـ/1347م): **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: مُحَّد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، مج2.
55. (ــــــــ): **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، الطبعة الحادية عشر، 1417هـ/1996م، مج1، مج13، مج14، مج17، مج18، مج19، مج20.
56. (ــــــــ): **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 2003 م، مج15.
57. ابن رشد الحفيد مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن أحمد القرطبي أبو الوليد (595هـ/1198م): **الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفى**، تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي، تصدير: محمد علال سيناصر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى بيروت، لبنان، 1994م.
58. ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي أبو الحسن (كان حيّا 724هـ - 1324م): **الذخيرة السّنيّة في تأريخ الدولة المرينيّة**، نشره: الشيخ مُحَّد بن أبي الشنب، طبع بمطبعة كربونل في ساحة الدولة، د.ط، الجزائر، 1339هـ/1920م.

59. (ـــــــــ): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، طبعة دار المنصور، د.ط، الرباط،1392هـ/ 1972م.

60. الزركشي محمَّد بن ابراهيم أبو عبد الله (كان حيّا 882هـ/1477م): **تاريخ الدّولتين الموحِّدِيّة والحفصيَّة**، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، الزيتونة (تونس)، 1385هـ/1966م.

61. زروق أحمد بن أحمد بن مُحَّد الفاسي البرنسي(ت 899هـ/1494م): **قواعد التصوف**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.

62. الزهري محمَّد بن أبي بكر أبو عبد الله (كان حيا 532هـ/1137م): **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمَّد صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، بور سعيد (مصر)، د.ت.

63. الزّيّات أبو يعقوب يوسف بن يحى التادلي، (ت627هـ/1230م)، **التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، تحقيق: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، دار البيضاء، الرباط، 1997.

64. زيّان بن يوسف أبو حمو موسى (ت791هـ/1389م): **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، المعهد الهندي اكسفورد، د.ط، الهند، ماي، 1880م.

65. ابن سحنون مُحَّد بن سعيد بن عبد السلام التنوخيّ أبو عبد الله (ت 240هـ/854م): **كتاب آداب المعلمين** تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1402هـ/1981م.

66. السّخاوي شمس الدين مُحَّد بن عبد الرحمن بن مُحَّد بن أبي بكر بن عثمان بن مُحَّد أبو الخير(ت 902هـ/1497م): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، ج1، ج4، ج5، ج6، ج7، ج8، ج9، ج11.

67. (ـــــــــ): **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1999م، ج2.

68. (ـــــــــ): **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التأريخ**، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، 1407 هـ . 1986م.

69. (ـــــــــ): **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1414هـ/1993م، ج2.

70. ابن سعيد علي بن موسى الغرناطي أبو الحسن (ت 685هـ/1286م): "**الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السّابعة**"، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، د.ط، مصر، د.ت.

71. (ـــــــــ): **المغرب في حلى المغرب**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997، ج1.

72. السّنوسي محمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب (895هـ/1489م): **عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى**، مطبعة جريدة الإسلام، د.ط، مصر، 1316هـ/1899م.

73. ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (ت 428هـ/1037م): **القانون في الطب**، تحقيق ووضع حواشيه مُحَّد أمين الضناوي، دار التراث، د.ط، القاهرة، 1993م، ج1.

74. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/ 1505م): **بغية الوعّاة في طبقات اللغويين والنحّاة**، تحقيق: مُحَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.ت، ج1.

75. (ــــــــ): **طبقات المفسرين العشرين**، تحقيق: علي مُحَّد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1396هـ.

76. (ــــــــ): "**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**"، تحقيق: مُحَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، 1387 هـ/ 1967م، مصر، ج1.

77. ابن شاكر مُحَّد بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الملقب بصلاح الدين(ت 764هـ/1363م): **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، 1974م، ج2، ج3.

78. الشريف مُحَّد بن أحمد الحسني التلمساني أبو عبد الله (ت771هـ/1370م): **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مَثَارات الغَلَط في الأدّلة**، دراسة وتحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م.

79. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، طبعة القاهرة، 1317هـ/1923م، ج1.

80. الصديقي جمال الدين، مُحَّد طاهر بن علي الهندي الفَتَّنِيّ الكجراتي (ت 986هـ/1578م): **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، حيد آباد، الهند،1387 هـ /1967م، مج3.

81. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/ 1363م): **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، د،ط، بيروت، 1420هـ/2000م، مج1، مج3، مج5، مج6، مج20.

82. الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر(ت 599هـ/1203م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، د.ط، القاهرة،1967م.

- طبعة مكتبة الخونجي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1415هـ/1994م.

83. ابن عاشر عبد الواحد أبو مُحَّد (1040هـ/1631م): **المرشد المعين على الضروري من علوم الدّين**، مكتبة القاهرة للطباعة، د.ط، مصر، د.ت.

84. ابن عبد الباقي عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة (ت 1071هـ/1660م): **العين والأثر في عقائد أهل الأثر**، تحقيق: عصام رواس قلعجي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1407هـ.

85. ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله (ت257هـ/871م): **فتوح افريقية والأندلس**، تحقيق وتقديم: عبد الله أنيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1383هـ/ 1964م.

86. العبدري مُحَّد العبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تحقيق: أحمد بن جدّو، مطبعة البعث، د.ط، قسنطينة، د.ت.

87. أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن مُحَّد البكري الأندلسي(ت 487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

88. ابن العربي مُحَّد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي أبو بكر(ت 453هـ/1148م): **المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك**، تعليق: مُحَّد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، تقديم: يوسف القَرَضَاوي، دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1428 هـ/2007 م، ج2.

89. ابن عساكر ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم(ت 571هـ/1175م): **تبيين كذب المفتري فيما نُسِب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1404هـ.

90. العسقلاني أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل (ت 852هـ/1448م): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: مُحَّد عبد المعيد الضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، د.ط، صيدر اباد، الهند، 1392هـ/1972م، ج1، ج4، ج5.

91. العمري أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ، شهاب الدين (ت 749هـ، 1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 1423 هـ، مج4.

92. ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن مُحَّد العَكري الحنبلي أبو الفلاح (ت 1089هـ /1678): "**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت، 1406 هـ / 1986م، مج، 2، مج4، مج5، مج6، مج7، مج8.

93. عياض القاضي بن موسى اليحصبي أبو الفضل: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة الطبعة الأولى، المحمدية، المغرب، د.ت، مج1.

94. العَيْدَرُوس محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت 1038هـ/1629م): **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، د.ت.

95. ابن عيشون محمد الشرّاط أبو عبد الله(ت1109هـ/1697م): **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَّد الخامس، الرباط، د.ت.

96. ابن غازي مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد العثماني المكناسي أبو عبد الله (ت919هـ/1513م): **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، طبعة المامونية، الرباط، 1371هـ/1952م.

97. ابن غازي محمد بن أحمد بن محمد العثماني، المكناسي أبو عبد الله (ت919هـ/1513م): **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، طبعة 1952م، المامونية، الارباط، 1371هـ/1952م،

98. الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس (644هـ/714م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، حققه وعلق عليه عادل نويهض، دار الثقافة، الطبعة الثانية، نيسان ـابريل . بيروت، 1979.

99. الغزالي مُحَّد بن مُحَّد الطوسي أبو حامد (ت505هـ/1111م): **إحياء علوم الدين**، ، دار المعرفة، د.ط بيروت، د.ت، مج3، مج4.

100. الغَزّي نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ/1651م): **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان،1418هـ/1997م، ج1.

101. الغيتابى محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى بدر الدين العينى أبو مُحَّد (ت 855هـ/1451م): "**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**"، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، د.ت، مج5، مج23.

102. أبو الفداء إسماعيل: **طبقات الشافعيين**، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ومُحَّد زينهم مُحَّد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، مصر، 1413هـ/1993.

103. ابن فرحون إبراهيم بن علي بن مُحَّد، ، برهان الدين اليعمري (ت 799هـ/1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق: الدكتور مُحَّد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج1.

104. الفكّون عبد الكريم بن مُحَّد (ت 1073هـ/1662م): **منشور الهداية**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، د.ط، بيروت، 1989م.

105. الفيروزآبادى مجد الدّين أبو طاهر مُحَّد بن يعقوب (ت 817هـ/1414): "**البُلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة**"، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، ، 1421هـ/ 2000م.

106. ابن القاضى أحمد بن محمّد المكناسى أبو العبّاس (960 – 1025 هـ): **ذيل وفيات الأعيان المسمى "درّة الحجال فى أسماء الرّجال"**، تحقيق: الدكتور مُحَّد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، الطبعة الأولى، تونس، 1391 هـ/ 1971 م، ج1، ج2، ج3.

107. (ــــــــــ) **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس**، دار النشر للطباعة والوراقة، د.ط، الرباط، 1973م، ج1، ج2.

108. القزويني مُحَّد بن يزيد ابن ماجه أبو عبد الله (ت275هـ/888م): **السنن**، تحقيق مُحَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت، ج1.

109.القسنطيني أبو العباس أحمد بن الخطيب بن قنفذ (ت810هـ/1408م) **الفارسيَّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة**، تحقيق: مُحَّد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية، الطبعة الأولى، تونس، 1388هـ/1968م.

110.القلصادي علي الأندلسي أبو الحسن (ت 891هـ/1486م): **رحلة القلصادي**، تحقيق: مُحَّد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، تونس، 1978م.

111.القلقشندي شهاب الدّين أحمد بن علي أبو العباس(ت821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ج1، ج5، ج6.

112.(ـــــــــ): **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، بيروت، 1400هـ/1980م.

113.ابن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب(ت 810هـ/1407م): **أنس الفقير وعزُّ الحقير**، نشره وصححه: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، د.ط، الرباط، 1965.

114.(ـــــــــ): **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، الطبعة الرابعة، بيروت، 1403هـ/1983م.

115.القيراوني ابراهيم الرّقيق أبو اسحاق (ت 420هـ/1029م): **تاريخ افريقية والمغرب**، تحقيق وتقديم: المنجي الكعبي، تونس، 1968م.

116.القيسي هيثم بن سليمان أبو المهلب (ت275هـ/888م): **أدب القاضي والقضاء**، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنشر، د.ط، تونس، 1970م

117.كبرى زاده أحمد بن مصطفى طاش (968هـ/1561م): **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، تحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أبو الثور، دار الكتب الحديثة، د.ط، القاهرة، 1388هـ/1986م، ج1.

118.الكلاباذي بن أبي إسحاق أبو بكر مُحَّد (ت 380هـ/990م): **التّعرف لمذهب أهل التّصوُّف**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1352هـ/1933م.

119.المالكي أبو بكر عبد الله بن مُحَّد (ت بعد 453هـ/1061م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق: بشير بكوش، مراجعة: مُحَّد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية بيروت، لبنان، 1414 هـ/ 1994م، ج1.

120.الماوردي علي بن مُحَّد بن حبيب أبو الحسن (ت 450هـ/1058م): **كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي ، دار ابن تيمية، الطبعة الأولى، الكويت، 1409هـ/1989م.

121.مجهول، **الاستبصار في عجائب الامصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد، د.ت.

122.مجهول، **زهرة البستان في دولة بني زيان**، تحقيق بوزياني الدراجي، مؤسّسة بوزياني الدراجي، د.ط، الجزائر، 1434هـ/2013م، ج2.

123.المراكشي أحمد بن أبي عبد الله أبو العباس (ت 712هـ - 1312م): **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: ج، س، كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1.

124.المراكشي مُحَّد بن مُحَّد الأنصاري الأوسيّ أبو عبد الله (ت703هـ/1303م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ج2.

125.المراكشي محيي الدّين عبد الواحد (ت 647هـ/1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه وأعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006م.

ـ المراكشي، مطبعة الإستقامة، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه مُحَّد سعيد عريان ومحمد العربي العلمي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1368هـ/1949م.

126.ابن مرزوق محمد التلمساني أبو عبد الله (ت781هـ/1379م)، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م.

127.ابن مرزوق محمد التلمساني أبو عبد الله، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، ضبط وتقديم: مُحَّد مفتاح، دار الأمان، الطبعة الأولى، الرباط، ، 1433هـ/2012م.

128.ابن مرزوق محمد بن أحمد التلمساني: **المجموع**، نسخة مصورة عن مخطوط الخزانة العامة بالرباط، د.ت.

129.ابن مريم محمَّد بن محمَّد بن أحمد أبو عبد الله (ت 1020هـ/1611م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: محمَّد بن أبي شنب، دار الثعالبية، د.ط، الجزائر، 1434هـ/1908م.

130.المسعودي علي بن الحسين بن علي أبو الحسن(ت 346هـ/957م): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، صيدا، بيروت، 1425هـ/2005م، مج3.

131.المغراوي أحمد بن أبي جمعة(ت920هـ/1515م)،: **جامع جوامع الاختصار والتّبيان فيما يعرض للمعلّمين وآباء الصبيان**، تحقيق وتعليق: أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، د.ت.

132.المغيلي مُحَّد بن عبدالكريم أبو عبد الله (ت 909هـ/1504م): **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق: رابح بونار، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، 2007م.

133.(ـــــــــ): **شرح التبيان في علم البيان**، تحقيق: الدكتور أبو أزهر بلخير هانم، وزارة الثقافة الجزائرية، د.ط، الجزائر، 2012م.

134.(ــــــــ): "**لُبُّ اللباب في رد الفكر إلى الصواب**"، تحقيق أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، 2006.

135.(ــــــــ): **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974م.

136.المقرّي شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد التلمساني(ت 1041هـ/1584م): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري عبد الحفيظ، طبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1361هـ/1946م، ج1.

137.(ــــــ): **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مُراَكُشَ وفاس**، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1403هـ/1983م.

138.(ــــــ) **نفـح الطّيب من غصـن الأنـدلس الرّطيـب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م، مقدمة المحقق، ج1، ج2، ج4،ج5، ج7.

139.المقّري مُحَمَّد بن أحمد التلمسانيّ أبو عبد الله(ت759هـ/1359م):: "**عمل من طبّ لمن حبّ**"، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.

140.المقريزي أحمد بن علي أبو العبّاس(ت845هـ/1441م): **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الاسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م، ج2.

141.المكيّ محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، الحسني الفاسي أبو الطيب (ت 832هـ/1428م): **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ج1.

- منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1410هـ/1989م.

142.النباهي علي بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن الحسن الجذامي المالقي الأندلسي أبو الحسن (ت نحو 792هـ/1390م): **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، تحقيق: لجنة إحياء دار الآفاق الجديدة، التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان، 1403هـ ـ 1983م.

143.النويري أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين بن مُحَمَّد بن عبد الدائم القرشي البكري التيمي (ت 733هـ/1332م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1423هـ، ج3.

144.الهاشمي ابن فهد تقي الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد العلويّ الأصفوني أبو الفضل (871هـ/1466م): **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1419هـ/ 1998م.

145.الوزان الحسن بن مُحَّد الفاسي (ت944هـ/1537م): **وصف إفريقيا**، تحقيق: مُحَّد حجي ومُحَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، تونس، 1983م، ج1، ج2.

146.أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر(807هـ/1405): **رَّوضة النّسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، د.ط، الرباط، المغرب، 1381هـ/1962م.

147.الونشريسي أحمد بن يحيى بن مُحَّد بن عبد الواحد بن علي أبو العباس (ت 914هـ/1509م): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، طبع بإشراف مُحَّد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م، المقدمة، مج1، مج2، مج6، مج7، مج11، مج12.

148.(ـــــــــ): **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعيّة**، نشر وتعليق: مُحَّد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، د.ط، الجزائر، د.ت.

149..(ـــــــــ): "**عُدّة البروق في جمع ما في المذهب من الجُموع والفُروق**"، دراسة وتحقيقك حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م.

150.(ـــــ): **وفيات الونشريسي**، تحقيق: مُحَّد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د.ط، القاهرة، د.ت.

ثانيا: المراجع:

1. أبو الأجفان مُحَّد الهادي: **الإمام أبو عبد الله مُحَّد المقرّي التلمساني**، الدار العربية للكتاب، د.ط، ليبيا، تونس، 1988م.
2. أسكان الحسين: **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1ـ 9هـ / 7ـ 15م)**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغيّة، مركز الدراسات التاريخيّة والبيئية، د.ط، الرباط، 2004م.
3. ابن اشنهو ابن أبي زيّان عبد الحميد: **دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر**، مطبعة الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، 1392هـ/1972م.
4. اعراب سعيد: **القرّاء والقراءات بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م.
5. الألوري آدم عبد الله: **الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا**، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، الطبعة الثانية، مصر، 1974م.
6. أمين أحمد: **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة، د.ت، ج2.
7. الأهدل أحمد بن يوسف بن مُحَّد: **إعانة الطالب في بداية علم الفرائض**، مراجعة وتقديم: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1427 هـ/ 2007 م.

8. الباكستاني إحسان إلهي ظهير: **التَّصَوُّفُ المنشَأ وَالمَصَادر**، إدارة ترجمان السُنّة، الطبعة الأولى، لاهور، باكستان، 1406 هـ/ 1986م.

9. البخاري مُحَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي أبو الطيب: **أبجد العلوم المسمّى الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت،1423هـ- 2002م.

10. البغدادي إسماعيل بن مُحَّد أمين بن مير سليم الباباني: **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: مُحَّد شرف الدّين بالتقايا رئيس أمور الدّين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج3.

11. (______): **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ج2.

12. بلعربي خالد: **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية**، دار الألمعية، الطبعة الأولى، قسنطينة الجزائر، 1432هـ/2011م، ص: 243.

13. (_____): **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة تاريخية حضارية (633-981هـ/1235-1282م)**، دار الألمعية، ط1، تلمسان، الجزائر، 1432هـ/2011م.

14. بورويبة رشيد وآخرون: **الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1404هـ/1984م، ج3.

15. بوعزيز يحي: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م، ج2.

16. بوعزيز يحي: **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م.

17. بوعياد محمود: **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1402هـ/1982م.

18. بونابي الطاهر: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 7و8 الهجريين/12م و13 الميلاديين (نشأته-تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري)**، دار الهدى، د.ط، عين مليلة، الجزائر، 1425هـ/2004م.

19. الجراري عباس: **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، نشر وتوزيع مكتبة المعارف، مكتبة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الرباط، الدرا البيضاء، المغرب، 1979م.

20. جلاب حسن: **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، منشورات الجامعة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، المغرب، 1985.

21. الجيدي عمر: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 1993م.

22. الجيلالي عبد الرحمان بن مُحَّد: **تاريخ الجزائر العام**، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، 1384هـ/1965م، ج2.

23. حاجيات عبد الحميد: **أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1982م.

______، طبعة 1394هـ/1974م.

24. (______): **الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان ضمن كتاب الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1984م.

25. (______): **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي**، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ج1.

26. حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1398هـ/1978م، ج2.

27. (______): **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 2هـ/ 51 م**، دار النشر المغربية، الطبعة الثانية، المغرب، د.ت، ج4.

28. الحريري مُحَّد عيسى: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس**، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1987م.

29. (______): **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، دار القلم، الطبعة الثانية، الكويت، 1408هـ/1987م.

30. حسين مُحَّد كامل: **الموجز في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب**، المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، د.ت.

31. الحفناوي مُحَّد أبو القاسم: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ/1906م، ج1،ج2.

32. حمّيش عبد الحق: **سِيَرُ أعلام تلمسان**، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المسيلة، 1432هـ/2011م.

33. ابن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ/ 16 م** ، دار الأمل، الجزائر، 2006م، ج1.

34. خيري محمد: **علم الفرائض والمواريث في الشريعة الإسلامية والقانون السوري**، لا يوجد دار النشر، د.ط، 1398هـ/1978م.

دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1424هـ/2003م، ج3.

35. داود نصر الدين: **الحياة الفكرية والتعليمية بتلمسان "من خلال علماء بني مرزوق من ق7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**، كنوز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2011م.

36. الدفاع علي بن عبد الله وجلال شوقي: **أعلام الفيزياء في الإسلام**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م.

37. الدفاع علي عبد الله: **إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة**، درا الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1405هـ/1985م.

38. دهينة عطاالله: "مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس"، **مجلة تاريخ وحضارة المغرب**، العدد الثالث عشر، الجزائر، جانفي 1976م.

39. الزركلي خير الدين: **ترتيب الأعلام على الأعوام**، رتبه وعلّق عليه زهير ظاظا، فهرسه مُحَمَّد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ط، بيروت، لبنان، 2006م، ج1.

40. (______): **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان، 1986م، من ج1 إلى ج9.

41. زغلول عبد الحميد سعد: **تاريخ المغرب العربي "تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام دولة الفاطميين"**، منشأة المعارف، د.ط، الإسكندرية، د.ت.

42. زكي محمد حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، القاهرة، مصر، 2012م.

43. الزياني مُحَمَّد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ/1978م.

44. سالم السيد عبد العزيز ، **المغرب الكبير في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع،د.ط، الإسكندرية، د.ت.

45. السائح الحسن: **الحضارة الإسلاميّة في المغرب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الدرا البيضاء، 1406هـ/1986م.

46. السرّاج مُحَمَّد بن مُحَمَّد الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، د.ر.ن، تونس، 1970، القسم الأول، ج4.

47. السعيد أحمد سليمان: **تاريخ الدول الإسلامية**، طبع في مصر، 1969م، ج3.

48. سعيدوني ناصر الدّين: **دراسات أندلسيّة مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، البصائر للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 2013م.

49. السّلاوي شهاب الدين أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري أبو العباس: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري وجعفر الناصري، دار الكتاب، د.ط، الدار البيضاء، د.ت، ج1، ج3.

50. السملالي العباس بن ابراهيم ، **الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1413هـ/1993م، ج2.

51. السوسي محمد المختار: **خلال جزولة**، دار الكتب العلميّة، د.ط، بيروت، لبنان، 1971، ج2،

52. شلبي أحمد: **تاريخ التربية الإسلاميّة**، دار الكشّاف للنّشر والطباعة والتوزيع، د.ط، مصر، 1954م.

53. (ـــــــ): **تاريخ التربية الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، مصر، 1973م.

54. شلبي عبد العاطي محمد: **الخطابة الإسلامية**، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006م.

55. الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني: **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، دمشق، كفر بطنا، 1419هـ- 1999م، ج2.

56. (ـــــــ): **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة، بيروت، ج2.

57. (ـــــــ): **القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد**، تحقيقك عبد الرحمن عبد الخالق، دار القلم، الطبعة الأولى، الكويت، 1396م.

58. ضيف شوقي: **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، الطبعة الأولى، مصر، 1960، 1995م، ج2.

الطبعة الخامسة عشر أيار/ مايو، 2002م، مج1، مج3، مج5، مج7، مج9.

طبعة دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م.

59. طمّار محمَّد: **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، تحقيق: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، بن عكنون الجزائر، 1428هـ/2007م،

60. ابن عاشور محمد الطاهر: **أليس الصبح بقريب "التعليم العربي الاسلامي"**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، مصر، 1427هـ/2006م.

61. (ـــــــ): **المحاضرات المغربيات**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدرا التونسية للنشر، د.ط، تونس، 1394هـ/1974م.

62. عبد الرحمن محمد: **الجامع في تاريخ العلوم عند العرب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت، 1908هـ/1988م.

63. عبد العزيز محمد عادل: **التربية الاسلامية في المغرب "أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1987م.

64. عبد الوهاب بن منصور: **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م.

65. عبدلي لخضر: **تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيّان (633. 962هـ/ 1236. 1554م)**، دار الأوطان، الطبعة الأولى، الجزائر، 2011م.

66. (ـــــــــ): **التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد**، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، وهران، 2011م.

67. العبودي مُحَمَّد بن ناصر: **سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور**، مكتبة فهد الوطنية، الطبعة الأولى، مالي، 1420هـ/1999م.

68. عتيق عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، د.ت.

69. العثيمين مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد: **تلخيص فقة الفرائض**، دار الوطن للنشر، د.ط، الرياض، 1423هـ.

70. العروي عبد الله: **مفهوم التاريخ**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.

71. ابن عزوز محمد: **عقد الألماس في بيوتات علماء تلمسان في فاس ويليه زهرة الريحان في الصِّلات العلميَّة بين فاسٍ وتلمسان**، دار الأمان، الرباط، المغرب، دار ابن حزم عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ، 1440هـ/2019م.

72. عطية جرجي شاهين: **سُلَّمُ اللِّسان في الصرف والنّحو والبيان**، دار ريحاني للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت، د.ت.

73. العقل ناصر بن عبد الكريم: **التقليد والتبعيّة وأثرهما في كيان الأمة الإسلاميّة**، إشراف: مُحَمَّد عبد الله أبو الفتح البيانوني، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلاميّة، د.ط، السعودية، 1393هـ.

74. علاّم عبد الله: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، د.ط، مصر، 1971م.

75. العلواني طه جابر فياض: **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا – الولايات المتحدة الأميريكية،1987م.

76. عمورة عمار: **موجـز تاريـخ الجـزائر**، دار ريحانة، الطبعة الأولى، القبة، الجزائر، 1423هـ/2002م.

77. عنان مُحَمَّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القسم الأول، القاهرة، 1990م، ج2.

78. عيادي سعيد: **موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكريّة في العالمين العربي والاسلامي**، وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلاميّة، د.ط، الجزائر، 1432هـ/2011م.

79. عيسى بك أحمد: **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، القاهرة، مصر، 2012م.

80. عيسى مُحَمَّد عبد الحميد: **تاريخ التعليم في الأندلس**، إشراف: لويس سواريث قرنانديث، تقديم: عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، مصر، 1982م.

81. غيتاوي مولاي التهامي: **الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي مُحَّد بن الكبير**، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة، الجزائر، 1428هـ/2007م.

82. فيلالي عبد العزيز: **تلمسان في العهد الزياني**، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1، ج2.

83. القبلي مُحَّد: **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار توبقال للنشر، د.ط، الدار البيضاء، 1987م.

84. قدوري غانم الحَمَد: **أبحاث في العربيّة الفصحى**، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عَمّان، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، 1426هـ/2005م.

85. ابن قربة صالح: **المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1986م.

86. قريان عبد الجليل: **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 1432هـ/2011م.

87. قسوم عبد الرزاق: **عبد الرحمن الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.

88. قمبر محمود: **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، دار الثقافة، د.ط، الدوحة، قطر، 1405هـ/1985م.

89. الكتاني مُحَّد بن جعفر بن ادريس **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: الشريف مُحَّد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الطبعة الأولى، المغرب، 1425هـ/2004م، ج2، ج3.

90. كنون عبد الله الحسني: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د.ط، بيروت، لبنان، 1961م، ج1.

91. اللاحم بن مُحَّد عبد الكريم: **المطلع على دقائق زاد المستقنع "فقه القضاء والشهادات"**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية،1433هـ- 2012م، ج1.

92. ابن لمبارك نجيب: **ذخائر حاضرة تلمسان**، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2012م، ج2.

93. المامي مُحَّد المختار مُحَّد: **المذهب المالكي مَدَارسُه ومؤلفاته ـ خصائصه وسِماتُه**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، العين، دولة الإمارات العربية المتّحدة، 1422هـ/2002م.

94. محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دَّولة بني زيّان**، ، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، تلمسان الجزائر، 1431هـ/2011م، ج1.

95. محمود عبدالحليم: **شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله**، المكتبة العصرية، د.ط، صيدا، لبنان، د ت.

96. مخلوف بن سالم مُحَّد بن مُحَّد بن عمر بن علي: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ، 1424هـ/2003م، ج1.

97. المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م.

98. مرجان سحر عنتر مُحَّد أحمد: **فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628-1000هـ/1230-1591م)**، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، بور سعيد، القاهرة، 1432/2011م.

99. المصمودي فوزي: **تلمسان بعيون عربية (الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب)**، دار السبيل، الطبعة الأولى، تلمسان، الجزائر، 1421هـ/2001م.

100. المنّوني مُحَّد: **ورقات عن حضارة المرينيين**، منشورت كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، مطبعة النجاح الجديدة، جامعة مُحَّد الخامس، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، الرباط، 1420هـ/2000م.

101. مبارك بن مُحَّد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم مُحَّد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م، ج2.

102. النبراوي فتحية: **تاريخ النظم والحضارة الإسلاميّة**، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1981م .

103. النّقيب عبد الرحمن وآخرون: **أدبيّات الطفولة في الفكر الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، الو.م.أ، 1433هـ/2012م، ج1.

104. نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة النويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ، 1400هـ.1980م.

105. (ـــــــــ): **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، تقديم: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1409هـ/1988م، ج2.

الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصُّمَيلي، المكتبة العصرية، د.ط، بيروت، د.ت .، الطبعة الخامسة عشر أيار/ مايو، 2002م، ج3.

106. يعلى أحمد صالح وآخرون: **دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات ذات السلاسل، د.ط، الكويت، 1986.

ثالثا: المراجع المعربة

1. برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى نهاية القرن15م**، تحقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1409هـ/1988م.

2. توبي. أ. هف، **فجر العلم الحديث (الإسلام . الصين . الغرب)**، ترجمة: مُحَّد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية، الكويت، 1421هـ/2000م.

3. جوليان شارل اندري: **تاريخ افريقيا الشمالية**، ترجمه: مُحَّد مزالي وبشير سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1389هـ/1969م، ج1، ج2.
4. كربخال مارمول: **افريقيا**، ترجمة مُحَّد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع ، د.ط، الرباط، 1409هـ/1989م، ج2.
5. هوفمان مراد: **الاسلام كبديل**، ترجمة: غريب مُحَّد غريب، مؤسسة العلم والحديث، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1413هـ/1993م.

رابعا: المجلات والدوريات

1. برشان محمد: "الحركةالعلمية في الزوايا – الزاوية الزيّانية- أنموذجا-"، **مجلة دراسات إنسانية واجتماعية**، العدد الثاني والثالث، جامعة وهران، جانفي 2013م.
2. بلعربي خالد:" مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني"، **مجلة الدراسات**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بشار، العدد1، المجلد 3، ديسمبر2017.
3. بلمدني نوال:" ابن مرزوق الخطيب وكتاب المناقب المرزوقية"، **مجلة العصور الجديدة**، عدد خاص، العدد 3 ـ 4، خريف 1432هـ/2011م، شتاء 1433هـ/2012م.
4. بلميهوم حفيظة:" الإمام ابن مرزوق الحفيد ومنهجه في الفتوى"، **مجلة البحوث العلميّة والدراسات الإسلاميّة**، المجلد السادس، العدد الأول، مخبر الشريعة، جامعة الجزائر1 يوسف بن خدة، ت.ن 2014/06/19م.
5. بوزيّان محمد بن علي:" الإمام عبد الجبار الفيكيكي مؤسس الصرح الثقافي بفكيك"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، المغرب، العدد254، ربيع الثاني ـ جمادى الأولى1406هـ/ يناير ـ فبراير1986م.
6. بوشريط محمد:" التعريف بالمقّري وإسهاماته العلميّة"، **مجلة عصور الجديدة**، العدد الثاني، المجلد التاسع، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، عدد خاص، سبتمبر، ت.ن 2019/09/04م.
7. البوعبدلي المهدي: "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر"، **مجلة الأصالة**، العدد 11، السنة الثانية، شوال، ذوالقعدة 1392هـ/ نوفمبر، ديسمبر 1972م.
8. بوعزيز يحيى: "الأوضاع السياسية والثقافية في عصر أحمد بن قنفد القسنطيني"، **مجلة سيرتا**، العدد الحادي عشر، محرم 1418هـ، ماي 1998م.
9. بوعياد فضيلة: "الحركة الثقافية خلال العهد الزّيّاني ـ تلمسان في القرنين السادس والسابع للهجرة"، **مجلة الآداب واللّغات**، العدد الرابع والعشرون، جامعة أبي بكر بلقايد، 2017م.
10. بوكرديمي نعيمة:" إسهامات بيت الشريف في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب التراجم –أبو عبد الله الشريف التلمساني أنموذجا-"، **مجلة جسور المعرفة**، المجلد5، العدد 3، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ت.ن 2019/09/21م.

11. بلعيد ابن حمدة وسيلة: "الزاوية ودورها التربوي والاجتماعي"، **مجلة الهداية**، العدد الرابع، سنة 19، تونس، 1415هـ/1995م.
12. بونار رابح: "سعيد العقباني التلمساني"، **مجلة الأصالة، العدد السادس**، السنة الأولى، 1972م.
13. حاجيات عبد الحميد:" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، **مجلة الأصالة**، العدد 26، السنة الرابعة، رجب-شعبان 1395هـ/جويلية- أوت1975م.
14. (ـــــــ): "دور وظيفة الحسبة بالمغرب الأوسط في عهد بني زيّان "من خلال كتاب تحفة الناظر لأبي عبد الله مُحَمَّد العقباني المتوفى سنة 871هـ/1467م، **مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية**، المجلد الأول، العدد الثاني، ت.ن 2015/01/01م.
15. (ـــــــ):" سيدي مُحَمَّد الهواري شخصيته و تصوفه"، **مجلة الثقافة**، العدد88، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، جويلية ـ أوت، 1405هـ/1985م.
16. (ـــــــ): "نشأة المدارس في تونس"، **مجلة الهداية**، العدد5، سنة1415هـ/1995م.
17. الحمدي أحمد: "محمد بن عبد الكريم المغيلي"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات** ، العدد 5، 2003م.
18. محمد خالد،" الصوفي والفقيه في رحلة عبور الصحراء"، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، العدد السادس، مؤسسةCNRPAH، الجزائر، جانفي 2018م.
19. ابن خويا إدريس و برماتي فاطمة: "الشيخ سيدي بن عبد الكريم المغيلي من المهد إلى اللحد" **مجلة الذاكرة**، العدد السابع، قسم اللغة والأدب العربي، مخبر التراث اللغوي والأدبي للجنوب الجزائري، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، ماي، 2016م.
20. داود نصر الدّين:" أبو عبد الله بن مرزوق الكفيف 824هـ/1421م ـ 901هـ/1496م قراءة عن سيرته ونشاطه"، **مجلة أنثروبولوجيا الأديان**، قسم التاريخ كليّة الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة تلمسان، العدد العاشر، تاريخ النشر: 15-06-2011م.
21. الدراجي محمد: "من إعلام المفسرين التلمسانيين في الماضي والحاضر"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3 ـ 4، أفريل ـ ماي، 2011م.
22. دهينة نصيرة: "مشاهير بيوتات العلم والعلماء في حاضرة تلمسان"، **مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية**، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، العدد العاشر،19 ديسمبر2015.
23. السويسي محمد: "عالم رياضي أندلسي تونسي" القلصادي"، **مجلة للبحث العلمي**، جامعة تونس، العدد 9، 1979م.

24. شبّوع إبراهيم: "أبو الحسن علي بن مُحَّد بن علي الرعيني الإشبيلي المعروف بابن الفخار (ت 666هـ/1268م)"، برنامج شيوخ الرعيني، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد الخامس، الجزء الأول، ذو القعدة 1378هـ / مايو 1959م.
25. شخوم سعدي: **الصناعة الصيدليّة بالدولة الزّيّانيّة من خلال مؤلفات إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني**، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخيّة، جامعة سيدي بلعباس، العدد الرابع، جوان ، 2013م.
26. شهر زاد رفاف: "أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) حياته وآثاره"، **مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، ، العدد الثامن، جامعة بشار الطاهري مُحَّد، بشار، ديسمبر 2018م.
27. (ــــــــ): "فن المناظرات بالمغرب الأوسط الزياني، نموذج مناظرات القاضي سعيد العقباني (ت811هـ/1408م)"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، قسم التاريخ، جامعة بشار، العدد1، المجلد 14، 01 جوان 2019م.
28. عبد القادر أحمد عبد القادر: السنوسي التلمساني الجامع بين علوم الباطن والظاهر" مصنفاته المخطوطة وأماكن وجودها"، **مجلة الآفاق للثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد، قسم المخطوطات، العدد 23/22، أكتوبر 1998م.
29. عثمان عبد الرحمن يوسف:" الأثر العقدي والسياسي في انقراض المذهب الفقهي بالغرب الإسلامي والأندلس"، **مجلة الشريعة والقانون**، العدد الأول، المجلد السابع، ماليزيا، ت.ن جوان2019م.
30. عدالة مليكة:" فقهاء بيت ابن الإمام ومكانتهم العلميّة في تلمسان الزّيّانيّة"، **مجلة عصور الجديدة**، المجلد العاشر، العدد الأول، مارس 1441هـ/2020م.
31. العسري عبد السلام: "مراتب المجتهدين في الفقه الإسلامي وخصوصيات المذهب المالكي في تلك المراتب"، **مجلة القرويين**، العدد1، جامعة القرويين، مراكش، المملكة المغربية، 1989م.
32. عطاء الله فؤاد بن أحمد: "مؤلفات علماء تلمسان في علوم القرآن والفقه والعربية دراسة بيبليوغرافية"، **مجلة التراث**، المجلد التاسع، العدد3-32، كلية الشريعة والقانون، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية ت.ن 2019/12/15م.
33. غرداين مغنية:" قراءة في الحركة العلميّة بتلمسان الزّيّانيّة 633- 992هـ/1236- 1554م"، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع**، المجلد السادس، العدد الثالث، جامعة بسكرة، ت.ن 2017/09/17م.
34. ابن فارح ميهوب: دور الفقهاء المغاربة في نشر العلوم الشّرعية في بلاد السودان الغربي "القرن 5- 6هـ/11-16م، **مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية**، العدد السابع عشر، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، ت.ن 2019/09/15م.

35. الفاسي علال:" التَّصوُّف الإسلامي في المغرب"، **مجلة الثقافة المغربية**، العدد الأول، مارس- أفريل، المغرب، 1970م.

36. فتحي محمد:" الموحدون والحركة الثقافية في المغرب الإسلامي"، **مجلة الحواري المتوسطي**، المجلد الخامس، العدد السابع، جامعة سيدي بلعباس، مارس، 2014م.

37. فولارن أصف أحمد:" من أعلام الإسلام في نيجيريا"، **مجلة الفيصل**، دار الفيصل الثقافية، السعودية، السنة24، العدد 280، شوال 1420هـ/ يناير ـ فبراير 2000م.

38. قاسم مريم: "لسان الدين بن الخطيب موسوعة حضارية"، **مجلة العصور الجديدة**، مخبر البحث التاريخي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، العدد 5/4، ديسمبر جوان 1424 ـ 1425هـ/2003 ـ 2004م.

39. الكتاني مُحَمَّد: "ابن الخطيب والمذاهب الفكرية في عصره"، **مجلة كلية الآداب**، العدد الثاني، السنة الثانية، جامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله، تطوان، المغرب، 1408هـ/1987م.

40. كربوع سعيد: "كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي: المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا"، **مجلة كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية**، جامعة بسكرة، العدد9، مارس، 2014م.

41. كنزي عبد الوهاب: "الإنتاج العلمي عند سعيد العقباني التلمساني (ت1409م)"، **مجلة أفاق فكرية**، المجلد الخامس، العدد العاشر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، ت.ن 2019/05/29م.

42. لعرج عبد العزيز: " مجموعة المنشات المعمارية للسلطان المريني أبي الحسن"، **مجلة دراسات تراثية**، مخبر البناء الحضاري، العدد2، جامعة الجزائر2، 2008م.

43. (.): **المساجد الزيّانية بتلمسان "عمارتها وخصائصها"**، حوليات الجامعة الجزائرية، العدد الأول، المجلد السادس، ت.ن 1991/12/15م.

44. ابن مامي محمد الباجي ،" التعليم بجامع الزيتونة وبمدارس العلم في العهد الحفصي"، **مجلة التاريخ العربي التابعة لجمعية المؤرخين المغاربة**، العدد 17، 2001م.

45. مجدوبي نور الدين: المقررات الفقهية والنحوية: "الحضور والتأثير في الدرس التعليمي بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8و9 الهجريين/14و15 الميلاديين"، **مجلة عصور الجديدة**، المجلد التاسع، العدد الثالث، ت.ن 2019/09/12م.

46. مرتاض مُحَمَّد: "من أعلام الأساتذة المدرّسين بتلمسان في الخمسيّة الهجريّة الثانية"، **مجلة الفضاء المغاربي**، المجلد الأول، العدد الخامس، كلية الآداب واللّغات، جامعة أبي بكر بلقايد، ت.ن 2009/02/08م.

47. مسعود خالدي، "أثر الجاليات العربية والبربرية على الحياة الإجتماعية في السودان الأوسط والغربي بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين"، **مجلة حوليات جامعة قالمة للعلو الإجتماعية والإنسانية**، العدد الثاني، جامعة 8 ماي قالمة، ت.ن 2013/11/12م.

48. مفدي زكرياء:" النشاط العقلي والتقدم الحضاري في عهد الزيانيين"، **مجلة الأصالة**، السنة الرابعة، العدد 26، السنة الرابعة، رجب–شعبان 1395هـ/جويلية- أوت1975م.

49. مقدم مختارية،" نظرية الحكم في فلسفة التوحيد لأبي عبد الله السنوسي التلمساني"، **مجلة الحوار الثقافي**، المجلد الرابع، العدد الأول، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ت.ن 2018/10/01م.

50. مكيوي محمد: "عوامل ازدهار الحياة الفكرية في القرنيين 7 و 8 هـ بالمغرب الأوسط"، **مجلة الأثر**، كلية الآداب واللّغات، العدد التاسع، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ماي 2010م.

51. موساي أحمد:" الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني (رحلة السلطان / رحلة الشعر)، الأثر"**– مجلة الآداب واللغات–**، العدد07، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ماي2008م.

52. هادي جلول:" دور المكتبات في نشر العلوم في تلمسان في العهد الزياني"، **المجلة الجزائرية والدراسات التاريخية المتوسطية**، العدد الثاني، جامعة الشلف، شتاء 1436هـ/2015م. ص161.

53. وصفي عبد العزيز: فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة "أهميته وخصائصه ومميزاته"، **مجلة الشهاب**، المجلد الرابع، العدد الرابع، ربيع الثاني1440هـ/ ديسمبر2018م.

54. يماني رشيد:" المؤلفات الأندلسية المتداولة في تلمسان الزيّانية"، **مجلة أنتروبولوجية الأديان**، كلية الأدب واللغات، العدد الواحد والعشرون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 21 أفريل 2018م.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. بكراوي مُحَّد عبد الحق: **المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي مُحَّد بن الكبير**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلاميّة تخصص فقه وأصول، إشراف أ.د سعيد فكرة، كلية العلوم الإسلاميّة، جامعة باتنة1، 2016- 2017م.

2. بكوش فافة: **أبو عبد الله المقّري (ت759هـ) ورحلته العلميّة بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي لدول المغرب الإسلامي، إشراف عبد القادر جيلالي بلوفة، كلية العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة، قسم التاريخ وعلوم الآثار، شعبة التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432- 1433هـ/2011- 2012م.

3. بلعالم عبد السلام بن الأسمر: **الحياة الفقهية في توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين**، مذكرة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلاميّة، إشراف سعيد فكرة، كلية العلوم الإسلاميّة، قسم الفقه وأصوله، جامعة الحاج الأخضر 1، باتنة، 2015- 2016م.

4. بوحسون عبد القادر: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزيّاني (633–962هـ/1235–1554م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف لخضر عبدلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م.
5. بودواية مبخوت: **العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيّان**، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005م.
6. بوعقادة عبد القادر: **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7 و9هـ/ 13 و15م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص تاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بشاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله، 1435-1436هـ/2014-2015م.
7. الجون محمد صالح: **أثر الأندلسيين في الأدب المغربي على عهد الموحدين**، أطروحة دكتوراه، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1987م.
8. حساين عبد الكريم: **حركة التأليف بالمغرب الأوسط خلال العهد الزيّاني (633- 962هـ/1235- 1554م)**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف خالد بلعربي، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانيّة، شعبة التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1438-1439هـ/2017- 2018م.
9. خالدي رشيد: **دور علماء الأوسط في إزدهار الحركة العلميّة في المغرب الأقصى خلال القرنين 7-8هـ/13- 14م**، إشراف أ.د لخضر عبدلي، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، 1431-1432هـ/2010- 2011م.
10. خالدي رشيد: **دور علماء المغرب الأوسط في إزدهار الحركة العلميّة في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف لخضر عبدلي، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1431-1432هـ/2010-2011م.
11. رزيوي زينب: **العلوم والمعارف الثقافيّة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و 9هـ/13 و 15م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، جامعة بلعباس، 1436 . 1437هـ/2015 . 2016م.

12. زينب سالمي، **الحركة العلميّة في إقليم توات خلال القرون 8- 10 هجرية**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف مبخوت بودواية، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432 -1433هـ/2011- 2012م.
13. عبدلي الأخضر: **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني (962.633هـ/1554.1236م)**، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، 1425 ـ 1426هـ/2004 ـ 2005م.
14. ابن علي طاهر: **دور النوازل في الكتابة التاريخية – نوازل الأندلس في القرنين 8 و9هـ/14 و 15م – نموذجا–**، أطروحة مقدّمة للحصول على شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، إشراف د الحاج عيفة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 1434-1435هـ/2013-2014م.
15. كرطالي أمين: **الفقهاء والحياة السياسيّة في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلاميّة، إشراف محمّد بوركبة، كلية العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلاميّة، قسم الحضارة الإسلاميّة، جامعة وهران، 1434-1435هـ/2013-2014م.
16. لبتر قادة: **تأثير الرطوبة على المعام الأثرية –دراسة لبعض معالم مدينة تلمسان–** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط، إشراف بلحاج معروف ، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة ولإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007م.
17. المشهداني علياء هاشم ذنون محمّد: **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة في التاريخ الاسلامي، إشراف الأستاذ المساعد مزاحم علاوي الشاهري، كلية التربية، جامعة الموصل، محرم 1424هـ- آذار 2003م.
18. نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/ 13م إلى10هـ/16م**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، الجزائر، 1430هـ/2009م.
19. نقادي سيدي محمّد: **إسهامات الإمام الآبلي في الحياة الفكرية للمغرب الكبير، "تلمسان نموذجا"**، أطروحة دكتوراة في الثقافة الشعبيّة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1430 ـ 1431هـ/2009 ـ 2010م.

سادسا: الموسوعات و الفهارس والمعاجم

1. التهانوي محمّد علي ، **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق علي دحروج، ترجمة جورج زناتي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، لبنان، 1996م، ج1، ج2.

الأزدي محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر (ت 321هـ/933م): **جمهرة اللّغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، 1987م، ج2.

2. حجّي مُحَّد: **فهرس الخزانة العلمية الصبحية بسلا**، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط، الكويت، 1406هـ/1985م.
3. سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م، مج1، مج2.
4. الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم (ت 360هـ/971م): **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن مُحَّد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، د.ط، القاهرة، د.ت، مج7.
5. عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل: "**الغُنْيّة**" فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت،1402 هـ/1982م.
6. الكتاني مُحَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن مُحَّد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي ، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1982م، ج2.
7. كحالة عمر رضا: **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، د.ت ، مج1، مج3، مج4، مج8، مج10، مج11.
8. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، **الكليّات "معجم في المصطلحات والفروق الغويّة"**، وضع فهارسه عدنان درويش ومُحَّد المضري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م.
9. مختار أحمد عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ/ 2008م، مج1.
10. المنجور أحمد بن علي (ت995هـ/ 1587م): **فهرس أحمد المنجور**، تحقيق: مُحَّد حجّي، دار الغرب الإسلامي للتأليف والترجمة والنشر، طبعة 1976م، المغرب، الرباط، 1976م.
11. ابن منظور محمد بن مكرم أبو الفضل(ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، دار الحديث، د.ط، القاهرة، 1423هـ/1311م، مج5.
12. ابن النديم محمد بن أبي يعقوب ، **الفهرست**، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996م.

سابعا: المحاضرات والمؤتمرات والمواقع الإلكترونية

1. بوبة مجاني: **كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي**، العصر الزياني نموذجا، أعمال ملتقى دولي في التاريخ حول التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، يومي 23-24، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة،أفريل 2001م.
2. بوبة مجاني: **مخطوطتان من التراث الفلكي التلمساني تعودان إلى العصر الزّيّاني**، محاضرة ألقيت في "**المؤتمر الثالث والعشرون لتاريخ العلوم عند العرب**"، جامعة حلب، شعبان 1422هـ - أكتوبر 2002م.
3. جمعية علماء المسلمين الجزائريين، **مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين**، دار الكتاب الجزائري، الثلاثي الرابع، 1402هـ/1982م.
4. المنديلي زيد: **البنية الفكرية وإشكالية التنميّة**، السبت 26/ مارس/ 2016، 23:28، https://www.alwatan.com.sa/article/295593.

ثامنا: المراجع باللغة الأجنبية

1. BoualS .A. i **« les deux grandes sièges de Tlemcen »** E.N.A.L Alger.
2. Bourouiba Rachid, **l'art religieux musulman en algèrie**, send, 1973.
3. BLACHEE R..- **Quelques détals sur la vie privié du sulta mérinideAbu-l'Hassan ,** « Mémorial Henri Basset », Paris,1928 ,t. 1,
4. piesse(L) et canal (j) **Tlemcen, extrait de la revue de la L'Afrique française**, parie,1889.
5. Oulebsir Nabila , **Les usages du patrimoine Monuments** , musée , et politique coloniale en Algerie (1830-1930) , Editions de la Maison des sciences de l'homme , Paris 2004.
6. Mostéfa khiati**, La médecine en Algerie au moyen-àge (9eme- 17 eme siécle)**, houma éditions,algerie, 2013.
7. shatzmiller M . . – **les circonstances de la composition du « musnad » d ibn marzuq**. « arabica ». 1975.
8. LEVI-PROVENCAL E.- **Un nouveau texte d'histoire mérinide : le « Musnad » d'Ibn Marzuk** , « Hesperis ».1950.
9. Labbe j.j.l. barges, **Tlemcen, ancienne capitale du royaume**, benjamin Duprat, paris, 1859.
10. Jocob oliel, **Les juifs au sahara-le touat au moyen age**, CNRS, EDITIONS.
11. Jacques Simon **, L'Algérie au passé lointaine de Carthage à la Régence d'Alger l'harmattan** , Paris 2011.
12. Hadj Omar Lachachi , **Le passé prestigieux de Tlemcen** , Editions Ibn-Khaldoun,Tlemcen 2002.

A. dhina, **le royaume Abdel oud de a l époque d Abou hammou moussa 1er et d Abou tachfine 1er,**O.P.u , Alger, sans date.

13. BROSSELARD Ch : **les inscriptions arabe tlemcen** in revue africaine, N 17 juin 1885.
14. Brosselard Ch : **: les inscriptions arabes de Télémcen**, in revus Africaine,5é année , N° 18 ,1858- 1859.
15. BROSSELARD.(Ch) : **Tombeaux des Familles EL Makari et EL OKbani**, Revue Africaine, n°30, 1860.
16. Alfred.Ble, **Tlemcen et ses environs**, paris,1935.

17. Al Khammar (A) **. Les medrasas mérinides de Meknes** , Archéologie islamique , volume 11 , Revue publiée avec le concours du Centre de la recherche scientifique Maisonneuve et larose , 2001.
18. MIRANDA A .. HUICI : **Las grandes bataillas , de la Reconquista**.
19. Marçais (G) et William, **les monument arabes de Tlemcen** , fonte oing, paris, 1905.



فهرس المحتويات العام

الملخص:

العهد الزّيّاني من القرن 7 الهجري إلى القرن 10 الهجري، الموافق للقرن 13 الميلادي إلى 16 الميلادي، بدأت فيها بالخلفيات التاريخيّة لهؤلاء الفقهاء من خلال مكانة تلمسان الحضارية وعلاقاتها بالحواضر العلميّة الأخرى، وما مدى تأثير الحركة العلميّة الموحدية على صناعة البنية الفكرية للفقيه، وكيف أصبحوا مكسباً فكرياً لا يزال ينتفع بآثاره إلى يومنا هذا، فأدى إلى أن تكون تلمسان مقصدا لطلاّب العلم، بالإضافة إلى ذكر مناهجهم التعليميّة والفقهيّة التي كان لها عظيم الفضل في تكوّين هذه البنية، وصولا إلى لإسهاماتهم الفكرية وانعكاسها بشكل كبير على تنوُّع العلوم والتآليف، وصداها في العالم الإسلاميّ برمته من حيث المناصب العلميّة والسياسيّة، وحتى التآليف التي بلغت ذروتها في مطلع النصف الأخير من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

ABSTRACT **:**

The Zayani era from the 7th century AH to the 10th century AH, parallel to the 13th century AD to the 16th century AD, started with the historical backgrounds of these sholars over the civilizational position of Tlemcen and its relations with other scientific cities, and the extent of the effect of the Almohads scientific operativeness on the turning out of the intellectual structure of the scholar, and how they became a profit Intellectually, he is still benefiting from its impacts to this day, which led to Tlemcen becoming a destination for students of knowledge, not to point out mentioning their processes. The educational and jurisprudence that had great credit for the pattern of this structure, up to their intellectual contributions and their great reflection on the diversification of sciences and writings, and their resonance in the entire Islamic world in terms of scientific and political positions, and even authorship that came up to its pinnacle at the outset of the last half of the eighteenth century the fourteenth Gregorian.